بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية

نموذج رقم (٨)

« إجازة اطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات »

الاسم «رباعي» : صباح بنت عمر محمد حلبي كلية: اللغة العربية قسم: الدراسات العليا – فرع:

الاطروحة مقدمة لنيل درجة: « الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها » في تخصص: لغويات

عنوان الاطروحة: « دلالات الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية »

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٤/ ١ /١٤٢١هـ ، بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه...

والله الموفق...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم: د. عليان بن محمد الحازمي	الاسم: أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد	الاسم: أ.د. محمد خضر عريف
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع:

يعتمد: رئيس قسم الدراسات العليا العربية

أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة في كل نسخة من الرسالة.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

دلالات الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية

رسالة مقدمة
لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
تخصص لغويات

إعداد
صباح بنت عمر بن محمد حلبي

إشراف
د. عليان بن محمد الحازمي
الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية

١٤٢٠-١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

موجز الدراسة

عنوان الدراسة : دلالات الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية

إعداد : صباح بنت عمر بن محمد حلبي

يدرس هذا البحث الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية دراسة لغوية،تهدف إلى إظهار أثر الإسلام في تغيير دلالات الألفاظ عمّا كانت عليه في العصر الجاهلي،لعلها تكون نواة لمعجم تاريخي للألفاظ الإسلامية.

يبدأ البحث بدراسة اللفظ في العصر الجاهلي من خلال نصوصه الشعرية،ثم دراسة دلالاته في القرآن الكريم مجملة؛تمهيدا لدراسة دلالاته في الحديث النبوي من خلال نصوص الأحاديث التي ورد فيها اللفظ اعتماداً على الكتب الستة،وهنا تظهر الدلالات الإسلامية التي أضافها الحديث النبوي لتلك الألفاظ؛ليتم من خلالها رصد مظاهر التغير الدلالي التي خضعت لها تلك الألفاظ،وقد تكونت الدراسة من الأبواب التالية :

الباب الأول (أدبيات البحث): ويشمل دراسة المسائل اللغوية المتصلة بالبحث ومنهجه ومنها التغير الدلالي معناه وأسبابه ومظاهره ونتائجه،وعلم اللغة التاريخي والمعجم التاريخي.

الباب الثاني ألفاظ العبادات وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: ألفاظ الطهارة

الفصل الثاني: ألفاظ الأذان والإقامة

الفصل الثالث: ألفاظ الصلاة

الفصل الرابع: ألفاظ الصوم

الفصل الخامس: ألفاظ الزكاة والصدقة

الفصل السادس: ألفاظ الحج

الباب الثالث ألفاظ أخرى وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ألفاظ فقهية (السنة ، البدعة ، الشبهة ، الرخصة)

الفصل الثاني:ألقاب إسلامية (الخلفاء الراشدون ، الصحابة ، التابعون، القرّاء ، الغرباء)

الفصل الثالث:ألفاظ الفرق (الجماعة ، الخوارج،المرجئة،القدرية)

الباب الرابع أعلام إسلامية وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أسماء سور القرآن (أم الكتاب،الزهروان،المعوذتان،الحزب)

الفصل الثاني: أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم وأسماء دار هجرته (الماحي،الحاشر،العاقب،طيبة وطابة)

الفصل الثالث: أسماء من العالم الغيبي (الحوض،الريان،الوسيلة،نهر الحياة،نهر الخبال وطينة الخبال، بولس ،جُب الحزن)

وقد أسفر البحث عن وجود ألفاظ كثيرة أكسبها الحديث النبوي دلالاتها الإسلامية،وألفاظ أخرى أضاف لها الحديث دلالات إسلامية أخرى أتمت دائرة المعنى الإسلامي الذي جاء في القرآن الكريم،كما تبينت حقيقة هذه الألفاظ،فهي ألفاظ قديمة حمّلها الإسلام معاني جديدة،أو هي مشتقات لألفاظ معروفة لها دلالتها في الشعر الجاهلي.وقد خضعت هذه الألفاظ في انتقالها من معانيها اللغوية إلى معانيها الإسلامية لمظاهر التغير الدلالي كالتخصيص،وهو المظهر الرئيسي الذي خضعت له كثير من ألفاظ هذه الدراسة،والتعميم،كما كان لكل من المجاز والاشتقاق دور هام في وجود هذه الألفاظ وحملها المعاني الجديدة. وبهذا يكون الإسلام قد قدّم لنا ثروة لغوية جديدة دون أن يغير على العربي لغته .

وقد أوصى البحث بأن تتابع البحوث لدراسة دلالات الألفاظ الإسلامية دراسة تاريخية،تكون لبنات لتكوين معجم تاريخي للألفاظ الإسلامية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين.

عميد كلية اللغة العربية	المشرف	الباحثة
د.صالح جمال بدوي	د.عليان بن محمد الحازمي	صباح بنت عمر حلبي

شكر وتقدير

الحمد لله على نعمه التي لاتحصى، والشكر له على منّه وكرمه وتوفيقه بأن يسر لي سبل هذه الدراسة، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد حتى يرضى، وله الحمد والشكر بعد الرضا.

وإذا كان شكر المتفضل المنعم واجبا، فشكر الناس من شكر الله، لذا فإنني أقدم خالص شكري وتقديري لجامعة الملك عبدالعزيز ممثلة في كلية التربية بالمدينة -والتي أتشرف بانتمائي لها- على أن أتاحت لي فرصة الابتعاث لجامعة أم القرى لإتمام دراساتي العليا، كما أقدم الشكر والعرفان لجامعة أم القرى ممثلة في كلية اللغة العربية التي شرفتني بقبولي طالبة بقسم الدراسات العليا العربية لنيل درجة الدكتوراه على أيدي أساتذتها الفضلاء، فلها مني الشكر خالصا والعرفان بالجميل.

ولا يفوتني أن أقدم جزيل شكري لسعادة عميد كلية اللغة العربية السابق سعادة الدكتور حسن باجودة، وعميد الكلية الحالي سعادة الدكتور صالح جمال بدوي، ولسعادة رئيس قسم الدراسات العليا العربية السابق الدكتور سليمان العايد، وسعادة رئيس قسم الدراسات العليا العربية الحالي الدكتور محسن سالم العميري الشكر خالصا، على مايبذلانه لتذليل الصعوبات أمام طلاب الدراسات العليا، فجزاهما الله عنا خير الجزاء.

وإلى أستاذي الفاضل سعادة الدكتور عليان بن محمد الحازمي أقدم جزيل شكري وعظيم امتناني لقبوله الإشراف على الموضوع، فكان هذا أول الفضل، وكم كان في توجيهاته وكلماته مايشحذ همتي كلما خانني العزم، كما كان في صبره وسعة باله عونا لي على إتمام هذه الدراسة، فله الشكر خالصا على ماأنفق من وقته وجهده في تقويم هذا البحث.

وإلى الأساتذة الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة خالص الشكر والتقدير على ماسينفقون من وقت وجهد لتقويم البحث وصاحبته، وما سيقدمونه من خبرات تكون عونا لي على السير في طريق البحث العلمي، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وهنا أقف وقفة العاجز عن الوفاء بالحق، لأُقدِّم أسمى معاني التقدير والعرفان بالجميل إلى والدي الحبيب الذي كان لي نعم المربي ونعم القدوة الذي كان يترقب هذ اليوم، ولكن شاء الله غير ذلك، رحمه الله تعالى، وجعل جنة الفردوس له مكانا ومنزلا.

وإلى والدتي الحبيبة التي طالما سمعت صوتها في جوف الليل تدعو وتبتهل، وكم كان في دعائها وتسامحها معي في حقها دافعا لي على مواصلة الجهد فلها منّي العرفان والتقدير.

وإلى زوجي الفاضل أُقدِّم وافر شكري وعظيم امتناني، فكم شحذ همتي وواصل معي الجهد، حتى أتم الله نعمته علي بإتمام هذه الدراسة.

وإلى أبنائي البراء وأحمد وأيمن، الذين كانت لكلماتهم البريئة وقعٌ بالغٌ في نفسي في وقت عجَزت فيه عن الوفاء بحقهم.

وإلى كل من ساعدني وساندني في هذا البحث وافر الشكر وعظيم الامتنان.

مقدمة البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، معلم البشرية وقائدها، المبعوث بلسان عربي مبين.

وبعد.

فإنه مما لايخفى على المتتبع لألفاظ اللغة العربية ما للإسلام من أثر واضح في تغيير دلالات كثير من الألفاظ عما كانت عليه قبل الإسلام، وقد تنبه إلى ذلك الأثر علماء اللغة، وأشاروا إليه في كتبهم، ومن هؤلاء (ابن فارس) في كتابه (الصاحبي) إذ يقول: (كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله (جل ثناؤه) بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول، وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات وتطلب الأرباح... بتلاوة الكتاب العزيز... وبالتفقه في دين الله (عزَّ وجلَّ) وحفظ سنن رسول الله ﷺ)[1].

وألف فيه الرازي المتوفيَّ سنة (٢٢٢) كتاباً سماه (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) حققه حسين الهمداني وقال في مقدمة التحقيق: (وبعد فقد وضع الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي كتابا جامعا في أوائل القرن الرابع، كان أول مرجع يتضمن الأسماء العربية التي نطق بها القرآن، والأسماء التي اصطلح عليها المسلمون، وسماه كتاب الزينة، وقد حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يجمع من شتّى الألفاظ العربية، ألفاظا تغيرت مدلولاتها ومعانيها في العصر الإسلامي عما كانت عليه في العصر الجاهلي، وبعمله هذا وضع اللبنة الأولى في علم معاني الأسماء العربية والمصطلحات الإسلامية[2].

---

(١) الصاحبي: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص٧٨.

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني، دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الثانية ١٩٥٧م، ص ١٤.

وقد اهتمت الدراسات والبحوث الحديثة بهذا النوع من الدراسة، فظهرت بعض المقالات التي تؤكد على تغير دلالات بعض الألفاظ في العصر الإسلامي عما كانت عليه في العصر الجاهلي، من ذلك مقالة (المصطلحات الإسلامية) للدكتور محمد يوسف موسى والتي يقول فيها: (كان الإسلام ثورة على العرب والحياة العربية في نواحيها المختلفة، فكان ذا أثر كبير في اللغة نفسها، مع أن القرآن وهو كتابه الأول جاء بلسان عربي مبين ومع أن الرسول المصطفى ﷺ قد أمر بأن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وبما يفهمونه ويفقهونه، ولكن مع هذا وذاك كان أثر الإسلام في اللغة ضرورة لابد منها)[(١)].

ومنها أيضا مقالة للدكتور أحمد مطلوب، قال فيها: (نقل الإسلام ألفاظا من مواضع إلى مواضع، وهذا النقل الذي يمس الشريعة يسمى (الحقيقة الشرعية) وهو من أسباب نمو اللغة، وفتح باب تطور الدلالة وانتقال الألفاظ من معنى معروف إلى آخر يقتضيه الشرع وتتطلبه الحياة الجديدة)[(٢)]. كما أشار إلى ذلك الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه (التطور اللغوي التاريخي) وكذلك الدكتور أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام).

وقامت دراسات تطبيقية -على قلتها- هدفها جمع الألفاظ التي تغيرت دلالاتها عما كانت عليه قبل الإسلام، وإظهار مدى هذا التغير، وقد اعتمدت هذه الدراسات على كتاب الله العزيز، ففيها جمع الباحثون الألفاظ القرآنية التي تغيرت دلالتها في الإسلام وأظهروا مدى هذا التغير، ومن هذه الدراسات دراسة قام بها الدكتور عودة خليل أبو عودة وعنوانها (التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن). وقدَّمتُ دراسة بعنوان (تطور دلالات الألفاظ الدينية بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم) لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، وكلا الدراستين اتخذت ألفاظ القرآن الكريم قاعدة لها.

هذا ولم تعثر الباحثة على دراسات حديثة أخرى في مجال التغير الدلالي للألفاظ الإسلامية. كما لاحظت الباحثة وهي تتبع آيات القرآن الكريم أن كثيرا من الألفاظ الإسلامية لم ترد في القرآن الكريم، فالوضوء والاستنجاء والاستجمار والتثويب والغُرُّ المحجلون والخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون وأسماء المدينة طيبة وطابة، وأسماء بعض

---

(١) في المصطلحات الإسلامية: محمد يوسف موسى، مقالة بمجلة المجمع اللغوي بالقاهرة، جـ١١، ٢٠٩.

(٢) الحقيقة الشرعية وتنمية اللغة العربية : أحمد مطلوب، مقالة بمجلة مجمع اللغة العربية، بغداد م٣٣، جـ١، ص ٢٢٢-٢٢٥.

أودية جهنم مثل جب الحزن، ونهر الخبال، والحوض، والريان.. وغير ذلك من الألفاظ لم أجد لها أثرا في القرآن الكريم فمن أين اكتسبت هذه الدلالة الإسلامية؟ وهنا توجهت إلى مصادر الحديث النبوي وبدأت بالصحيحين أقلبهما وأتأمل الأحاديث الواردة فيهما فوجدت بغيتي وعثرت على كثير من الألفاظ الإسلامية التي لم ترد في القرآن، كما عثرت على ألفاظ أضاف لها الحديث النبوي دلالات إسلامية أخرى. وظلت الرغبة جامحة في نفسي لمعرفة المزيد من الألفاظ الإسلامية فكان اختيار موضوع البحث الذي أقدمه اليوم للحصول على درجة الدكتوراه فرصة سانحة لتلبي رغبتي فجعلت عنوان هذه الدراسة **(دلالات الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية)**.

وكان الدافع وراء هذه الدراسة أن تكون بداية لتكوين معجم للألفاظ الإسلامية يدرسها دراسة تاريخية، وتأملت أن تكون هذه الدراسة إحدى الدراسات التي تحقق هذه الغاية وتوصلنا إلى هذا الهدف الذي لن يتحقق إلا بقيام عدة دراسات من شأنها تيسير الطريق أمام ظهور هذا المعجم الذي يعد جزءا من أمل العربية في أن يكون لها معجم تاريخي، وكم تأخذني الغيرة حين أذكر أن الذي سعى من أجل هذا المعجم مستشرق أراد خدمة العربية في هذا الشأن، ورأيت العربي أولى بخدمة لغته، والسعي من أجل تحقيق هذه الغاية التي تحتاج إلى دراسات متعددة وجهود مكثفة من هيئات ومؤسسات تتعاون من أجل تحقيق هذا الغرض، ولكن أول الغيث قطرٌ ثم ينهمر، ودراسة تلو دراسة توصل إلى الهدف المنشود بإذن الله، فإلى متى سنظلُّ نستشهد بقول ابن فارس: (كانت العربُ في جاهليَّتها على إرثِ آبائهم... فلمَّا جاء الله جلَّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال... ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر..)[١].

ومتى يصبح لدينا معجم للألفاظ الإسلامية يجلي لنا تاريخها، ويظهر لنا الارتباط بين معانيها اللغوية ومعانيها الإسلامية ويحدد مظاهر التغير التي خضعت لها؟ وكم كنت أسأل أساتذتي في الدراسات العليا وماذا غير كتاب الزينة في هذا المجال؟ ثم ماذا بشأن المعجم التاريخي غير مافعله المستشرق (فيشر)، ألا يمكن أن يبدأ العمل بدراسات فردية تكون لبنات لتكوين هذا المعجم؟

---

(١) انظر صفحة (ح).

ومن هنا كان **الهدف الرئيس لهذه الدراسة** أن تكون إحدى اللبنات التي يقوم عليها تكوين معجم تاريخي للألفاظ الإسلامية؛ لذا جمعت فيها بين المنهج الوصفي والتاريخي ذلك أن المراد من دراسة الألفاظ التي تم اختيارها -كما يظهر من العنوان- معرفة الألفاظ التي أضاف لها الحديث النبوي دلالة إسلامية ومعرفة تلك الدلالة الخاصة التي اكتسبتها في سياقات الحديث النبوي، وللوصول باللفظ إلى هذه الغاية كان لابد لهذه الدراسة الوصفية أن تقوم على أعمدة تاريخية تتمثل في تتبع تاريخ اللفظ في العصر الجاهلي، ثم تتبع معانيه في القرآن، ومعرفة الدلالة التي وصل إليها فيه؛ ليظهر لي ماأضافه الحديث من دلالات إسلامية وما اشتقه من ألفاظ لتعبر عن معانٍ إسلامية لم تذكر في القرآن الكريم، ثم تحديد مظاهر التغير التي خضعت لها هذه الألفاظ.

وتكمن صعوبة هذه الدراسة في تنوّع مصادرها وتعدد خطواتها ودقتها في اختيار الشواهد من مصادرها، ثم شرح هذه الشواهد اعتمادا على مصادر أخرى وكل خطوة من خطواتها تحتاج إلى نوع من المعاناة والصبر، فلغة الشعر الجاهلي تحتاج جهداً خاصاً في فهمها والتعامل معها. أما آيات القرآن الكريم فالحديث عن معانيها يتطلب حذراً وحيطة للمتحدث فيها، فكلام ا لله سبحانه أجل وأعلى من أن يتحدث فيه بما لايليق بقدسيته، كما يتطلب الخوض في أحاديث رسول ا لله ﷺ تحرياً لصحة هذه الأحاديث وعودة لمصادرها للحديث عن معانيها كما بينها ﷺ دون زيادة ولا نقصان ولا خروج باللفظ عمّا أراده ﷺ.

وقد سار العمل في هذا البحث على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: جمع الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية وذلك بتتبع نصوص الأحاديث في الكتب الستة لمعرفة الألفاظ التي يتوقع أنها لم ترد في القرآن، أو أن الحديث أكسبها دلالة إسلامية خاصة.

المرحلة الثانية: تتبع هذه الألفاظ في آيات القرآن وكتب التفاسير وكتب غريب القرآن للتوثق من عدم وجودها في القرآن أو لتغير دلالتها في الحديث عما كانت عليه في القرآن، وقد يسفر هذا التتبع عن صدق التوقع فأثبت هذا اللفظ ليكون أحد ألفاظ هذه الدراسة، وقد يتبين غير ذلك فيكون خارج إطار هذه الدراسة.

المرحلة الثالثة: وفيها تتم معرفة معاني اللفظ اللغوية في الشعر الجاهلي فبها يتحدد الارتباط بين المعنى اللغوي الذي كانت عليه قبل الإسلام والمعنى الإسلامي الذي آلت إليه فتتبين مظاهر التغير الدلالي الذي خضعت لها الألفاظ بانتقالها من معانيها اللغوية إلى معانيها الإسلامية.

أما الضوابط التي تمت مراعاتها في اختيار الألفاظ التي سيدرسها في هذا البحث -بإذن ا لله تعالى- فهي كما يلي:

١ - تغير دلالة اللفظ عما كان عليه في العصر الجاهلي، وهنا استبعدت الباحثة الألفاظ الدالة على البيوع مثل المحاقلة والمناجشة والمنابذة والملامسة.. لأن الجاهلي كان يستعملها بدلالاتها نفسها، وقد جاءت الأحاديث لتنهى عنها، ومثلها أنواع الأنكحة التي كانت معروفة في الجاهلية فحرمها الإسلام.

٢ - أن يكون الحديث النبوي أضاف لها دلالة جديدة فهي بهذا المعنى لاتعد لفظاً إسلامياً قرآنياً.

٣ - استبعدت الباحثة جميع الألفاظ الإسلامية الواردة في الحديث التي ظلت على دلالتها في القرآن الكريم؛ لأنهاتعد بهذا المقياس ألفاظاً إسلامية قرآنية، ومجال دراستها البحوث التي تدرس ألفاظ القرآن الكريم.

٤ - اقتصر هذا البحث على دراسة الألفاظ الواردة على لسان رسول ا لله ﷺ ماعدا مايتصل بالسنة الفعلية التي جاء وصفها على لسان الصحابة رضوان ا لله عليهم.

وقد وجدت الباحثة أن جميع الألفاظ الفقهية المعبرة عن النكاح والطلاق مثل الطلاق البائن والبائن بينونة كبرى أو صغرى إلى غير ذلك من الألفاظ التي لم ترد في الحديث وهي مما اصطلح عليه الفقهاء فيما بعد. فتبين لها أن التغير الدلالي للألفاظ الإسلامية لم تقف عجلته وأن التتبع التاريخي للألفاظ الإسلامية أمر لابد منه للتأريخ لها ومعرفة الدلالات التي انتهت إليها والألفاظ التي أضيفت إليها بعد حديث رسول ا لله ﷺ وبذلك أصبح خارج نطاق الدراسة تلك الألفاظ التي لم ترد في حديث نبوي كما قررت الباحثة ذلك في العنوان.

٥ - اختارت الباحثة من الألفاظ ماانتقل إلى الحقيقة الشرعية أو إلى المعنى الإسلامي

واستبعدت الألفاظ التي اكتسبت دلالة إسلامية في بعض السياقات وظلت معروفة بمعانيها اللغوية وأرى أن تفرد لها دراسة خاصة تجمع فيها الأحاديث التي اكتسبت من خلالها معانيها الإسلامية ومن هذه الألفاظ البخيل، المفلس، السياحة، الجائزة، المأدبة.

وبقيت بعد هذا أمامي مجموعة من الألفاظ التي لايمكن جمعها تحت موضوع واحد مثل: العقيقة، الراشي والمرتشي، هادم اللذات، الوجوب، المهدي، الموبقات، اللاعنان، الملاعن الثلاثة، الصقارون، الجساسة، الدجال، الاحتساب.

أما الألفاظ التي تم اختيارها لتكوين أبواب وفصول هذه الدراسة فهي بعض الألفاظ المتعلقة بألفاظ العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والصدقة والحج، وقد وردت هذه الألفاظ في سياقات الأحاديث التي جاءت شارحة ومفصلّة لما أجمله القرآن بشأن هذه العبادات.

وقد جمعت فيما يتصل بألفاظ العبادات بعض ألفاظ الطهارة مثل: الاستنجاء، والاستجمار، والاستطابة، والوضوء، الغُرُّ المحجلون. كما توصلت إلى بعض الألفاظ الخاصة بالأذان والإقامة والإمامة وهي الأذان، والنداء، والمؤذن، والتثويب، والإقامة، والترجيع، والإمام، والتهجير. كما جمعت عددا من الألفاظ الإسلامية المتعلقة بالصلاة وهي أسماء الصلوات الخمس وما يدلُّ عليها من ألفاظ مثل فريضة، مكتوبة، وصلاة الخسوف، وصلاة الاستسقاء، الوتر، السبحة وسبحة الضحى، التكبير، التسليم، التشهد، سجود السهو. ووجدت من الألفاظ المتعلقة بالصوم ألفاظاً مثل السحور المسمى أيضا في الحديث بالغداء المبارك، والفلاح، والإفطار، ويوم الفطر، والبيض، والوصال.

وانتقلت إلى الحديث عن لفظي الزكاة والصدقة لبيان كيف اتسع مدلولهما في الحديث النبوي وذكرت بعض الألفاظ الإسلامية الملحقة بهما وهي المُصدق، اليد العليا، واليد السفلى، والشجاع الأقرع، كما جمعت الألفاظ الإسلامية الخاصة بالحج وهي: الإحرام، والإهلال، والتلبية، والسعي، والإفراد، والقران. ثم حددت مجموعة من الألفاظ لتتم دراستها وفقا لموضوعاتها ومنها بعض الألفاظ الفقهية مثل السنة، والبدعة، والشبهة، والرخصة. وجمعت بعضها تحت عنوان الألقاب الإسلامية مثل الخلفاء الراشدين، الصحابة،

التابعين، القُرَّاء، الغُرباء، ووجدت بعض الألفاظ التي تدل على بعض الفرق وهي لفظ الجماعة على أنها الفرقة الناجية من أمة محمد ﷺ، وكذلك الخوارج، والمرجئة، والقدرية، على أنها من الفرق التي خالفت هديه ﷺ، كما اخترت دراسة بعض الأعلام الإسلامية مثل بعض أسماء سور القرآن وهي أم الكتاب، أم القرآن، الزهراوان، المعوذتان، الحزب، وأسماء الرسول ﷺ، ومنها الماحي، الحاشر، العاقب، وأسماء المدينة: طيبة، وطابة، كما وجدت بعض الأعلام الخاصة بالعالم الغيبي مثل الريان، ونهر الحياة، والحوض، والوسيلة، ونهر الخبال، وبولس، وجب الحزن.

أما اختيار شواهد هذه الدراسة وشرحها فقد اعتمدت فيه على مايأتي:

١ - جمع الشواهد المتعلقة باللفظ من الشعر الجاهلي معتمدة على عشرين ديوانا من دواوين الشعراء الجاهليين بالإضافة إلى المجموعات الشعرية وهي المفضليات، والأصمعيات، وديوان الهذليين، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي وشعراء النصرانية، والسيرة النبوية ومعاجم اللغة واخترت منها اللسان لغناه بالشواهد والمعاني والمجمل والمقاييس والصحاح والقاموس المحيط وقد حرصت عند اختيار الشواهد على مايأتي:

أ - توثيق الشاهد من ديوان الشاعر والاعتماد على المجموعات الشعرية أو المعاجم وبخاصة لسان العرب في حالة خلو الديوان من البيت.

ب - الاعتماد في شرح البيت على معرفة مناسبة القصيدة، ومعاني ألفاظ البيت باستخراجها من معاجم اللغة وعلى شروح الدواوين -إن وجدت للبيت شرحا في الديوان- واكتفيت بوضع الإحالة في الهامش عند قولي قال الشاعر.

جـ - العبرة في شرح البيت أو ترك ذلك هو وضوح موضع الشاهد منه، فأترك شرحه إن كان موضع الشاهد واضحا. وأكتفي بذكر المعنى الذي أتى البيت شاهدا عليه قبل ذكر البيت.

د - معظم الشعراء الذين اعتمدت على أشعارهم هم شعراء جاهليون لم يدركو الإسلام، وفي قليل من المواضع اعتمدت على شعر بعض الشعراء الذين أدركوا الإسلام و لم يسلمو أو أسلموا، و لم يكن لهم شعر في الإسلام، وفي عدد قليل جدا من المواضع اعتمدت على شعراء مخضرمين، وذلك عندما تؤكد القرائن

كمناسبة القصيدة وموضوعها وألفاظها أنها مما قاله الشاعر في الجاهلية، هذا وقد ترجمت للشعراء الذين أخذت عنهم واعتمدت في ذلك على المصادر الآتية: الشعر والشعراء لابن قتيبة، طبقات الشعراء لابن سلاّم، وطبقات فحول الشعراء لابن سلاّم، المؤتلف والمختلف للآمدي، ومعجم الشعراء للمرزباني، تاريخ آداب اللغة العربية لكارل بروكلمان، والخزانة للبغداديّ، وبلوغ الأرب للألوسيّ، وبقي عدد من الشعراء لم أعثر على ترجمتهم في المصادر المذكورة، وقد أشرت إلى ذلك في الحاشية.

٢ - اعتمدت في تفسير الآيات القرآنية أو موضع الشاهد منها على كتب التفاسير وكتب غريب القرآن؛ حرصا على الدقة مع كتاب الله العزيز، ورغبة في أن يكون تفسير اللفظ من واقع كتب التفسير لا على مايتبيَّن لي من ظاهر الآية، وحاولت الاقتصار على بعض المعاني التي لها علاقة بدلالة اللفظ في الحديث النبوي.

٣ - اجتهدت في توثيق الأحاديث، وكنت أبدأ بالصحيحين، فإن وجدت الحديث في أحدهما أو فيهما توقفت عندهما، فإن لم أجده فيهما انتقلت إلى توثيقه من كتب السنن الأربعة، فاعتمد حكمهم وبخاصة الترمذي الذي يحكم على الرواية، فاعتمد حكمه فإن لم يظهر لي الحكم على الحديث استفدت من الأساتذة المتخصصين في هذا المجال للكشف عن رجال الحديث ومعرفة درجة صحته، فإن ظهر ضعفه تركته إلى غيره من الأحاديث التي تثبت لي صحتها.

وقد اعتمدت في شرح اللفظ في الحديث على كتب الغريب، بالإضافة إلى شروح الكتب الستة.

وقد جمعت كما ذكرت سابقا بين المنهج التاريخي والوصفي في عرض دلالات اللفظ فبدأت بمعانيه في الشعر الجاهلي ثم في القرآن وأخيرا في الحديث النبوي لأتمكن من تحديد العلاقة بين المعنى اللغوي للفظ والمعنى الإسلامي وتحديد المظهر الدلالي الذي حكم هذا التغير والنتائج المترتبة على هذا التغير.

وقد اعتمدت في دراسة الألفاظ على نظرية السياق فدرست دلالاتها من خلال السياقات الواردة فيها سواء في الشعر أو في القرآن أو في الحديث واستفدت مما يحويه

السياق من قرائن لفظية تدل على ترجيح دلالة على أخرى، أو على القول بالترادف بين لفظين.

وبالجملة فهي دراسة تطبيقية تهدف إلى إظهار أثر الإسلام في تغيير دلالات الألفاظ وتثبت أن الإسلام لم يأت بألفاظ جديدة يجهلها العربي، ليعبر عن العبادات والأحكام التي جاء بها، وإنما حمل الألفاظ القديمة المعاني الجديدة.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على بعض الأسس النظرية التي تمهد الطريق أمام دراسة الألفاظ وتحدد مصطلحات البحث ومن ذلك دراسة أسباب التغير الدلالي ومظاهره ونتائجه واخترت منها مايرتبط بالألفاظ التي ستتم دراستها بعون ا لله تعالى ثم تحدثت عن نظرية السياق التي سأعتمد عليها في دراسة اللفظ من خلال السياقات التي ورد فيها. كما تحدثت عن المعجم التاريخي الذي ننشده لأنتقل منه إلى القول بضرورة وجود معجم تاريخي للألفاظ الإسلامية.

ثم تحدثت عن قضية الاستشهاد بالحديث النبوي في اللغة؛ لتتبين الشروط أو الضوابط التي اتفق عليها علماء اللغة في تقرير مايصح الاستشهاد به من الأحاديث في اللغة والنحو وذلك لمعرفة هذه الضوابط ومراعاتها عند اختيار الأحاديث التي سيعتمد عليها هذا البحث.

هذا **وقد اشتمل البحث على أربعة أبواب**، ضم كُلٌّ باب منها عدداً من الفصول، وهذه الأبواب هي:

الباب الأول: أدبيات البحث

الفصل الأول: أسباب التغير الدلالي.

الفصل الثاني: مظاهر التغير الدلالي.

الفصل الثالث: نتائج التغير الدلالي.

الفصل الرابع: الدلالة والسياق.

الفصل الخامس: علم اللغة التاريخي والمعجم التاريخي.

الفصل السادس: الحديث مصدر للألفاظ الإسلامية.

الباب الثاني: ألفاظ العبادات

الفصل الأول: ألفاظ الطهارة.

الفصل الثاني: ألفاظ الأذان والإقامة والإمامة.

الفصل الثالث: ألفاظ الصلاة.

الفصل الرابع: ألفاظ الصوم.

الفصل الخامس: ألفاظ الزكاة والصدقة.

الفصل السادس: ألفاظ الحج.

الباب الثالث: ألفاظ أخرى

الفصل الأول: ألفاظ فقهية.

الفصل الثاني: ألقاب إسلامية.

الفصل الثالث: ألفاظ الفِرق.

الباب الرابع: أعلام إسلامية

الفصل الأول: أسماء سور القرآن.

الفصل الثاني: أسماء الرسول ﷺ وأسماء دار هجرته.

الفصل الثالث: أسماء من العالم الغيبي.

وختاماً أرجو الله سبحانه أن يكون قد وفقني لدراسة هذه الألفاظ دراسة وافية تسد ثغرة في مجال دراسة دلالات الألفاظ الإسلامية، وتعطي صورة واضحة عما أحدثه الإسلام من تغيُّرٍ في دلالاتِ الألفاظ.

الباب الأول

أدبيات البحث

الفصل الأول: أسباب التغير الدلالي

الفصل الثاني: مظاهر التغير الدلالي

الفصل الثالث: نتائج التغير الدلالي

الفصل الرابع: الدلالة والسياق

الفصل الخامس: علم اللغة التاريخي والمعجم التاريخي

الفصل السادس: الحديث مصدر للألفاظ الإسلامية

الفصل الأول

أسباب التغير الدلالي

اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية الأخرى من قوانين التغير والتبدل، فهي عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها: أصواتها وقواعدها، ومَتْنها ودلالاتها. وهذا لايجري تبعا للأهواء والمصادفات، أو وفقاً لإرادة الأفراد، وإنما يخضع في سيره لقوانين جبرية، مطردة النتائج، واضحة المعالم، محققة الآثار[١].

ويمكن تقسيم ظواهر اللغة التي هي عرضة للتغير إلى قسمين رئيسيين: الظواهر المتعلقة بالصوت، والظواهر المتعلقة بالدلالة، وكلتا الناحيتين في تطور مطرد وتغير مستمر، والذي يعنينا هنا هو التطور الدلالي، وترجع أهم ظواهره إلى ثلاثة أنواع:

أحدها: تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكوين العبارة.. وما إلى ذلك كقواعد الاشتقاق والصرف .. وهلم جرا، وذلك كما حدث في اللغات العامية المتشعبة من اللغة العربية، إذ تجردت من علامات الإعراب وتغيرت فيها قواعد الاشتقاق، واختلفت مناهج تركيب العبارات.

ثانيها: تطور يلحق الأساليب، كما حدث في لغات المحادثة العامية المتشعبة عن العربية؛ إذ اختلفت أساليبها اختلافا كبيرا عن الأساليب العربية الأولى، وكما حدث للغة الكتابة في عصرنا الحاضر، إذ تميزت أساليبها عن أساليب الكتابة القديمة تحت تأثير الترجمة والاحتكاك بالآداب الأجنبية، ورقي التفكير وزيادة الحاجة إلى الدقة في التعبير عن حقائق العلوم والفلسفة والاجتماع.

ثالثها: تطور يلحق معنى الكلمة نفسه، كأن يخصص معناها العام أو يعمم مدلولها الخاص... أو تخرج عن معانيها القديمة فتطلق على معنى آخر تربطه به علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازا فيه، أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول[٢].

وهذا النوع من التغير يطلق عليه التغيير الدلالي Semantic Change وقد عرفه الخولي بأنه (تغير معنى الكلمة على مرِّ الزمن، بفعل إعلاء أو انحطاط أو توسع أو انحسار

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ص ٥.

(٢) علم اللغة: علي عبدالواحد وافي، الطبعة السابعة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ص ٣١٣.

أو مجاز أو نحو ذلك)[1].

وقد لحق اللغة العربية هذا النوع من التغير الدلالي فترة انتقالها من لغة تعبر عن عقائد الجاهليين، ونظمهم الاجتماعية وحياتهم الأدبية إلى لغة تعبر عن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ، ونزل به قرآن يتلى، وضم نظاما كاملا للحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وعبَّر عن هذه الحياة الجديدة فكان ذلك كله سببا في تطور دلالي واضح في معاني الكلمات، ظهر في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ التي وضحت المبهم وفصلت المجمل، وأتمت تعليم الناس شرائع دينهم الإسلامي، فكان هذا التغير الدلالي للألفاظ بحاجة للدراسة، ومعرفة كيف تكونت تلك المعاني الإسلامية دون أن تغيِّر على العربيِّ لغته، ودون أن تأتي بألفاظ جديدة لايعرفها.

هذا ماتحاول الباحثة معرفته في هذه الدراسة التي لابد أن يسبقها معرفة أسباب التغير الدلالي ومظاهره وخصائصه؛ لتعينها بعد ذلك على رصد مظاهر التغير الدلالي للألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية.

---

(١) معجم علم اللغة النظري: محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م. ص ٢٥٠.

أسباب التغير الدلالي

الأسباب التي تؤدي إلى تغير الدلالة كثيرة متداخلة ولا يمكن الفصل بينها فصلا تاما؛ لذلك ظهر بعض الاختلاف في تصنيفها، فصنفها بعضهم إلى صنفين هما الاستعمال والحاجة، كما ظهر تصنيف آخر يقسمها إلى عوامل مقصودة متعمدة: كقيام المجامع اللغوية والهيئات العلمية عند وجود الحاجة إلى خلع دلالات جديدة على بعض الألفاظ وعوامل لاشعورية تتم دون تعمد أو قصد ومنها[(١)]:

أ - السياق المضلل.

ب - سوء الفهم.

ج - تطور أصوات الكلمة.

د - اختصار العبارة.

هـ - الابتذال.

وقد مال بعضهم إلى تقسيمها إلى أسباب لغوية وأسباب اجتماعية وأسباب نفسية، وقد اخترت هذا التقسيم لعرضه هنا؛ لأنه يضم الأسباب جميعها، ويصنفها تصنيفا ييسر دراستها والإلمام بها جميعا[(٢)].

---

(١) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ص ١٣٤:١٥١.

(٢) التطور اللغوي: رمضان عبدالتواب، ص ١١١:١١٤.

أولا: الأسباب اللغوية

الأسباب اللغوية متعددة وأهمها:

١ – **كثرة الاستعمال**: إذا كثر استعمال اللفظ تعرض معناه للتغير، وكلما زاد استعماله زاد تعرضه للتغير، وهذا التغيير قد يتم دون شعور الناطقين، وقد يكون مقصوداً تدعو إليه أمور اجتماعية، أو أحداث جديدة، ويقوم به المتخصصون من اللغويين للحاجة إلى هذا الاستعمال الجديد[1].

ويأخذ هذا التغير في معظم الأحيان إحدى صور ثلاث:

أ – **تخصيص العام أو تعميم الخاص**: إن مدلول الكلمة يتغير تبعاً للحالات التي يكثر فيها استخدامها، فكثرة استخدام العام مثلا في بعض مايدل عليه يزيل مع تقادم العهد عموم معناه، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، من ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة، مثل الصلاة التي كانت بمعنى الدعاء ثم أصبح معناها في الإسلام الأقوال والأفعال المخصوصة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم بشرائط خاصة. و (المسلم) في أصل اللغة من الإذعان والتسليم مطلقا، ثم خصه الإسلام بالمذعن لأوامر الله المنقاد له وحده. وكثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم، فمن ذلك مثلا في اللغة العربية: البأس، الورد، الرائد، (فالبأس) في الأصل الحرب، ثم كثر استخدامه في كل شدة فاكتسب من هذا الاستخدام عموم معناه، وأصل (الوِرد) إتيان الماء وحده، ثم صار إتيان كل شيء ورداً لكثرة استخدامه في هذا المعنى العام، (والرائد) في الأصل طالب الكلأ ثم صار طالبُ كل حاجة رائداً[2].

ب – **استعمال اللفظ في معنًى مجازي يصبح لطول العهد به حقيقياً**، حيث يؤدي هذا المعنى المجازي غالبا إلى انقراض معناه الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازي محله، ومن

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م. ص ٢١٢، ٢١٣.

(٢) المرجع السابق: ص ٣١٩، ٣٢٠، وعلم اللغة: علي عبدالواحد وافي، ص ٣١٩، ٣٢٠.

أمثلة ذلك كلمات: المجد، الوغى، العقيقة. فالمعنى الأصلي الحقيقي الذي كانت تستعمل فيه كلمة (المجد) هو: (امتلاء بطن الدابة بالعلف) وبعد تقدم العرب استعمل في معنى مجازي هو السمو والرفعة، وقد كثر استعمال لفظ (المجد) في هذا المعنى الجديد حتى نُسي معناه القديم. و (الوغى) معناه الحقيقي: (اختلاط الأصوات في الحرب) ثم أطلق على (الحرب) نفسها على سبيل المجاز. و (العقيقة) هي في الأصل: (الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه)، ثم نقل إلى الذبيحة التي تُنْحر عند حلق ذلك الشعر على سبيل المجاز[1].

ج – **استعمال اللفظ اسما أو مصطلحا علميا:** إن نشأة العلوم وتقدمها يقتضيان نقل الألفاظ واستعمالها أسماء ومصطلحات، ومن أمثلة ذلك مصطلحات (علم النحو)، كالمبتدأ في اللغة: اسم لكل مايبتدأ به، ثم خصص باستعماله مصطلحا نحويا فعرفه النحاة بأنّه (الاسم المرفوع العاري عن العوامل اللفظية غير الزائدة للإسناد).

وفي علم النفس -مثلا- نجد مصطلحات ثلاثة هي (الإدراك، الوجدان، النزوع) ولكل منها معنى لغوي عام خصص في علم النفس بما اصطلح عليه من العمليات النفسية الثلاث التي تترتب إحداها على الأخرى للحصول على شيء ما.

وهكذا فإن المتخصصين في العلوم والفنون ينقلون بعض الألفاظ من معانيها الأصلية إلى معان اصطلاحية، ويكثر استعمالها فيما نقلت إليه من دلالة جديدة فتشتهر فيها وتُنْسى دلالاتها القديمة عند أرباب هذه العلوم والفنون[2].

٢ – **تطور أصوات اللفظ:** (إن ثبات أصوات اللفظ يساعد على ثبات معناه، وتغير أصواته يذلل أحياناً السبيل إلى تغيره، وذلك أن صلته بالأسرة التي ينتمي إليها وبالأصل المشتق منه تظل وثيقة واضحة في الذهن مادام محتفظا بصورته على حين أن تغير صورته الصوتية يضعف صلته في الأذهان بأصله وأسرته، ويبعده عنها، وهذا يجعل معناه عرضة للتغير والانحراف... من ذلك لفظ (Sage) فإن انحراف صورته الصوتية إلى هذا الوضع قد عزله عن أفراد فصيلته (Savoir Savant) وعرَّض مدلوله للتغير، فانحرف من معنى

---

(١) علم اللغة: علي عبدالواحد وافي، ص ٣٢١.

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢١٥، ٢١٦.

العالم إلى معنى الهادئ المطيع)[1].

وقد (تتطور أصوات الكلمة بحيث تصبح تلك الكلمة مماثلة لكلمة أخرى لها معنى آخر، فإن كلمة (كماش) الفارسية بمعنى نسيج من قطن خشن، قد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافاً، فشابهت الكلمة العربية (قماش) بمعنى: أراذل الناس، وما وقع على الأرض من فتات الأشياء ومتاع البيت، فأصبحت هذه الكلمة العربية، ذات دلالة جديدة على المنسوجات)[2].

ومن اللغويين من يجعل التغير الصوتي أحد أسباب الاشتراك اللفظي والتضاد، وذلك بأن (يعتري بعض أصوات كلمة معينة أو يعتري ترتيب أصواتها مايعرف بالقلب المكاني، وينتج عن هذا التغير أن تتماثل الصورة الصوتية الجديدة بصورة كلمة أخرى لها دلالة مغايرة أو مضادة، ومن ثم يصبح للفظ الواحد معنيان متغايران قد يصل تغايرهما إلى درجة المقابلة... ومن أمثلة ذلك كلمة (دعم) معناها: قوى، ولها معنى آخر هو دفع وطعن ورمي، وأصل الكلمة بالمعنى الثاني (دحم) بالحاء حيث تحولت وجهرت بسبب الدال المجهورة المجاورة لها فقلبت عيناً فصارت دعم. (والتبست) (دعم) بمعنى: قوي، فالتشابه الصَّوتيُّ نتج عنه أن اللفظ الواحد صارت له دلالتان في اللغة)[3].

٣ - خفاء معنى اللفظ وعدم وضوحه أو نسيان مجال استعماله: إن خفاء معنى اللفظ وعدم وضوحه يعرّضه للتغير، فكلما كان مبهماً غامضاً مرناً كثر تقلبه وضعفت مقاومته لعوامل الانحراف، وكلما كان واضحاً في الأذهان قلَّ تعرضه للتغير، ويساعد على وضوح الكلمة عوامل كثيرة من أهمها: أن تكون مرتبطة بفصيلة من الكلمات معروفة الأصل، ويعمل على إبهامها عوامل كثيرة من أهمها: أن لاتكون لها أسرة معروفة الأصل متداولة الاستعمال[4].

كذلك قد يخفى معنى اللفظ على الناطقين باللغة في جيل معين، أو في انتقاله من جيل إلى آخر، فلا يفهم معناه فيتعرض للتغير، فكلمة (منيحة) كان معناها إعارة إنسان

(١) علم اللغة: علي عبدالواحد وافي، ص ٣٢٢.

(٢) التطور اللغوي: رمضان عبدالتواب، ص ١١٢، ١١٣.

(٣) دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حموده، الدار الجامعية، الاسكندرية، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٤) علم اللغة: علي عبدالواحد وافي، ص ٣٢١، ٣٢٢.

ناقة أو شاة ليشرب لبنها، فتطور مع مرور الأجيال في بعض عاميات (نجد) إلى معنى شراء ناقة لهذا الغرض، فلعل المعنى -مع طول الزمن- لم يتضح لدى الأجيال أنه خاص بمعنى الإعارة، فانتقل إلى معنى الشراء. ومن ذلك أيضا لفظ (التبرير) فقد نُسي معناه الأصلي لدى معظم المتحدثين بالعربية الآن فاستعمل للتعليل أو بيان الأسباب بمعنى التسويغ.

وهكذا درج المتكلمون والسامعون على تفسير بعض الألفاظ والعبارات دون اعتماد على مانقلته المعجمات اللغوية من استعمالات العرب الفصحاء لها، فتنحرف معانيها وقد تتحول دلالتها... فخفاء اللفظ أو نسيان طرائق استعماله له أثر في تطور المعنى[1].

٤ – أثر بعض القواعد اللغوية: للقواعد اللغوية أثر في تغير معنى الكلمة وتوجيهها وجهة خاصة، فكلمة (سراويل) -المعربة من الفارسية- تدل على المفرد، لكنها على وزن (فعاليل) إحدى صيغ الجموع في اللغة العربية، ولذلك توهّمَها بعض العرب جمعا مفرده سروال، واصبح في لغتهم المفرد سروال، والجمع سراويل.

وكلمة (ولد) وردت في العربية الفصحى مذكرة اللفظ فأوحى ذلك إلى الذهن بأنها مذكرة مع أنها في الفصحى تطلق على الذكر والأنثى، فكان ذلك من عوامل اختصاصها في كثير من اللهجات العامية الحديثة بالمذكر دون المؤنث[2].

٥ – انتقال اللفظ من لغة لأخرى: قد تدعو الحاجة أو الضرورة إلى الالتجاء إلى ألفاظ اللغات الأجنبية فيستعار منها بعض الألفاظ التي تختص بها بيئة معينة ولاوجود لها في غير هذه البيئة، أو تكون الاستعارة لمجرد الإعجاب باللفظ الأجنبي، وتقتصر الاستعارة عادة على الألفاظ والكلمات ولا تكاد تتعداها إلى العناصر اللغوية الأخرى، كالتصريف والاشتقاق وتركيب الجمل[3].

وقد تنتقل بعض الألفاظ من إحدى اللغات إلى غيرها بسبب انتقال ماتدل عليه، أو للحاجة إليها في العلوم والفنون، أو لغير ذلك... من ذلك كلمة (زركوَن) الفارسية فهي -في بيئتها الأصلية بمعنى ذهبي اللون- فلما دخلت العربية حولت الكاف الفارسية إلى جيم

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢١٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٢١٩.

(٣) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص ١٤٨.

-بالتعريب- فَنُطِقت (زرجون) واتسع معناها، فأُطْلِقَت علـى (الخمـر -الكـرم، وأشـجاره وأغصانه- صبغ أحمر) ومع ذلك فبين المعاني الجديدة والمعنى الأصلي وشائج قربى.

وإذا استأثر اللفظ الأجنبي بالاحترام والتقدير ترك أثراً ظاهراً في تطور المعنى[1].

(١) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٢٠.

ثانيا: الأسباب الاجتماعية

ويراد بها (مايتصل بالتركيب الاجتماعي للجماعة الناطقة، وما تتعرض له من تغيرات أو تحولات كبيرة، وما تناله من ثقافات وتجارب جديدة، كل هذه المتغيرات تؤثر في دلالات كثير من الألفاظ وفي حياتها أو موتها)(١).

كما أنَّ الثورات الاجتماعية ولاسيما الفكرية، والتطور الاجتماعي يؤدي إلى تبدل الأشياء التي يراها الإنسان أو يستعملها وكذلك تبدل المفاهيم وهذا يؤدي في غالب الأحوال إلى تطور لغوي، فتموت ألفاظ وتحيا أخرى وتتبدل معاني بعض الألفاظ... كل ذلك يحدث نتيجة تلك الثورة أو ذلك التطور الفكري(٢).

ويمكن تصنيف هذا النوع من الأسباب إلى صنفين:

١ - **اختلاف طبقات المجتمع وأجياله:** يضم كل مجتمع طبقات مختلفة في البيئة التي يعيشون فيها من مدن وقرى وجبال وسهول ووسائل حياة متنوعة، وهذه الطبقات ذوات حِرَف ومهن كثيرة وبينها تباين في نظم الحياة والتفكير ودرجات التعليم والثقافة وغير ذلك، وينعكس أثر هذا الاختلاف على اللغة كما ينعكس على غيرها من مظاهر حياتهم، فيعمد كل فريق منهم إلى تغيير دلالات بعض الألفاظ وفقاً لحاجاته، فالحقل لدى طبقة الفلاحين خاص بالأراضي الزراعية، ويطلقه العلماء والباحثون على ميادين إجراء بحوثهم، ويقصدون مجالا معينا من مجالات بحوثهم في مختلف نواحي الحياة: زراعية وصناعية وفلسفية وغيرها، ولفظة (العملية) أيضا يختلف معناها حسب نوع الطائفة التي تستخدمها، فهي عند الأطباء بمفهوم خاص، وعند التجار بمفهوم آخر، وعند العسكريين بمفهوم ثالث، وهكذا(٣).

---

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ٢٠٣.

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. ص٢١٤.

(٣) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٢١، ٢٢٢.

وانتقال اللغة من جيل إلى آخر يؤثر في المعنى، فالأبناء لايستعملون اللغة كما يستعملها آباؤهم، فيعتريها التغيير على ألسنتهم، وربما نقلوا اللفظ من معنى قديم إلى آخر جديد فتختلف مدلولات بعض الألفاظ.

وعن هذا الطريق تطور معاني كثير من ألفاظ العربية الفصحى، فانتقلت على لسان الأبناء مما كانت تدل عليه لدى الأجداد إلى معان أخرى[١]. مثال ذلك كلمة (البهلول، والغانية، والحاجب) فالبهلول في الشعر القديم هو السيد الماجد الكريم، يقول حسان بن ثابت:

بَهاليلُ في الإسلام سادوا و لم يَكُن كأولهم في الجَاهليةِ أول

ولكن معناها الآن هو الرجل المعتوه الذي لايدري ماذا يفعل، وقد غير الناس حركة الباء في الكلمة من الضم إلى الفتح. والغانية قديما هي المرأة التي استغنت بجمالها عن كل وصف، وهي الآن المرأة الساقطة. والحاجب كانت تعني في الدولة الأندلسية مايقابل رئيس الوزراء الآن، ولكنها في العصر الحديث لاتعني أكثر من الحارس أو الخادم[٢].

(وفي العاميات كثير من مظاهر هذا الانتقال، فكلمة (الجعالة) في الفصحى لها عدة معان، من بينها الرشوة، وقد نقلها اليمنيون المعاصرون -من هذا المعنى- إلى مايقدم للطفل من حلوى لإسكاته عند البكاء، وذلك كالرشوة له ليسكت.... وهكذا فإن تتبع التطور اللغوي للألفاظ يكشف عن اختلاف الأجيال في نقل المعاني عن أسلافهم)[٣].

٢ - **التغير الاجتماعي**: (إذا شق المجتمع طريق التقدم في الصناعة أو العمران أو الثقافة أو غيرها من مظاهر حياته تغيرت مدلولات بعض الألفاظ تبعا لذلك)[٤]؛ وذلك لأن كل جديد يظهر في المجتمع من مادي أو معنوي بسبب هذا التقدم يحتاج إلى ألفاظ تعبر عنه، فيعمد المجتمع إلى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيي بعضها ويطلقه

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٢٢.

(٢) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. ص ٢٢٣.

(٣) علم اللغة: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٢٣.

(٤) المرجع السابق.

على مستحدثاته ملتمسا في ذلك أدنى ملابسة[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة. منها كلمات مثل: الريشة، والقطار، والبريد، (فالريشة) كانت تتعلق بآلة الكتابة أيام كانت تتخذ من ريش الطيور، وأصبحت الآن تطلق على قطعة من المعدن مشكلة في صورة خاصة. (والقطار) كان يطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم في السفر، ولكن تغير الآن مدلوله الأصلي تبعا لتطور وسائل المواصلات، فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية. والبريد كان يطلق على الدابة التي تُحْمل عليها الرسائل، ثم تغير الآن مدلوله تبعا لتطور الطرق المستخدمة في إيصال الرسائل، فأصبح يطلق على النظم والوسائل المتخذة لهذه الغاية في العصر الحاضر[2].

وهكذا وجد الإنسان نفسه أمام تغيير شامل في كل شيء، ووجد نفسه مضطراً إلى التطور في الألفاظ المعبرة عن أدواته ومواصفاته وصناعاته وملابسه وأبنيته، حتى وجدنا أنفسنا أمام ذلك الفوج الزاخر من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة، كالمدفع والقنبلة والدبابة واللغم والطيارة والسيارة والتسجيل والجرائد والأقسام والمرور.

وتحاول المجامع اللغوية الآن وضع كثير من تلك الألفاظ التي تسد حاجة المجتمع في النواحي المختلفة، ففيه لجان لألفاظ الحضارة، وأخرى لكل أنواع النشاط الاجتماعي والعلمي والسياسي والاقتصادي مما تتطلبه النهضة العربية الحديثة[3].

وتغير النظام الاجتماعي الذي تعيش فيه الأمة يعرض بعض الألفاظ ومفهوماتها للتغير.

وإن نظرة إلى المجتمع الجاهلي وما فرضه عليه نظامه من ألفاظ تحمل دلالات خاصة كالمرباع، والنشيطة، وشيخ القبيلة، وأسماء الأصنام، التي لاحصر لها.

ثم نظرة أخرى لما حدث للمجتمع حين جاء الإسلام بنظامه الاجتماعي السليم فغير جميع جوانب الحياة العربية تغييراً جذريا، كان لذلك أثره في انتقال دلالة بعض الألفاظ:

---

(١) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص ١٤٦.

(٢) علم اللغة: علي عبدالواحد وافي، ص ٣٢٤.

(٣) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس: ص ١٤٦، ١٤٧.

كالمؤمن والمنافق والصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها.

كما تغيرت في ظلال الدولة الإسلامية ونظم حياتها السياسية والاقتصادية ألفاظ أخرى كالخليفة والديوان والخراج والحِسْبة وغيرها، كما غيرت النظم الاجتماعية المعاصرة مفاهيم بعض الألفاظ لتتناسب معها، فألفاظ (الأمير، صاحب السمو، جلالة الملك، صاحب السعادة، صاحب المعالي) ارتبطت بمعان معينة تبعا للنظام السائد سياسيا واجتماعيا.

وكلمات مثل (مجلس الأمة، مجلس الشورى، الاتحاد الاشتراكي)، اكتسبت معاني جديدة لم تكن لها من قبل...

وقد ابتذلت بعض الألفاظ في مجتمعنا الحديث لسقوط النظام الذي كانت ترتكز عليه في اكتسابها شهرة ورواجا مثل (باشا، بك، أفندي) فقد مرت بها تطورات في دلالتها، وانحط قدرها على توالي الأيام[١].

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٢٤.

ثالثا: الأسباب النفسية

إن كثيراً من حالات التغير التي تطرأ على دلالات الألفاظ لاتفسرها إلا العوامل النفسية، فالآداب الاجتماعية والحياء والاشمئزاز والتفاؤل والتشاؤم كلها أسباب نفسية تدعو إلى تجنب كثير من الألفاظ والعدول عنها إلى غيرها[١]. ويمكن توضيح هذه الحالات فيما يلي:

١ - الألفاظ المتصلة بالقذارة والدنس أو بالغريزة الجنسية مما يخدش حياء الجماعة الناطقة أو بما يثير الاشمئزاز والنفور، فما يتصل بالقذارة أو بالجنس يصيبه الابتذال في كثير من اللغات، وتهبط دلالات ألفاظه وتميل الجماعة إلى وضع ألفاظ جديدة محترمة نسبيا، لكنها مع شيوع الاستعمال تصبح مبتذلة. ومن الأمثلة على ذلك كثرة الألفاظ المستعملة في الدلالة على قضاء الحاجة (التبرز، والتبول) ذلك أن التغير الانحطاطي يلاحق هذا النوع من الألفاظ. وكذلك فإن للأعضاء التناسلية وللعملية الجنسية كلماتٍ صريحة في عامة اللغات ينفر منها الناس، ويرون في استعمالها خدشا لحيائهم، فيلجئون إلى كلمات معماة مكنية يرتضونها، لكن هذه الكنايات -وهي ألفاظ محترمة نسبياً- لاتلبث مع شيوع الاستعمال أن تنحدر دلالاتها[٢].

٢ - (قد يلجأ المتكلم نتيجة لتفاؤله أو لتشاؤمه إلى استخدام لفظ في ضد معناه، فيُسمي (الصحراء) (مفازة) تفاؤلا بالنجاة من المخاطر التي تعترض سالكها، ويُسمي (الأعمى) (بصيرا) عزاءً لحالته وأملاً في أن يعوضه ا لله نوراً في بصيرته)[٣].

٣ - الألفاظ التي تثير الخوف والهلع في نفوس البشر، فينفرون من سماعها ويتفادَوْن ذكرها فرارا مما تبعثه في الأذهان من كوارث أو مصائب أو آلام فيستعيض الناس عن تلك الألفاظ بأخرى تُعبّر عن الدلالات نفسها في أناة ورفق لايفزع منها السامع، ومن تلك الألفاظ كلمة (الهلاك) التي لم تكن تعني في الاشتقاق السامي القديم سوى مجرد (الذهاب)

---

(١) فقه اللغة: محمد المبارك، ص ٢١٥.

(٢) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٢٦.

ولا تزال تحتفظ بهذه الدلالة في اللغة العبرية، ولكنها في العربية تطورت وحلت محل (الموت) التي اكتسبت قدرا كبيرا من قوة الدلالة ووضوحها، حتى أصبح من الضروري البحث عن غيرها، فكان أن وجدت كلمات مثل (توفي) أو (فاضت روحه) أو (انتهى) أو غير ذلك من ألفاظ أقل شيوعاً وأقل أثراً في النفوس[1].

ويسلك الناس هذا المسلك في أسماء الأمراض فيكنون عنها بأخرى (كمرض السرطان) ويقال عنه (المرض الخبيث) بدلا من التصريح باسمه، كما يكنى عن (الحمى) في الأرياف بـ (المبروكة). وقد يُخاف على شيء حسن من الحسد فيوصف بوصف قبيح خشية أن تصيبه العين، كما يقال للفرس الحسنة (شوهاء) والبعير الصحيح (قرحان) بقصد صرف عيون الحاسدين عنهما[2].

٤ - (تقديس المسمى أو الخوف من أذاه: ويتضح ذلك جلياً لدى الشعوب البدائية، وهي ظاهرة معروفة في كل البيئات وفي كل أنواع الحضارات، ويُطلق على هذه الكلمات مصطلح اللامساس أو (التابوه) (Taboo) ويلزم الناطقين أن يستعملوا ألفاظاً أخرى لهذه المسميات تقديسا أو بعدا عن فكرة الأذى والضرر، ففي (التوراة) يكتب لفظ الجلالة (إلوهيم أو يهوفا) ولكن قراء اليهود يقرءون بدله (أدوناي) (سيدي).

وفرارا من فكرة الأذى والضرر أطلقت كثير من اللغات أسماء للحيوان المتعطش لإراقة دماء الدواجن (ابن عرس).

وهذه الأسماء بعيدة عن فكرة الأذى، فالفرنسيون يسمونه (الجمال الصغير) والألمان يسمونه (الحيوان الصغير الجميل) وله في الاستعمال الدارج في الريف المصري ألفاظ كثيرة تتجنب اللفظ الأصلي له)[3].

يظهر من ذلك كله أن بعض الألفاظ تكتسب معاني جديدة تنجم عن آثار نفسية تسيطر على المتكلمين.

---

(١) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس: ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٢٥.

(٣) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ٢٠٦.

الفصل الثاني

مظاهر التغير الدلالي

التطور والتغير ناموس في كل مجتمع، والمجتمع بأسره وما يدور فيه عـامل في خلـق هـذا التطـور، وقـد أثبـت علمـاء اللغـة أن كـل تطـور نفسـي أو عقلـي أو اجتماعي أو بيئي أو حضاري تبدو مظاهره في اللغة فتلاحقه وتتشكل معه تطـوراً وتغييراً وأثراً وتأثيراً[1].

وقد حاول علماء اللغة رصد مظاهر التغير الدلالي وتحديدهـا ووضـع قواعـد تحكم هذه التغيرات، ومن أوفق الخطـط الـتي وُضعـت لتصنيـف تغـيرات المعـاني: الخطتان النفسية والمنطقية.

أما التقسيم النفسي فيقوم على مبدأ أو ظاهرة عامة هي أن هناك دائما نوعـاً من الارتباط –وإن كان بعيداً– بين المعنى القديـم والجديـد، هـذه الارتباطـات أو العلاقات التي تحكم عملية التغير هي الأساس الذي ينبـني عليـه التقسـيم النفسـي، فقد تنشأ علاقات بين المدلولات أو بين الألفاظ، أو بين المدلولات والألفاظ معـا، وتتضمن الخطة العامة له أربعة نماذج رئيسة هي:

١ – المشابهة بين المدلولين.

٢ – العلاقة بين المدلولين.

٣ – المشابهة بين اللفظين.

٤ – العلاقة بين اللفظين[2].

ويعتمد التقسيم المنطقي عند (ستيفن أولمان) على ثلاثة مظاهر رئيسة هي:

توسيع المعنى.

تضييق المعنى.

---

(١) علم اللغة العام: توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ص ١٣٦.

(٢) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ١٩٩٠م، ص ١٧٩:١٩١.

انتقال المعنى[١].

ومع أنه تحدث عن رقي الدلالة وانحطاطها عند الحديث عن اللامساس وحسن التعبير[٢]، لكنه لم يجعلها ضمن مظاهر تغير المعنى، وقد ذكر إبراهيم أنيس أن مظاهر التغير الدلالي خمسة هي:

١ - تخصيص الدلالة.

٢ - تعميم الدلالة.

٣ - انحطاط الدلالة.

٤ - رقي الدلالة.

٥ - تغير مجال الاستعمال[٣].

وسأعتمد بعون الله تعالى على هذه المظاهر الخمسة في هذه الدراسة وذلك بعد توضيحها والحديث عنها.

أولا: تخصيص الدلالة: **(ويراد به تحول معنى كلمة من واسع إلى ضيق، ويدعى أيضا Narrowing أو Reduction)[٤].**

وفيه يُقصر اللفظ العام على بعض أفراده، ويضيق شموله، فلفظ (الدابة) أصبح بعرف الاستعمال اللغوي مقصوراً على ذوات الأربع أو على دواب الحمل فقط أو على الحمار أو الفرس دون غيرها بحسب اختلاف الأعراف الإقليمية، وكان في أصله يدل على كل مايدبُّ على الأرض. وكلمة (الرث) كانت تعني

(١) المرجع السابق: ص ١٧٩:١٨١.

(٢) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ص ١٩٩:٢٠١.

(٣) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص ١٥٢:١٦٠.

(٤) معجم علم اللغة النظري: محمد علي الخولي، ص ٢٦٤.

الخسيس من كل شيء، ثم خصصت في الاستعمال بما يلبس أو يفترش[1].

ومن أمثلته في الانجليزية أن كلمة Poison ومعناها (السم) (ويقابلها Poison في الفرنسية) هي الكلمة نفسها Potion (الجرعة من أي سائل) ولكن الذي حدث هو أن الجرعات السامة دون غيرها هي التي استرعت الانتباه واستأثرت به بسبب أو لآخر، وبهذا تحدد المدلول وأصبح مقصورا على أشياء تقل في عددها عما كانت عليه الكلمة في الأصل إلى حد ملحوظ[2].

وقد أولى الأصوليون هذا النوع من التغيير عناية خاصة، ويسمونه (بالدلالة العرفية أو الحقيقة العرفية، وهي أنواع عرفية لغوية: وهو التخصيص الشائع من قِبَل المجتمع الناطق باللغة، وعرفية شرعية: وهو التخصيص بطريق الشرع، وعرفية خاصة وهو تخصيص العام في البيئات الخاصة العلمية أو غيرها، كما هو معروف في مصطلحات العلوم)[3].

والتخصيص بطريق الشرع هو الذي يعنينا في هذه الدراسة التي تُعْنى بمعرفة المصطلحات والألفاظ الإسلامية، ومن أمثلته التي سيتم عرضها بالتفصيل -بإذن الله تعالى- (الحج) وأصله القصد مطلقاً، ثم خُصَّ بقصد البيت الحرام. وكلمة (الصحابة) وهي تعني الصحبة مطلقاً، وقد خصصت بأصحاب رسول الله ﷺ. وكلمة (الكفر) ومعناها الستر والإنكار، وخص بإنكار الدين.. وغير ذلك من أمثلة التخصيص الشرعي التي سترد مفصلة عند مناقشة المصطلحات التي سأدرسها في هذا البحث -بإذن الله تعالى.

وهناك نوع من التخصيص يطلق عليه التخصيص السياقي وهو الذي يحتفظ فيه اللفظ بمدلوله العام، ولكن دلالته تتخصص بالسياق، أو هو عملية تضييق

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ص ١٨٠.

(٣) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ١٩٣، ١٩٤.

معنى كلمة أو عبارة بتقييد السياقات متى أمكن حدوثه مثل لفظ (الناس) وهو لفظ عام ولكنه يتخصص باستعماله في سياقات مختلفة في مثل قوله تعالى[1]: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾.

فلفظ ﴿الناس﴾ الأول أريد به أربعة أشخاص أو شخص واحد، ولفظ (الناس) الثاني أريد به أبو سفيان وأصحابه، وهكذا.. فاللفظ عام في مدلوله خارج السياق ولكنه في السياق المعين خاص[2].

ثانيا: التعميم، أو توسع الدلالة Widening:[3].

وهو الاتجاه المعاكس للتخصيص في التغير الدلالي، حيث تستعمل بعض الكلمات التي كانت تدل على فرد أو أفراد قلائل في الدلالة على أفراد كثيرين، أو إطلاق اسم نوع من أنواع الجنس على الجنس كله، وهو أقل شيوعا في اللغات من تخصيصها[4].

ومن أمثلته في العربية كلمة (البأس) التي كانت تطلق على الحرب ثم أصبحت تطلق على كل شدة، وكلمة (الرائد) في الأصل طالب الكلأ ثم صار طالب كل حاجة رائداً، وكلمة (الورد) أصبحت تطلق على سائر أنواع الزهور، مع أنها كانت تطلق في الأصل على الورد الأحمر المعروف.

ومن أمثلة التعميم أيضاً استخدام الأعلام للدلالة على صفات اشتهر بها صاحب الاسم، فالعلم (قيصر) يراد منه العظيم الطاغية، و (نيرون) الظالم أو

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٣.

(٢) انظر دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حمودة، ص ١٩٤.

(٣) معجم علم اللغة النظري: محمد علي الخولي، ص ٣٤٦.

(٤) انظر دراسة المعنى عند الأصوليين: ص ١٩٦:١٩٨.

المجنون و (حاتم) الكريم المضياف(١).

وفي اللغات الأوربية أمثلة للتعميم ومنها كلمة Salaire الفرنسية التي كانت تعني مايصرف للجندي من نقود نظير مايحتاج إليه من ملح الطعام، ثم شاع استعمالها في كل أجرة(٢).

وكلمة Arrive كانت تستخدم للدلالة على الوصول إلى الميناء، وتستخدم الآن للوصول بشكل عام سواء أكان بالقدم أم بأي وسيلة أخرى(٣).

وكلمة Barn التي كانت تدل على مخزن الشعير ثمَّ صارت تستعمل في الدلالة على مخزن أي نوع من الحبوب.

وهذا يدل على أن التعميم مظهر من مظاهر التغير الدلالي في مختلف اللغات(٤).

ثالثا: انحطاط الدلالة Degeneration = Pejoration:

(وهو تغير يصيب دلالة الكلمة مع مر الزمن، ويجعل معناها يتراجع حاملاً دلالة سلبية غير مرغوب فيها، كما حدث لكلمة Fool التي كانت تعني في الماضي (مهرج البلاط) وأصبحت تعني شخصا غبيًّا)(٥).

(وتفقد الألفاظ شيئا من رونقها وهيبتها في ذهن الناس لكثرة دورانها وشيوعها ولأسباب سياسية واجتماعية ونفسية، فعلى مستوى العامل السياسي فقدت بعض الألقاب السياسية كثيرا من هيبتها بعد إلغاء الرتب والألقاب في

---

(١) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص ١٥٤:١٥٦ وعلم اللغة: علي عبدالواحد وافي، ص ٣٢٠.

(٢) علم اللغة: علي عبدالواحد وافي، ص ٣٢٠.

(٣) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ص ١٦٢.

(٤) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ١٩٦.

(٥) معجم علم اللغة النظري: محمد علي الخولي، ص ٦٧.

مصر وغيرها، فأصبحت الألقاب (باشا، بك، أفندي، سيد) ذات قدر ضئيل بعد أن كانت مرموقة)[١]. فلقب (سيد) مثلا كانت تعني زعيم القبيلة أو سيد القوم، ولكنها الآن لم يعد لها هذا المدلول بسبب إطلاقها على جميع المواطنين. وكذلك لقب (الأفندي) الذي كان يوصف به الخديوي في منتصف القرن التاسع عشر، وانتهى أمره إلى أن يُلَقِّبُ به المجتمعُ صغار الموظفين.

أما كلمة (الوزير) العربية فأصبحت في الأسبانية لاتعني أكثر من شرطي، وفي الإيطالية مساعد عشماوي. ومنها أيضا الألفاظ المستخدمة في الدلالة على الزّهُو الطبقي مثل Knave ومعناها (لئيم، خسيس) فقد كانت تعني الخادم أو الغلام. وكلمة Villain ومعناها (سافل، وغد) وكانت تعني في الأصل خادم المزرعة[٢].

أما على مستوى العامل النفسي والعاطفي فهو أوضحها تأثيرا، حيث يصيب الانحطاط الألفاظ الدائرة حول الجنس، وكل مايؤدي ذكره إلى شعور المتكلم بالخجل والاشمئزاز والنفور، ومن ذلك أسماء قطع الملابس الداخلية، وكلمة المرحاض التي استبدلت بها ألفاظ مختلفة خلال الأزمنة المتعاقبة، وغالباً مايتم العدول عن الألفاظ الصريحة إلى ألفاظ أخرى تستخدم مجازا. ومن ذلك العدول عن الألفاظ الدالة على الخارج المستقذر من الإنسان إلى ألفاظ أخرى مثل (الغائط والعذرة، وقضاء الحاجة)[٣].

ومما يرتبط بالأسباب الاجتماعية في مجال انحطاط الدلالة مايتصل بالذوق الاجتماعي من تسمية الأشياء بأسماء مضادة كالسليم للملدوغ، والمعافى للمريض، والهلاك (وهو الذهاب) للموت.

(١) علم الدلالة والمعجم العربي: عبدالقادر أبو شريفة وآخرون، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. ص ٦٧.

(٢) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ١٨٨، ١٩٨، ودلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص ١٥٧.

(٣) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ١٨٨: ١٩٠.

ومن أشهر الألفاظ التي كانت تدل على معنى سامٍ ثم انحدرت لتدل على صفة هي كلمة (طول) في طول اليد، إذ كانت تدل على السخاء والكرم، وبها وصف ﷺ زوجه عائشة حين سأله بعض أزواجه (أينا أسرع لحاقا بك يارسول الله؟ فقال عليه السلام أطولكن يدا). ومثلها (نئوم الضحى) التي كانت تدل على العز والرفاهية، في حين تدل في المجتمع العصري والصناعي على الكسل والخمول[١].

رابعا: رقي الدلالة:

ويطلق عليه أيضا (إعلاء الدلالة أو تصعيد الدلالة Elevation، وذلك بأن يتحسن معنى الكلمة مع مرور الزمن مثل Angel التي كانت تعني (مراسل) ثم أصبحت تعني (ملاك) ويُدْعَى هذا أيضا emelioration ويقابله انحطاط الدلالة (pejoration)[٢].

ورقي الدلالة مرتبط بالألفاظ الدالة على الألقاب أو المميزة للطبقات الاجتماعية المختلفة، منها (مارشال) الانجليزية ونظيرتها الفرنسية أكبر الألقاب الحربية الآن، بعد أن كانت تعني قبل ذلك الغلام الذي يتعهد الخيل Mares أي السائس أو خادم الاصطبل.

ومنها أيضاً لفظ (السلطان والملك) كان يطلق كل منهما على صاحب الولاية والحكم مهما صغر شأنه، حتى كان القرن السابع الهجري أصبح كل من اللفظين لقباً عظيماً من ألقاب الحكم والولاة. وفي العصر الحديث أصبح لفظ (ملك) أرقى من لقب (سلطان). أما كلمة (الحاجب) فقد ارتقت دلالتها في الأندلس حتى صارت تطلق على الوزير. وكلمة (العفش) كانت تعني سقط المتاع

(١) علم الدلالة والمعجم العربي: عبدالقادر أبو شريفة وآخرون، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) معجم علم اللغة النظري: محمد علي الخولي، ص ٨٣

وأصبحت تطلق على أثاث العروس الثمين. وكذلك (العربة) أصبحت تطلق على السيارة الفخمة[1].

ويرتبط رقي الدلالة أيضا برقي المسمى نفسه عبر العصور التاريخية، فكلمة (بيت) كانت تطلق على المسكن المصنوع من الشعر أو المسكن البسيط، ولكنها تطلق الآن على المسكن الضخم. وكذلك كلمة ship (سفينة) كانت تطلق على السفينة البسيطة التي يبحر عليها القراصنة، وظلت تطلق على السفن اليوم مع حدوث تطور هائل في صناعة السفن.

وهكذا فقد تصعد دلالات بعض الكلمات في سلم الاستعمال الاجتماعي فتقوى بعد أن كانت تدل في الأصل على معان وضيعة أو ضعيفة نسبياً أو عادية، كما أن كثيرا من أسماء الوظائف والألقاب وغيرها تتعرض للصعود والهبوط في المجالات المختلفة من حيث قيمتها الدلالية ونظرة المجتمع لها.[2]

خامسا: تغير مجال الاستعمال، أو انتقال المعنى:

ينتقل اللفظ -أحياناً- إلى معنى مغاير لمعناه القديم... ويتم هذا في إطار علاقة تُسَوغ الانتقال.[3]

ويحصل الانتقال من معنى إلى آخر بطرق، أبرزها الاستعارة أي المجاز الذي علاقته التشبيه، والمجاز المرسل وهو الذي تكون علاقته غير التشبيه، كالسببية والحالية والمحلية والجزئية والكلية.[4]

---

(١) انظر دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص ١٥٨، ١٥٩. ودراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ١٩١، ١٩٢.

(٢) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ١٩١، ١٩٢.

(٣) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٢٨.

(٤) فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، ص ٢٢٠، ٢٢١.

وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي تؤدي غالبا إلى انقراض معناها الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازي محله، ومعنى ذلك أن استعمال اللفظ بالمعنى الجديد يكون في بادئ الأمر عن طريق المجاز، ولكنه بعد كثرة الاستعمال وشيوعه بين الناس تذهب عنه هذه الصفة وتصبح دلالته على مدلوله الجديد دلالة حقيقية لا مجازية.

إن كلمة (بحث) تفيد في الأصل تحريك اليد في التراب للتفتيش عن شيء، وكلمة (اقتبس) تدل على طلب القبس من النار، وكلمة (الباب) من الكتاب مأخوذة من الباب الذي ندخل منه، وكلمة (التثقيف) تدل على تقويم اعوجاج الرمح. وجميع هذه الألفاظ تدل على معانيها الأخرى المتعارف عليها دلالة مباشرة لا عن طريق المجاز، بل إن دلالتها عليها أقرب إلى الذهن من دلالتها الأصلية لشيوع المعنى الجديد وانتشاره خاصة بعد طول العهد بهذا الاستعمال [(١)].

ولهذا الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي عدة أشكال:

١ – انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد، من ذلك كلمة (الرطانة) التي يعبر بها عن كلام مبهم بلغة أجنبية، ولهذه الدلالة مجالها المحسوس الذي اختفى من مجال الاستعمال، فقد كانت تطلق على الإبل مجتمعة، لأنها تصدر أصواتاً غير مفهومة.

٢ – انتقال الدلالة المجردة إلى مجال الدلالات المحسوسة؛ زيادة وتحقيقاً للفهم والإفهام؛ لأنه يصور المعاني فيجعلها مما يُرى ويُسمع، ويُبدع في هذه العملية الأدباء والشعراء وأصحاب الخيال.

٣ – انتقال الدلالات بين المحسوسات بعضها مع بعض لصلة بين الدلالتين في

(١) فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، ص ٢٢٠، ٢٢١.

المكانية أو الزمانية، أو اشتراك في جزء كبير من الدلالة. ومن الأمثلة على هذا النوع من المجاز إطلاق (الذقن) على اللحية، و (الأفن) الذي انتقل من قلة لبن الناقة إلى نقص العقل، ولفظ (الوغى) الذي انتقل من اختلاط الأصوات في الحرب إلى الحرب نفسها، ومعنى (الغفر) والغفران من الستر إلى الصفح عن الذنوب[1].

---

(١) دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ص ١٦٢:١٦٥.

الفصل الثالث

نتائج التغير الدلالي

التفكير الإنساني والألفاظ التي تحمله وتعبر بـه عـن أغـراض المجتمع ظـاهرة اجتماعية، فلا بد من خضوعها للتطور والتغير.

وإذا كانت الألفاظ هي المعبرة عن الأفكـار فلاشـك أنهـا تتطـور بتطورهـا، وتتأثر بعوامل التغير فيها.

ولكي نلحظ أثر هذا التغير ونتائجه لابد أن نسير مع تطور المعنـى لأهميتـه، وإذا كنا قد عرفنا شيئا عن أسباب تغيره ومظاهر هذا التغير فلابد أن ندرس شـيئا عن نتائج هذا التغير.

فقد ينتج عن هذا التغير أن نجد لفظين فأكثر لمعنى واحد، أو معنيـين فـأكثر للفظ واحد، وقد نبه لذلك علماء اللغة قديمـا وقسـموا الألفـاظ بحسـب ارتباطهـا بالمعاني أقساما، قال ابن فارس في (بـاب أجنـاس الكـلام في الاتفـاق والافـتراق): (يكون ذلك على وجوه فمنه اختلاف اللفظ والمعنى وهـو الأكـثر والأشـهر مثـل رجل، وفرس، ومنه اختلاف اللفظ واتفـاق المعنـى، كقولنـا: ليـث وأسـد، ومنـه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا عين المـاء وعـين المـال، ومنـه اتفـاق اللفـظ وتضادُّ المعنى..) [(١)].

وتعد هذه الأجناس من نتائج التغير الدلالي الـتي طـرأ بعضهـا علـى الألفـاظ الإسلامية حين تغيرت معانيها عمّا كانت عليه في الشعر الجاهلي. ومن هنـا كـان لابد من الحديث عن المشترك اللفظـي والـترادف والتضـاد، وكذلـك الإشـارة إلى الاشتقاق ومعناه وأنواعه، وبخاصة الاشـتقاق الصغـير، لمـا لـه مـن دور واضـح في تكوين الألفاظ الإسلامية ذات الأصول المعروفة في الشعر الجاهلي.

---

(١) الصاحبي: ابن فارس، ص ٣٢٧، ٣٢٨ بتصرف.

المشترك اللفظي

عرفه الصاحبي بأنه (تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو عين الماء، وعين المال، وعين السحاب)[١].

وقال السيوطي: (وقد حدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة)[٢].

وعرفه الجرجاني بأنه: ماوضع لمعنى كثير بوضع كثير كالعين لاشتراكه بين المعاني)[٣].

وقال الشوكاني: (المشترك هو اللفظ الموضوعة لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعاً أولاً من حيث هما كذلك.

فخرج بالوضع مايدل على الشيء بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز، وخرج بقيد الحيثية المتواطئ فإنه يتناول الماهيّات المختلفة لكن لا من حيث هي كذلك بل من حيث إنها متشركة في معنى واحد)[٤].

ولاخلاف في أن الاشتراك على خلاف الأصل؛ لأن المفروض فيه أن يكون للكلمة الواحدة عدة معان تطلق على كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز، ولو كان منطق اللغة كمنطق العقل لوجب ألا يكون للفظ الواحد سوى معنى واحد،

---

(١) الصاحبي: ابن فارس، ص ١١٤.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، جـ ١، ص ٣٦٩.

(٣) التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. ص ٢١٥.

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، دار الكتب، القاهرة، الطبعة الولى، ١٤١٣هـ، ص ١٩.

وألا يكون للمعنى الواحد سوى لفظ واحد أيضاً، ولكن اللغة لها منطق خاص... حيث تجعل للفظ الواحد أكثر من معنى، وللمعنى الواحد أكثر من لفظ، والسياق هو الذي يعيِّن المعنى المراد، وللعربي نوع من الحرية في لغته، حتى قال العلماء (هي العرب تقول ماتشاء).

وقد وعت لغتنا العربية هذه الظاهرة، وهي ليست في ذلك بدعا بين اللغات، فكلها فيها المشترك[1].

وفائدته أن تعدد المعاني للفظ الواحد يفتح مجالات متعددة أمام الناطقين باللغة ليعبروا عما يحتاجون إليه بألفاظ مرنة تطاوعهم على مايشاءون، وتجري حسب مايريدون، ولاشك أن لذلك أثراً كبيراً في ثراء اللغة ونموها يفيد منه –بخاصة– الأدباء والشعراء وأرباب البيان[2].

ومن أسباب المشترك اللفظي انتقال الألفاظ من معانيها الحقيقية أو الأصلية إلى معنى مجازي، بحيث تكتسب الكلمة معنى جديداً يستقر بعد ذلك عن طريق الاستعارة أو المجاز، وعلاقات الاستعمال المجازي كثيرة قد تؤدي بالمعنى الأصلي إلى تطويره أو تغييره أو تعميمه أو تضييقه أو غموضه أو توضيحه، وينتج لنا كلمات متحدة ومشتركة في صورتها ومختلفة في معانيها، كإطلاق لفظ الهلال على هلال السماء، وهلال الصيد، وهلال النحل، وهلال الإصبع، وعلى الحية إذا سلخ جلدها، وعلى الجمل الهزيل، وبقية الماء في الحوض، وهلال البطيخة. والأصل دلالته على المعنى الأول ولكن أطلق على المعاني التالية له لعلاقة المشابهة، وكذلك إطلاق العين الباصرة على عين الماء، وعين المال، وعين الميزان، وعلى الجاسوس بناء على علاقات مجازية.

وقد ينتج المشترك عن تطور الدلالة بتطور المدلول، فإن كلمة (ريشة) تطلق

---

(١) المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا: توفيق محمد شاهين، مطبعة الدعوة الإسلامية، مكتبة وهبة، ص ٢٨، ٢٩.

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٨٧.

على ريشة الطائر في الكتابة إلا أنهم ظلوا يطلقون على الآلة اسم الريشة[1].

ومن أسبابه أيضاً اختلاف اللهجات، فقد تستعمل كلمة ما بمعنيين مختلفين في قبيلتين مختلفتين أو بيئتين مختلفتين[2]. ومعظم ألفاظ المشترك في اللغة جاء نتيجة اختلاف القبائل في استعمالها، وعندما وُضِعَت المعاجم ضَمّ أصحابها المعاني المختلفة للفظ الواحد دون أن يعنوا بنسبة كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستعمله[3].

وقد يحدث المشترك نتيجة التطور الصوتي الذي يطرأ على بعض أصوات اللفظ الأصلية من حذف أو زيادة أو إبدال، فيصبح هذا اللفظ متحدا مع لفظ آخر يختلف عنه في المدلول[4].

وقد أنكر فريق من العلماء القدامى وجود الاشتراك في اللغة، بحجة أن (اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد الآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية)[5]. ولكن هذا معيب؛ لأن الإبهام يزول بالقرائن الصارفة[6].

(وقد قال بوقوعه طائفة كبيرة من العلماء، منهم الخليل، وسيبويه، والأصمعي، وأبو عبيد، وأبو زيد، وأبو علي الفارسي، وابن فارس، وابن جني، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في صفة الوقوع: هل ذلك يكون من جهة الوجوب، أو الأغلب أو إمكان الوقوع مطلقا.

والأكثرون على أنه ممكن الوقوع من واضعين أو واضع واحد... ودليلهم

---

(١) انظر: الدلالة اللغوية عند العرب: عبدالكريم مجاهد، ص ١١٨، ص ١١٩.

(٢) المرجع السابق: ص ١١٨.

(٣) فقه اللغة العربية وخصائصها: إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ١٨٠.

(٤) فقه اللغة وخصائص العربية: إميل بديع يعقوب، ص ١٨٠.

(٥) المزهر: السيوطي، جـ ١ ص ٣٨٥.

(٦) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٩٠.

على ذلك وجود الألفاظ التي وقع فيها الاشتراك في لغة العرب وأساليبهم ولا يمكن إنكارها)[1].

وبهذا يكون (كلا الفريقين مبالغا فيما ذهب إليه، فلا يمكن إنكار الاشتراك لوقوعه في ألفاظ العربية، وعدم التمكن من تأويل كل ماورد منها بأن أحد المعاني حقيقة والآخر مجازا أوغير ذلك من وجوه التأويل، كما أن من التعسف التوسع في إثباته بحيث يشمل العديد من ألفاظ اللغة؛ لأن بعض مايتصور من المشترك يمكن تأويله وإخراجه من هذا النطاق، فالرأي الأجدر بالقبول هو التسليم بوجوده في اللغة مع عدم التوسع والمبالغة)[2].

---

(١) المرجع السابق: ص ٢٩١.

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٩١.

الترادف

عرَّف الإمام فخر الدين الترادف بقوله: (هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد)[1].

وعرفه الجرجاني بقوله: (هو دلالة عدة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد دلالة واحدة)[2].

وقال الشوكاني: الترادف هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على مسمّى واحدٍ باعتبار معنىً واحد. فيخرج عن هذا دلالة اللفظين على مسمّى واحد لاباعتبارٍ واحدً بل باعتبار صفتين كالصارم والمهند، أو باعتبار الصفة وصفة الصفة، كالفصيح والناطق[3].

وعرف علماء اللغة المحدثون المترادفات (بأنها ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق) [4].

أما أسبابه فهي كثيرة منها:

١ - اختلاف اللغات واللهجات، فقد دخل اللغة العربية -بعد الإسلام- كثير من الكلمات الأجنبية إما للحاجة إليه في العلوم والفنون والحضارة، أو

(١) المزهر: السيوطي، جـ ١ ص ٤٠٢.

(٢) التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني، ص ٥٦.

(٣) إرشاد الفحول: محمد بن علي الشوكاني، ص ١٨.

(٤) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ص ١٠٩.

للإعجاب به أو لسهولته، وغير ذلك من الدواعي التي من أجلها انتقل إلى العربية كثير من الألفاظ الفارسية والرومية وغيرها... كذلك تلاقي اللهجات يجعل الألفاظ التي تستعملها تتلاقى وقد يكون بينها أكثر من لفظ يدل على معنى واحد فينشأ الترادف مثل (وثب) بمعنى قعد عند حمير، فهما مترادفان [١].

٢ - ومن أسباب الترادف أيضا مايحدث من إطلاق صفة من الصفات على مسمى معين ثم تشيع وتنوب عن الاسم في التعبير عن المسمى، من ذلك تسمية (الأسد): العباس، من (العبوس) وهو التجهم وظهور الغضب، وتسمية (السيف): الفيصل؛ لأنه يفصل أجزاء الجسم بعضها عن بعض، و (المهند) لأنه وارد من الهند، و (الحسام): لأنه يحسم، أي يفصل ويقطع[٢].

٣ - ومن أسبابه أيضا (توسيع دائرة التعبير، وتكثير وسائله، وهو المسمى عند أهل هذا الشأن بالافتنان أو تسهيل مجال النظم والنثر، وأنواع البديع، فإنه قد يحصل التجنيس والتقابل والمطابقة ونحو ذلك..)[٣].

أما عن نظرة علماء اللغة للترادف وموقفهم منه فقد اختلفت نظرتهم له، وظل منذ القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا بين الإنكار والإثبات، ففريق يؤكد وجود الترادف في الفصحى، بل بكثرة، وعَدُّوا ذلك مبعث افتخار واعتزاز باللغة والتراث، كما وُجِد فريق آخر من العلماء يثير الشك، ويبعث الحيرة، ليصل إلى إنكار الترادف ورده، ونتيجة لهذا الخلاف نشأت فرقة متوسطة بين الإفراط في

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٩٨.

(٢) فقه اللغة: محمد خضر، توزيع دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة خاصة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٢٩٢.

(٣) إرشاد الفحول: محمد بن علي الشوكاني، ص ١٨.

الاعتراف والغلو في الإلغاء[1].

أما المنكرون فإن (مُحصَّلة كلامهم أنه لايوجد لفظان مترادفان إلا وبينهما فرق في المعنى كما في أسماء السيف، فبعض أسمائه من عمله، كالحسام، والباتر، وبعضها ينسب لبلده، كالمهند واليماني، وبعضها من لونه كالأبيض، أما موضوع الآلة فهو السيف فقط لاغير)[2].

(وزعم بعضهم أن كل مايُظَنّ من المترادفات فهو من المتباينات؛ لأن أحدهما اسم الذات والآخر اسم الصفة) [3].

وقد حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: ((كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي وقال: ماأحفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف، قال ابن خالويه: فأين المهند، والصارم، وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات وكأن الشيخ لايفرق بين الاسم والصفة))[4].

أما المثبتون فيرون أن الترادف (يكون من وَاضِعَيْن وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الإسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى، ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان، أو يلتبس وضع

(١) المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا: توفيق محمد شاهين، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٢٩، ٢٣٠.

(٣) المزهر: السيوطي: جـ١، ص ٣، ٤.

(٤) المزهر: السيوطي: جـ ١ ص ٤٠٣، ٤٠٥.

أحدهما بوضع الآخر ويكون من واضع واحد وهو الأقل)[1].

وفي هذا القول رد على المنكرين الذين يقولون: (إن وضع عدة ألفاظ لمعنى واحد لايتأتى إلا إذا كان ذلك من واضع واحد، لكن المعروف أن ذلك يكون من واضعين مختلفين، فانتفى الذين يقولون به، كما أن هناك بعض المترادفات التي لافروق بينها وبخاصة في الأسماء الجامدة كالبُرِّ والقمح والحنطة فلا فروق بين تلك المترادفات، فهذه الألفاظ موضوعة للحبة المعروفة دون ملاحظة لفروق معنوية، ووجود مترادفات بينها فروق لايؤدي إلى إنكار المترادفات كلها بل إلى إنكار طائفة منها فحسب، على أن المشتقات التي اتضحت فيها تلك الفروق كالحسام والصارم ونحوهما قد كثر استعمالها مكان موصوفاتها حتى استغنى بها عنها فجرت مجرى الجوامد في إهمال الفروق وعدم النظر إليها)[2].

فسَّر المُحْدَثون من علماء اللغة الترادف على أنه ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق، كما أنهم اقترحوا وسائل يتمكنون من خلالها من اختبار ماهو من الترادف وما ليس منه، ومن تلك الوسائل مايسمى باختبار الاستبدال الذي يفترض أن المترادفات التامة أو الحقيقية هي التي تتبادل كل المواضع أو السياقات، وهذا الاختبار لايمكن أن يكون فاصلا في الحكم، لأنه لايمكن الاعتماد على المصاحبة وحدها إلا إذا انضمت إليها قرائن أخرى تُعين على الحكم الدقيق، وهذا ماجعل كثيرا من اللغويين يعطونه دورا تكميليا فحسب.

وخلاصة القول: أن المُحْدَثين لايشترطون الاتفاق التام في المعنى فحسب، إنما يرون أيضاً أن مقياس الترادف في ألفاظ اللغة يقوم على مبدأ الاستعاضة الذي يعني: استبدال الكلمة بما يرادفها في النص اللغوي دون أي تغيير في المعنى، وقد

---

(١) المرجع السابق: ص ٤٠٥، ٤٠٦.

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

جعلوا من هذا مقياسا للتحقق من الترادف في الألفاظ، وهذا هـو المفهـوم الدقيـق للترادف في فقه اللغة المعاصر[1]. وسيكون هذا المقياس هـو المعمـول بـه في هـذه الدراسة عند القول بوجود الترادف في بعض الألفاظ والذي نتج عن التغير الدلالي للألفاظ الإسلامية عما كانت عليه في العصر الجاهلي.

(١) الترادف في اللغة: حاكم مالك الزيادي، ص ٦٦، ٦٧.

التضاد

أطلقه علماء اللغة على كل لفظ يدل على معنيين متضادين أو متقابلين، قال ابن فارس: (من سنن العرب في الأسماء أن يُسَمُّوا المتضادين باسم واحد نحو (الجَون) للأسود، و (الجَوْن) للأبيض)[1].

(وهو بهذا الاصطلاح أو بهذا المعنى يتفق مع المشترك اللفظي في كونه دالاً على معنيين متخالفين، ولكنه يخالفه من وجه آخر وهو اشتراط أن يكون هذان المعنيان المتخالفان متضادين: أي اللفظ يدل على الضدين كالجلل الذي يدل على الأمر الكبير والصغير)[2]، ولذلك قالوا: (المشترك يقع على شيئين ضدين، وعلى مختلفين غير ضدين، فما يقع على الضدين كالجَوْن وجَلَل، وما يقع على غير ضدين كالعين)[3]. وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه جاز وقوعها للشيء وضده إذ الضد ضرب من الخلاف.

(ولا تنفرد اللغة العربية بهذه الظاهرة بل هي ملحوظة في أكثر اللغات، فنجدها مثلا في اللاتينية في كلمة (Altus) التي تعني المرتفع والعميق، وفي الفرنسية في كلمة (Tuer) تعني حفظ وقتل)[4].

أما أسبابه فمنها اختلاف اللهجات، ((فإذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه بمساواة بينهما، ولكن أحد المعنيين لِحيٍّ من العرب، والمعنى الآخر لِحَيٍّ غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء، من ذلك الجَوْن: الأبيض -في لغة حَيٍّ من العرب- والجوْن: الأسود -في لغة حيٍّ آخر- ثم أخذ

(١) الصاحبي: ص ١١٧.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب: عبدالكريم مجاهد، ص ١٢٢.

(٣) المزهر: جـ ١ ص ٣٨٧.

(٤) الدلالة اللغوية عند العرب: عبدالكريم مجاهد، ص ١٢٢.

أحد الفريقين من الآخر))[1].

والمجاز أيضاً من أسباب التضاد، فَنَقْلُ اللفظ من معناه الأصلي إلى غيره قد يؤدي إلى التضاد، كما أن التطور الصوتي يؤدي إليه، فقد ينشأ التضاد نتيجة تغير بعض أصوات اللفظ أو حذف بعضها أو زيادة بعض الأصوات فتتفق صورته مع لفظ آخر ذي معنى مقابل لمعناه[2].

وهناك أسباب اجتماعية ونفسية تشارك عن قصد وغير قصد في ظاهرة الأضداد، فللتفاؤل يقال للصحراء: (مفازة)، كما يقال للذي لدغته الحية (السليم) وهو دعاء له بالسلامة، ويسمى الركب المسافر (قافلة) أي راجعة تفاؤلا لهم بالعودة سالمين، وكثيرا مانُعَبِّر عن الشيء باسم ضده زيادة في تقوية التعبير به وإثارة اهتمام السامع، فإذا أُعْجِبنا بشخص قلنا عنه (شيطان)، وبهذا نستطيع أن نُفَسِّر كثيراً من الأضداد التي تعبر عن صفات لها في نفس المتكلم أثر خاص، وقد يحدث عكس هذا وهو أن نُطْلِق على الأعمى بصير، وعلى الأطرش ثقيل السمع، هربا من الألفاظ النابية التي تؤذي مشاعر مَنْ نخاطبهم، وقد نلجأ للتضاد من أجل التهكم، فنطلق على الثقيل خفيف، وعلى الأسود لفظ أبيض، وعلى الفارغ ملآن، وهكذا حمل الضد على الضد لسبب اجتماعي أو نفسي يُسْهِم بنصيب لابأس به في ظاهرة الأضداد[3].

واشترط بعض اللغويين كذلك ألا تكون الأضداد نتيجة توسع مجازي أو نحوه في التعبير، وفي ذلك ينقل السيوطي عن القالي قائلا: (وقال القالي في أماليه (الصريم) الصبح سُمي بذلك لأنه انصرم عن الليل، و (الصريم) الليل؛ لأنه انصرم عن النهار، وليس هو عندنا ضدا)[4].

وهكذا تكثر الشروط حول الأضداد حتى تنتهي ببعض اللغويين إلى إنكاره كابن درستويه الذي يعد من أشد المنكرين للأضداد وله كتاب بعنوان (إبطال الأضداد).

أما حجج المنكرين فمنها ماذكره ابن الأنباري قائلا: (ويظن أهل البِدَع والزيْغ

---

(١) الأضداد: محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت ١٩٦٠م، ص ١١، ١٢.

(٢) انظر علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٩٣.

(٣) انظر الدلالة اللغوية عند العرب: عبدالكريم مجاهد، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٤) المزهر: السيوطي، جـ١ ص ٣٩٧.

والإزراء بالعرب، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، وعند اتصال مخاطباتهم، .. فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطِب)[١].

ورد على هذا الزعم بقوله: (إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها مايدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد)[٢].

أما المؤيدون فَيُقَيِّدون وقوعه بشروط منها: أن يكون ذلك من قبيلتين لا من وضع قبيلة واحدة، وهذا مايفسر نشأة الأضداد من اختلاف اللهجات العربية مثل (سجد) بمعنى انتصب عند طيِّئ وبمعنى (انحنى) عند آخرين، و (الدفة) بمعنى الظلمة في لغة تميم، وبمعنى الضوء في لغة قيس.. واختلاف لغات العرب حجة[٣].

وهكذا مضى كل فريق يُدْلي بحججه ويرد حجة الفريق الآخر حتى تبين أن من أنكر الأضداد كابن درستويه لم ينكرها كلية ولكن ذكر قلتها أو ندرتها، ومن رفض وجودها في اللغة إنما رفضوا أصالتها، أي أنهم رفضوا أن تكون قد وضعت أصلا للمعنى وضده، ولكن ماخضعت له من تطور بالتوسع أو المجاز أو الحذف أدى إلى وجود لفظين متماثلين في كل شيء غير أن معنييهما متضادان. وفي قولهم بقلتها أو ندرتها أو تقييدها بشروط إثبات لوجودها في اللغة، يقول الدكتور توفيق شاهين: (ويكفينا منهم هذا القدر فإنا نعترف بكل العوامل المكونة للأضداد، ولهم أن يأخذوا بأيها شاءوا، وقد رأينا من يشترط الواضع الواحد ومن يجزم باستحالة ذلك)[٤].

ويشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن (الضدية نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أي علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولا سيما بين الألوان: فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد. فعلاقة

---

(١) الأضداد: ابن الأنباري، ص ١.

(٢) المرجع السابق: ص ٢.

(٣) المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا: توفيق محمد شاهين، ص ١٧٢، ١٧٣.

(٤) انظر المرجع السابق: ص ٢١١.

الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني، فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة ما، فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين؛ لأن استحضار أحدهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر)[1].

إن وجود مايسمى بتداعي المعاني والألفاظ يقضي بالتلازم في الذهن بين كل من الليل والنهار، والصغير والكبير، والأبيض والأسود؛ وذلك لوجود صفة مشتركة بين كل ضدين، وإذا ذُكر أحد الضدين دعا ضده إلى المثول في الذهن معه. وعلى هذا فإنه من السهل أن ينزلق اسم أحد الضدين إلى الضد الآخر ليعبر عنه فيصبح اللفظ بذلك من الأضداد[2].

فالأضداد ثابتة في اللغة، والقائلون بوجودها مطلقا قد بالغوا فيه، ولكن الرأي الأكثر إنصافا، والجدير بالقبول هو القول بثبوته، لكنه ليس كثيراً بالصورة التي ذهب إليها هؤلاء، وهو أقل من المشترك ورودا في اللغة[3].

---

(١) في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا: توفيق محمد شاهين، ص ٢١٣.

(٣) علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، ص ٢٩٦.

الاشتقاق

وسيلة من وسائل نمو اللغة، ونتيجة من نتائج التغير اللغوي، ,هو سمة امتازت بها اللغة العربية، فهي أوفر في الاشتقاق من غيرها، وقد عُني الأقدمون به وأَبْدوا ملاحظاتهم حوله، منهم الخليل، وسيبويه، وابن جني، قال ابن فارس: (أجمع أهل اللغة -إلا من شذَّ عنهم- أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر، تقول العرب للدرع: جنة وأجنة الليل، وهذا جنين، أي هو في بطن أمه أو مقبور. وأن الإنس من الظهور، يقولون: آنست الشيء: أبصرته، وعلى هذا سائر كلام العرب)[١].

(وقد تنبه علماء العربية القدماء إلى فكرة الاشتقاق منذ بدءوا يبحثون في اللغة، وربطوا بين الألفاظ ذات الأصوات المماثلة والمعاني المتشابهة، واتضحت لهم ناحية الأصالة والزيادة في مادة الكلمة، وتأكدت ملاحظاتهم فيما بعد حين بحث المستشرقون في اللغات السامية، وظهر لهم أن الألفاظ السامية تعتمد على جذور أو مواد تُعَدُّ الأَصل في كل اشتقاق، وأن أكثر هذه الجذور شيوعاً في اللغات السامية هو الجذر الثلاثي الأصول مثل (ضرب، فهم، كتب)[٢].

و لم يَكدْ ينتصف القرن الرابع الهجري حتى استقر البحث في الاشتقاق على أمور أقرها جمهرة العلماء واعترفوا بها، وأصبح الاشتقاق يعني عندهم (استخراج لفظ من آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصلية). فإذا اتحد المشتق والمشتق منه في ترتيب الحروف سُمِّي هذا بالاشتقاق العام، وإلا فهو الاشتقاق الكبير أو الأكبر[٣].

وهنا يمكن القول بأن أنواع الاشتقاق التي حددها علماء اللغة هي كما يلي:

١ - الاشتقاق العام أو الصغير وذلك إذا اتحد المشتق والمشتق منه حروفاً وترتيباً.

---

(١) الصاحبي: ص ٥٧.

(٢) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص ٦٢.

(٣) المرجع السابق.

كأكل من الأكل، واستنسر من النسر.

٢ - الاشتقاق الكبير: (إذا اتحد المأخوذ والمأخوذ منه في الحروف واختلفا في الترتيب،وهو المعروف عند الصرفيين بالقلب المكاني، مثل جال، وجلا، وركب وكبر)[١].

(ويُفَسَّر بأن بعض المجموعات الثلاثية من أصوات ترتبط ببعض المعاني ارتباطا غير مقيد بترتيب، أي أن كل مجموعة منها تدل على المعنى المرتبط بها كيفما اختلف ترتيب أصواتها)[٢].

٣ - الاشتقاق الأكبر: (إذا اتحد المشتق بالمشتق منه في بعض الحروف واختلفا في الباقي، وكان المُخْتَلَف فيه متحدا مخرجاً أو صفة مثل: هتن المطر وهطل، ونعق، ونهق، وامتقع لونه وانتقع، وأسود حالك، وحانك)[٣].

وأضاف بعضهم النحت وسماه بالاشتقاق الكبّار وهو أن يُنْتزَع من كلمتين أو أكثر كلمة جديدة تدل على معنى ماانتُزِعَتْ منه، وتكون هذه الكلمة مثل البسملة من قولنا (بسم ا لله) والحوقلة من قولنا (لاحول ولا قوة إلا با لله).

وقد اختلف الباحثون في مسألة نسبة النحت إلى الاشتقاق فمنهم من يؤكد أنه نوع منه، ففي كل منهما توليد شيء من شيء، وفي كل منهما فرع وأصل، وذهب آخرون إلى أن النحت لايُعَدّ قسما من الاشتقاق؛ لأنه غريب عن نظام اللغة العربية الاشتقاقي، كما أنه يقوم على نزع كلمة من كلمة، كما أن هناك اختلافا بينهما في الغاية، فغاية الاشتقاق استحضار معنى جديد، أما غاية النحت فهي الاختصار[٤].

والذي يعنينا في هذه الدراسة من أنواع الاشتقاق التي أشرت إليها سابقا هو الاشتقاق الصغير، وذلك إذا اتحد المشتق والمشتق منه حروفاً وترتيباً ومعنىً مثل (أن نشتق من الفعل (فهم) صيغ أخرى مثل: (فاهم، مفهوم، تفاهم) وليس هناك أي ارتباط عقلي منطقي بين حروف (الفاء والهاء والميم) وبين المعنى العام الذي يستفاد من تلك الصيغ وهو

(١) فقه اللغة: محمد خضر، ص ٤١٠.

(٢) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م، ص ٦٥.

(٣) فقه اللغة: محمد خضر، ص ٤١٠.

(٤) انظر فقه اللغة العربية وخصائصها: إميل بديع يعقوب، ص ٢٠٩.

الإدراك، وإلا ترتب على هذا أن نتصور نوعا من الارتباط بين حروف الفعل (أدرك) وحروف الفعل (فهم) لأن لكل منهما نفس الدلالة، وهو مالايقبله اللغوي الحديث، كما يترتب على هذا أن نُنْكر من اللغات تلك المئات من الكلمات التي اشتركت لفظاً واختلفت معانيها اختلافاً بَيِّنَا)[١].

وليس شرطا أن يكون لجميع الصيغ التي يجوز اشتقاقها وجود في نص صحيح من نصوص اللغة فهناك فرق بين مايجوز اشتقاقه وما اشتق فعلا واستعمل في أساليب اللغة المروية عن العرب، فمثلا ليس من الضروري أن يكون لكل فعل من الأفعال اسم فاعل أو اسم مفعول مرويان في نصوص اللغة، فقد لايحتاج المتكلم أو الكاتب إليهما فالمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها، وقد يسبق بعضها بعضا في الوجود، وقد تظل اللغة قرونا وليس بها إلا الفعل وحده، أو المصدر وحده حتى تدعو الحاجة إلى مايُشْتَق منهما[٢].

فالاشتقاق العام ليس في الحقيقة إلا نوعاً من التوسع في اللغة يحتاج إليه الكاتب، وتلجأ إليه المجامع اللغوية للتعبير عما قد يُسْتَحدث من معانٍ ممّا يساعد اللغة على مسايرة التطور الاجتماعي[٣].

وفي الألفاظ الإسلامية التي سأدرسها في هذا البحث -بعون الله تعالى- دليل على أثر الاشتقاق في اللغة العربية، وتمكنها من التعبير عما قد يُسْتَحدث من المعاني، فكثير من المعاني التي استحدثت في الإسلام لم تعبر عنها ألفاظ جديدة يجهلها العربي، وإنما هي مشتقات لألفاظ استعملها الجاهلي بمعانيها اللغوية مثل الاستنجاء والاستجمار والاستطابة وكذلك (الوضوء) المشتق من (وضأ) و (الميضأة) مكان الوضوء و (المهل) المكان الذي يُهِلّ منه المُحْرِم.

(١) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص ٦٣.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ص ٦٣.

وبتتبع الألفاظ الإسلامية خلال هذا البحث ستتضح لنا قيمة الاشتقاق في التعبير عن الدلالات الإسلامية الجديدة وعن كل مايستحدث، وفي هذا دليل على قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور الاجتماعي بما يحقق لها البقاء، علاوة على كونها لغة القرآن والسنة.

الفصل الرابع

الدلالة والسياق

حينما قال علماء البلاغة: (لكل مقام مقال) و (لكل كلمة مع صاحبتها مقام) وقعوا في الحقيقة على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية وحدها. وإذا كان علماء البلاغة قد تمثلوا تماماً فكرة المقام، وحكموها في كثير من أحكامهم النقدية والبلاغية، إلا أن علماء اللغة المُحْدَثين كانوا أكثر التفاتاً للتفاصيل التي تحيط بالمقام والسياق ودور كل منهما في تحديد الدلالة بطريقة منهجية، لأنهم أدركوا - كما أدرك من قبلهم أيضاً علماء البلاغة وعلماء اللغة- أن من طبيعة المعنى المعجمي التعدد والاحتمال. يدل على ذلك حديث القدماء والمحدثين عن الترادف والمشترك اللفظي وغيرهما من ظواهر تعدد المعنى للكلمة المفردة وهاتان الصفتان من صفات المعنى المعجمي تقود إحداهما إلى الأخرى لأنه إذا تعدد معنى الكلمة تعددت بالتالي احتمالات القصد منها، وتعدد احتمالات القصد يقود إلى تعدد المعنى؛ ذلك لأن الكلمة في المعجم أو في حالة الإفراد لاتُفْهم إلا معزولة عن السياق أو المقام... كما أنها ذات أبعاد دلالية تجعلها صالحة للدخول في غير سياق، ومن ثبوت ذلك لها يأتي بالضرورة تعدد معناها، واحتماله في حالة الإفراد[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة منها: كلمة صاحب التي يمكن أن توضع في سياقات متعددة منها:

١ - صاحب البيت بمعنى مالكه.

٢ - صاحبي بمعنى صديقي.

٣ - صاحب رسول الله ﷺ بمعنى رفيق.

٤ - صاحب المصلحة بمعنى منتفع.

٥ - صاحب الحق بمعنى مستحق.

٦ - صاحب نصيب الأسد بمعنى مستقسم.

ومعنى هذا أن الكلمة في حالة انعزالها لاتدل إلا على دلالات عامة، ومن هنا يأتي

(١) الكلمة (دراسة لغوية معجمية): حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ص ١٥٥، ص ١٥٦.

التعدد والاحتمال في المعنى المعجمي للكلمة.

ويمكن أن ندرك أبعاد ذلك إذا أخذنا في اعتبارنا أموراً ثلاثة هي:

١ - أن الكلمة يمكن أن تُستعمل للدلالة على أي جانب من جوانب طبقات ودوائر متعددة ينتمي إليها المعنى، كأن تستعمل مثلاً كلمة (زهرة) للدلالة على كل أنواع الزهور، على اختلاف ألوانها وأنواعها.

٢ - أن الكلمة قد تُشير أحياناً إلى مفهوم واسع وعريض، فكم من الأشياء مثلاً من الممكن أن نصفها بكلمة (كبير) أو (صغير) وكم من الأشياء تنضوي تحت كلمة (نبات) أو (أثاث).

٣ - أن الكلمة قد تكون ذات دلالات متعددة، كأن تكون من المترادف أو المشترك اللفظي، أو من قبيل تعدد المعنى أو الأضداد، وعلى العكس من ذلك كله نجد أن تحديد المعنى ودقته هما نتيجة واضحة وملموسة لوضع الكلمة في جملة أو تركيب، وقد أدرك علماء اللغة قديماً وحديثاً هذه الوظيفة الهامة للسياق[١].

غير أن الفضل في إعادة الحياة إلى نظرية السياق مرة أخرى يعود إلى العالم الانجليزي (فيرث) Farth الذي صاغ من فكرة السياق نظرية علمية قد تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء، ولكنها بلا شك تختلف من حيث المنهج وطريقة التطبيق، مما جعل منها نظرية كاملة في دراسة المعنى[٢].

وتعد نظرية السياق The Contextual Theory of meaning على النحو الذي حدده (فيرث) من أفضل المناهج لدراسة المعنى بسبب ماتميزت به من عناية بالعناصر اللغوية والاجتماعية، والابتعاد عن كثير من الأفكار البعيدة عن الواقع اللغوي، وبسبب المنهج الواضح الذي طرحته لدراسة النصوص[٣].

واللغة عند (فيرث) لها وظيفة اجتماعية، وتعد هذه الوظيفة -عنده- أهم شيء بالنسبة للغة، والسلوك اللغوي العادي في عمومه يعد جزءاً من العملية الاجتماعية، أو هو

(١) الكلمة (دراسة لغوية معجمية): حلمي خليل، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٢) المرجع السابق: ص ١٥٧.

(٣) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ٢١٣.

طريق العمل والتنفيذ في الحياة، ولهذا السبب يؤكد أهمية الرجوع إلى المقام (الموقف الكلامي) Context of Situation أو مايسمى بالقرائن الحالية، وهي جميع ملابسات النص وظروفه.

إن المعنى عند (فيرث) كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية بالإضافة إلى (سياق الحال، غير اللغوي، ويشمل الجانب اللغوي، الوظيفة الصوتية، ثم الصرفية (المورفولوجية، والنحوية (التركيبية) والمعجمية، ويشمل (سياق الحال) عناصر كثيرة تتصل بالمتكلم والمخاطب، والظروف الملابسة والبيئة[1].

وهذا يعني أن المنهج العام في دراسة اللغة عنده يقوم على ثلاثة أركان أساسية هي[2]:

أولا: أن يعتمد كل تحليل لغوي على سياق الحال أو المقام Context or Situation مع ملاحظة كل مايتصل بهذا المقام أو السياق من عناصر وظروف وملابسات وقت الكلام الفعلي.

ثانيا: وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس؛ لأن تحديد البيئة يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى، أو بين لهجة وأخرى، وهذا الاختلاف يترتب عليه ضرورة تحديد البيئة الاجتماعية أو الثقافية التي تحتضن اللغةالمراد دراستها.

ثالثا: يجب تحليل الكلام إلى عناصره ومكوناته الأولى لكي نصل إلى المعنى ويبدأ هذا التحليل وفق الترتيب الآتي:

١ - التحليل النحوي.

٢ - التحليل الصرفي.

٣ - التحليل الفونولوجي.

٤ - التحليل الصوتي.

وهذه المستويات ترتبط فيما بينها برباط وثيق، حيث تقود كل مرحلة إلى الأخرى،

---

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سلمان حموده، ص ٣١٣، ص ٣١٤.

(٢) الكلمة دراسة لغوية معجمية: حلمي خليل، ص ١٥٨.

حتى نصل في النهاية إلى المعنى اللغوي للكلام. فمفهوم المعنى عند (فيرث) هو مجموعة من الارتباطات والخصائص والمميزات اللغوية التي نستطيع التعرف عليها في موقف معين، ويحددها لنا السياق، ولا سبيل إلى الوصول إلى هذا المعنى إلا بالسير في مراحل وخطوات التحليل السابقة.

وبمثل هذا المنهج في التحليل اللغوي يتكامل مفهوم السياق ونظريته عند (فيرث) من عناصر لغوية متعددة ومتشابكة، وكلها تؤدي في النهاية إلى المعنى أو معرفة الدلالة الحقيقية للكلمة من خلال السياق، ومعنى هذا أن السياق عند (فيرث) ينقسم في الحقيقة إلى نوعين:

١ - السياق الداخلي للحدث اللغوي: ويتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معين.

٢ - السياق الخارجي: ويتمثل في السياق الاجتماعي، أو سياق الحال بما يحتويه.

وهو يشكل الإطار الخارجي للحدث الكلامي.

وعلماء اللغة المعاصرون يَقسِمون مصطلح السياق Context إلى نوعين:

١ - السياق اللغوي: Linguistic Context: ويتمثل في الأصوات والكلمات والجمل كما تتابع في حدث كلامي معين أو نص لغوي. ومعنى هذا أننا لكي نصل إلى المعنى الدقيق للكلمة لابد أن نستخدم الطرق التحليلية التي تقدّمها لنا فروع علم اللغة المختلفة، وهي الجانب الصوتي والصرفي والنحوي، أي الفروع الخاصة بالتحليل الوظيفي أو اللغوي، وذلك بالإضافة إلى المعنى المعجمي، ويبقى بعد ذلك الدلالة الكاملة للكلمة؛ لأن الكلمة لم توضع بعد في السياق أو المقام الذي هو شرط لاكتمال المعنى، والذي يمثله السياق غير اللغوي، أو كما سمّاه علماء اللغة المحدثون سياق الحال[١].

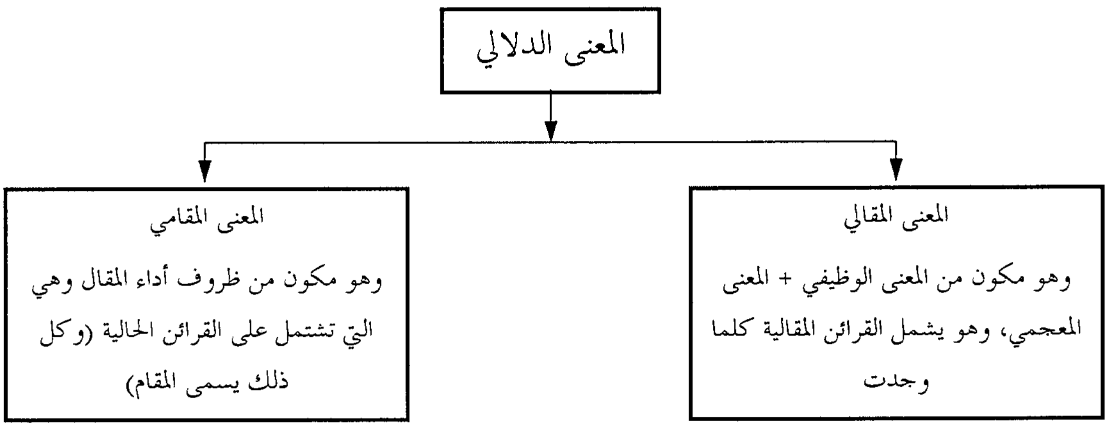
٢ - سياق الحال: Context of Situation: ويمثله العالم الخارج عن اللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي أو النص، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضاً[٢].

---

(١) الكلمة (دراسة لغوية معجمية): حلمي خليل، ص ١٦١، ص ١٦٢.

(٢) المرجع السابق: ص ١٦٣.

ويقسم الدكتور تمّام حسان المعنى الدلالي وهو عنده محصلة السياق اللغوي والسياق الاجتماعي معاً إلى قسمين طبقا للشكل الآتي[(١)]:



إن الدلالة الحقيقية والكاملة للكلمة تكون بالجمع بين المعنى المقالي والمقامي، (فالمقال وحده لايكون محدد الدلالة إلا بمعونة مقامه، أي الشّق الاجتماعي المصاحب له، فعبارة متداولة مثل (أهلاً وسهلاً) وهي تقال عادة في الترحيب قد يُفهم منها في المواقف الكلامية المختلفة غير ذلك، فحين يقولها رئيس لموظفيه الذين حضروا متأخرين عن موعد عملهم بطريقة معينة فإنها تدل على التوبيخ، وفي مواقف أخرى قد تدل على السخرية أو التهكم أو الشماتة)[(٢)].

وكثير من النصوص اللغوية نجد صعوبة في فهمها على الوجه الدقيق بسبب قطعها عن السياق الحالي، أوغيبة بعض عناصره، ففي قول الكميت:

طَربت وما شوقاً إلى البِيْض أطْرَبُ ... ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعبُ

يذكر النحاة أن قوله: (وذو الشيب يلعب) يحتمل أن يكون استفهاما إنكاريّاً بهمزة استفهام محذوفة، ويحتمل أن يكون إخباراً، والمعنى مختلف في الحالتين، وما كان هذا الاحتمال ليرد في اللغة المنطوقة التي تتمثل فيها للسامع عناصر الموقف الكلامي حيث

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ص ٣٣٩.
(٢) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ٢١٧ ص ٢١٨.

يسمع طريقة الأداء الصوتي وما يصاحبها من المتكلم من حركات أو إشارات أو نحو ذلك فيميز بين الإخبار والاستفهام.

إن استصحاب سياق الحال ضروري لدراسة النصوص اللغوية المكتوبة، وعلى قدر مايمكننا استحضاره من عناصره يكون فهمنا للمعنى من حيث الدقة والوضوح[1].

نخلص من هذا كله إلى أن المعنى الحقيقي للكلمات لايكون إلا من خلال السياق، وهذا ماتؤكده لنا الحقائق التالية:

١ - أن دلالة الكلمة هي جزء من تركيبها الصوتي وصيغتها ووظيفتها النحوية.

٢ - أن المعنى المعجمي للكلمة عام ومتعدد ومحتمل.

٣ - السياق أو المقام (السياق الاجتماعي هو الذي يعطي المعنى النهائي للكلمة)[2].

يتبين مما سبق الدور البالغ للسياق في إظهار الدلالات، لذلك كان لابد من الاعتماد عليه في تحديد دلالات الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية ومعرفة ما طرأ على تلك الدلالات من تغير وهي تعيش في بيئتها الإسلامية، وكان لابد للوصول إلى هذه الدلالات الإسلامية من تتبع تلك الألفاظ في المرحلة التأريخية السابقة، أي في العصر الجاهلي؛ وذلك من خلال السياقات المتنوعة التي عاش فيها اللفظ.

ولّما كان التعامل مع لغة مكتوبة كان الاعتماد على السياق اللغوي وعلى بعض البدائل التي تُعِين على تحديد سياق الحال أو السياق الاجتماعي، ومن ذلك دراسة الشاهد داخل اعتبارات البيئة الجاهلية بشكل عام، وبيئة الشاعر بشكل خاص، ثم المقام الذي قال فيه القصيدة،وحالة الشاعر النفسية، والتي تتبين من خلال مناسبة القصيدة والغرض الذي قيلت فيه إلى غير ذلك من عناصر تحيط بالشعر الجاهلي، وتجعلنا نشعر وكأننا نعيش مع لغة منطوقة، وكأن الشاعر اليوم يقف لِيُلقِي علينا هذه الأبيات، فنستشعر من خلالها سياق الحال. وكم أفادتني شروح الدواوين وتعليقات المحققين على بعض القصائد بما يُعِيْن على فهم الأبيات وتحديد دلالات الألفاظ في الشعر الجاهلي.

ولما تتبعت الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية وجدت من الإشارات مايجعلنا

---

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، ص ٢١٨.

(٢) انظر الكلمة (دراسة لغوية معجمية): حلمي خليل، ص ١٦٣.

نشعر وكأننا نعيش الموقف والمقام الذي يسأل فيه الصحابي الرسول ﷺ ثم أثر هذا السؤال على رسول الله ﷺ من الإنكار والتأييد أو التبسّم أو الغضب أو عدم الرد.

وكذلك حال الصحابي وهو يسأل الرسول ﷺ عمّا جهله من أمر الإسلام، فكانت كثير من الأحاديث تأتي بصورة مواقف حوارية تتكوّن من متكلّمَيْن وأحداث كلامية لانكاد نفتقد فيها إلا الجانب الصوتي. ولعلامات الترقيم دور جيد في تقريب النصوص المكتوبة من النصوص المسموعة، فبها يتم نقل الصورة التي كان عليها المتكلم أو الكاتب عندما قال أو كتب النص، إنها تنقل المشاعر والأحاسيس والتأثيرات والمؤثرات وملامح الوجه، وكل ماظهر من المتكلم أو أحس به الكاتب. ومن هذه العلامات: علامة الاستفهام والتعجب، وعلامة القول وإشارة تقسيم الكلام إلى أجزاء وهي الفاصلة وإشارة الجملة المعترضة وعلامة السببية وهي التي تدل على أن ماقبلها كان سببا فيما بعدها ويشار إليها بفاصلة تحتها نقطة، وقد أشار إلى هذه الفكرة الدكتور عودة ممثلا لها بجملة:

ماأحسن عثمان.

ماأحسن عثمان ؟

ماأحسن عثمان !

إن النقطة في نهاية الجملة الأولى، وعلامة الاستفهام في نهاية الجملة الثانية، وعلامة التعجب في نهايةالثالثة بينت المقصود من كل جملة[(١)].

إن بعض الآثار التي يُضيفها الجانب الصوتي للمعنى فيجعلنا ندرك من خلاله إذاكان المراد في الجملة السابقة هو التعجب أو الاستفهام أمكننا تأكيده في اللغة المكتوبة بعلامات الترقيم.

وبعد هذه الإشارة إلى أهمية السياق في تحديد الدلالات لابد من التأكيد على أنه سيتم الاعتماد -بعون الله تعالى- في هذه الدراسة على السياقات اللغوية التي يرد فيها اللفظ الإسلامي بالإضافة إلى تلك البدائل عن سياق الموقف، والتي أشرت إليها سابقاً، والتي تعطينا تصوراً واقعياً عن سياق الموقف الذي غاب عنّا في لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث المكتوبة.

(١) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: عودة خليل أبو عودة، ص ٧٩، ص ٨٠.

الفصل الخامس

علم اللغة التاريخي والمعجم التاريخي

اتفق علماء اللغة أو أغلبهم على تقسيم علم اللغة إلى فرعين كبيرين هما:

أولاً: علم اللغة العام General Linguistics أو علم اللغة النظري Teoretical Linguistics.

أما علم اللغة العام فيقوم على دراسة الظواهر اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتركيبية بصفة أساسية، وهي الظواهر التي تشترك فيها جميع اللغات، يُضاف إلى ذلك مناهج البحث في اللغة، أو بعبارة أخرى فروع من علم اللغة النظري، وهي علم اللغة التاريخي وعلم اللغة المقارن وعلم اللغة الوصفي وغيرها من فروع هذا العلم التي قسّمها علماء اللغة إلى خمسة عشر فرعا منها:

١ - علم الأصوات Phonology.

٢ - علم الفونيمات Phonemics.

٣ - علم الصرف Morphology.

٤ - علم التراكيب Syntax.

٥ - علم الدلالة Semantics.

ثانياً: علم اللغة التطبيقي Applied Linguistics:

وهو الذي يستغل نتائج ودراسات علم اللغة النظري أو علم اللغة العام ويطبقها في مجال لغوي معين، ويندرج تحته فروع منها علم اللغة الجغرافي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم الأسلوب، وعلم اللغة النفسي، وعلم أمراض الكلام، وفن صناعة المعاجم، وعلم اللغة التعليمي[(١)].

وتدخل هذه الدراسة التي هي بعنوان (دلالات الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية) في إطار علم اللغة النظري، وتندرج تحت فرع مهم من فروعه وهو علم اللغة التاريخي.

(١) مقدمة لدراسة اللغة: حلمي خليل، دار القلم، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٣٣٠-٣٣٧.

وعلم اللغة التاريخي يدرس التطورات اللغوية في فترات زمنية متعاقبة على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وأهم مايسفر عنه هذا العلم من نتائج يتمثل في القوانين التي تحكم التطور اللغوي على هذه المستويات المختلفة، وكل ذلك بالنظر إلى لغة معينة أو عدة لغات في فترات زمنية مختلفة أي وهي في حالة الحركة Dynamic.(١).

ويمكن القول بعبارة أخرى إنه علم يهتم بتتبع التطور الذي يطرأ على اللغة أي على الأصوات والصرف والنحو والدلالة.. وذلك من خلال المقارنة بين دراسة اللغة في فترتين زمنيتين مختلفتين أو أكثر، أي أنه يهدف إلى دراسة اللغة في مكان محدد في مراحل زمنية مختلفة لبيان التغيرات التي لحقتها أثناء تلك المراحل ويسجل لنا بذلك تطور اللغة الواحدة عبر القرون.

(ومعنى هذا أن دراسة تطور النظام الصوتي للعربية الفصحى هي دراسة صوتية تاريخية، وتطور الأبنية الصرفية ووسائل تكوين المفردات في العربية على مدى القرون، مما يدخل في الدراسة الصرفية التاريخية، وتطور الجملة الشرطية أو جملة الاستفهام في العربية الفصحى مما يدخل في الدراسات النحوية التاريخية، والمعجمات التاريخية التي يسجل كل منها تاريخ حياة كل كلمة من كلمات اللغة من أقدم نص جاءت به متتبعا تطور دلالتها على مر التاريخ تعد أيضا من علم اللغة التاريخي.

فالتاريخ الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي لأية لغة من اللغات يدخل في مجالات البحث اللغوي التاريخي، والنحو التاريخي والمعاجم التاريخية من الأركان الأساسية في علم اللغة التاريخي) (٢).

ولا يتناول تاريخ اللغات تطورها البنيوي والمعجمي فحسب، بل يبحث أيضا تطورها وحياتها في المجتمع، فقضية انتشار لغة من اللغات، والظروف التي مهدت لذلك وأثر ذلك في بنية اللغة تُعَدُّ من موضوعات علم اللغة التاريخي، وارتباط اللغة بوظيفتها أو بوظائفها المختلفة في الجماعة اللغوية يؤثر بالضرورة في حياة اللغة، فهناك فرق كبير بين أن تكون اللغة لغة جماعة محدودة أو أن تكون اللغة الرسمية في دولة عظمى أو أن تكون لغة

---

(١) مقدمة لدراسة اللغة: حلمي خليل، ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) علم اللغة العربية: محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، القاهرة، ص ٣٩، ص ٤٠.

حضارة دولية، ودراسة مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة في حياة كل لغة وأثر ذلك في بنيتها وأهميتها الحضارية ومكانتها بين اللغات مما يدخل في إطار علم اللغة التاريخي)[١].

وإذا كانت هذه الدراسة -كما ذكرت سابقا- تدخل في إطار علم اللغة التاريخي، فإنها لاتستغني عن علم اللغة الوصفي والمنهج الوصفي؛ لارتباط كل منهما بالآخر وذلك لأن الوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفي هي أن يصف، ولعلم اللغة التاريخي هي أن يعرض التغيرات اللغوية التي تعتمد على مجموعة من العوامل التاريخية، فدراسة هذه التغيرات دراسة وصفية لمعرفة التغيرات الحادثة، ولا يمكن عزلها عن الأحداث التاريخية التي تصاحب وجودها، وبهذا فإن الدراسة التاريخية لاتستغني عن علم اللغة الوصفي؛ لأنها في المقام الأول دراسة وصفية لكل مرحلة على حدة، ثم الربط بين هذه المراحل ودراستها دراسة تاريخية مرتبطة بالأحداث والعوامل المتعلقة بها.

يقول بالمر: (لقد ركز علماء اللغة منذ عهد قريب على الدراسة الوصفية للغة، ومع ذلك نستطيع أن نذهب إلى أن الدراسة الوصفية لابد -منطقياً- أن تسبق الدراسة التاريخية؛ لأننا لانستطيع أن ندرس التغير في لغة حتى نثبت أولاً ماالذي كانت عليه اللغة في الأوقات التي تغيرت أثناءها، وهكذا أيضا في علم الدلالة فإننا لانستطيع أن نتعامل مع تغير المعنى حتى نعرف ماالمعنى[٢].

وهناك مصطلحان يستعملان مرادفين لعلم اللغة التاريخي وعلم اللغة الوصفي، وهما يُبرزان العلاقة بين العِلْمين.

أما مصطلح علم اللغة التاريخي Diachronic Linguistics فهو مُكَوّن من (dia) بمعنى (عَبْر) و (Chronic) بمعنى (زمن) ويعني دراسة اللغة كما تبدو في نقطة معينة من الزمن. والمصطلح الذي يرادف علم اللغة الوصفي هو: Synchronic Linguistics (مكون من syn بمعنى (في) و Chronic بمعنى (زمن، ويعني دراسة اللغة كما تبدو في نقطة معينة من الزمن[٣].

---

(١) علم اللغة العربية: محمود فهمي حجازي، ص ٤٠.

(٢) علم الدلالة: ف. بالمر، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م. ص ٢٩، ٣٠.

(٣) أسس علم اللغة: ماريوباي، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص ٣٦.

والدراسة في علم اللغة التاريخي دراسة طولية، وفيها يتم تتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة وأماكن متعددة ليظهر ماأصابها من تطور وللوقوف على سر هذا التطور وقوانينه المختلفة، غير أن تعليل الظواهر التي توجد في هذه اللغة يظل أمراً بالغ الصعوبة إذا لم يعرف لهذه اللغة فترات تاريخية متباعدة يمكن المقارنة بينها، ومعرفة صور التطور الناتجة عبر الأجيال الكثيرة، وعندئذ يمكن الكشف عن السر الذي يكمن وراء إحدى صور هذا التطور(١).

والدراسة في علم اللغة التاريخي تتم بواسطة المنهج التاريخي الذي يتتبع أية ظاهرة لغوية في لغة ما حتى أقدم عصورها التي نملك منها وثائق ونصوصاً لغوية، أي أنه عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغة ما عبر القرون، فدراسة أصوات العربية دراسة تاريخية تبدأ من وصف القدماء لها من أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه، وتتبع تاريخها منذ ذلك الزمان حتى العصر الحاضر، دراسة تدخل ضمن نطاق المنهج التاريخي، ومثل ذلك يقال عن تتبع الأبنية الصرفية، ودلالة المفردات ونظام الجملة(٢).

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبدالتواب، مكتبةالخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م، ص ١٩٦، ص ١٩٧.

(٢) المرجع السابق.

المعجم التاريخي

يدخل في إطار علم اللغة التاريخي المعجم التطوري أو التاريخي: وهو معجم يبحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية وتراوحها بين الحقيقة والمجاز مقيدة بالعصور، كما يدرس نشأة المواد وعروبتها أو تعريبها واختلاف اللغات واللهجات فيها وما يتصل بذلك، ويرتب ذلك كله ترتيبا تاريخيا[١]. وهذا يعني أنه (معجم يُعْنى بأصل المعنى ويتتبع استعمال اللفظ في المراحل التاريخية المتعاقبة، على غرار مالمتاز به معجم أوكسفورد الانجليزي)[٢].

وقد كان السبب الذي حدا بعلماء اللغة من الانجليز إلى القول بضرورة تأليف مثل هذا المعجم شعورهم بأن معاجم اللغة الانجليزية منذ بداءة القرن السابع عشر كانت تقصر عن إدراك أغراض العلماء وأهل العلم باللغة والفنون، وأن الزمن كلما تقدم بالأدب الانجليزي ازدادت المعاجم قصوراً عن إدراك أغراضه والقيام على حاجاته بما يحقق الغرض منها، حتى لقد شبه معجم (كودري) Cawdrey الذي طُبع سنة ١٦٠٤م إلى جانب معجم أكسفورد الحديث بالبذرة إذا قيست بشجرة البلوط العظيمة[٣].

وقد بدأ العمل في معجم أكسفورد اللغوي التاريخي الحديث سنة ١٨٥٩ وقد تم طبعه في ١٩ من إبريل سنة ١٩٢٨، فكأن العمل فيه قد استغرق قرابة سبعين عاما، و لم يشرف طبعه على التمام حتى كانت النسخة قد نفدت، فأعيد طبعه، وظهرت طبعته الثانية في سنة ١٩٣٣ فزيد إليها ملحق يكمل ما استدرك على الطبعة الأولى[٤].

والمعجمات التاريخية ضرورية لكل أمة لحفظ لغتها، يقول إسماعيل مظهر: (المعاجم اللغوية التاريخية خلق جديد.. جدير بكل أمة تحترم ذاتها وتحاول نشر ثقافتها اللغوية أن تنتحله وأن تُنفق في سبيله غاية ماتستطيع من جهد ومال؛ ذلك بأن معجما لغوياً تاريخياً

---

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره: حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م، ص ٧٢٦.

(٢) المعجم العربي: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٢١.

(٣) القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي، إسماعيل مظهر، مقالة بمجلة المقتطف، نوفمبر ١٩٤٥م، ص ٣١٠.

(٤) المرجع السابق: ص ٣٠٩.

إنما يكون بمثابة ديوان شامل للغة)[1].

وليس في اللغة العربية -على حد علم الباحثة- معجم تاريخي على نفعه وقيمته في دراسة المفردات سوى محاولة الشيخ عبدا لله العلايلي في الجزء الأول من معجمه (المرجع). وقد طُبع الجزء الأول من هذا المعجم في عام ١٩٦٣، وهو من (ألف) حتى كلمة (جحدل) وكان سبق للمؤلف أن أصدر الجزء الأول فقط من معجم (المعجم)[٢].

ومما يُذْكَر حول وضع معجم تاريخي للغة العربية أن لجنة المعجم بمجمع فؤاد الأول للغة العربية اجتمعت ونظرت في أنواع المعاجم التي تحتاج إليها اللغة العربية وبخاصة المعجم التاريخي الذي يجمع شتات المفردات التي استعملت في اللغة منذ عصور الجاهلية إلى الآن، وبيان المعاني التي تعاقبت على الألفاظ في الاستعمال اللغوي مُرَتّبة بحسب العصور، وإظهار المعاني الحقيقية من المعاني المجازية إلى غير ذلك من الأمور التي تجعل ذلك المعجم سِجلاً للغة وتاريخ ألفاظها وتطور معانيها، والفصل بين الفصيح والمولد والمعرب والمنقول من اللغات الأخرى[٣].

ومن المعروف لكل المشتغلين بالعربية أن المستشرق الألماني (أوجست فيشر) August Fischer كان قد بدأ مشروعا ضخما لعمل معجم تاريخي للغة العربية، يستقي مادته من النصوص العربية، ويستخلص منها دلالات الألفاظ والتراكيب، وقد قضى (فيشر) في هذا المشروع زمناً طويلاً، وعندما عرض مشروعه على مجمع اللغة العربية، لقي ترحيبا بالغاً من أعضائه وأنفق (فيشر) آنذاك أربع سنوات كاملة في جمع مادة معجمه واستكمالها وتبويبها وتنسيقها، وكان (فيشر) قد بدأ في كتابة معجمه اللغوي التاريخي الذي انتهى به إلى آخر القرن الثالث الهجري ونقل جزءاً من جزازته إلىمصر، ولا تزال محفوظة بدار المجمع، فاتجهت النية إلى أن يعقب المجمع على عمل الأستاذ (فيشر) فيبدأ معجمه بالقرن الرابع الهجري إلى الآن[٤].

---

(١) اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغوي تاريخي، إسماعيل مظهر، مقالة بمجلة المجمع اللغوي بالقاهرة، السنة الرابعة، إبريل، ١٩٦٠م، ص ١٣.

(٢) انظر المعجم العربي: رياض زكي قاسم، ص ٢١.

(٣) القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي: إسماعيل مظهر، ص ٣٠٩.

(٤) المرجع السابق: ص ٣١٠.

ولكن ظروفاً معينة حالت دون استمرار (فيشر) في عمل هذا المعجم حيث فاجأته الحرب العالمية الثانية واضطرته للعودة إلى وطنه ثم أقعده المرض وعاجلته المنية دون أن يَخرج من مشروعه الضخم إلا مقدمته، ونموذج من حرف الهمزة إلى مادة (أبد) ولا يزال جزء كبير من جزازات هذا المشروع الكبير في حوزة مجمع اللغة.

وظل وجود معجم تاريخي للغة العربية إلى يومنا هذا أملا لأبناء اللغة العربية أفراداً ومؤسسات.

وقد بدأت جهود فردية في عمل دراسات دلالية تاريخية تقارن بين عصرين وتتبع التغير الدلالي الذي طرأ على مجموعة من ألفاظ اللغة تندرج تحت موضوع معين، من ذلك دراسة قدمها عودة خليل أبو عودة بعنوان (التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: دراسة دلالية مقارنة) ودراسة قدمتُها لإتمام متطلبات الحصول على درجة الماجستير بعنوان (تطور دلالات الألفاظ الدينية بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم).

كما ظهرت بعض الدراسات الوصفية التي تصف الألفاظ التي تنتمي إلى مجال دلالي معين في مرحلة من مراحل اللغة مثل الدراسات التي قامت بها الدكتورة ندى الشايع وهي (معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر) ودراسة أخرى بعنوان (معجم لغة دواوين شعراء المعلقات العشر: تأصيلا ودلالة وصرفاً).

وستكون هذه الدراسات الوصفية والوصفية التاريخية نواة لتكوين معجم تاريخي للغة العربية والذي لابد أن تسبقه دراسات وصفية لكل مرحلة على حدة، ثم دراسة تاريخية لجميع هذه المراحل.

ومما تجدر الإشارة إليه أن لغتنا العربية لَمَّا تُدْرَس من الناحية التاريخية، وتاريخها طويل متشعب ولابد لدراستها تاريخيا من دراسة عصورها المختلفة دراسة وصفية.

إن العربية الفصحى في عصرنا متميزة عن عربية العصر الجاهلي مثلا، وكلتاهما متميزة عن عربية العصر العباسي، وهكذا كل عصر من هذه العصور وسواه باعتباره حلقة في سلسلة التطور التاريخي للغة العربية.

وفي دراستها تاريخياً اقتفاء لأثر التطورات والتغيرات من النواحي الفونولوجية والنحوية والقاموسية والدلالية والتي تتم دراستها دراسة وصفية في كل مرحلة على حدة

ثم تدرسها الدراسة التاريخية من الناحية الحركية.

وقد جَمعتُ في دراستي هذه بين الدراسة الوصفية والتاريخية، فهي دراسة دلالية للألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية.

وقد اعتمدت فيها على دراسة الألفاظ دراسة وصفية خلال العصر الجاهلي ممثلا في الشعر الجاهلي، ثم دراستها في بداية العصر الإسلامي وذلك بالنظر إلى وجودها في القرآن الكريم، ثم تحديد دلالاتها فيه بصورة مجملة تمهيدا لدراستها دراسة دلالية وافية في الحديث النبوي، وهذا هو الهدف من هذا البحث الذي يهدف إلى معرفة الدلالات الجديدة التي آلت إليها الألفاظ في الحديث النبوي، كما يهدف إلى بيان مظاهر التغير الدلالي ونتائجه التي حدثت لهذه الألفاظ إثر انتقالها من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي الذي تغير تغيراً جذريا في عقيدته ومظاهر حياته جميعها، فتكون هذه الدراسة لبنة من لبنات الدراسة التاريخية لألفاظ اللغة العربية.

الفصل السادس

الحديث مصدر للألفاظ الإسلامية

أولا: الاستشهاد بالحديث النبوي في اللغة والنحو

يعتبر نزول القرآن في تاريخ العربية حدثاً مهماً؛ وذلك لأنه نموذج جديد لهذه اللغة الكريمة، تطورت فيه لتكون خليقة بأن تعرب عن الدين الجديد الذي هو في حقيقته حضارة إسلامية جديدة، تطلبت مادة لغوية جديدة، أدرك العلماء في فترة سابقة من العصر الإسلامي أنه لابد من فهمها فهماً جديداً لما فيها من أسرار لغوية جديدة [١].

ومن هنا كانت دراسة العربية غاية ووسيلة، فهي غاية ممثلة في هذه اللغة الجديدة في كلام الله سبحانه وتعالى، وكلام نبيه الأمين ﷺ، وهي وسيلة لفهم ماوراء هذه الألفاظ واستعمالها كما وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف، حيث إنها اشتملت على ثروة لفظية يمكن أن نطلق عليها الألفاظ الإسلامية، ونستطيع أن نحصي ألفاظاً كثيرة اكتسبت معاني جديدة في هذه الفترة التاريخية من تاريخ العربية مثل ألفاظ (الصلاة) و (الزكاة) و (الصوم) و (الجهاد) و (الصدقة) و (التقوى) و (الإيمان) و (التوحيد) و (المؤمن) و (الكافر) و (المصدق) وغيرها من الألفاظ التي تطورت في لغة القرآن فصارت تطلق على معان غير المعاني التي كانت معروفة بها[٢].

وكذلك الحديث فإنه مصدر هام غني بالألفاظ الإسلامية التي تحتاج دراستها إلى عدد من البحوث اللغوية، ولكن قد يقول قائل: إن علماء العربية يستندون في إثبات الألفاظ اللغوية وتقرير الأصول النحوية إلى القرآن المجيد وكلام العرب الخلص وجرى بينهم الخلاف في الاحتجاج بما يُروى من الأحاديث النبوية، مع أنه يُعد بعد كلام الله العزيز فصاحة وبلاغة، وكان من الواجب أن يأتي بعده في صحة الاحتجاج به في علوم العربية كافة بلا تمييز بينها، لأنه كلام أفضل البشر[٣].

ولكن ذهب جماعة من النحاة إلى أن الحديث لايستشهد به في اللغة أي لايستند إليه في إثبات ألفاظ اللغة، ولا في وضع قواعدها، ومن هذه الجماعة أبو الحسن علي بن محمد

---

(١) التطور اللغوي التاريخي: إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٤٩.

(٢) انظر المرجع السابق: ص ٤٩، ٥٠.

(٣) دراسات في العربية وتاريخها: محمد الخضر حسين، المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ص ١٦٦:١٦٨.

الإشبيلي المعروف بابن الضائع، وأثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان، فهو مذهب المتقدمين من علماء العربية كأبي عمرو، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، من أئمة البصريين، والكسائي والفراء وعلي بن مبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس(١).

وأجاز قوم الاحتجاج بالحديث في اللغة، وعدوه في الأصول التي يُرجع إليها في تحقيق الألفاظ، وتقرير القواعد. وممن عرف بهذا المذهب محمد بن عبدالله المعروف بابن مالك، وعبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام، والبدر الدماميني، وعُد من أصحاب هذا المذهب الجوهري، وابن سيده، وابن فارس، وابن خروف، وابن جني، وابن بري(٢).

وأما المانعون فقد استندوا إلى ملاحظات هي أهون بكثير من الملاحظات الواردة على مايحتجون به من أشعار، وقد تعلقوا بعلتين:

الأولى: وقوع اللحن كثيرا في الأحاديث؛ لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو.

الثانية: جواز الرواية بالمعنى(٣).

أما القول بوقوع اللحن من رواة الأحاديث الأعاجم فهو زَعْم غير مقبول، ولا تقوم به حجة لأحد، ولا يصح أن يُمْنَع من أجله الاحتجاج بالحديث الصحيح.

فقد حذّر العلماء من اللحن في الحديث أشد التحذير، وَعَدَّ بعضهم الحديث الملحون كذبا على النبي ﷺ يُدْخل مرتكبه في هذا الوعيد الشديد(٤) الوارد في قوله عليه الصلاة والسلام (**اتقوا الحديث عني إلا ماعلمتم، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**)(٥).

---

(١) انظر دراسات في العربية وتاريخها: محمد الخضر حسين، ص ١٦٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحديث النبوي في النحو العربي: محمود فجال، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص٨.

(٤) الحديث النبوي: محمد لطفي الصباغ، ص ١١٢.

(٥) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وقد رد الدكتور محمود فجال على هذا الزعم بقوله: (والقول بأن رواة الحديث أعاجم قول لايعتد به؛ لأن ذلك يقال في رواة الشعر والنثر الذين يحتج بهما، فإن فيهم الكثير من الأعاجم، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا مُحَدِّثا ممن يُعْتَدُّ بهم أن يوضع في صف (حماد الراوية) الذي كان يكذب، ويلحن، ويكسر الشعر. وروى الكوفيون أن حمادا الراوية كان حفظ القرآن من المصحف، فكان يصحف نيِّفا وثلاثين حرفاً، ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومَنْ نهج منهجهم من الاحتجاج بمروياته، ولكنهم تحرجوا في الحديث النبوي.

ومن اطلع على منهج المحدثين في النقد وطريقتهم في التعديل ومبالغتهم في حقيقة الراوي والأخذ بالظنة والتهمة في رد مروياته يكاد يَجْزِم بأن تجويز الكذب على الراوي المستجمع للشروط أمر لايصدقه عقل، ولا يتفق عليه اثنان)[١].

ومما احتج به المانعون أيضا القول: بأن من الرواة من أجازوا رواية الحديث بالمعنى، فلا يمكن الجزم بأن هذه الأحاديث من قول النبي ﷺ، فقالوا لايُستَشهد بالحديث لعدم الوثوق بأن ذلك لفظ رسول الله ﷺ، وذلك لأن الرواة جوزوا النقل بالمعنى، فتجد القصة الواحدة قد جرت في زمانه ﷺ فتُنْقل بألفاظ مختلفة كحديث (**زوجتكها بما معك من القرآن**)[٢]. وفي رواية أخرى (**ملكتكها بما معك من القرآن**)[٣] وفي ثالثة (**أنكحتكها بما معك من القرآن**)[٤] وفي رابعة (**أملكناكها بما معك من القرآن**)[٥].

---

٤٨ - كتاب تفسير القرآن - (باب ماجاء في الذي يفسر القرآن برأيه)، حديث (٢٩٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الترمذي: (هذا حديث حسن).

(١) الحديث النبوي في النحو العربي: محمود فجال: ص ٨، ٩.

(٢) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تصحيح وإخراج محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المطبوع مع شرحه فتح الباري، دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ. ٦٦ كتاب فضائل القرآن - ٢١ باب خير كم من تعلم القرآن وعلمه، حديث (٥٠٢٩). و ٦٧ كتاب النكاح - ٣٧ باب إذا كان الولي هو الخاطب، حديث (٥١٣٢) عن سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٣) صحيح البخاري: ٦٦ كتاب فضائل القرآن - ٢٢ باب القراءة عن ظهر القلب، حديث (٥٠٣٠) و ٦٧ كتاب النكاح - ١٤ باب تزويج المعسر، حديث (٥٠٨٧).

(٤) صحيح البخاري: ٦٧ كتاب النكاح - ٥٠ باب التزويج على القرآن وبغير صداق، حديث (٥١٤٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٥) صحيح البخاري: ٦٧ كتاب النكاح- ٣٢ باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح حديث (٥١٢١) عن

أما المجـوّزون فيستندون إلى الإجماع على أنه ﷺ أفصح العرب لهجة، كما أن الأحاديث أصح سنداً مما ينقل من أشعار العرب، كما قال صاحب المصباح بعد أن استشهد بحديث (ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار)[1] على صحة إطلاق الثناء على الذكر بشر: (قد نقل هذا العدل الضابط عن العرب الفصحاء عن أفصح العرب، فكان أوثق من نقل أهل اللغة، فإنهم قد يكتفون بالنقل عن واحد لايُعرف حاله.

وأظهر وجه يورده المجيزون أن الأصل رواية الحديث الشريف على نحو ماسمع، وأن أهل العلم قد شددوا في ضبط ألفاظه والتحري في نقله.

وقد بلغ من شدة تحريهم لضبط ألفاظ الحديث أنه إذا شك راوٍ في لفظين أوردهما جميعا مُتَشَكِّكا كما في الحديث (**وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**)[2].

وقد دلت الأخبار الصحيحة أن الصحابة كانوا يتحرون الدقة في حديث النبي ﷺ، ويحرصون على إيراد كلامه وفق الترتيب الذي سمعوه منه، جاء في صحيح مسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (**بُني الإسلام على خمس.. وصيام رمضان والحج**) فقال رجل: الحج وصيام رمضان، قال ابن عمر: لا وصيام رمضان والحج. هكذا سمعته من رسول الله ﷺ[3].

وقد كان عدد من الصحابة يكتبون الحديث في عهد النبي ﷺ منهم عبدالله بن عمرو بن العاص؛ ولهذا كان أكثر جمعاً للحديث من أبي هريرة، وهذا يعني أن بدء التدوين كان في القرن الأول نفسه، وهذا يرجح أن مدونات الطبقة الأولى هي لفظ النبي ﷺ

سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. كتاب الجنائز - ٢٠ باب فيمن يثني عليه خير أو شر من الموتى، ٦٥٥، حديث ٦٠ (٩٤٩).

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه الترمذي، ٤١ كتاب الإيمان -٨ باب ماجاء في حرمة الصلاة، حديث (٢٦١٦).
وسنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية السندي: أحمد بن شعيب النسائي، اعتناء عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية المفهرسة ١٤٠٩هـ. كتاب التفسير - ٢٧٣ - قوله تعالى ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**﴾. حديث (١١٣٩٤) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ١:٤٥ حديث ١٩ (١٦).

نفسه، فإن كان هناك إبدال لفظ بمرادفه فالذي أبدله عربي فصيح يحتج بكلامه[1].

أما تدوين الحديث في كتب فقد وقع بأمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز، كما جاء في صحيح البخاري (باب كيف يقبض العلم): (وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حَزْم انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دُرُوس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ)[2].

وأول من دون الحديث محمد بن مسلم الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ والمعروف أنه كان يروي عن الصحابة مثل عبدالله بن عمر وأنس بن مالك وسهل بن سعد الساعدي، ثم شاع التدوين في الطبقة التي تلي طبقة الزهري كمالك بن أنس وعبدالملك بن جريج والأوزاعي وسفيان الثوري وحماد بن سلمة[3].

وكان كثير من رواة الحديث في هذا العهد يكتبون الأحاديث عند تلقيها ولا يكتفون بحفظها عن ظهر قلب، ففي تاريخ طائفة منهم أن لهم كتبا يرجعون إليها عند الرواية مما يساعد على رواية الحديث بلفظه دون أن يدخله غلط أو تصحيف.

أما مصنفات الطبقة التي جاءت بعد طبقة مالك وابن جريج فقد بلغت الغاية في جمع الأحاديث، وقد صنفت مسندات كثيرة كمسند أسد بن موسى الأموي المتوفى ٢١٣هـ، ومسند نعيم بن حماد الخزاعي المتوفى سنة ٢٢٨هـ ومسند أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ.

وجاء بعد هؤلاء أصحاب الكتب الستة، وأولهم البخاري المولود سنة ١٩٤هـ وآخرهم النسائي المولود سنة ٢٥١هـ. وما في الكتب الستة أو معظمه كان مدونا في الكتب المصنفة من قبل.

هذه النظرة التاريخية تدل على أن ابتداء تدوين الحديث كان في أوائل القرن الثاني، وأنه لم يمض القرن الثاني حتى قُيِّد معظم الأحاديث بالكتابة والتدوين.

والذي نستفيده من حقائق التاريخ أن قسماً كبيراً من الأحاديث دونه رجال يحتج بأقوالهم في العربية، وأن كثيراً من الرواة كانوا يكتبون الأحاديث عند سماعها، وذلك مما

---

(١) انظر الحديث النبوي: محمد لطفي الصباغ، ص ١١١، ١١٢.

(٢) صحيح البخاري، ٣ كتاب العلم - ٣٤ باب كيف يُقبض العلم.

(٣) دراسات في العربية وتاريخها: محمد الخضر حسين، ص ١٧٢.

يساعد على روايتها بألفاظها، فيضاف هذا وذاك إلى ماوقع من التشديد في رواية الحديث بالمعنى، وما عُرف من احتياط أئمة الحديث وتحريهم الرواية فيحصل الظن الكافي لرجحان أن تكون الأحاديث المدونة في الصدر الأول مروية بألفاظها ممن يحتج بكلامه[1].

ويضاف إلى هذه الحقائق التاريخية معرفة أن تجويز رواية الحديث بالمعنى كابن سيرين، والمجيزون أنفسهم يقولون: إن الأصل روايته باللفظ، وهذا يعني أن أمر روايته بالمعنى أمر احتمالي وعلى فرض وقوعه فالمغير لفظا بلفظ في معناه ممن يحتج بكلامه العادي.

وإذا وقفنا على الأحاديث وجدنا أن منها مايمكن القطع بورود لفظها بالذات، ولا ينبغي الاختلاف في الاحتجاج به في اللغة والنحو وهو ستة أنواع:

أولا: الأحاديث التي تُروى بقصد الاستدلال على فصاحته كقوله ﷺ: (**حمي الوطيس**)[2] (**الظلم ظلمات يوم القيامة**)[3].

ثانيا: أحاديث الذكر والدعاء التي يتعبد بها كالقنوت والتحيات، وقد ورد أن رسول الله ﷺ كان قد علم بعض الصحابة دعاء يدعو به قبل النوم وهو (**اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لاملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت**، فلما قرأها الرجل قال (وبرسولك الذي أرسلت) فلم يرض منه الرسول ﷺ ذلك وقال مصححا (**وبنبيك**)[4].

ثالثا: مايُروى شاهداً على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم، وكذلك

---

(١) انظر دراسات في العربية وتاريخها: محمد الخضر حسين، ص ١٧٢:١٧٥.

(٢) مسلم: ٢٢ كتاب الجهاد والسير – ٢٨ باب في غزوة حنين، حديث ٧٦ (١٧٧٥) من حديث العباس في قصة شهوده غزوة حنين مع رسول الله ﷺ.

(٣) صحيح البخاري: ٤٦ كتاب المظالم –٨ باب الظلم ظلمات يوم القيامة، حديث (٢٤٤٧) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح البخاري: ٤ كتاب الوضوء – ٧٥ باب فضل من بات على الوضوء، حديث (٢٤٧).

ومسلم: ٤٨ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – ١٧ باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث ٥٦ (٢٧١٠) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

الأحاديث التي جاءت في كتب النبي ﷺ ومعاهداته.

رابعا: الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها، فإن اتحاد الألفاظ مع تعدد الطرق دليل على أن الرواة لم يتصرفوا في ألفاظها.

خامسا: الأحاديث التي دَوَّنها من نشأ في بيئة عربية، ولم ينتشر فيها فساد اللغة، كمالك بن أنس، وعبدالملك بن جريج، والإمام الشافعي.

سادسا: ماعُرف من حال رواته أنهم لايجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل ابن سيرين، والقاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة، وعلي بن المديني[١].

أما مايجيء في رواية شاذة أو في رواية يقول فيها بعض المحدثين: إنها غلط من الراوي فنقف دون الاستشهاد بها، ومثال هذا كلمة (ناعوس) وردت في إحدى الروايات (أن كلماته بلغت ناعوس البحر)[٢] ووردت في بقية الروايات (قاموس البحر) أي وسطه ولجته.

قال الإمام النووي: (ناعوس البحر: ضبطناه بوجهين، أشهرهما: ناعوس -بالنون والعين- هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا. والثاني: قاموس -بالقاف والميم- وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير (صحيح مسلم، وقال القاضي عياض: أكثر نسخ (صحيح مسلم) وقع فيها: قاعوس -بالقاف والعين- قال: ووقع عند أبي محمد بن سعيد: تاعوس -بالتاء المثناة فوق- قال: ورواه بعضهم: ناعوس -بالنون والعين- قال: وذكره أبو مسعود الدمشقي في (أطراف الصحيحين) والحميدي في (الجمع بين الصحيحين): قاموس -بالقاف والميم، قال بعضهم: هو الصواب، قال أبو عبيد: قاموس البحر وسطه. وقال ابن دريد: لجّته. وقال صاحب كتاب (العين) قعره الأقصى. وقال

---

(١) دراسات في العربية وتاريخها: محمد الخضر حسين، ص ١٧٨. والحديث النبوي: محمد لطفي الصباغ، ص ١١٣، ١١٤.

(٢) صحيح مسلم: ٧ كتاب الجمعة - ١٣ باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث ٤٦ (٨٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه أنَّ ضِماداً -وهو رجل من أَزْدِ شَنُوءة- قدم مكة، وسمع كلام النبي ﷺ فأعجب به وقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر.. ثم أسلم وبايع عن نفسه وعن قومه.

الحربي: قاموس البحر: قعره..)[1].

وأضعف من هذا أن تجيء الكلمة غير المعروفة في اللغة في صورة الشك من الراوي ككلمة (خطيط)، وردت في حديث (ثم نام حتى سَمِعْتُ غطيطه أو خطيطه)[2].

قال ابن حجر في (فتح الباري): (قوله (أو خطيطه) الشك فيه من الراوي، وهو بمعنى الأول غطيطه، قال الداودي، وقال ابن بطال: لم أجده بالخاء المعجمة عند أهل اللغة، وتبعه القاضي عياض فقال: هو هنا وهم)[3].

قال ابن الأثير: (الخطيط قريب من الغَطِيط: وهو صوت النائم. والخاء والغين متقاربتان) [4].

وخلاصة القول في هذه القضية: أنه يمكن الاستشهاد بألفاظ مايُروى في كتب الحديث المدونة في الصدر الأول وإن اختلفت فيها الرواية، ولا يستثنى -كما ذكر سابقا- إلا الألفاظ التي تجيء في رواية شاذة أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط أو التصحيف غمزاً لامرد له[5].

تبين للباحثة بعد هذا العرض لقضية الاستشهاد بالحديث النبوي أن علماء اللغة -ماعدا ماكان من بعض النحويين- لم يترددوا في اعتماد الحديث النبوي -ماعدا الروايات الشاذة أو المغموزة أو الموضوعة- أصلا أصيلا من أصول المادة اللغوية، وقد أصبحت كتب غريب الحديث من المصادر التي رجع إليها مؤلفو المعجمات في تصنيفهم، حتى أضحت هذه المعجمات زاخرة بالأحاديث النبوية، فما تكاد تخلو صفحة منها من حديث

---

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي المسمى (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، جـ٦، ص ٣٩٥.

(٢) صحيح البخاري: ٣ كتاب العلم - ٤١ باب السمر في العلم، حديث (١١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في صفة قضائه صلى الله عليه عليه وسلم للّيل.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تصحيح عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان جـ١ ص ٢١٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزواوي، نشر أنصار السنة المحمدية، جـ٢ ص ٤٨.

(٥) دراسات في العربية وتاريخها: محمد الخضر حسين، ص ١٧٩، ١٨٠.

شريف[1]، بل إن (ابن منظور) صرَّح في مقدمة (لسان العرب) بأنه جعل كتاب (النهاية في غريب الحديث) من مصادره، وذلك عندما ذكر أنه ألف كتابه (اللسان) من كتب خمسة هي (تهذيب اللغة) للأزهري، (والمحكم) لابن سيده، و (الصحاح) للجوهري، و (حواشيه) لابن بري، و (النهاية) لابن الأثير[2].

ويُعَدُّ الحديث النبوي هو المصدر الأساس لهذه الدراسة، فعليه تعتمد ومنه تستقي مادتها اللغوية، فهو المصدر الثاني لمعرفة الألفاظ الإسلامية التي لم ترد في القرآن أو أضاف لها الحديث النبوي دلالات أخرى.

---

(١) الحديث النبوي: محمد لطفي الصباغ، ص ١١٤.

(٢) لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة جـ١ ص ١١، ١٢.

ثانيا: الحديث مصدر للألفاظ الإسلامية

الحديث مصدر من المصادر الهامة في اللغة، وتزداد أهميته وحاجتنا إلى تتبع نصوصه حين نريد الوقوف على الألفاظ الإسلامية، وإذا كُنّا نؤمن بأن القرآن هو مصدر تلك الأسماء الشرعية أو الألفاظ الإسلامية التي جاءت معبرة عن الدين الإسلامي وموضحة لأحكامه، فلابد أن نؤمن أيضا بأن الحديث النبوي هو المصدر الثاني المكمل للقرآن في معرفة هذا النوع من الألفاظ، وتحديد دلالاتها حيث وجدت فيه ألفاظاً لم ترد في القرآن مثل الوضوء، القرآن، السحور، الريان، الصحابة، القراء، العقيقة..

وألفاظ أخرى تغيرت دلالاتها في الحديث عما كانت عليه في القرآن من زيادة تخصيص أو تعميم،أو إضافة دلالات جديدة لم ترد بها في القرآن مثل الأذان، المؤذن، الشهيد، فريضة، الإقامة، الإمام، السنة.. وغيرها من الألفاظ التي تحتاج لجمعها وتحديد دلالاتها إلى معجم خاص بها.

يقول الدكتور محمد ضاري حمادي: (وتعود الألفاظ الإسلامية في نشأتها إلى زمن الرسول ﷺ ويعود أمر ظهورها بمعانيها الجديدة التي لم تعهدها العرب قبل ذلك إلى (أن رسول الله ﷺ لَّما بيَّن مافي آيات القرآن من إجمال، فسر بعض الألفاظ بغير معانيها اللغوية وبين أن المراد منها حقائق شرعية، فَصَّلها بأقواله وأفعاله)[(١)].

ويقول أيضا: (ولا تحسبن تلك ألفاظا معدودات أكسبها رسول الله ﷺ مدلولات معينة وأنها لايمكن أن تؤلف من الثروة اللغوية إلا اليسير، ذلك أن الألفاظ الإسلامية تعد ثروة خاصة قائمة بذاتها[٢].

ولاعجب أن نجد مثل هذه الثروة اللفظية في الحديث النبويِّ، بل العجب أن لانجد مثل هذه الثروة أمام مأمر به ﷺ من التبيين للقرآن قال تعالى[(٣)]: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم**﴾.

---

(١) انظر: الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية: محمد ضاري حمادي، الجمهورية العراقية، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص ١٢٤.

(٢) المرجع السابق: ص ١٢٥.

(٣) سورة النمل آية ٤٤.

وقد يأتي قوله ﷺ لبيان المعاني وإظهار المقصود من الآيات[1]، فقد بين ﷺ المراد من الظلم في قوله تعالى[2]: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمر وهم مهتدون**﴾. (هو الشرك)، فقد شق ذلك على المسلمين -لأنهم فهموا عموم معنى الظلم- فقالوا: يارسول الله: أينا لايظلم نفسه، قال: **ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ماقال لقمان لابنه وهو يعظه**[3]: ﴿**يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾.

وقد تأتي بعض الأحاديث لبيان المجمل، مثل الأحاديث التي جاء فيها تفصيل أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج.

قال الشاطبي -رحمه الله تعالى- في بيان كيفية رجوع السنة إلى الكتاب: (ومنها الوجه المشهور عن العلماء كالأحاديث الآتية في بيان ماأُجْمِل ذكره من الأحكام، إمّا بحسب كيفيات العمل أو أسبابه، أو شروطه، أو موانعه، أو لواحقه، أوماأشبه ذلك كبيانها للصلوات على اختلافها في مواقيتها وركوعها وسجودها وسائر أحكامها، وبيانها للزكاة في مقاديرها وأوقاتها، ونُصُب الأموال المزكاة، وتعيين مايُزكى مما لايُزكى، وبيان أحكام الصوم وما فيه مما لم يقع النص عليه في الكتاب، وكذلك الطهارة الحدثية والخبثية والحج والذبائح والصيد وما يؤكل ومالايؤكل، والأنكحة وما يتعلق بها من الطلاق والرجعة والظهار واللعان، والبيوع وأحكامها، والجنايات من القصاص وغيره، وكل ذلك بيان لما وقع مجملا في القرآن..)[4].

وقال الشافعي -رحمه الله تعالى- قال جل ثناؤه[5]: ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**﴾. فدل رسول الله ﷺ على عدد الصلاة ومواقيتها، والعمل بها

(١) دراسات في الحديث النبوي: عباس بيومي عجلان، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤، ص ٤.

(٢) سورة الأنعام آية ٨٢.

(٣) صحيح البخاري: ٦٠ كتاب أحاديث الأنبياء - ٤١ باب قول الله تعالى ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ حديث (٣٤٢٩). والآية ١٣ من سورة لقمان.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة: لأبي اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، شرحه وكشف مراميه وخرّج أحاديثه عبدالله دراز، ضبط الآيات وتخريج الأحاديث إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، جـ ٤، ص ٤٠٨.

(٥) سورة النساء آية ١٠٣.

وفيها[1]...

وقال الله تعالى[2]: ﴿و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾. فدل رسول الله ﷺ على مواقيت الحج وما يدخل به فيه، وما يخرج به منه، وما يُعمل فيه بين الدخول والخروج[3].

وقد قيدت الأحاديث الأحكام المطلقة، ومن هذه الأحكام حكم قطع يد السارق الوارد في قوله تعالى[4]: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾. فقد بينت السنّة أنها اليد اليمنى، وأن القطع من الكوع لا من المرفق.

ومن الأحاديث مايأتي دالاً على حكم سكت عنه القرآن، ومن ذلك قوله ﷺ في البحر: (**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**)[5].

قال الشوكاني -رحمه الله- (اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام)[6].

وقد جمع ابن القيم -رحمه الله تعالى- هذه الأوجه كلها في قوله: (والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد

---

(١) اختلاف الحديث: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٥٦.

(٢) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٣) اختلاف الحديث: الشافعي، ص ٥٧.

(٤) سورة المائدة آية ٣٨.

(٥) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق عزت عبيد الدعّاس وعادل السيد، نشره محمد علي السيد بحمص، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ. كتاب الطهارة، - ٤١ باب الوضوء بماء البحر حديث (٨٣).

والترمذي: أبواب الطهارة -٥٢ باب ماجاء في ماء البحر أنه طهور، حديث (٩٦).

والنسائي: ١ كتاب الطهارة -٤٧ باب ماء البحر، حديث (٥٩).

وسنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر دار الحديث بالقاهرة. ١ كتاب الطهارة وسننها -٣٨ باب الوضوء بماء البحر، حديث (٣٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح).

(٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، جـ١ ص ١٥٦.

من باب توارد الأدلة وتظافرها.

الثاني: أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام.

فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته) إلى أن يقول رحمه الله: (إن أحكام السنة التي ليست في القرآن إن لم تكن أكثر منها لم تنقص عنها، فلو ساغ لنا رد كل سُنة زائدة كانت على نص القرآن لبطلت سنن رسول الله ﷺ كلها إلا سنة دل عليها القرآن، وهذا هو الذي أخبر النبي ﷺ بأنه سيقع ولابد من وقوع خبره)[1].

وهو في كل هذا ﷺ لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وقد أمر تبارك وتعالى أن نطيعه ﷺ في كل مايأمر به وأن ننتهي عما ينهانا عنه، قال تعالى[2]: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾.

فجميع الأحكام الواردة في السنة والتفصيلات التي أتت بها الأحاديث النبوية لابد من اتباعها.

وقد حذر النبي ﷺ من ترك سنته، وأخبر عمن يأتي مُتبعاً للكتاب منكراً للسنة، فعن المقداد بن معديكرب الكندي أن رسول الله ﷺ قال: (**يوشك الرجل متكئا على أريكته يؤتى بحديث من حديثي فيقول**: (**بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ماحرم رسول الله ﷺ مثل ماحرم الله**)[3].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر الملقب بشمس الدين، والمعروف بابن القيم، تحقيق وضبط عبدالرحمن الوكيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، جـ٢، ص ٣١٤:٣١٦.

(٢) سورة الحشر آية ٧.

(٣) سنن أبي داود: ٣٤ كتاب السنة -٦ باب في لزوم السنة، حديث (٤٦٠٤).

والترمذي: ٤٢ كتاب العلم - ١٠ باب مانهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ والتغليظ على من عارضه، حديث (١٢) وهذا لفظه، وقال الترمذي: (حديث حسن).

ويمكن بعد هذه المعرفة لما جاء في أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته من تفصيل لما أجمل في القرآن وتوضيح لما أُبهم في اللفظ والمعنى، وتقييد لما أطلق وما جاء من تخصيص العام وتعميم الخاص ومن ذكر أحكام وتشريعات لم ترد في القرآن. بعد معرفة هذا كله نستطيع أن نتبين أثر الحديث النبوي في إثراء العربية بالمفردات، وقد تم ذلك الإغناء على الوجهين الآتيين:

الأول: نقل اللفظ من معنى إلى معنى آخر.

الثاني: وضع اللفظ وضعاً بعد أن لم يكن، وهو مايدعى (الارتجال).

وتعد الألفاظ الإسلامية لوناً من ألوان النقل المعنوي، هذا النقل الذي عرض للفظة العربية البدوية القديمة فاستحالت شيئا آخر يقتضيه الدين والبيئة الجديدة[١].

لقد أكدت الأحاديث النبوية هذه الحقيقة وسجلت لنا كتب الحديث الجامعة ألواناً من الألفاظ المنقولة المعنى بسبب الحديث، ومنها: الاحتساب والبدعة والشبهة والرخصة والبخيل والمفلس والغرباء إلى غير ذلك من الألفاظ التي ستثبت هذه الدراسة أن الأحاديث النبوية قد نقلتها من معانيها اللغوية إلى معانٍ إسلامية جديدة، (فالوضوء) الذي هو من (الوضاءة) وهي الحُسن والنظافة ينتقل من هذا المعنى إلى الدلالة على نوع من الطهارة يفعلها المؤمن قبل الصلاة.

وقد كان الرسول ﷺ يطرح على الصحابة رضوان الله عليهم سؤالا ليخبرهم بالمعنى الجديد الذي أراده للفظ. فيقول عليه الصلاة والسلام: (**ماتعدون الصرعة فيكم؟** قال: (**هو الذي يملك نفسه عند الغضب**)[٢]. فنقله إلى الذي يغلب نفسه عند الغضب ويقهرها، فإنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه.

وقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) عندما يلقي عليهم الرسول ﷺ سؤالا فإنهم يتوقعون تغييرا للفظ الذي يعهدونه أو المعنى الذي يفهمونه من اللفظ، من ذلك

---

(١) الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية: محمد ضاري حمادي، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) صحيح البخاري: ٧٨ كتاب الأدب -٧٥ باب مايجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى، حديث (٦١١٤).

ومسلم: ٤٥ كتاب البر والصلة والآداب - ٣٠ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، حديث ١٠٧ (٢٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ماروواه أبو بكرة عن أبيه رضي الله عنهما ذكر النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك بخطامه -أو بزمامه- قال: **أي يوم هذا؟** فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال: **أليس يوم النحر؟** قلنا: بلى، قال: **فأي شهر هذا؟** فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: **أليس بذي الحجة؟** قلنا: بلى. قال: **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يُبَلّغ من هو أوعى له منه)**[1].

وهذا التغيير في اللفظ أو المعنى هو الذي كَوّن لنا تلك الثروة اللغوية التي نُطْلِق عليها الألفاظ الإسلامية.

وسواء كانت الألفاظ الإسلامية ناتجة عن نقل اللفظ من معنى إلى آخر، وهو الأغلب عليها كما ستثبت هذه الدراسة أو كانت ناتجة عن وضع اللفظ وضعا عن طريق الارتجال أو النحت أو القياس أو الاشتقاق، فإن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو:

ماالمراد بالألفاظ الإسلامية؟ وما حقيقتها؟

إن اللفظ أو الكلمة حينما توضع لتدل على شيء تسمى حقيقة، واشتقاقها من الحق في اللغة وهو الثابت،... فالحق هو المستقرّ الثابت الذي لازوال له، فلما كانت موضوعة على استعمالها في الأصل قيل لها حقيقة، أي: ثابتة على أصلها لاتزايله ولا تفارقه (ووزنها فعيلة) كعفيفة وشريفة، وقد تكون بمعنى الفاعل، أي حاقّةٌ ثابتة، وقد تكون بمعنى المفعول أي محقوقة مثبتةٌ[2]. قال ابن جني: (الحقيقة ماأُقرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ماكان بضد ذلك، وإنما يقع المجاز ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثةٍ وهي الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كان الحقيقة)[3].

وعرَّفها ابن فارس بقوله: (الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل

---

(١) صحيح البخاري: ٣ كتاب العلم - ٩ باب قول النبي ﷺ (رب مبلّغ أوعى من سامع)، حديث (٦٧).
ومسلم: ٢٨ كتاب القسامة - ٩ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث ٢٩ (١٦٧٩) وهذا لفظ البخاري.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، مراجعة وضبط جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جـ١، ص ٤٦.

(٣) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج٢ص ٤٤٢.

ولا تقديم فيه ولا تأخير كقول القائل: أحمد الله على نعمه وإحسانه)[1].

(وهذه التعريفات وغيرها تؤدي إلى معنى واحد، وهو أن الحقيقة استعمال اللفظة في وضعها الأول بحيث لايتبادر إلى الذهن غير ذلك حينما تطلق، كاستعمال (القلم) للدلالة على آلة الكتابة، واستعمال (القمر) للدلالة على الكوكب المعروف، ويسمى هذا النوع (الحقيقة اللغوية)، لأن الألفاظ تستعمل بمعناها الأول، أو (الاسم الأصلي)؛ لأنه أصل فيما هو موضوع له) [2].

والنوع الثاني من الحقيقة هو (الحقيقة العرفية) وهي التي نُقلت فيها الألفاظ من مسماها اللغوي إلى غيره بعرف الاستعمال، وذلك العرف قد يكون عاما كاستعمال لفظة (الجن) للدلالة على بعض مَنْ يستتر عن العيون، و (القارورة) للدلالة على بعض الآنية دون غيرها مما يستقر فيه، وقد يكون العرف خاصاً، وهو ماكان جاريا على ألسنة العلماء من المصطلحات التي تخص كل علم نحو مايجريه أهل العلوم في كتبهم، وما يصطنعه أهل الحرف والصناعات في أعمالهم[3].

ولكل نوع من هذه الأنواع أهمية في التعبير، فالحقيقة اللغوية هي المعَوّل عليها في كلام الناس وكتبهم العامة، والحقيقة العرفية هي أساس المصطلحات العلمية في كل فرع من فروع العلم والمعرفة، وفيما يُتّفق عليه في بيئة من البيئات أو في عهد من العهود[4].

أما القسم الثالث فهو (الحقيقة الشرعية) التي عَرّفها البلاغيون والأصوليون بقولهم: (هي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ماكانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي). وتنقسم إلى أسماء شرعية، وهي التي لاتفيد مدحا ولا ذمًّا عند إطلاقها كالصلاة والزكاة والحج، وسائر الأسماء الشرعية، وإلى دينية تفيد مدحا وذما، وهذا نحو قولنا مسلم، ومؤمن، وكافر، وفاسق إلى غير ذلك من الأسماء الدينية[5].

وهذا النوع من الحقيقة هو الذي نُطلق عليه الألفاظ الإسلامية والتي نقلها الإسلام

(١) الصاحبي: ابن فارس، ص ٣٢١.

(٢) مقالة الحقيقة الشرعية وتنمية اللغة العربية: أحمد مطلوب، ص ٣٢٠.

(٣) الطراز: يحيى بن حمزة، جـ١، ص ٥١:٥٣. بتصرف.

(٤) مقالة الحقيقة الشرعية وتنمية اللغة العربية: أحمد مطلوب، ص ٣٢١.

(٥) الطراز: يحيى بن حمزة: جـ١، ص ٥٥.

من معانيها اللغوية إلى معانيها الشرعية، وقد أشـار إليها ابن فـارس في نصه القيّم الـذي يتخذه الدارسون شاهدا على التغيير الذي حـدث لمعـاني الألفـاظ في الإسـلام، يقـول ابن فارس في باب الأسباب الإسلامية: (كانت العرب في جاهليتها على إرْث من إرْث آبـائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحـوال، ونُسِخَت ديانات، وأُبْطِلت أمور، ونُقِلت مـن اللغـة ألفـاظ عـن مواضـع إلى مواضـع أُخـرْ بزيادات زيدت، وشرائع شرعت وشرائط شرطت، فعفى الآخرُ الأوّلَ، وشغل القوم -بعد المُغاورات والتجارات، وتطلب الأرباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيـف، وبعـد الإغرام بالصيد والمُعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لايأتيه البـاطل مـن بـين يديـه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبالتفقه في دين الله عز وجل، وحِفْظ سـنن رسـول الله ﷺ، مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام)[1].

ثم أخذ ابن فارس يذكر أمثلة لما جَدّ في الإسلام من معان يقول: (فكان مما جـاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العـرب إنمـا عرفـت المؤمـن مـن الأمـان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشـريعة شـرائط وأوصافـا بهـا سُـمِي المؤمـن بـالإطلاق مؤمنا)[2].

ومضى يذكر بعض الألفاظ التي تغيرت معانيها في الإسـلام، فذكـر المسـلم والكـافر والمنافق والفسق والصلاة والصيام والحج، إلى أن ينتهي إلى لفظ الزكـاة فيقـول: (وكذلـك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا مـن ناحيـة النمـاء، وزاد الشـرع مـازاده فيهـا ممـا لاوجـه لإطالة الباب بذكره، وعلى هذا سائر ماتركنـا ذكـره مـن العمـرة والجهـاد وسـائر أبـواب الفقه، فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقـول: في الصـلاة اسمـان: لغـوي وشـرعي، ويذكر ماكانت العرب تعرفه، ثم ماجاء الإسلام به، وهو قياس ماتركنـا ذكـره مـن سـائر العلوم، كالنحو والعروض والشعر: كل ذلك له اسمان: لغوي وصناعي)[3].

وقد سمى الباحثون هذه الأسماء التي استحدثها القرآن اسما إسلاميًّا، قال ابن فـارس: وقد كانت حدثت في صدر الإسلام من أهل الجاهلية (مُخضْرم).

(١) الصاحبي: ابن فارس، ص ٧٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٨٣.

(٣) الصاحبي: ابن فارس، ص ٨٦.

وسمى أبو حاتم الرازي كتابه الذي جمع فيه هذه الألفاظ الإسلامية (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية).

يتبين مما سبق أن الأسماء الشرعية أو الحقيقة الشرعية هي ماأردته بالألفاظ الإسلامية، تلك الألفاظ التي استعملتها الأحاديث النبوية في معانٍ غير المعاني التي كانت لها في العصر الجاهلي، وأصبحت تدل على معانٍ شرعية، لكن خلافاً مُتسعاً قد وقع بين العلماء في حقيقة التبدل الجوهري في معاني هذه الكلمات، وهل تم نقلها من اللغة إلى الشرع، أو هي باقية على وضعها اللغوي وإنما اختصت بمعنى من معانيها الأصلية.

قال ابن برهان في كتابه في الأصول: (اختلف العلماء في الأسامي، هل نقلت من اللغة إلى الشرع؟ فذهبت الفقهاء والمعتزلة إلى أن من الأسامي مانقل كالصوم والصلاة والزكاة والحج، وقال القاضي أبو بكر: الأسماء باقية على وضعها اللغوي غير منقولة. قال ابن برهان: والأول هو الصحيح، وهو أن رسول الله ﷺ نقلها من اللغة إلى الشرع ولا تخرج بهذا النقل عن أحد قسمي كلام العرب وهو المجاز. وكذلك كل مااستحدثه أهل العلوم والصناعات من الأسامي، كأهل العروض، والنحو، والفقه، وتسميتهم النقض والمنع والكسر والقلب وغير ذلك، والرفع والنصب والخفض، والمديد والطويل.

قال: وصاحب الشرع إذا أتى بهذه الغرائب التي اشتملت الشريعة عليها من علوم حَارَ الأولون والآخرون في معرفتها مما لم يخطر ببال العرب، فلابد من أسامٍ تدل على تلك المعاني)[1].

(وقد ثار هذا الخلاف أيضا بين الأصوليين حول ماإذا كانت تلك الألفاظ قد نقلت عن وضعها اللغوي دون أي ملاحظة لذلك الوضع، وأصبح لها وضع شرعي جديد، أو استعملها الشارع في معناها اللغوي دون أن ينقلها ولا أن يتصرف فيها من ناحية الوضع، بل تصرف في الشروط التي تجعلها مناسبة لتلك التسمية الجديدة، أو أن الشارع تصرف فيها واستعملها عن طريق التجوز بتقييدها بشروط معينة، وكثر دورانها على أَلْسِنة أهل الشرع، فاكتسبت عرفية شرعية، وشرع كل فريق يسوق من الأدلة ماينـاصر وجهته، إلا

---

(١) المزهر: جـ١، ص ٢٩٨، ٢٩٩.

أن الإمام الغزالي قد اختار طريقاً وسطا بين تلك الآراء[1]، يظهر في قوله: (والمختار عندنا أنه لاسبيل إلى إنكار تصرف الشرع في هذه الأسامي، ولا سبيل إلى دعوى كونها منقولة عن اللغة بالكلية كما ظنه قوم، ولكن عُرْف اللغة تصرف في الأسامي.... فتصرف الشرع في الحج والصوم ..... إذ للشرع عرف في الاستعمال كما للعرب)[2].

فلفظ الصلاة عبارة عن الدعاء بالمعنى اللغوي، والصوم عبارة عن الإمساك.. ولكن الشارع قد اشترط في تلك المطلقات أمورا تنضم إليها كانضمام الركوع والسجود إلى الدعاء في الصلاة وانضمام شروط معينة إلى الإمساك في الصوم.

ويعلق الدكتور السيد أحمد عبدالغفار على رأي الغزالي فيقول: (واتجاه الغزالي اتجاه مقبول، إذ إن تلك الألفاظ كانت تحمل دلالات لغوية خاصة بها قبل الإسلام، ولكنها بعد الإسلام أصبحت تكتنفها دلالات أخرى، إلا أن تلك الدلالات الجديدة لاتخلو من مناسبة تجمع بين هاتين الدلالتين (الدلالة اللغوية، والدلالة الشرعية) وعلى هذا اشتهر اللفظ في الاستعمال الشرعي حتى أصبح مفيدا، من غير حاجة إلى قرينة توضحه)[3].

وإذا كانت آراء العلماء قد تباينت في حقيقة هذا التبدل حتى اعتقدوا أن صاحب الشريعة نقل هذه الأسماء ووضعها لهذه المعاني بوضع جديد كمولود يولد، فيوضع له اسم يعرف بين الناس، فيكون استعمال (الصلاة) في العبادة المخصوصة لأول مرة من قبيل الحقيقة الشرعية.

ويرى الدكتور محمد ضاري حمادي أنه لاحاجة لهذا الاختلاف والتشعب، ويكفي أن يقال بأن كلام العرب لايخرج عن أحد قسمين: حقيقة ومجاز، وأن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة[4].

ولعلنا في هذا البحث نستطيع أن نستنطق الألفاظ ونرى حقيقة هذا التبدل، ومدى

---

(١) التصور اللغوي عند الأصوليين: السيد أحمد عبدالغفار، شركة مكتبات عكاظ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٧٨، ٧٩.

(٢) المستصفى من علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، جـ١، ص ٤٤٠، ٣٣١.

(٣) التصور اللغوي عند الأصوليين: السيد أحمد عبدالغفار، ص ٧٩.

(٤) الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية: محمد ضاري حمادي، ص ١٣٠.

الارتباط بين المعاني اللغوية للألفاظ في الشعر الجاهلي وبين معانيها في الحديث النبوي، ولتتضح لنا الألفاظ والمعاني التي أضافها الحديث النبوي والتي استطعنا من خلالها أن نسمي تلك الألفاظ بالألفاظ الإسلامية، والتي تدخل في إطار مايسمى بالحقيقة الشرعية.

وقبل الخوض في معرفة المراد بالحديث النبوي من جهة الاصطلاح لابد من معرفة المعنى اللغوي لكلمة حديث، والتي تَبَيّن من معاجم اللغة أنها تدور حول عدة معانٍ منها:

الحديث: مايحدِّث به المُحدّث تحديثا، وقد حدثه الحديث وحدثه به، ورجل حَدِث، وحِدْث، وحِدِّيث، ومُحَدِّث بمعنى واحد: كثير الحديث، حسن السياق له، وفلان حِدْثُك أي مُحَدِّثك، والقوم يتحادثون ويَتَحدَّثون[1].

قال عمرو بن الأهتم[2]:

فلمَّا أن تسايرنا قليلا أَذِنَّ إلى الحديث فَهُنَّ صُورُ

أسف لفراق حبيبته، ووصف ظعنها وكيف لحقهن بناقته وأصغين إلى حديثه ومعنى أذِنَّ أي سمعن حديثه. والصور جمع أصور وهو المائل).

والحديث: الخبر يأتي على القليل والكثير، ويجمع على أحاديث على غير قياس[3].

قال ابن منظور: والجمع أحاديث: كقطيع وأقاطيع، وهو شاذ على غير قياس، وقد قالوا في جمعه: حِدْثانٌ وحُدْثان، وهو قليل، وأنشد الأصمعي[4]:

تُلَهِّي المَرْءَ بالحِدْثَانِ لَهْواً وَتَحْدِجُه كما حُدِجَ المُطِيقُ

وورد اللفظ في القرآن الكريم دالاً على هذين المعنيين. فالحديث الكلام الذي

---

(١) لسان العرب: ابن منظور، مادة (حدث) جـ٢، ص ٧٩٧، ٧٩٨.

(٢) المفضليات: ص ٤٠٩.

(٣) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م. مادة (حدث) جـ١، ص ٢٧٩.

(٤) لسان العرب: ابن منظور، مادة (حدث) جـ٢، ص ٧٩٧.

يُتَحَدّثُ به، قال تعالى[1]: ﴿**ومن أصدق من ا لله حديثا**﴾. أي قولا.

وقال تعالى[2]: ﴿**يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون ا لله حديثا**﴾ وقوله تعالى: ﴿**لايكتمون الله حديثا**﴾ إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع مافعلوه ولا يكتمون منه شيئا[3].

قال الأصفهاني: وكل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث[4]، قال عز وجل[5]: ﴿**وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا**﴾. وقال عز وجل[6]: ﴿**وعلمتني من تأويل الأحاديث**﴾ أي مايُحَدَّثُ به الإنسان في نومه[7].

وأطلقت الأحاديث على الرؤى، والأحلام؛ لأن النفس تحدَّث بها في منامها.

وجاء في القرآن[8] أيضا بمعنى القصص ذات العبر، قال تعالى[9]: ﴿**ا لله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها**﴾ أي أحسن القصص. وجاء أيضاً بمعنى القرآن العظيم[10]. قال تعالى[11]: ﴿**فليأتوا بحديث مثله**﴾ وتخصص اللفظ في الحديث النبوي حيث أصبح يدل على أقوال الرسول ﷺ، فعن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يُبَلِّغه، فَرُبَّ حامِلِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقه منه، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه**)[12]. فسمى الرسول ﷺ كلامه حديثا.

---

(١) سورة النساء آية ٨٧.

(٢) سورة النساء آية ٤٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مركز الحرمين، دار الغد العربي، القاهرة، جـ١، ص ٤٩٩.

(٤) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ص ١١٠.

(٥) سورة التحريم آية: ٣.

(٦) سورة يوسف آية ١٠١.

(٧) المفردات: الأصفهاني، ص ١١٠.

(٨) المرجع السابق.

(٩) سورة الزمر آية ٢٣.

(١٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، جـ٢ ص ٤٣٩.

(١١) سورة الطور آية ٢٤.

(١٢) سنن أبي داود، ١٩- كتاب العلم - ١٠ باب فضل نشر العلم، حديث (٣٦٦٠). =

وجاء اللفظ مُعَرفاً بأل مطلقا دالاً على أقواله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: (**لقد ظننت ياأبا هريرة أن لايسألني عن هذا الحديث أحد أوَّل منك لِمَا رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مَنْ قال لا إله إلا الله خالصا من قبله أو نفسه**)[1].

ورد هذا الحديث في صحيح البخاري في كتاب (العلم) باب (الحرص على الحديث). قال ابن حجر قوله: (باب الحرص على الحديث) المراد بالحديث في عُرْفِ الشرع مايضاف إلى النبي ﷺ وكأنه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم[2].

ومن هنا يتبين أن لفظ (حديث) انتقل من معناه اللغوي إلى معناه الشرعي بقول رسول الله ﷺ حيث خصصه في الدلالة على مايضاف إليه ﷺ.

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: (الحديث ماجاء عن النبي ﷺ).

وقال أيضا: (المراد بالحديث في عرف الشرع: (مايضاف إلى النبي ﷺ).

وقال الكتاني -رحمه الله-: (واعلم أن الحديث لدى مَنْ يقول إنه أعم من السنة هو العلم المشتمل على نقل مأضيف إلى النبي ﷺ أو إلى صحابي أو إلى مَنْ دونه من الأقوال والأفعال والتقارير والأحوال والسير والأيام حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام، وأسانيد ذلك وروايته وضبطه وتحرير ألفاظه وشرح معانيه)[3].

وقال التهانوي -رحمه الله-، الحديث (في اصطلاح المحدثين قول الرسول ﷺ وحكاية فعله وتقريره، وفي الخلاصة: أو قول الصحابي والتابعي، وقال في خلاصة الخلاصة: قول الصحابة والتابعين والمروي عن آثارهم).

= والترمذي: ٤٢ كتاب العلم -٧ باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع، حديث (٢٦٥٦).

والنسائي في السنن الكبرى: كتاب العلم - ٨ الحث على إبلاغ العلم، حديث (٥٨٤٧).

وابن ماجة: المقدمة - ١٨ باب من بلّغ علماً، حديث (٢٣٠) وقال الترمذي: (حديث حسن).

(١) صحيح البخاري: ١٩ كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، حديث (٩٩).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، جـ١، ص ١٩٣.

(٣) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، كتب مقدماتها ووضع فهارسها محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ٣.

يتبين من هذه الأقوال العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، فحديث النبي ﷺ يأتي على القليل والكثير من كلامه ﷺ، والحديث مايُحدِّث به المحدِّث تحديثاً، وأحاديث النبي ﷺ هي ماحدث به عليه الصلاة والسلام صحابته بقوله، وما بلغوه -رضي الله عنهم- للناس من فعله وتقريره وأخلاقه وسلوكه وحركاته عليه الصلاة والسلام في يقظته ومنامه. وهذا تخصيصٌ للفظ ونقل له إلى معناه الشرعي الاصطلاحي.

ودلت أقوال العلماء على أن الحديث يدخل فيه أقوال النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وهذا هو المعتد به في هذا البحث، حيث شملت الدراسة شيئا من أقواله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وبخاصة في نقل أفعاله ﷺ وتقريراته.

الباب الثاني

ألفاظ العبادات

الفصل الأول: ألفاظ الطهارة

الفصل الثاني: ألفاظ الأذان والإقامة

الفصل الثالث: ألفاظ الصلاة

الفصل الرابع: ألفاظ الصوم

الفصل الخامس: ألفاظ الزكاة والصدقة

الفصل السادس: ألفاظ الحج

أرسل الله محمداً ﷺ بالإسلام، ونشر أحكامه وشرائعه، وعلم الناس العبادات التي كلفهم الله بها، وأبطل ماكانت عليه العرب في جاهليتها من عقائد فاسدة، وعبادات محرّفة باطلة. وكان لابد لهذه العبادات من ألفاظ تعبر عنها، وهي وإن كانت من لغة العربي إلا أن لها دلالات لاعهد لهم بها، وقد جاءت هذه الألفاظ في أقواله ﷺ وهو يفسِّر ويفصل ماأجمله القرآن الكريم من أحكام العبادات، فبين عليه السلام الأحكام المرتبطة بالطهارة التي لم ترد في القرآن كالاستنجاء والاستجمار والاستطابة والوضوء، كما بيّن عليه السلام الأمور المتعلقة بالنداء للصلاة كالأذان والتثويب والإقامة والإمامة. وفصل في أحكام الصلاة التي جاء الأمر بها في القرآن، ثم جاءت الأحاديث لتحدد الصلوات المفروضة وعدد ركعاتها وأوقاتها، فجاءت الألفاظ المعبرة عن هذا كله كلفظ فريضة ومكتوبة وأسماء الصلوات الخمس. وكذلك الشأن في الصوم، فالسحور والفطور ويوم الفطر ألفاظ عرفناها من أحاديثه ﷺ. وكذلك الحال في الزكاة والحج، فلكل منهما ألفاظ تعبر عن الأحكام المتعلقة بهما، والتي سأدرسها في هذا الباب بعون الله تعالى، والذي خصصته لألفاظ العبادات التي لم تَرِد في القرآن أو أضاف لها الحديث دلالات أخرى غير التي كانت عليها في القرآن الكريم؛ لمعرفة الدلالات الجديدة التي حملتها، وكيف انتقلت من معانيها اللغوية إلى معانيها الشرعية، وما مظاهر التغير الدلالي التي خضعت لها.

وقد قسمت هذا الباب إلى ستة فصول:

الفصل الأول: ألفاظ الطهارة.

الفصل الثاني: ألفاظ الأذان والإقامة والإمامة

الفصل الثالث: ألفاظ الصلاة.

الفصل الرابع: ألفاظ الصوم

الفصل الخامس: ألفاظ الزكاة والصدقة

الفصل السادس: ألفاظ الحج

الفصل الأول

ألفاظ الطهارة

الاستنجاء

معنى نجوت الشيء خلّصته، وألقيته[1].

لم أجد لفظ (الاستنجاء) فيما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي ووجدت من مادته (نَجَاء) بمعنى السحاب، من ذلك قول تأبط شراً[2]:

بِهِ مِن نِجَاءِ الدَّلْوِ بِيضٌ أَقَرَّهَا ... جُبَارٌ، لِصُمِّ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَاقِرُ

النَّجاء: جمع نَجْو وهو السحاب الذي هراق ماءه ثم مضى، وقيل هو السحاب أول ماينشأ.

ويَنْجو: يسرع، من ذلك قول تأبط شرا[3]:

فَأَدبَرْتُ لاينجُو نَجَائِيَ نِقْنِقٌ ... يُبَادِرُ فَرْخَيْهِ شَمالاً وَدَاجِنَا

ومعنى لاينجو نجائي: أي لايسرع سرعتي (نقنق) وهو الذَّكر من النعام، وهو من أعدى الحيوانات.

والنجوة والنجاة: ماارتفع من الأرض فلم يعله السيل فظننته نجاءَك والجمع نجاءٌ. قال

(١) لسان العرب: مادة (نجا) جـ ٦، ص ٤٣٥٩، ٤٣٦٠.

(٢) ديوان تأبط شراً وأخباره: تحقيق علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٩٥.

تأبط شرا: اسمه ثابت وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان بن عميل بن عدي، وأمه أميمة من قين بطن من فهم، وقيل ثابت بن عَمْل، كان ابن طرفة الهذلي، وهو أعلمهم بتأبط شراً وأمره، يقول: هو ثابت بن جابر، وكان شاعراً بئيساً يغزو على رجليه وفي تلقيبه بتأبط شرا أربعة أقوال أشهرها أنه تأبط سيفا وخرج فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: لاأدري، تأبط شرا وخرج.

الشعر والشعراء: ٣١٨. وبلوغ الأرب جـ ٢ ص ٣٤٥.

(٣) ديوان تأبط شراً، ص ٢١٦.

زهير بن أبي سلمى[١]:

وَغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ حُوٌّ تِلاَعُهُ أَجَابَتْ رَوَابِيهِ النَّجَا وَهَوَاطِلُهْ

وقوله: وغيث من الوسمي: أراد نبتا من غيث الوسمي فسمى النبت غيثا لأنه عنه يكون، والروابي ماارتفع من الأرض، وكذلك (النجا) أراد به جمع نجوة وهي ماارتفع من الأرض، وقصر النجاء ضرورة وهي تبيين للروابي، كالنعت، والمعنى أجابت روابيه النجاء بالنبت وأجابت هواطله بالمطر.

ومعنى النجاء في اللغة: الخلاص من الشيء، نَجا يَنْجُو نَجْواً ونَجاءً، ممدود ونجاةً، مقصور[٢]. قال عدي بن زيد[٣]:

أَيْنَ أَيْنَ الفِرارُ مِمَّا سَيَأْتِي لاأَرَى طَائِراً نَجَا أَنْ يَطِيْرَا

وقال بشر بن أبي خازم[٤]:

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشباني ثعلب، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية، الدار القومية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م. ص .

زهير بن أبي سلمى: زهير بن ربيعة بن قرط، ينسب إلى مزينة، والصحيح نسبته إلى غطفان، كان يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث. وهو أحد الأربعة الذين وقع عليهم الاتفاق على أنهم أشعر العرب، وكان يقال: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب.

وكان زهير جاهليا لم يدرك الإسلام، وأدركه ابناه كعب وبجير.

طبقات فحول الشعراء: ٦٣. والشعر والشعراء: ١٤٣. والمؤتلف والمختلف: ٣١٩، ٣٢٧. وبلوغ الأرب جـ٣ ص ٩٧، ٩٨.

(٢) لسان العرب: مادة (نجا) جـ٦، ص ٤٣٥٩.

(٣) ديوان عدي بن زيد العبادي. تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م، ص ٦٥.

عدي بن زيد بن حماد بن أيوب، من زيد مناة بن تميم، يكنى أبا عمير، نصراني عبادي، سكن الحيرة، وكان كاتبا لكسرى. نادمه النعمان بن المنذر زمنا ثم قتله. (والعباد: قوم من قبائل شتى من العرب، اجتمعوا على النصرانية، فأنفوا أن يسموا العبيد فقالوا: نحن العباد).

الشعراء والشعراء: ٢٣١. ومعجم الشعراء: ٢٤٩.

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق عزه حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م، ص ٧٩.

ولا يُنجِي مِن الغَمَرات إلاّ بُرَاكَاءُ القِتَالِ أوِ الفِرارُ

ونجّاه خلّصه مما يكره، قال بشر بن أبي خازم[1]:

أمّا طُفَيْلٌ فَنَجَّاهُ أَخُو ثِقَةٍ مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَعْدُوا وَهْوَ مُشْتَرِفُ

يقول إن الذي نجّى طفيلاً وهو أبو عامر بن الطفيل الفارس المشهور فرس يوثق به من نسل أعوج، وأعوج فرس عتيق كريم منه أنجبت خيول العرب، وعامة جيادها تنسب إليه.

وقال عبيد بن الأبرص[2]:

وَرَكْضُكَ لَوْلاهُ لقيتُ الّذي لَقُوا فَذَاك الّذي نجّاك مِمّا هُنَالِكَا

فالمعنى اللغوي الذي دارت حوله مادة اللفظ (الاستنجاء) هو الخلاص مما يكرهه الإنسان.

و لم يرد اللفظ أيضاً في القرآن، ولا فِعْلُه استنجى، وإنما ورد نَجَا ونَجَّى وأَنْجَى ومصادر هذه الأفعال. و لم تخرج عن معناها اللغوي، وهو الخلاص مما يكره الإنسان. فنجّاه تنجية خلّصه مما يكره وأنقذه[3]. قال تعالى[4]: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ

= بشر بن أبي خازم الأسدي، جاهلي قديم، شهد حرب أسد وطيء، وشهد هو وابنه نوفل الحلف بينهما. قال أبو عمرو بن العلاء: فحلان من الشعراء كانا يقويان، النابغة وبشر بن أبي خازم.

الشعر والشعراء: ٢٧٦-٢٧٧. والمؤتلف والمختلف: ٦٠. ومعجم الشعراء: ٢٢٢.

(١) ديوان بشرن بن أبي خازم الأسدي، ص ١٤٠.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص: تحقيق وشرح حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م، ص ٩٤.

عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر بن أسد بن خزيمة، الشاعر المشهور، جاهلي قديم من المعمرين، كان من فحول العرب وشعرائها المفلقين، شهد مقتل حجر أبي امرئ القيس وقتله المنذر بن ماء السماء.

طبقات فحول الشعراء: ١٣٩. والشعر والشعراء: ٢٧٣. والمؤتلف والمختلف: ٥٠، ١٥٣، وبلوغ الأرب: جـ٣ ص ١٠٧.

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، دار الشروق، ص ٦٤٦.

(٤) سورة هود، آية ٥٨.

ءَامَنُواْمَعَهُۥ﴾.

ويقال: نَجَاه ينْجُوه نَجْواً: سارّه وخَصَّه بـالحديث، وتنـاجى الرجـلان: أفضـى كـل منهما إلى الآخر بما عنده من حديث يخصه به ويكتمه غيره[1]. قال تعالى[2]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝﴾.

أما الأحاديث النبوية فقد ورد فيها لفظ (استنجى)، من ذلك مارواه أبو داود في سننه عن رويفع بن ثابت قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(يارُوَيفع لعل الحياةَ ستَطولُ بِك بعدي فأخْبِر النَّاس أنه من عَقَد لحيته أو تَقلَّد وترا أو استنجى برَجيع دابة أو عَظْم، فإن محمدا ﷺ منه بَريء)**[3].

(والاستنجاء هنا هو التمسح بالأحجار، وأصله من النجوة، وهو ارتفاع الأرض، وكان الرجل إذا أراد قضاء حاجته تستّر بنجوة فقالوا: ذهب يتغوَّط إذا أتى الغائط وهو المطمئن من الأرض لقضاء الحاجة، واشتق منه: قد استنجى إذا مسح موضعه أو غسله)[4]. وعلى هذا يكون الاستنجاء بالماء أو بالحجارة كأنه يقطع الأذى عنه بالماء أو الحجر يتمسح به. قال ابن الأثير: (والاستنجاء هو استخراج النجو من البطن. وقيل: هو إزالته عن بدنه بالغسل والمسح. وقيل: هو من نَجوت الشجرة وأنْجيتُها: إذا قطعْتَها. كأنه قطع الأذى عن نفسه. وقيل: هو من النجوة وهو ماارتفع من الأرض. كأنه يطلبها ليجلس تحتها[5].

وهنا نلحظ كيف تخصصت دائرة المعنى وانحصرت في الدلالة على فعل معين يتخلص به الإنسان مما يكره من الدنس والقذارة، فبعد أن كان اللفظ يدل على التخلص مما يكرهه الإنسان خصصه الحديث ليدل على استخراج النجو من البطن وإزالته عن بدنه

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٦٤٦، ٦٤٨.

(٢) سورة المجادلة، آية ٩.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطهارة ١- باب ماينهىعنه أن يستنجى به، ٢٠، حديث (٣٦)، وسنن النسائي: كتاب الزينة ٤٨- باب عقد اللحية ١٢، حديث (٥٠٦٧).

(٤) غريب الحديث: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وضع فهارسه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، جـ١، ص ١١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ٥ ص ٢٦.

بالغسل والمسح، فأصبح لفظاً إسلامياً يدل على نوع من أنواع الطهارة من الحدث والتي أوجبها ا لله على المسلم.

وعبّر الحديث عن الاستنجاء بلفظ آخر هو انتقاص الماء، فعن عائشة رضي ا لله عنها قالت: قال رسول ا لله ﷺ: (**عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء). قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. زاد قتيبة قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء**)[1].

قال ابن الأثير في بيان معنى الاستنجاء: (انتقاص الماء، يريد انتقاص البول بالماء إذا غسل المذاكير به. وقيل: هو الانتضاح بالماء، ويُروى بالفاء[2]. والمشهور في الرواية بالقاف.. وقيل: الصواب بالفاء، والمراد نضحه على الذكر من قولهم لِنَضْح الدم القليل: نُفَضَه وجمعها نُفَض)[3].

وهنا نستطيع القول: بالترادف بين اللفظين (الاستنجاء وانتقاص الماء) لدلالة كل منهما على غسل محل البول والغائط بالماء، ولكن نلمح فرقاً بسيطاً في الدلالة في قول القائل: بأن انتقاص الماء هو الانتضاح بالماء، وهذا مايدعو إلى القول بعدم الترادف التام بين اللفظين.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، ٢- باب خصال الفطرة ١٦، حديث (٢٦١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ ٥، ص ١٠٧.

(٣) المرجع السابق: جـ ٥، ص ٩٧.

الاستجمار

لم يرد اللفظ فيما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي، وورد من مادته (الجمار)، أي المجتمعون، ومن ذلك قول الأعشى[(١)]:

فَمَنْ مُبْلِغٌ وَائِلاً قَوْمَنَا وَأَعْنِي بِذَلِكَ بَكْراً جِمَاراً

وجمرة الحرب شدتها، قال تأبط شرا[(٢)]:

وهم أسْلَمُوكم يومَ نَعْفِ مُرَامِرٍ وقد شمَّرَتْ عن سَاقِها جَمْرَةُ الحَرْبِ

والجمار: هي الأحجار الصغار، ومنه سميت جمار الحج للحصى التي ترمى بها، ومنه قول الشنفرى الأزدي[(٣)]:

قَتَلْنَا قَتِيْلاً مُهْدِيا بِمُلَبِّدٍ جِمارَ مِنى وَسْطَ الحجِيجِ الْمُصَوِّتِ

(١) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: شرح وتعليق م. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، ص ٤٩.
أعشى بني قيس من ثعلبة، واسمه ميمون بن قيس بن وائل الشاعر المشهور المقدم، وهو أحد الأربعة الذين وقع الاتفاق على أنهم أشعر العرب، كان جاهليا قديما، يقال: إنه كان نصرانيا وأدرك المبعث ومدح النبي ﷺ، ورحل إليه ليسلم ثم رجع ولم يتوفق للإسلام.
طبقات فحول الشعراء: ٦٥. والشعر والشعراء: ٢٦٣. والمؤتلف والمختلف: ١٢، ومعجم الشعراء: ٤٠١-٤٠٢. بلوغ الأرب: جـ٣ ص ١٢٩.

(٢) ديوان تأبط شرا: ص ٦٦.

(٣) المفضليات: ص ١١١.
ثابت بن أوس الأزدي اليمني، لقب الشنفري لضخامة شفتيه أو لحدته. كان من الفرسان المشهورين والشعراء المفلقين، وكان من عدائي العرب وفيه جرى المثل فقيل (أعدى من الشنفري) عاش في القرن السادس للمسيح، كان رفيق تأبط شرا في كثير من غزواته، وتوفي قبله.
تاريخ آداب العرب: ١٠٥. بلوغ الأرب: جـ٢ ص ١٤٣.

ولم يرد اللفظ ولا مادته في القرآن الكريم، وكثر وروده في الحديث النبوي، من ذلك ماأورده مسلم في صحيحه عن أبي هريرة يبلُغ به النبي ﷺ قال: (**إذا اسْتَجمر أحدكم فليَسْتَجمِر وِترا وإذا تَوَضَأ أحدكم فليَجعلْ في أَنفِه ماء ثم لِيَنْثُر**)[1].

والاستجمار: مسح محل البول والغائط بالجمار، وهي الأحجار الصغار، قال العلماء: يقال: الاستطابة، والاستجمار والاستنجاء لتطهير محل البول والغائط، فأما الاستجمار فَمُخْتص بالمسح بالأحجار، وأما الاستطابة والاستنجاء فيكونان بالماء ويكونان بالأحجار[2].

والاستجمار يكون وِتْراً، فعن سلمة بن قيس عن رسول الله ﷺ قال: (**إذا استجمرت فأوتر**)[3]. الاستجمار هنا في الحديث هو: الاستنجاء بالحجارة، وقوله: (**فأوتر**) أي تَمَسَّح بالوِتْرِ منها، ثلاث أو خمس[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**مَنْ تَوضأ فليَستَنْثر ومن استَجمَر فَلْيُوتِر**)[5].

وقد دل اللفظ في الحديث خاصة على معنى غير وارد في القرآن الكريم ولا في الشعر الجاهلي، ولكن العلاقة واضحة بين الدلالة الشرعية والدلالة اللغوية، فإن الاستجمار يكون بالجمار وهي الأحجار الصغيرة، وأطلق الاستجمار على استعمال هذه الأحجار لإزالة النجاسة من محل البول أو الغائط، فالاستجمار هو الاستنجاء بالأحجار، وهذا

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ٢ - باب الإيثار في الاستنثار والاستجمار ٨، حديث (٢٣٧)، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ٤- باب الاستجمار وتراً ٢٦، حديث (١٦٢) بلفظ (من استجمر فليوتر).

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي:محيي الدين بن شرف النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، جـ ٣، ص ١١٩.

(٣) سنن الترمذي: أبواب الطهارة، باب ماجاء في المضمضة والاستنشاق ٢١، حديث (٢٧)، وسنن النسائي كتاب الطهارة، باب الرخصة في الاستطابة بحجر واحد ٣٩، حديث (٤٣) وسنن ابن ماجة: كتاب الطهارة وسننها، ١- باب المبالغة في الاستنشاق والاستنثار ٤٤، حديث (٤٠٦) وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: تصنيف أبو منصور الأزهري، تحقيق محمد جبر الألفي، مراجعة محمد بشير الأدلبي، عبدالستار أبو غدة، إدارة الشئون الإسلامية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت،الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٤٦.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الوضوء ٤- باب الاستنثار في الوضوء ٢٥، حديث (٦١)، وصحيح مسلم في كتاب الطهارة ٢- باب الإيثار في الاستنثار والاستجمار ٨، حديث ٢٢ (٢٣٧).

الاستعمال مجـازي والعلاقـة آليـة، فالجمـار هـي الأداة الـتي بواسـطتها يتـم التطهـر وإزالـة النجاسة. أما الهمزة والسين والتاء فتفيد الطلب، فالاستجمار هو طلب هذه الجمار أو هذه الأحجار لإزالة النجاسة والتطهر بها.

الاستطابة

وأصلها من طيب، قال ابن فارس (الطاء والياء والباء) أصل واحد صحيح يدل على خلاف الخبيث، فالطيب ضد الخبيث[1]. وبهذا المعنى ورد لفظ (الطَّيِّب) في الشعر الجاهلي، فالشراب طيب، والطعام طيب، قال كعب بن سعد الغنوي[2]:

أَخو شَتَواتٍ يَعْلَمُ الحَيُّ أَنَّهُ ... سَيكْثُرُ مافي قِدْرِهِ ويَطِيبُ

والرزق طيب، قال السموأل[3]:

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ القَلِيلُ مِنَ الرِّزْ ... قِ وَلا يَنْفَعُ الكَثيرُ الخَبيتُ[4]

والنسب الشريف نسب طيب، قال زهير بن أبي سلمى[5]:

---

(١) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م. مادة (طيب) جـ٣ ص ٤٣٥.

(٢) مختارات ابن الشجري: أبو السعادات هبة الله بن الشجري، ضبطها وشرحها محمود حسن زناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٠م، القسم الأول ، ص ٢٦.

كعب بن سعد الغنوي بن عمرو بن عُقْبة الغَنَوي، ذكره ابن سلام في الشعراء الجاهليين أصحاب المراثي وذكر رثاءه لأخيه أبي المغوار.

طبقات الشعراء: ٢٨.

(٣) ديوان السموأل: صنعة أبي عبدالله نفطويه، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف بغداد، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، ص ٨٢٤.

السموءل بن حبان بن عادياء الغساني: من يهود المدينة، من أهل تيماء، وهو الذي كان امرؤ القيس استودعه سلاحه، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام، وأخذ إبنا له، وهدده بقتله إن لم يدفع إليه دروع امرئ القيس، فقال: ليس إلى دفع الدروع سبيل، فذبح الملك ابنه، ووافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس، ووفى بأمانته.

طبقات فحول الشعراء: ٢٧٩. بلوغ الأرب: جـ١ ص ١٣٦.

(٤) ليس في لغة اليهود ثاء، وإنما يقلبونها تاء. انظر الديوان ص ٢٤.

(٥) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٢٨٢.

قَـومٌ أَبوهُـم سِـنانُ حـينَ تَنْسِـبُهُم طَـابُوا وطَـابَ مـن الأولادِ مـاوَلَدُوا

والأرض الخصبة أرض طيبة، أو هي طيبة لطيب أهلها وشرفهم، قال الأسود بن يعفر[1]:

أَرْضٌ تَوَارَثُهَـا لِطِيْـبِ مَقِيلِهَـا كَعْـبُ بـنُ مَامَـةَ وَابْـنُ أمِّ دُوَادِ

وأطاب الشيء وطيّبه واستطابه: وجده طيبا. وأطاب تكلم بكلام طيب... وأطاب الرجل نفسه فهو مطيب. قال الأعشى[2]:

يَارَخَمـاً قَـاظَ عَلَـى يَنْخُـوبِ يُعْجِـلُ كَـفَّ الخَـارِئِ المُطِيـبِ

و لم يرد لفظ الاستطابة في الشعر الجاهلي ولا في القرآن الكريم، وورد من مادته (الطيب) بالمعنى الحسي والمعنوي، فالطيب ماتستلذه الحواس من الأطعمة والأشربة وغيرها. قال تعالى[3]: ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ والطيب: العمل الصالح. قال تعالى[4]: ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾ أي الأعمال السيئة بالأعمال الصالحة[5].

والصعيد الطيب أي التراب الطاهر الذي لانجاسة فيه قال تعالى[6]: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ وهذا المعنى هو أقرب المعاني للفظ (الاستطابة) الذي استعمله الحديث

(١) شعراء النصرانية في الجاهلية: جمعه ووقف على تصحيح طبعته الأولى الأب لويس شيخو، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، جـ٤ ص ٤٨١.

الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم: يكنى بأبي الجرّاح، وكان الأسود شاعرا فحْلا وكان يكثر التنقُّل في العرب، يجاورهم فيذُمّ ويحمد، جعله ابن سلاّم من شعراء الطبقة الخامسة من الشعراء الجاهليين.

طبقات الشعراء: ص ٣٢، ٣٣.

(٢) ديوان الأعشى الكبير: ص ٢٦٥.

(٣) سورة البقرة آية ١٦٨.

(٤) سورة النساء آية ٢.

(٥) بصائر ذوي التمييز: الفيروزابادي: جـ٣ ص ٥٣١.

(٦) سورة المائدة: آية ٦.

النبوي في الدلالة على الاستنجاء وإزالة الأذى لما في ذلك من التطيب والتطهر. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة**)[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار فليستطب بها، فإنها تجزئ عنه**)[2].

والاستطابة الاستنجاء بالحجارة أو بالماء، يقال للرجل إذا بال أو تغوط ثم تمسح بثلاثة أحجار أو بمدر: قد استطاب فهو مستطيب، وأطاب فهو مطيب)[3].

قال ابن الأثير: الاستطابة والإطابة كناية عن الاستنجاء سمي بها من الطيب لأنه يطيب جسده بإزالة ماعليه من الخبث بالاستنجاء أي يطهره يقال منه أطاب واستطاب[4].

والأفضل في الاستطابة أن تكون بالماء، فعن معاذة عن عائشة قالت: (مُرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فإني أستحييهم، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله)[5]. قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح، وعليه العمل عند أهل العلم فإنهم يختارون الاستنجاء بالماء، وإن كان الاستنجاء بالحجارة يجزئ عندهم، فإنهم استحبوا الاستنجاء بالماء ورأوه أفضل. وبه يقول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق)[6].

فالاستطابة كما وردت خلال التفصيلات التي جاءت بها الأحاديث في موضوع الطهارة تُوقِفنا على مدلول جديد، لم يرد في الشعر الجاهلي ولا في القرآن الكريم، وقد أفادت زيادة الهمزة والسين والتاء على صيغة الفعل طلب الإطابة، وإزالة النجاسة والتطهر،

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الطهارة ١- حديث: ٨

(٢) سنن أبي داود: كتاب الطهارة ١- باب الاستنجاء بالحجارة ٢١، حديث (٤٠).

وسنن النسائي: كتاب الطهارة الاجتزاء في الاستطابة بالحجارة دون غيرها ٤٠، حديث (٤٤).

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ص ٤٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ٣، ص ١٤٩.

(٥) سنن الترمذي: أبواب الطهارة، باب ماجاء في الاستنجاء بالماء ١٥، حديث (١٩)، والحديث أخرجه أيضا النسائي: كتاب الطهارة، الاستنجاء باليمين ٤١، حديث (٤٦).

(٦) المرجع السابق.

فالاستطابة بهذا المعنى أحد الألفاظ التي اضافتها لنا الأحاديث النبوية.

وبهذا يضيف لنا الحديث النبوي استعمالاً جديداً لثلاثة ألفاظ إسلامية لم ترد في القرآن،وقد اشتقت للدلالة على الكيفية التي يتطهر بها المسلم من الحدث، وهي الاستنجاء والاستجمار والاستطابة. والعلاقة واضحة في كل منها بين المعنى اللغوي والشرعي -كما تبين مما سبق- ولكنها جميعا تدل على إزالة النجاسة من محل البول أو الغائط ولاترادف بين هذه الألفاظ. بل إن الحديث استعملها للتفريق بين ماإذا كانت إزالة النجاسة بالتطهر بالماء أم بالحجارة أم بهما معاً، فالاستجمار يشير باشتقاقه من الجمار وهي الأحجار الصغيرة إلا أن المقصود هو الإزالة بالمسح بالأحجار وغيرها مما يقوم مقامها.

أما الاستنجاء والاستطابة فدلالتهما الشرعية واحدة، فكل منهما يدل على التطهر بالماء وبالأحجار، وهنا يمكن القول بالترادف بينهما، ومِمَّا يدل على هذا الترادف أن أصحاب الكتب الستة لم يفرقوا بينهما في الاستعمال، فقد عَنْوَن مسلم في كتاب الطهارة لباب أطلق عليه: (باب الاستطابة)، وأورد في الباب عدة أحاديث كلها عن آداب الاستنجاء، ولم ترد اللفظة في أيٍّ من الأحاديث، وإنما وردت لفظة (الاستنجاء)[1].

كما عَنْون أبو داود في كتاب (الطهارة) لباب سماه (باب الاستنجاء بالحجارة)، وأورد فيه عدة أحاديث وردت فيها لفظة الاستطابة بمعنى الاستنجاء. ومن هذه الأحاديث ماروته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار يستطيب بهن فإنها تجزئ عنه**)[2].

وفي الحديث السابق دلالة على أن الاستطابة تكون بالأحجار، أما قول عائشة رضي الله عنها: (مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء)[3] ففيه دلالة على أن الاستطابة تكون بالماء. وبهذا يتضح الترادف بين اللفظين، فكل منهما يدل على إزالة النجاسة من محل البول أو الغائط بالماء وبالأحجار، ولكن لفظ الاستنجاء أكثر شيوعا في سياقات الأحاديث النبوية من لفظ الاستطابة، وبذلك أصبح أكثر استعمالا وانتشارا.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، ٢- باب الاستطابة ١٧(٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠١.

(٣) تقدم تخريجه ص ١٠١.

الوضوء

لم يرد اللفظ في الشعر الجاهلي -على حد علم الباحثة-، وهو مصدر للفعل وضأ وضاءة ووضوءاً، أما المعنى اللغوي الذي يدور حوله فهو الحُسن والنظافة، فالوضاءة الحُسن والنظافة والبهجة. والوضيء النقي الصافي، ومن ذلك قول النابغة[1]:

عُلِينَ بكدْيَوْنٍ، وأُبْطِنَّ كَرَّةً   فهنَّ وِضاءٌ صَافِياتُ الغلائِلِ

والوضاء هنا النقيَّة الصافية، وقوله (صافيات الغلائل) يعني أن الدروع صافية، فغلائلها صافيات لصفائها، لأن الدَّرع إذا كانت صافية لم تدنس الغلالة تحتها، وهي مسامير الدروع.

والوضاءة الحسن والبهجة يقال (وضُؤَت أي المرأة فهي وضيئة. قال بشر بن أبي خازم[2]:

وفي الأظعان أبْكَارٌ وعُونٌ   كَعَيْن السِّدْرِ أوْجُهُهَا وِضاءُ

والأظعان جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج فمنهن البكر ومنهن العَوان التي ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ذوات الأعين الواسعة والأوجه الحسنة الجميلة.

ولم يرد لفظ الوضوء في القرآن الكريم، وجاء الأمر به وبيان كيفيته مجملة في آية

---

(١) ديوان النابغة الذبياني: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ص ١٤٧.

واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن سعد بن ذبيان، يكنى أبا أمامة، ويقال أبا ثمامة. قيل سُمي بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى صار رجلا. وهو أحد الأربعة الذين وقع عليهم الاتفاق على أنهم أشعر العرب. يقال: إنه كان أحسن الشعراء ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا.

طبقات فحول الشعراء: ٥١، والشعر والشعراء: ١٦٣. ومعجم الشعراء: ١٩١. بلوغ الأرب جـ٣ ص ١٠١.

(٢) ديوان بشر: ص ٢.

واحدة هي قوله تعالى[1]: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾.

فالوضوء الذي حَدَّه الله تعالى في كتابه العزيز للصلاة هو غسل الوجوه والأيدي إلى المرافق والمسح بالرءوس والأرجل، والغَسْل للرجل وغيرها يُسَمَّى مسحا، ذكر ذلك سهل بن محمد عن أبي زيد الأنصاري قال: (وقال:ألا ترى أنك تقول تَمَسَّحت للصلاة إذا توضأتَ لها، وسُمي الغسل مسحاً؛ لأن الغسل للشيء تطهير له بإفراغ الماء، والمسح تطهير له بامرار الماء، فالمسح خفيف الغسل)[2].

وسمّاه رسول الله ﷺ بالوضوء، من ذلك مارواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن حمران مولى عثمان أنه رأى عثمان دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما، ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات ويديه إلى المرفقين ثلاث مرات، ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **(من تَوَضَأَ نحو وضُوئي هَذَا ثم صَلَّى ركعتين لايُحَدِّث فِيهما نَفسه غُفِرَ له ماتَقدَّم من ذَنْبِه)**[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لايَقْبَلُ اللهُ صَلاة أَحدِكم إِذَا أَحْدَثَ حتى يَتوضَأَ)**[4].

يتبين مما سبق أن الوضوء لفظ إسلامي خصصته سياقات الحديث النبوي في الدلالة على نوع من الطهارة حدد القرآن الكريم كيفيتها وفصلت الأحاديث الأحكام المتعلقة بها، والجامع بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي أنه بالوضوء تتحقق الطهارة والنظافة التي دل عليها المعنى اللغوي، وبهذا ندرك أن الألفاظ الإسلامية ماهي إلا ألفاظ قديمة حمّلها الإسلام المعاني الجديدة دون أن يأتي بلفظ جديد.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦.

(٢) غريب الحديث: ابن قتيبة، جـ ١، ص ٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء ٤- باب الوضوء ثلاثا ثلاثا ٢٤، حديث (١٥٩)؛ وصحيح مسلم: كتاب الطهارة ٢- باب صفة الوضوء وكماله ٣، حديث (٢٢٦).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الحيل ٩ - باب في الصلاة ٢، حديث (٦٩٥٤). وصحيح مسلم: كتاب الطهارة، ٢- باب وجوب الطهارة للصلاة ٢، حديث (٢٢٥).

الغرة والتحجيل

الغُرَّةُ في اللغة: بياض في الجبهة، وغُرَّةُ الفرس: البياض الّذي يكون في وجهه(١). قال امرؤ القيس يصف فرسه الذي يشهد بها الغارات(٢):

إذا تَبَصَّرَهَا الرَّاءُونَ مُقْبِلَةً ... لاَحَتْ لَهُمْ غُرَّةٌ مِنْهَا وَتَجْبِيبُ

والأغر: اسم للفرس، قال حجل بن نضلة(٣):

تَحْتِي الأغَرُّ وَفَوْقَ جِلْدِي نَشْرَةٌ ... زَعْفٌ تَرُدُّ السَّيْفَ وَهُو مُغَلَّلُ

والأغر: الأبيض من كل شيء، قال سلامة بن جندل(٤):

تُجْرِي السِواكَ على غُرٍّ مُفَلَّجةٍ ... لم يَغْذُها دَنَسٌ تَحتَ الجَلابِيبِ

---

(١) لسان العرب (مادة غرر) جـ ٥، ص ٣٢٣٤.

(٢) ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ص ٢٢٥.

امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو الكندي، من أهل نجد من الطبقة الأولى. قال لبيد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس. وهو أحد الشعراء الأربعة الذين وقع عليهم الاتفاق على أنهم أشعر العرب. كان امرؤ القيس في زمان أنوشروان ملك العجم. وبين أول ولاية أنوشروان وبين مولد النبي ﷺ أربعين سنة.

طبقات فحول الشعراء: ٥١. والشعر والشعراء: ١١١-١٤٢. والمؤتلف والمختلف: ٩.

(٣) الأصمعيات: أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ص ١٣٩.

حجل بن نضلة: أحد بني عمرو بن قتيبة بن معن بن أعصر، من باهلة.

المؤتلف والمختلف: ٨٢.

(٤) ديوان سلامة بن جندل: صنعة محمد بن الحسن الأحول، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٢٢٦.

سلامة بن جندل: من بني عامر بن عبيد بن زيد مناة بن تميم، جاهلي قديم، وهو من فرسان تميم المعدودين.

طبقات فحول الشعرا: ١٥٥. والشعر والشعراء: ٢٧٩.

الثنايا الغر: البيضاء. والمفلجة: ذوات الفلج وهو تباعد مابينهـا، فقد وصف ثغرها بالبياض ونشأها في طيب الغذاء. ورجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه، من قوم غُرٍّ وغُرّان، قال امرؤ القيس يمدح عويمر بن شجنة بن عُطارِد، وبني عوف رهطه[1]:

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ عند المشَاهِدِ غُرَّانُ

(ثياب بني عوف طهارى نقية) أي لم يدنسوا ثيابهم بغَدْرة وهذا مثل إنما يريد أنهم براء من الغدْر والذّمّ. وقوله (وأوجههم عند المشاهد غران) أي إذا اجتمع القوم لإرادة حرب أو غُرْم أو حمالة أو غير ذلك مما يجمعهم ظهر منهم الاستبشار و لم تبدُ عليهم كآبة عند ذلك، والغرّان جمع أغرّ وهو الأبيض.

والأغر الكريم الفعال، يقال رجل أغر: كريم الفعال واضحها. قال زهير[2]:

أَغـرُّ أبيضُ فَيّاضٌ يُفَكِّكُ عَنْ أيدي العُنَاةِ وعَن أعْنَاقِهَا الرِّبَقَا

يدل ذلك على أن الغرة والأغر استعمل في الشعر الجاهلي للدلالة على البياض: اللون المعروف، كما استعمل للدلالة على كرم الفعال وحسن الصفات.

أما التّحْجيل: فهو بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها أو في رجليه، قَلّ أو كثر بعد أن يجاوِزَ الأرساغ ولا يجاوز الركبتين؛ لأنها مواضع الأحجال. وهي الخلاخيل والقيود، يقال فرس مُحَجَّل وقد حجلت قوائمه تحجيلاً.

و لم يرد لفظ التحجيل ولا مادّته في القرآن الكريم، وكذلك لفظ الغرة لم يرد من مادته إلا مادل على معنى الخديعة، فغرّه: أي خدعه وأطمعه بالباطل، كأنه جعله غرا، والمصدر الغُرور، ومعناه أي ماغرك من شيء أو إنسان أو شيطان، ومن ذلك قوله تعالى[3]: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وقوله تعالى[4]: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ

---

(١) ديوان امرىء القيس: ص ٨٣.

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٥٢.

(٣) سورة النساء: الآية ١٢٠.

(٤) سورة الحديد آية ٢٠.

وورد اللفظان في الحديث النبوي دالين على مايُحْدِثُه الوضوء من نور في الوجه وفي مواضع الوضوء يوم القيامة، ومما يدل على ذلك مارواه أبو هريرة أن رسول ا لله ﷺ قال: **(إن حِوْضِي أَبْعَد من أَيْلَة من عدن لهُو أَشدُّ بيَاضا من الثلج وأحلى من العَسَل باللبن، ولآنيتهُ أكثرُ من عَددِ النجوم، وإني لأصُد النَّاس عنه كما يَصدُّ الرجلُ إبلَ الناس عن حَوْضِه)**، قالوا: يارسول ا لله أتعرفنا يومئذ، قال: **(نَعم لكم سيما ليَست لأَحَدٍ من الأمم تَرِدون عليَّ غُرًّا محجلين من أثرِ الوضوء)**[1].

الغر المحجلون: قال أهل اللغة: الغرة بياض في جبهة الفرس، والتحجيل: بياض في يديها ورجليها.

قال العلماء: سُمِّي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غُرَة وتحجيلاً تشبيها بغرة الفرس..وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة زادهـا ا لله شرفا. وقال آخرون: ليس الوضوء مختصاً وإنما الذي اُختُصَّت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل[2].

وورد في حديث آخر: أن الغرة من السجود والتحجيل من الوضوء، من ذلك مارواه عبدا لله بن بسر عن النبي ﷺ قال: **(أُمتي يومَ القِيامَة غُرٌّ من السجود مُحَجَّلون من الوضوء)**[3].

ومنه الحديث: (أُمتي الغُرُّ المحجلُّون) أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام. استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه بجامع البياض في كل منهما[4].

وقد سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غُرَّة وتحجيلاً مجازاً

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ٢- باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ١٢، حديث (٢٤٧).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: جـ ٣، حاشية ص ١٣٥-١٣٦.

(٣) سنن الترمذي: أبواب الصلاة - باب ماذكر من سيما هذه الأمة يوم القيامة من آثار السجود والطهور ٤٢٧، حديث (٦٠٧) وقال: (حديث حسن صحيح).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ ١، ص ٣٤٦.

بجامع البياض في كل منهما، وهو معنى لطيف يدل على الحسن الظاهر بسبب هذه العبـادة العظيمة (الوضوء). وهذا الاستعمال المجازي هو الذي نقل اللفظين من معناهما اللغوي إلى المعنى الشرعي الذي بينته سياقات الحديث النبوي.

الفصل الثاني

ألفاظ الأذان والإقامة والإمامة

الأذان

الأذان في اللغة: الإعلام، أَذَنَ به إِذنـاً: علـم بـه، وآذنتـك بالشـيء أعْلمتكَـه وآذنتـه أعْلمته[1].

قال الحارث بن حلزة[2]:

آذَنَتنـــــا بِبَيْنِهَـــــا أَسْـــــماءُ رُبَّ ثَـــاوٍ يُمَـــلُّ مِنْـــهُ الثَّـــواءُ

والإيذان هنا الإعلام، يقول الشاعر: أعلمتنا أسماء بعزمها على فراقنا.

دار اللفظ في الشعر الجاهلي حول هذه الدلالة العامة، فالأذان: الإعلام، والمؤذن هـو من يعلم الناس أو ينادي فيهم ليعلمهم بشيء.

وقال بشر بن أبي خازم[3]:

وآذَنَ آلُ ســـــلمَى بِارتحـــــالٍ فَمَـــا لِلقَلْـــبِ إِذْ ظَعَنـــوا عَـــزاءُ

وقال عدي بن زيد[4]:

---

(١) لسان العرب (مادة أذن): جـ١ ص ٥١.

(٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: أبو بكـر محمـد بـن القاسـم الأنبـاري، تحقيـق وتعليـق عبدالسـلام محمـد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٤٣٣.

الحارث بن حلزة بن ذبيان بن يشكر: شاعر قديم من المقلين، وهو صاحب المعلقة المشهورة التي أنشدها بـين يدي عمرو بن هند (آذنتنا بينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء) وقد زعم الأصمعي أن الحارث قال قصيدته المعلقة وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة ارتجالا متوكأ على قوسه.

طبقات فحول الشـعراء: ١٥١. والشـعر والشـعراء: ٢٠٣. ومعجـم الشـعراء: ٩٠. بلـوغ الأرب جـ٣ ص ١٢١.

(٣) مختارات ابن الشجري، القسم الثاني، ص ١٩.

(٤) ديوان عدي بن زيد العبادي، ص٣٥.

بِتَــلِّ جَحْــوَشَ مــايَدْعُو مُؤذِّنهُــم لأَمْــرِ دَهــرٍ وإذَ يُخْتَــثُّ أنفَــارَا

تل جحوش: بلد في الجزيرة، ومؤذّنهم: أي مناديهم.

والأذان: اسم يقوم مقام الإيذان، وهو المصدر الحقيقي. والأذِين المؤذِن[1]. ومنه قول حاتم الطائي[2]:

وإِنِّـــي أذِيُـــنٌ أنْ يَقُـــولَ مُزايِـــلٌ بِـأيٍّ تَقُـولُ القَـوْمَ أَصْحَـابَ حَـاتِمِ

ووردت مادة أذن وما يشتق منها في مائة واثنتين من آيات القرآن الكريم، ودارت حول معان كثيرة، منها: الإباحة، وإعطاء الإذن، وجاءت كذلك بمعنى الاستماع والإنصات، وبمعنى الإعلام والإخبار[3].

ومعنى الإعلام والإخبار هو الذي يعنينا هنا؛ لاتصاله بمعنى المصطلح، فجاء بمعنى الإعلام والنداء في قوله تعالى[4]: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾.

فأذن مؤذن: أي نادى منادٍ، فالمؤذن: كل من يُعْلم بشيء نداءً، ومن ذلك أيضا قوله تعالى[5]: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ

---

(١) لسان العرب: جـ١، ص ٥١.

(٢) ديوان حاتم الطائي: صنعة يحيى بن مدرك الطائي رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ص ٢٢٢.

حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج: من طيء يلقب بأبي عدي، وأبي سفانة أحد شعراء الجاهلية، شاعر جيد الشعر جوادا. قال أبو عبيدة: أجواد العرب ثلاثة: كعب بن مامة، وحاتم طيء (وكلاهما ضرب به المثل) وهرم بن سنان صاحب زهير.

الشعر والشعراء: ٢٤٧-٢٥٥. والمؤتلف والمختلف: ٧٠. ومعجم الشعراء: ٣٢٥. بلوغ الأرب: جـ١ ص ٧٢.

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ١٦.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٤.

(٥) سورة يوسف: الآية ٧٠.

﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾. أذن مؤذن أي نادى منادٍ بعد انفصالهم عن مجلس يوسف عليه السلام، وظل اللفظ دالاً على هذا المعنى في الشعر الجاهلي وفي القرآن.

وإذا تتبعناه في سياقات الأحاديث النبوية وجدناه لفظا خاصا بالنداء للصلاة، فالأذان هو الإعلام بوقت الصلاة المفروضة، بوجه مخصوص معروف، أو هو اللفظ المعلوم المشروع في أوقات الصلاة للإعلام بدخول وقتها، وهو مشروع للصلوات الخمس بدلالة السنة والإجماع[1].

أما عن كيفيته ومتى تحددت صيغته فقد أجمعت الروايات التأريخية على بدئه في العام الأول أو الثاني من الهجرة النبوية في المدينة المنورة... فعندما استقر المقام للنبي محمد ﷺ في مُهَاجره... تشاور المسلمون في أمر الإعلام للصلاة وبخاصة بعد أن صرفت القبلة إلى الكعبة، وكثر عدد المسلمين، فظهرت الحاجة إلى ضرورة إيجاد صيغة جديدة للإعلام للصلاة بعد أن كان الإعلام لها بألفاظ خاصة كقولهم: (الصلاة.. أو الصلاة جامعة) فيجتمع الناس، فتشاور النبي ﷺ مع أصحابه، فمنهم من قال: نتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال آخر: قَرْناً مثل قرن اليهود، وآخر قال: لو رفعنا ناراً، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة.. فكره الرسول ﷺ ذلك كله، وبينما هم على ذلك... إذ رأى عبدا لله بن زيد الخزرجي رؤيا في نومه، حيث أُرِي أن رجلا مر عليه وعليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس، قال عبدا لله فقلت: أتبيع الناقوس؟ قال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس... قال: فأنا أحدثك بخير لكم من ذلك، تقول: ا لله أكبر، أشهد أن لا إله إلا ا لله، وأشهد أن محمدا رسول ا لله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، ا لله أكبر، لا إله إلا ا لله، فأتى عبدا لله بن زيد رسول ا لله ﷺ فأخبره، فقال له: قم إلى بلال فَأَلْقِ عليه ماقيل لك، وليؤذن بذلك، ففعل.. وجاء عمر بن الخطاب فقال: لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول ا لله ﷺ فلله الحمد، فذلك أثبت[2].

وقد حدَّد النبي ﷺ كلمات الأذان وكيفيته في أحاديث كثيرة، فعن محمد بن عبدالملك بن أبي محذورة عن أبيه عن جده قال: قلت يارسول ا لله علمني سُنّة الأذان، قال:

---

(١) رسائل في الفقه واللغة: تحقيق عبدا لله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص ١٦.

(٢) المرجع السابق:ص ١٦،١٨.

فمسح مقدم رأسي وقال: (تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ترفع بها صوتك، ثم تقول: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح، فإن كان صلاة الصبح قلت: الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله)[1].

وسَمى الحديث مَنْ ينادي للصلاة مؤذنا، فعن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذنان: بلال وابن أم مكتوم الأعمى[2].

وبهذا تحددتْ صيغة الأذان في سياقات الأحاديث النبوية، وتخصص لفظ المؤذن فيمن يعلم بدخول وقت الصلاة بألفاظ محددة، وهذا يعني أن كُلا من الأذان والمؤذن مصطلح حديثي، ولم يحدث له هذا التطور في القرآن الكريم.

ومع أنه ورد ذكر الصلاة في آيات كثيرة من القرآن الكريم إلا أن الدعوة لها جاءت بلفظ النداء قال تعالى[3]: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾. وقال تعالى[4]: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾. وإذا ناديتم إلى الصلاة أي دعوتم[5]. فالنداء هنا الأذان[6].

ولم يُستَعْمَل اللفظ دالا على النداء للصلاة إلا في آيتين، وورد في الآيات الأخرى

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، ٢- باب كيف الأذان ٢٨، حديث (٥٠٠).

وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة ٤- باب صفة الأذان ٣، حديث (٣٧٩) وفيه اختصار يسير.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة ٤- باب استحباب اتخاذ مؤذنين للمسجد الواحد ٤، حديث (٣٨٠).

(٣) سورة الجمعة: الآية ٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥٨.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: جـ٥، ص ٣٢.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٦٥٠.

دالاً على النداء بعامة، فالنداء: الصوت وقيل: رفع الصوت، ومنه قوله تعالى[1]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ وفيه تنبيه على بُعدهم عن الحق، وقوله تعالى[2]: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ قال بعض المفسرين: إنما أخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد إلى الرعونة لكبره. وقال آخرون: إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله. وقال بعض السلف: قام من الليل عليه السلام وقد نام أصحابه، فجعل يهتف بربه يقول خفية يارب يارب [3].

وورد لفظ النداء دالا على الأذان في الحديث النبوي من ذلك مارواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن**)[4].

ومعنى النداء هنا الأذان، وقد استُعْمِل في كل من القرآن والحديث بهذه الدلالة، ولكن اختص الحديث باستعمال لفظي: الأذان والمؤذن دالين على النداء للصلاة وعلى من ينادي لها، وهنا يمكن القول: إن لفظي الأذان والمؤذن قد انتقلا بالتخصيص من الدلالة اللغوية العامة إلى الدلالة الشرعية، فبعد أن كانا يدلان على مطلق الإعلام تخصصا في الدلالة على الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ معلومة مأثورة، وسيطرت هذه الدلالة الشرعية على الأذهان فإذا أُطلقا تبادر إلى الذهن الأذان للصلاة والمؤذن الذي ينادي لها.

وبتتبع الأحاديث في الكتب الستة وجدت أن لفظ الأذان تخصص في الدلالة على معناه الشرعي، ولم يستعمل بمعناه اللغوي في جميع أحواله: معرفة ونكرة وبذلك أصبح الأذان في العصر الإسلامي خاص بالنداء للصلاة ولا يسمى الإعلام بأي أمر أذاناً.

أما الفعل أذّن فقد جاء في معظم الأحاديث دالاً على النداء للصلاة ووجدته في اثني عشر موضعا من الكتب الستة دالا على النداء والإعلام، منه ماروواه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: أمر النبي ﷺ رجلا من أسلم أن أذّنْ في الناس أن مَنْ كان أكل فليصم

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٤.

(٢) سورة مريم: الآية ٣.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٣ ص ١١٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأذان ١٠- باب: مايقول إذا سمع المنادي ٧، حديث (٦١١).

وصحيح مسلم: كتاب الصلاة ٤- باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه رقم ٧، حديث (٣٨٣).

بقية يومه، ومَنْ لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء)[١].

وفي الحديث الذي رواه البخاري في قصة الرجل الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه من أهل النار وكان يدعي الإسلام فلما قاتل وأثخنته الجراح قتل نفسه بسهام من كنانته فلما بلغ خبره النبي ﷺ قال: (**قُمْ يافُلان فأذِّن إنَّه لايَدْخلُ الجنَّة إلا مُؤمِنٌ، إنَّ الله يُؤيدُ الدين بالرجُلِ الفَاجِر**)[٢]. وأذِّنْ بمعنى أَعْلِن، أَوْ نَادِي في الناس[٣].

ومما يلاحظ على السياقات أن الفعل أذَّن أو أذَن أو غيرهما من الأفعال إذا كان بمعنى الإعلام بدخول وقت الصلاة جاء مطلقا مثل قوله ﷺ: (**إِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ أَدْبَرَ الشَيطانُ وله حصاص**)[٤]. أو مرتبطاً بحرف الجر (الباء) كما روى أبو داود والترمذي عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: (رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أُذُن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة)[٥].

وعن أبي ذر قال: أذَّن مؤذن رسول الله ﷺ بالظهر فقال النبي ﷺ: (**أَبْرِدِ أَبْرِد، أو قال: انتظر انتظر. وقال: إن شَدَّةَ الحَرِّ من فَيح جَهنم فإذا اشتدَّ الحَرُّ فأبردوا عن**

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم ٣٠- باب صيام يوم عاشوراء ٦٩، حديث (٢٠٠٧).

وصحيح مسلم: كتاب الصيام ١٣- باب من أكل في عاشوراء فليكف بقية يومه ٢١، حديث (١١٣٥).

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي ٦٤- باب غزوة خيبر ٣٨، حديث (٤٢٠٣).

(٣) ومثلها في المعنى في صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن ٦٥- باب (إن الله لايظلم مثقال ذرة) ٨، حديث (٤٥٨١).

وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب حجة النبي ﷺ ١٩، حديث (١٢١٨).

وسنن أبي داود: كتاب المناسك ٥- باب طواف الوداع ٨٦، حديث (٢٠٠٦). وفي كتاب الصوم ٨- باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان ١٤، حديث (٢٣٤٠).

وسنن الترمذي: كتاب الصوم ٦- باب ماجاء في الصوم بالشهادة ٧، حديث (٦٩١).

وسنن النسائي: كتاب الصيام ٢٢- باب: إذا لم يجمع من الليل هل يصوم ذلك اليوم من التطوع ٦٦، حديث (٢٣٢١)، وفي كتاب الضحايا ٤٣- باب تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية ٢١، حديث (٤٣٤١).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الصلاة ٤- باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ٨، حديث ١٧ (٣٨٩).

(٥) سنن أبي داود: كتاب الأدب ٣٥- باب في الصبي يولد فيؤذن في إذنه ١١٦، حديث (٥١٠٥).

وسنن الترمذي: كتاب الأضاحي ٢٠- باب الأذان في أذن المولود ١٧، حديث (١٥١٤). وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

الصلاة)، قال أبو ذر: حتى رأينا فيء التّلول[1].

أما في الأحاديث التي دل فيها الفعل على المعنى اللغوي فارتبط بحرف الجر (في): (أذّن في)، ومنه ماورواه النسائي عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني أنه حدثهم أنهم غزوا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر والناس جياع، فوجدوا فيها حمرا من حمر الإنس فذبح الناس منها فحُدِّث بذلك النبي ﷺ فأمر عبدالرحمن بن عوف فأذن في الناس ألا إن لحوم الحمر الإنس لاتحل لمن يشهد أني رسول الله)[2].

أما لفظ النداء فظلت دلالته اللغوية العامة هي الدلالة المركزية والمسيطرة على الأذهان وتعد دلالته علىالنداء للصلاة دلالة محدودة مرتبطة بورودها في سياق معين في آية أو حديث؛ ولعل السبب في ذلك هو قلة ورود اللفظ في سياقات الحديث دالا على الأذان فأدى ذلك إلى عدم انتشاره وعدم سيطرة دلالته الشرعية على الأذهان، ولكن يمكننا القول: بالترادف بين لفظي النداء والأذان وذلك عند دلالتهما على الإعلام للصلاة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحديث النبوي سَمَّى من ينادي للصلاة مؤذنا، و لم يُسمِّه بالمنادي -مثلا- في القرآن ولا في الحديث. فالرسول ﷺ يقول: (**إذا سمعتم النداء فقولوا**

---

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة ٩- باب الإبراد بالظهر في السفر ١٠، حديث (٥٣٩).

وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥- باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر.. رقم ٣٢، حديث (٦١٦) واللفظ له.

(٢) سنن النسائي: كتاب الضحايا ٤٣- باب تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية ٢١، حديث (٤٣٤١) وانظر كذلك: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن ٦٥- باب (إن الله لايظلم مثقال ذرة) ٨، حديث (٤٥٨١)، وكتاب أخبار الآحاد ٩٥- باب ماكان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحدا بعد واحد ٤، حديث (٧٢٦٥).

وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب حجة النبي ﷺ ١٩، حديث (١٢١٨).

وسنن أبي داود: كتاب المناسك ٥- باب طواف الوداع ٨٦، حديث (٢٠٠٦)، وكتاب الصوم ٨- باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان ١٤، حديث (٢٣٤٠).

وسنن الترمذي كتاب الصوم ٦- باب ماجاء في الصوم بالشهادة ٧، حديث (٦٩١)، وكتاب الأضاحي ٢٠- باب الأذان في أذن المولود ١٧، حديث (١٥١٤).

وسنن النسائي: كتاب الصيام ٢٢- باب إذا لم يجمع من الليل هل يصوم ذلك اليوم من التطوع ٦٩، حديث (٢٣٢١).

مثلما يقول المؤذن)[1].

وبهذا أصبح لفظا (الأذان والمؤذن) خاصين بالإعلام للصلاة وبمن ينادي بها.

(١) تقدم تخريجه صفحة ١١٤ حاشية (٤).

التثويب

التثويب هو مصدر للفعل ثَوَّبَ، يقال: ثَوَّبَ الداعي تثْوِيباً إذا عاد مرة بعد أخرى، ومنه تثوِيب المؤذن إذا نادى الناس بالأذان للصلاة ثم نادى بعد التأذين(١). ويكون أصلها في هذه الحالة من ثاب الرجل يثوب ثَوْبًا وثَوَباناً: رجع بعد ذهابه. ويقال: ثاب فلان إلى الله وتاب بالثاء والتاء أي عاد ورجع إلى طاعته(٢).

وإذا بحثنا عن معاني هذا الفعل في الشعر الجاهلي وجدناه دالاً على معان كثيرة منها:

تُثوب: تجتمع ومنه قول الطفيل الغنوي(٣):

تَأَوَّبْنَ قَصْراً مِنْ أَرِيكٍ وَوائِلِ   وَمَا وَانَ مِنْ كُلٍّ تَثُوبُ وَتَحْلُبُ

تثوب: تكثر، قال عوف بن الأحوص(٤):

وَمَا بَرِحَتْ بَكْرٌ تَثُوبُ وتَدَّعِي   وَيَلْحَقُ منهمْ أَوَّلُونَ وآخِرُ

تثوب: تُنَادي وتستصرخ. وهذا هو الأصل في التثويب أن الرجل إذا استصرخ لَوَّح بثوبه وكان ذلك كالدعاء والإنذار.

---

(١) لسان العرب (مادة ثَوَبَ) جـ١، ص ٥٢٠.

(٢) المرجع السابق: (مادة ثَوَبَ) جـ١، ص ٥١٨.

(٣) ديوان الطفيل الغنوي: تحقيق محمد عبدالقادر أحمد، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ص ٤٣.
طفيل بن كعب الغنوي: كان يقال له في الجاهلي المحَبَّر لحسن شعره، كان من أوصف الناس للخيل.
الشعر والشعراء: ٤٦٠. ومعجم الشعراء: ١٤٧، ١٨٤.

(٤) المفضليات: ص ٣٦٥.
عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة: والأحوص لقبه، كان سيدا لقومه، حضر يوم شعب جبلة من أيام الفجار، وكان يوم جبلة قبل الهجرة بأكثر من سبعين عاما.
معجم الشعراء: ٢٧٥. موسوعة الشعر العربي: جـ٤ ص ٥٣.

قال أوس[1]:

فَمَــا فَتِئَــتْ خَيْــلٌ تَثُــوبُ وتدَّعِــي ... وَيَلْحَــقُ منهــا لاحِــقٌ وَتَقطّــعُ

يقول: مازالتْ الخيل تستصرخ ويدعو بعضهم بعضاً كأنه يُصوِّر الحرب واستصراخهم بعضهم بعضا فيها. يقولون ياآل فلان وياآل فلان.

ثَوَّب الداعي تثويبا إذا عاد مرة بعد أخرى[2].

قال الطفيل الغنوي[3]:

وَكُــلُّ فَتَــى يَــرْدِي إلى الحَــرْبِ مُعْلِمًــا ... إذا ثَــوَّبَ الدَّاعِــي وأَجْــرَدَ صِلْــدِمِ

ومعنى ثَوَّب الداعي: نادى ليثوبوا إليه. وقد يدعو الداعي ثم يثوب أي يكرر الدعوة والنداء.

قال الطفيل[4]:

وَقَــدْ مَنَّــتْ الخَــذْوَاءُ مَنًّــا عَلَيْهِــمُ ... وشَــيْطَانُ إذْ يَدْعُوهُــم ويُثَــوِّبُ

وورد الفعل ثاب في القرآن الكريم بمعنى رجع بعد ذهابه، والمثابة هي الموضع الذي يُثَابُ إليه أي يُرَجَع إليه. قال تعالى[5]: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾.

---

(١) ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص ٥٨، بتصرف.

أوس بن حجر بن عتاب بن عبدالله بن عمرو بن تميم: من فحول الشعراء الجاهليين. قال أبو عمرو بن العلاء: كان أوس فحلَ مُضر، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه. وكان زهير راوية أوس. وكان أوس عاقلا في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق.

طبقات فحول الشعراء: ٩٧. الشعر والشعراء: ٢٠٨-٢١٥. بلوغ الأرب: ص ١٠٤.

(٢) لسان العرب مادة (ثوب) جـ١، ص ٥٢٠.

(٣) ديوان الطفيل الغنوي: ص ٧٩.

(٤) المرجع السابق: ص ٤٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

مثابة: أي مرجعا يرجع إليه الزوار أفواجاً بعد أفواج، وقد قيل إن المثابة من الثواب أي موضع الثوابُ يثابون بحجه واعتماره.

وورد في القرآن لفظ أثاب والمثوبة والثواب وهو مايرجع للإنسان من جزاء أعماله، والثواب يقال في الخير والشر، ولكن الأكثر المشهور في الخير، وكذلك المثوبة. قال تعالى(1): ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ ﴾.

واستعماله في الشر على الاستعارة كما في قوله تعالى(2): ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾.

وجاء الفعل ثُوّب مُعَبِّراً عما يُكْره في آية واحدة؛هي قوله تعالى(3): ﴿ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٣٦ ﴾. أي هل جوزي الكفار على ماكانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟ يعني قد جُوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله)(4).

وإذا تتبعنا اللفظ في الحديث النبوي وجدناه ارتبط في سياقاته بالأذان وأصبحت له دلالة إسلامية خاصة، من ذلك مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا نُودِي بالصلاة أدْبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ حتى لايسْمَعُ الأذانُ،فإذا قُضي الأذان أقْبلَ، فإذا ثُوِّبَ بها أدْبر، فإذا قُضي التثويب أقْبلَ حتى يخطر بين المرءِ ونَفْسه يقول: أُذكُرُ كذا كذا مالم يَكنْ يذكر، حتى يَظلُّ الرجلُ لا يدري كَمْ صَلّى، فإذا لم يَدْرِ أحَدُكم كم صَلّى ثلاثاً أو أربعاً فليسجد سجدتين وهو جالس)(5).

والتثويب هنا بمعنى إقامة الصلاة، ويدل على هذا المعنى أيضا قوله ﷺ: (إذا ثُوّبَ للصَلاةِ فلا تَأْتُوَها وأَنْتمُ تَسعون وائتوها وعليكم السكينةُ فما أدْركتم فَصَلُّوا وما فَاتكم

(1) سورة المائدة آية ٨٥.

(2) سورة آل عمران آية: ١٥٣.

(3) سورة المطففين: آية ٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٤ ص ٤٨٧.

(٥) صحيح البخاري: كتاب السهو، ٢٢- باب إذا لم يَدْرِ كم صلى.. رقم ٦، حديث (١٢٣١).
ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥- باب سجود السهو في الصلاة والسجود له ١٩، حديث ٨٣ (٣٨٩).

فأتموا فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة)[١].

وإنما سميت الإقامة تثويباً من ثاب يثوب إذا رجع، فهو رجوع إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة، وأن المؤذن إذا قال حي على الصلاة فقد دعاهم إليها[٢].

ومما رُوي في التثويب أيضاً حديث بلال رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أثوب في الفجر ونهاني أن أثوب في العشاء)[٣].

والتثويب في أذان الفجر أن تقول بعد حي على الفلاح: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم. وإنما سمي تثويبا من قولك: ثاب فلان إلى كذا، أي عاد إليه، فدعا الناس إلى الصلاة ثم قال: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم، فَثَوَّب أي عاد إلى دعائهم بهذا القول، فهو دعاء بعد دعاء فيقال ثَوَّب الداعي[٤].

فللتثويب إذاً دلالتان نستدل عليهما من الشواهد السابقة، الدلالة الأولى: هي إقامة الصلاة وقول (حي على الصلاة حي على الفلاح). الدلالة الثانية: هي قول (الصلاة خير من النوم) في أذان صلاة الصبح خاصة[٥].

ومما ورد في بيان معنى التثويب قول أبي حنيفة رحمه الله: التثويب تثويبان:

التثويب الأول: كان على عهد النبي ﷺ وهو قول (الصلاة خير من النوم) في أذان صلاة الصبح خاصة.

والتثويب الذي أحدث بعد النبي ﷺ أن يقول بعد الفراغ من الأذان، وبعد أن يقف مقدار عشرين آية: (حي على الصلاة) (حي على الفلاح).

وقال إسحاق: التثويب المكروه هو شيء أحدثه الناس بعد النبي ﷺ، إذا أذَّن المؤذن فاستبطأ القوم قال بين الأذان والإقامة: قد قامت الصلاة حي على الصلاة حي على

---

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥- باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيا ٢٨، حديث ١٥٢ (٦٠٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ١، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) سنن ابن ماجة. ٤- باب الأذان والسنة فيه، حديث: ٧١٥.

(٤) غريب الحديث: ابن قتيبة، جـ١، ص ١٨.

(٥) رسائل في الفقه واللغة: ص ٦٨.

الفلاح، قال: وهذا الذي قال إسحاق هو التثويب الذي قد كرهه أهل العلم والذي أحدثوه بعد النبي ﷺ، وعن مجاهد قال: دخلت مع عبدا الله بن عمر مسجداً وقد أُذّن فيه، ونحن نريد أن نصلي فيه، فَثَوّب المؤذن فخرج عبدا الله بن عمر من المسجد قائلا: اخرج بنا من عند هذا المبتدع، و لم يصل فيه، وإنما كره عبدا الله التثويب الذي أحدثه الناس بعد[1].

يتبين لنا مما تقدم أن لفظ تثويب تخصص في الحديث النبوي وأصبح لفظاً إسلامياً يدل على عبارة معينة يُردّدُها المؤذن في صلاة الفجر وهي الصلاة خير من النوم، كما دل في بعض الأحاديث على إقامة الصلاة، وبذلك انتقل اللفظ من الحقيقة اللغوية التي دل عليها في الشعر الجاهلي وفي القرآن وهي الرجوع بعد الذهاب أو الرجوع إلى النداء مرة بعد أخرى أو مايرجع للإنسان من جزاء أعماله، وفي كل هذه المعاني يحمل اللفظ معنى الرجوع، ومن هنا حُمِّل هذه الدلالة الإسلامية؛ لأن المؤذن يرجع للدعاء للصلاة بقوله: الصلاة خير من النوم في أذان الفجر بعد قول: حي على الصلاة، حي على الفلاح.

فمعنى حي: هلم وعجل إلى الصلاة والفلاح، فهو دعاء بعد دعاء، وهنا يبرز تخصيص الدلالة واضحا ليصبح اللفظ خاصاً بالدعوة للصلاة.

(١) سنن الترمذي: أبواب الصلاة، باب ماجاء في التثويب في الفجر ١٤٥، عقب حديث (١٩٨) ولم يسنده. وقد أسند هذا الأثر أبو داود في سننه: كتاب الصلاة ٢- باب في التثويب ٤٥، رقم (٥٣٨) وفيه أن الذي أنكره ابن عمر رضي الله عنهما هو تثويب الرجل في الظهر أو العصر.

الإقامة

وَرد اللفظ في الشعر الجاهلي ودلّ على عدة معان منها: أقام بالمكان أي لبث. قال خراشة بن عمرو العبسي(١):

وَأَطْوَلُ في دَارِ الحِفَاظِ إقامةً وأَرْبَطُ أحْلاماً إذا البقْلُ أَجْهَلاَ

دَارُ الحفاظ التي يقيمون فيها صبرا عليها لعزهم وهم لايجهلون، فإذا كان الربيع وأمكنت المياه والبقل طلبوا الأوتار.

قال الحادرة(٢):

ومَحَلَّ مَجْدٍ لايُسَرِّحُ أهْلُهُ يَوْمَ الإقامَةِ والحُلُولِ لِمَرْتَعِ

يوم الإقامة: هنا يعني اللبث بمكان مُعَيّن، يريد:أنهم كانوا في جدب لم يتركوا أحياءهم وعشائرهم ويروحوا في طلب الخصب.

---

(١) المفضليات: ص ٤٠٥.

خراشة بن عمرو العبسي: لم أعثر على ترجمته.

وقد ذكر هذا عبدالسلام هارون في التعليق على القصيدة فقال: لم نجد له ترجمة ولا ذكرا إلا في هذه القصيدة، وهي في يوم كان لبني عبس على بني عامر بن صعصعة انهزم فيه عامر بن الطفيل.

انظر المفضليات: حاشية ص ٤٠٤.

(٢) ديوان شعر الحادرة، إملاء أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ص ٩٩.

الحادرة: عند ابن سلام الجمحي: الحويدرة الذبياني، الثالث من الطبقة التاسعة، واسمه قطبة بن محصن ابن جرول، وقيل قطبة بن أوس، من بني ثعلبة بن سعد، وهم بطن من غطفان كان في خصومة مع زبان بن سيار الفزاري وتبادل معه الهجاء.

طبقات فحول الشعراء: ١٧١. تاريخ آداب العرب ص ١١٠.

وقال ثعلبة بن صعبر بن خُزَاعة المازني[1]:

سَئِمَ الإقامـةَ مِـنْ بَعْـدِ طُـولِ ثَوائِـهِ وَقَضَـى لُبَانَتَـهُ فليـسَ بنـاظِرِ

يقول: سئم طول اللبث في هذا المكان لطول إقامته فيه، وذلك بعد قضاء حاجته فلا يستطيع الانتظار.

ومعنى أقام البناء شيده. وقائم: منتصب.

قال امرؤ القيس[2]:

لَـهُ أَيْطَـلاَ ظَبْـيٍ وسَـاقَا نَعامَـةٍ وَصهْـوةُ عَـيْرٍ قَـائمٍ فَـوْقَ مَرقَـبِ

شبه هنا خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي؛ لأنه ضامر وشبه ظهر الفرس بظهر العير في اعتداله واستوائه، وجعله قائما، لأنه إذا قام تمدد واستوى وإذا عدا اضطرب.

وظل اللفظ في الشعر الجاهلي دالاً على هذه الدلالات الحسية، إلى أن انتقل إلى مجال الدلالات المعنوية الإسلامية في القرآن الكريم، فدلَّ على إقامة الصلاة أي أدائها كاملة بشروطها وأركانها وسننها، قال تعالى[3]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ معنى أقاموا الصلاة أي يديمون فِعلَها ويحافظون عليها[4].

ولم يأمر سبحانه بالصلاة حيثما أمر ولا مدح بها حيث مدح إلا بلفظ الإقامة تنبيهاً أن المقصود منها توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها نحو قوله تعالى[5]: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وقوله تعالى[6]: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: وفقني لتوفية شرائطها، ولم يقل المصلين

(١) المفضليات: ص ١٢٨.

ثعلبة بن صعير المازني: لم أعثر على ترجمته.

(٢) ديوان امرئ القيس: ص ٤٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ص ٤١٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٤٠.

إلا في المنافقين، نحو قوله تعالى[1]: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ وقوله[2]: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾.

وإنما خص لفظ الإقامة تنبيهاً أن المقصود من فِعلها توفية حقوقها وشرائطها لا الإتيان بهيئاتها فقط؛ ولهذا رُوي أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل[3]. ومن ذلك أيضا ﴿أقيموا الشهادة لله﴾ أي أدوها كاملة صادقة[4].

وجاء اللفظ بمعنى إقامة الحدود ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ وكذلك أقام كتاب الله ودين الله أي أظهره وعمل بتعاليمه[6]. ومن ذلك قوله تعالى[7]: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾

وتظل دائرة تغيير دلالة اللفظ (الإقامة) في الإسلام مستمرة، فالقرآن ينقل اللفظ من دائرة الدلالة الحسية وهي الإقامة في مكان معين أو إقامة البناء وتشييده وذلك في العصر الجاهلي ليشيع استخدامه في القرآن في دلالات معنوية إسلامية أهمها إقامة الصلاة وإقامة دين الله وإقامة حدود الله، هذا مع بقاء استخدامها في المعنى الحسي وهو أقام الجدار بمعنى عدَّله في آية واحدة هي قوله تعالى[8]: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾

وشاع استخدام اللفظ في الأمور المعنوية الإسلامية، فورد في آيتين بمعنى إقامة الحدود، وآيتين أخريين بمعنى إقامة الدين، وورد في آية واحدة بمعنى إقامة الشهادة، وآية أخرى بمعنى الإقبال على مساجد الله.

وشاع استخدام اللفظ في معنى إقامة الصلاة وذلك في خمس وعشرين آية. وشيوع الدلالة -في اعتقادي- بداية لتغليب هذه الدلالة على الدلالات الأخرى، وبالتالي تصبح هي الأسبق للذهن عندما يطلق اللفظ، فعندما يُطلق لفظ إقامة الآن فإن أول مايتبادر

---

(١) سورة الماعون: الآية ٤، ٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٥٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز: للفيروزأبادي، جـ٣، ص ٤٣٦.

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٥٣٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٥٣١.

(٧) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٨) سورة الكهف: الآية ٧٧.

للذهن هو إقامة الصلاة ثم قد تتوارد الدلالات الأخرى على نحو أقل، ولا وجه للمقارنة بين شيوع المعنى الحسي للفظ في القرآن وشيوع دلالته على إقامة الصلاة فقد ورد بالمعنى الأول كما ذكرتُ سابقا -في آية واحدة- في حين ورد في خمس وعشرين آية بمعنى إقامة الصلاة.

ولم يتوقف اللفظ عند هذه الدلالات الإسلامية بل نجده في سياقات الأحاديث النبوية دالاً على معنى جديد أو لِنَقُل: إنها الخطوة التالية لتكوين اللفظ الإسلامي، فالإقامة لها كيفية معينة وألفاظ مخصوصة وشروط تتوفر فيمن يقيم، من ذلك ماروا أبو محذورة عن النبي ﷺ قال: (..وعلمني الإقامة مرتين مرتين: ا لله أكبر، ا لله أكبر، أشهد أن لا إله إلا ا لله، أشهد أن لا إله إلا ا لله، أشهد أن محمداً رسول ا لله، أشهد أن محمداً رسول ا لله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، ا لله أكبر، ا لله أكبر، لا إله إلا ا لله). وقال عبدالرزاق: وإذا أقمت فقلها مرتين: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة أسمعت؟ قال: فكان أبو محذورة لايجزُّ ناصيته ولا يفرقها لأن النبي ﷺ مسح عليها)[1].

يدلنا الحديث على أن معنى الإقامة هنا الدعوة أو النداء للشروع في أعمال الصلاة، فإذا كان الأذان إعلاماً بدخول وقت الصلاة فإن الإقامة إعلام بالشروع في أعمالها وفيها تُزَادُ قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة.

والإقامة تكون وِتْراً، فعن أنس بن مالك قال: ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه فذكروا أن ينوِّروا ناراً أو يضربوا ناقوسا فَأُمِرَ بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة[2].

وقد عبر الحديث النبوي عن الأذان والإقامة بلفظ (أذانين) فعن عبدا لله بن مُغَفل قال: قال رسول ا لله ﷺ: **(بين كل أذانين صلاة)** قالها ثلاثاً، قال في الثالثة: **(لمن شاء)**[3].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢ - باب كيف الأذان ٢٨، حديث (٥٠١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان ١٠- باب الأذان مثنى مثنى ٢، حديث (٦٠٦)، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة ٤- باب الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة ٢، حديث (٣٧٨).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان ١٠- باب كم بين الأذان والإقامة، ومن ينتظر الإقامة ١٤، حديث (٦٢٤)، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٦- باب بين كل أذانين صلاة، ٥٦، حديث (٨٣٨).

فالأذانان (الأذان والإقامة) والصلاة يراد بها السنن الرواتب التي تُصَلى بين الأذان والإقامة قبل الفرض)[١].

وورد لفظ النداءين في الحديث أيضا بمعنى الأذان والإقامة، من ذلك ماروته عائشة رضي الله عنها قالت: صَلَّى النبي ﷺ العشاء، ثم صلى ثماني ركعات، وركعتين جالسا، وركعتين بين النداءين، و لم يكن يدعهما أبدا)[٢].

وبهذا تكون الإقامة لفظاً إسلامياً انتقل من معانيه الحسية (الدلالة على الإقامة في مكان أو إقامة البناء وتشييده) ليطلق في القرآن الكريم على أداء الصلاة في أوقاتها بشروطها وسننها، فكما أن الذي يقيم البناء يُصلِح أركانه ويُحْسِن بناءه فكذلك المصلي يؤدي الصلاة كما فرضها الله سبحانه وتعالى، فهذه إقامة لأمر معنوي، ثم أطلقه الحديث النبوي على النداء للشروع في أعمال الصلاة، وتخصص في سياقاته في الدلالة على هذا المعنى الإسلامي.

وقد عبرت السياقات النبوية عن الجمع بين الأذان والإقامة بلفظ (أذانين) أو (نداءين) لأن في كل منهما معنى الإعلام والنداء، فالأذان نداء أو إعلام بالصلاة، والإقامة إعلام بالشروع في أعمال الصلاة.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ١، ص ٣٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التهجد، ١٩- باب المداومة على ركعتي الفجر ٢٢، حديث (١١٥٩).

الترجيع

للفظ (الترجيع) في اللغة عدة معان منها: رجَّع الرجل وتَرَّجعَ: رَدَّدَ صوته في قراءةٍ أو أذانٍ أو غناءٍ أو زمْرٍ أو غير ذلك مما يُترنم به[1]، من ذلك قول طرفة[2]:

إذا رَجَّعَتْ في صَوْتِهَا خِلْتَ صَوْتَها تَجَاوُبَ أظْآرٍ على رُبَعٍ رَدِي

والترجيع هنا ترديد الصوت وتغريده.

ورجَّع النقش والوشْمَ والكتابة: ردَّدَ خطوطها، وتَرْجيعُها أن يُعَاد عليها السواد مرة بعد أخرى، ومن ذلك قول زهير[3]:

يَلُوحُ كَأَنَّهُ كَفَّا فَتَاةٍ تُرَجِّعُ فِي مَعَاصِمَهَا الوُشُومُ

و لم يتجاوز اللفظ هذه الدلالة في القرآن، فورد منه الرُّجْعَى، مصدر رَجَعَ رُجُوعاً، ورُجْعَى أي عاد قال تعالى[4]: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝﴾.

والرَّجْعُ مصدر رجعه يَرْجِعه رَجْعا بمعنى: أعاده، والرّجع: المطر، سُمِّي بذلك لأن الهواء يرجع ماتناوله من الماء، أو لأن ا لله يرجعه وقْتا بعد وقت[5].

---

(١) لسان العرب (مادة رجع) جـ ٣، ص ١٥٩١.

(٢) ديوان طرفة بن العبد، دار بيروت، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص ٣١.

طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ثعلبة: جاهلي من الطبقة الرابعة، من فحول الشعراء المقلين، كان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمرا. اسمه عمرو ويقال عبيد، ولقب طرفة ببيت قاله، قتله عمرو بن هند وله بضع وعشرون سنة بكتاب أرسله معه إلى عامله بالبحرين.

طبقات فحول الشعراء: ١٣٧. والشعر والشعراء: ١٩١. والمؤتلف والمختلف: ٢٠١-٢٠٧. ومعجم الشعراء: ١٤٦.

(٣) شرح ديوان زهير، ص ٢٠٧.

(٤) سورة العلق آية ٨.

(٥) معجم ألفاظ القرآن اكريم، ص ٢٣٩.

ومن ذلك قوله تعالى[1]: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ أي إعادة بعيدة[2] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي ذات المطر[3].

وتراجع تراجعاً أي عاد إلى ماكان عليه، ومنه قوله تعالى[4]: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ أي يعود كل منهما إلى صاحبه[5].

والترجيع مصدر لم يرد ذكره في القرآن، وورد المرجع والرجعى ورَجْع، وورد في الحديث النبوي وتخصص في الدلالة على ترديد القراءة، ومنه ترجيع الأذان، وقيل: هو تقارب ضُروب الحركات في الصوت.

وفي صفة قراءته عليه الصلاة والسلام يوم الفتح أنه كان يُرَجِّع. وقد حكى عبدالله بن مغفل ترجيعه بِمّد الصوت في القراءة نحو: آء آء آء، وهذا إنما حصل منه وا لله أعلم يوم الفتح[6].

وورد في الحديث عن أبي محذورة (أن رسول ا لله ﷺ أقعده وألقى عليه الأذان حرفاً حرفاً، قال إبراهيم مثل أذاننا، قال بشر: فقلت له أعد عَلَّيَّ فوصف الأذان بالترجيع)[7].

وبهذا يكون الترجيع من الألفاظ الإسلامية التي تخصصت في الحديث النبوي في الدلالة على ترجيع الأذان وترتيل ألفاظه وعدم العجلة والسرعة في سردها.

---

(١) سورة ق آية ٣.

(٢) سورة الطارق آية ١١.

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٢٤٠.

(٤) سورة البقرة آية ٢٣٠.

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٢٤٠.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٢، ص ٢٠٢.

(٧) سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ماجاء في الترجيع في الأذان (١٤٠)، حديث (١٩١) وقال: (حديث صحيح).

الإمام

إذا تتبعنا اللفظ ومادته في أشعار الجاهليين نجدها تدل على ما ائتم به من رئيس وغيره، قال عوف بن عطية[1]:

نَـــؤُمُّ البِـــلادَ لِحِـــبِّ اللّقَـــاءِ ... ولا نَتَّقِـــي طَـــائِراً حيـــثُ طَـــارَا

وقال لبيد بن ربيعة[2]:

مِـــنْ مَعْشَـــرٍ سَـــنَّتْ لَهُـــمْ آبـــاؤهُمْ ... وَلِكـــلِّ قَـــوْمٍ سُـــنَّةٌ وإمامُهـــا

يقول: إن كل الذين عدهم من قومه ممن يحملون صفات العدل وأداء الحقوق والكرم هم من معشر سَنَّتْ لهم آباؤهم سُنَّة تُحْتَذى ومثال يُتّبع[3].

والإمام: المثال. ومن ذلك قول النابغة[4]:

---

(١) المفضليات، ص ٤١٥.

عوف بن عطية بن الخِرِع التيمي (والخِرِع) لقب جدّه أحد بني تَيْمْ الرباب بن عبد مناة بن أد بن طابخة ابن إلياس ينتهي نسبه إلى معد بن عدنان، وكان فارسا من فرسان العرب، شاعر جاهلي مفلق، جعله ابن سلام من شعراء الطبقة الثامنة.

معجم الشعراء: ٢٧٦. وطبقات الشعراء ص ٣٦. والخزانة ٦:٣٧٠.

(٢) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق وتقديم إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص ٣٢٠.

لبيد بن ربيعة بن مالك بن كلاب العامري: يكنى أبا عقيل، كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، أدرك الإسلام وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم مات أول خلافة معاوية وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة. ويروى عنه عند استنشاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه له شيئا من شعره قوله: ماكنت لأقول شعرا بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران.

طبقات فحول الشعراء: ١٣٥. والشعر والشعراء: ٢٨٠. والمؤتلف والمختلف: ١٧٤.

(٣) ديوان لبيد: ص ٣٢٠.

(٤) ديوان النابغة: ص ١٣٦.

أَبُــــوهُ قبلَـــــهُ وأَبُــــــو أَبِيـــــهِ   بَنَـــوْا مَجـــدَ الحيـــاةِ علـــى إمـــامِ

أي ائتموا بفعل مَنْ مضى من آبائهم، واتخذوا إماما: احتذوا عليه[1].

وربط بعض اللغويين بين لفظ (أمَام) ويؤم القوم حيث إن مَنْ يـؤم القـوم يتقدمهـم، وأمام بمعنى قدام، وورد في اللسان: الأمام بمعنى القُدَّام، وفلان يؤم القوم: يقدُمهم، وقال أبو بكر[2] يؤم القوم: أي يتقدمهم، أُخذ من الأمام. يقال: فلان إمام القوم، معناه هوالمتقدم لهم[3]. من ذلك قول حاتم الطائي[4]:

وَمَـــاابْتَعَثَتْنِي فِي هَـــوايَ لَجَاجَـــةٌ   إِذَا لَـــمْ أَجِـــدْ فِيمَـــا أَمَـــامِي مُقَدَّمـــا

وقال أيضا[5]:

لَنَـــا أَجَـــلٌ إمَّـــا تَنَـــاهَى إِمامُـــهُ   فَنَحْـــنُ علـــى آثَـــارِهِ نَتَـــوَرَّدُ

وحمل اللفظ في القرآن الكريم هذه الدلالة اللغوية.

فالإمام من يُقتدى بقوله أو فعله، سواء أكان محقا أو مبطلا، وسُمي الكتاب إماماً من هذا المعنى[6]. قال تعالى[7]: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿**وجعلناهم أئمة**﴾: أي يُقتدى بهم. ﴿**يهدون بأمرنا**﴾: أي يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿**وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة...**﴾ من باب

(١) ديوان النابغة: ص ١٣٦.

(٢) ديوان حاتم الطائي: ص ٢٣٧.

(٣) لسان العرب، (مادة: أم) جـ١: ص ١٣٤.

(٤) ديوان حاتم الطائي: ص ٢٣٧.

(٥) المرجع السابق: ص ٢٦٢.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٢٦.

(٧) سورة الأنبياء آية ٧٣.

عطف الخاص على العام[1].

وورد بمعنى الرؤساء في الشرك والقادة في الضلال، ومن ذلك قوله تعالى[2]: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾

وجاء بمعنى اللوح المحفوظ المشتمل على جملة الأقوال والأفعال والأحوال، وذلك في قوله تعالى[3]: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾

وإمام: كتاب؛ لكونه يُقتدى بما فيه، قال تعالى[4]: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

ومعنى إمامهم أي بالذي يقتدون به، وقيل بكتبهم كالتوراة والإنجيل والصحف والزبور والفرقان[5].

وإذا كان اللفظ في القرآن يدل على مَنْ يُقْتدى بقوله أو فعله سواء أكان مُحقاً أو مبطلا إنساناً أو غيره كالكتاب، فإنه يُخصّص في سياقات الحديث النبوي ليدل على مَنْ يُقتدي به الناس في صلاتهم، وقد بَيَّن النبي ﷺ للمسلمين من هو أولاهم وأحقهم بالإمامة، فالذي يؤم القوم يجب أن يكون أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، وإن تساووا فأقدمهم هجرة، فإذا كانوا في ذلك سواء أيضا يتقدمهم أكبرهم سِنّا. من ذلك مارواه مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ: (يؤُمُ القَومَ أقْرأهم لكتابِ الله وأَقْدَمُهم قِراءة، فإن كانت قراءتهم سواء فليَؤُمهُمْ أقدمهم هِجْرة، فإنْ كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكْبرهُم سنا، ولا تؤُمنَّ الرجل في أَهْلِهِ ولا في سُلْطَانِهِ ولا تجْلس على تَكْرِمَتِه في بيته إلا أنْ يَأْذَن لك أو بإِذْنه)[6].

ويجب على المأمومين الاقتداء بالإمام وعدم مخالفته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ٣، ص ١٩.

(٢) سورة القصص آية ٤١.

(٣) سورة يس آية ١٢.

(٤) سورة الإسراء آية ٧١.

(٥) بصائر ذوي التمييز، جـ٢، ص ١١٠، والمفردات في غريب القرآن، ص ٢٤.

(٦) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥- باب مَنْ أحق بالإمامة ٥٣ حديث ٢٩١ (٦٧٣).

قال: قــال رسـول ا لله ﷺ: (**إنمـا جُعِـل الإمـام لِيُؤْتَـمَّ بـه، فـإذا كَـبَّر فكَـبِّروا، وإذا قَـرأ فأَنْصِتوا، وإذا قال: سمع ا للهُ لمن حمده، فقولوا اللَّهم ربنا لك الحمد**)[1].

وبهذا يكون الإمام لفظاً إسلامياً حديثياً لم يتخصص في سياقات القرآن على كـثرة ذكر الصلاة والحديث عنها وفي هذا دليل على أن ألفاظ القرآن لم تحمـل كـل التفصيـلات الخاصة بالعبادات، فالقرآن لم يُحدد من يؤم الناس في الصلاة، و لم يذكـر شـروط الإمامـة، وجاءت هذه التفصيلات على لسان رسول ا لله ﷺ فَتَخَصّص لفـظ إمـام في الدلالـة علـى من يَقْتَدي به الناس في صلاتهم عند أدائها جماعة في المسجد أو في أي مكان.

(١) سنن النسائي، كتاب: الافتتاح ١١، تأويل قول ا لله عز وجل: ﴿**وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكـم ترحمون**﴾ ٣٠- حديث (٩٢١).

وسنن ابن ماجة، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها ٥- باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا ١٣، حديث ٨٤٦.

وأخرجه أبو داود، كتاب الصــلاة ٢- بـاب الإمـام يصلـي مـن قعـود، ٩٦، حديـث (٦٠٤) مختصـراً. قـال السندي: هذا الحديث صححه مسلم ولا عبرة بتضعيفه.

التهجير

وردت مادة هذا اللفظ في الشعر الجاهلي ودلت على معان متعددة ومنها الدلالة على الوقت (فالهجيرُ والهاجِرةُ نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر، وقيل في كل ذلك: إنه شدة الحر)[١].

والهَجْر والهَاجِرَة: نصف النهار عند اشتداد الحر[٢]. وسميت بذلك؛ لأن الرجل يهجر صاحبه في هذا الوقت من شدة الحر. ومن ذلك قول عنترة[٣]:

بِهَاجِرَةٍ حَتَّى تَغَيَّبَ نورُها ... وَأَقْبَلَ ليلٌ يَقْبِضُ الطَّرْفَ سائِحُ

بهاجرة: أي قاتلناهم نصف النهار.

وجمع الهاجرة هواجر، قال سلمة بن الخرشب الأنماري[٤]:

مُقَرِّنُ أَفراسٍ لَهُ برواحِلٍ ... فَغَاوَلْنَهُمْ مُسْتَقبِلاتِ الهواجِرِ

وهَجَّر الرجل: إذا خرج بالهاجرة، وهي نصف النهار، وتَهَجَّروا إذا ساروا في

(١) الصحاح: (مادة هجر) جـ٢، ص ٨٥١.

(٢) اللسان (مادة هجر) جـ٦، ص ٤٦١٩.

(٣) ديوان عنترة، دراسة وتحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ص٣٠١.

عنترة بن شداد بن قراد بن بغيض: قيل شداد جده أبو أبيه، غلب على اسم أبيه فنسب إليه، وإنما هو عنترة بن عمرو بن شداد. وقيل: شداد عمه، وكان عنترة نشأ في حجره. من مشاهير شعراء الجاهلية وفرسانها المذكورين. شهد حرب داحس والغبراء فحسن فيها بلاؤه.

طبقات فحول الشعراء: ١٥٢. والشعر والشعراء: ٢٥٦. والمؤتلف والمختلف: ١٥١. بلوغ الأرب جـ٣ ص١١٦.

(٤) المفضليات: ص ٣٨.

سلمة بن الخرشب الأنماري: لم أعثر على ترجمته.

الهـاجرة، والتَهْجـير والتَهَجّـر والإهْجَـار: السـير في الهـاجرة[1]. ومـن ذلـك قـول امـرئ القيس[2]:

فَـدَعْ ذَا وَسَـلِّ الهَـمَّ عَنْـكَ بَجَسْـرَةٍ   ذَمُـولٍ إذا صـامَ النَّهـارُ وهَجَّـرَا

والتّهجّرُ: سير الهاجرة، قال علقمة بن عبدة[3]:

وَنَاجِيَـةٍ أَفْنَـى رَكِيـبُ ضُلُوعِهـا   وحَارِكَهـا تَهَجُّـرٌ فَـدءوبُ

والتهجر أيضا: سير في الهواجر، قال النابغة[4]:

هـل تُبْلِغَنّهُـمُ حَـرْفٌ مُصَرَّمَـةٌ   أُجْـدُ الفَقـارِ وإدلاجٌ وتَهْجِـيرُ

و لم يرد اللفظ بهذا المعنى في القرآن الكريـم، وارتبـط في الحديـث النبـوي بـالصلاة، فأصبح يعني التبكير إلى الصلاة، من ذلك مارواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عـن أبي هريرة رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: **(لَوْ يَعْلَمُ النَّاس مافي النِّداءِ والصـف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يَسْتَهِمُّوا عليه لاسْتَهَمُّوا، ولو يعلمـون مـافي التَهْجِيرِ لاسـتبقوا إليـه، ولو يعلمون مافي العتمة والصبح لأتوهما ولو حَبْواً)**[5].

التّهْجير: التبكير إلى الصلاة، أي صلاة كانت، قال الهـروي وغـيره: وخصـه الخليـل

(١) لسان العرب (مادة هجر): جـ٦، ص ٤٦١٩.

(٢) ديوان امرئ القيس: ص ٦٣.

(٣) شرح ديوان علقمة بن عبدة التميمي لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بـن عيسـى المعـروف بـالأعلم الشـنتمري، اعتنى بتصحيحه الشيخ ابن أبي شنب الأستاذ بكلية الآداب بالجزائر، خزانة الكتب العربية، ص ٢٣.

علقمة بن عبدة بن ناشرة بن زيد مناة بن تميم: الشاعر المشهور أحد شعراء الجاهلية، وقيل له الفحل من أجل رجل آخر يقال له علقمة الخصي. جعله ابن سلاّم في الطبقة الرابعة.

طبقات فحول الشعراء: ١٣٩. والشعر والشعراء: ٢٢٤. والمؤتلف والمختلف: ١٥٢.

(٤) ديوان النابغة: ص ١٥٧.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأذان ١٠- باب الاستهام في الأذان ٩، حديث (٦١٥).

وصحيح مسلم: كتاب الصلاة ٤- باب تسوية الصفوف وإقامتها.. رقم ٢٨، حديث (٤٣٧).

بالجمعة، والصواب المشهور الأول[1].

ومُهجِّراً: مُبكراً للصلاة، من ذلك مارواه ابن عمر قال: غدا رسول الله ﷺ من منى حين صلى الصبح صبيحة يوم عرفة حتى أتى عرفة فنزل بنمرة، وهي منزل الإمام الذي ينزل به بعرفة. حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله ﷺ مُهَجراً فجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس، ثم راح فوقف على الموقف من عرفة)[2].

قال ابن الأثير في تفسير معنى التهجير: التهجير التبكير إلى كل شيء والمبادرة إليه. يقال هَجَّر يُهَجِّر تَهْجِيرا، فهو مُهَجِّر، وهي لغةٌ حجازية، أراد المبادرة إلى أول وقت الصلاة[3].

وقال صاحب اللسان: يعني التبكير إلى جميع الصلوات، وهو المضي إليها في أول أوقاتها[4].

يظهر مما سبق أن التّهجير لفظ خصصه الحديث للدلالة على التبكير للصلاة فاكتسب هذا المعنى الإسلامي بعد أن كان المراد منه معنى عاماً وهو التبكير إلى كل شيء، فأصبح ذا دلالة شرعية وهي المضي إلى الصلاة في أول أوقاتها.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: جـ٤، ص ٣٧٩.

(٢) سنن أبي داود: كتاب المناسك ٥- باب الخروج إلى عرفة ٦٠، حديث (١٩١٣).

(٣) النهاية في غريب الحديث: جـ٥، ص ٢٤٦.

(٤) اللسان (مادة هجر): جـ٦، ص ٤٦١٩.

الفصل الثالث

ألفاظ الصلاة

الصلاة

جاء لفظ صلاة في الشعر الجاهلي دالاً على الدعاء، وعلى العبادة المفروضة، وقد ورد بمعنى الدعاء في قول أبي قيس بن الأسلت[1]:

فَقومُوا فَصلُّوا ربكم وتمسَّحُوا ... بَأركانِ هَذا البيْتِ بينَ الأخاشبِ

ومعنى صلوا ربكم: أي ادعوا ربكم.

والصلاة الدعاء للمرثي بالرحمة، من ذلك قول السفاح بن بكير اليربوعي يرثي يحيى ابن شداد بن ثعلبة[2]:

صَلى عَلى يَحْيى وَأشياعِه ... رَبٌّ غفورٌ وشَفيعٌ مطاعْ

والصلاة بمعنى العبادة المفروضة. قال امرؤ القيس[3]:

لهـا مقلـةٌ لـوْ أنّهَا نَظرتْ بها ... إلى رَاهبٍ قَد صَامَ لله وابتَهلْ
لأصْبحَ مفتُوناً معنّى بِحُبّها ... كَأنْ لم يَصُمْ لله يوماً ولم يُصَلّْ

---

(١) لسان العرب: (مادة صلا) جـ ٤، ص ٢٤٩٠.

أبو قيس بن الأسلت من بني عمرو بن عوف: ذكره ابن سلاّم ضمن شعراء المدينة الفحول، وقال عنه شاعر مجيد. وقد ذكروا أنه أقبل يريد النبي ﷺ فقال له عبدالله بن أبي خفت: والله سيوف الخزرج، قال لاجرم والله لأسلم حولا فمات في الحول.

طبقات الشعراء: ص ٥٦.

(٢) السيرة النبوية: أبو محمد عبدالملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار الكنوز الأدبية، جـ١، ص ٥٩.

السفاح: لم أعثر على ترجمة له،غير ماذكره صاحب الخزانة من أن اسمه السفّاح بن بُكير بن معدان اليربوعي، وله أبيات في رثاء يحيى بن شدّاد بن ثعلبة بن بشر، أحد بني ثعلبة بن يربوع.

الخزانة: جـ١: ص ٢٩٠.

(٣) ديوان امرئ القيس: ص ٤٦٧.

ووردت أيضاً بهذا المعنى في تَلبِيَات الجاهليين ومنها تلبية الأزد[1]:

يَـــاربِّ لَـــولا أَنْـــتَ مَاسَـــعَيْنا بَـــينَ الصفَـــا وَالمروَتَـــين فِيْنـــا
وَلا تَصدَّقْنَـــا وَلا صلَّيْنَـــا ولا حَللْنَـــا مَـــع قُرِيْـــشٍ أيْنـــا

ولفظ صلاة في القرآن ورد بمعنى العبادة المفروضة التي فرضها الله على المسلمين جميعا على لسان رسوله ﷺ، والتي تمثل الركن الثاني من أركان الإسلام، وورد أيضا بمعنى الدعاء في آيات كثيرة، منها قوله تعالى[2]: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ وصل عليهم أي ادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها. إن صلاتك سكن لهم يقول: إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم[3].

والصلاة من الله: الرحمة أو التعظيم، قال تعالى[4]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝﴾

صلاة الله على عبده: عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة، قال الزجاج: الصلاة من الله عز وجل الغفران والثناء الحسن[5].

والصلاة بمعنى العبادة المفروضة، قال تعالى[6]: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝﴾ أي واجبة في أوقات معلومة[7].

---

(١) الأزمنة وتلبية الجاهلية: أبو علي محمد بن المستنير قطرب، تحقيق وتقديم حنا جميل حداد، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. ص ١٢٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٣) البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. جـ١، ص ١٣، ١٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، جـ٢، ص ١٧٧.

(٦) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٧) البحر المحيط: جـ٣، ص ٣٤٢.

والصلاة عند الفقهاء عبارة عن الأركان المخصوصة من التحريمة والقيام والقراءة والركوع والسجود والقعود[١].

وكل موضع مدح الله تعالى فيه بفعل الصلاة أو حث عليها ذكرها بلفظ الإقامة نحو قوله تعالى[٢]: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وقوله سبحانه[٣]: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ولم يقل المصلين إلا في المنافقين،نحو قوله تعالى[٤]: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وقوله تعالى[٥]: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾

وإنما خص لفظ الإقامة تنبيهاً أن المقصود من فعلها توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها فقط؛ لهذا روي أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل[٦].

وورد لفظ الصلاة في القرآن الكريم بمعنى الدين في قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب[٧]: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾...
وهذه دلالة أعم من دلالة اللفظ على العبادة المفروضة.

ويسمى موضع العبادة صلاة؛ ولذلك سميت الكنائس صلوات[٨]. قال تعالى[٩]: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى صلوات، فقال بعضهم: عَنَى بالصلوات الكنائس، ويسمون الكنيسة صلوتا. وقال آخرون عنى بالصلوات مساجد الصابئين. وقال آخرون: هي مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق[١٠].

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق لطفي عبدالبديع، المؤسسة المصرية العامة ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م. جـ٣، ص ٢٧٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٤) سورة الماعون آية ٤،٥.

(٥) سورة التوبة آية ٥٤.

(٦) بصائر ذوي التمييز، جـ٣، ص ٤٣٦.

(٧) سورة هود: الآية ٨٧.

(٨) بصائر ذوي التمييز، جـ٣، ص ٤٣٦.

(٩) سورة الحج: الآية ٤٠.

(١٠) جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، جـ٩، ص ١٢٥.

قال أبو البقاء: كل صلاة في القرآن عبادة ورحمة إلا ﴿وصلوات ومساجد﴾ فإن المراد الأماكن. وهذه الدلالة ناتجة عن الصلة المكانية بين العبادة المخصوصة والمكان الذي تُؤَدى فيه هذه العبادة.

وبهذا يتبين أن للفظ صلاة في القرآن الكريم عدة دلالات، فقد ورد بمعنى الدين وأماكن العبادة كما جاء دالا على الدعاء والصلوات المفروضة، فما الذي جاء به الحديث النبوي عن هذا اللفظ الإسلامي؟

جاءت الأحاديث لِتُثبت المعاني التي وردت في القرآن، فالصلاة: الدعاء، قال أبو عبيد في حديثه عليه السلام: (إذا دُعي أحدكم إلى طعام فلْيُجبْ، فإن كان مُفْطِراً فليأكل، وإن كان صائماً فليُصلِّ) قال قوله: فليصلِ يعني يدعو له بالبركة والخير. قال أبو عبيد كل داع فهو مصل. وكذلك هذه الأحاديث التي جاء فيها ذكر صلاة الملائكة كقوله: الصائم إذا أُكِل عنده الطعام صلت عليه الملائكة حتى يُمْسِي. وحديثه من صلى على النبي ﷺ (صلاة) صلت عليه الملائكة عشراً. وهذا في حديث كثير، فهو عندي كله الدعاء[1].

والصلاة: الرحمة، قال أبو عبيد: وأما حديث ابن أبي أوفى أنه قال: أعطاني أبي صدقة ماله فأتيت بها رسول الله ﷺ فقال: (**اللهُمَّ صَلِّ على آلِ أَبيْ أَوْفَى**)[2]، فإن هذه الصلاة عندي: الرحمة، ومنه قولهم: اللهم صل على محمد. ومنه قوله تعالى[3]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ فهو من الله رحمة، ومن الملائكة دعاء. والصلاة ثلاثة أشياء: الدعاء، والرحمة، والصلاة)[4].

وكما أكدت سياقات الأحاديث المعاني الواردة في القرآن فقد فصلت المجمل، ووضحت المبهم فيما يتصل بموضوع الصلاة، وأول تفصيل نجده هو تحديد عددها وأوقاتها وأسمائها في أحاديث كثيرة منها مارواه مسلم في صحيحه عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ أن رجلا سأله عن وقت الصلاة فقال له: (**صَلِّ معنا هَذين يعني (اليومين)**،

(١) غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، جـ١، ص ١٧٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الدعوات ٨٠- باب هل يُصلى على غير النبي ﷺ؟ ٣٣، حديث (٦٣٥٩).

وصحيح مسلم: كتاب الزكاة ١٢- باب الدعاء لمن أتى بصدقته ٥٤، حديث (١٠٧٨).

(٣) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(٤) غريب الحديث: ابن سلام الهروي، جـ١، ص ١٧٩، ١٨٠.

فلما زالت الشمس أمر بلالا فأذن ثم أمره فأقام الظهر ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية، ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق ثم أمره فأقام الفجر حين طلع الفجر، فلما أن كان اليوم الثاني أمره فأبرد بها فأنْعَمَ أَنْ يُبْرِدَ بها وصلّى العصر والشمس مرتفعة أخرها فوق الذي كان، وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق وصلى العشاء بعدما ذهب ثلث الليل، وصلى الفجر فأَسْفَر بها، ثم قال: **(أين السائل عن وقت الصلاة)**؟ فقال الرجل: أنا يارسول الله. قال: **(وقت صلاتكم بين مارأيتم)**[1].

قدّم لنا الحديث أسماء الصلوات وحدّد لنا وقتها، فالظهر والعصر والمغرب بعد أن كانت أسماء لأوقات معينة في الشعر الجاهلي أصبحت أعلاما للصلوات الخمس المفروضة، واستغنى السياق عن ذكر لفظ صلاة كما في الحديث السابق وغيره، ومعنى أقام الظهر أي أقام صلاة الظهر، فَفُهِم المراد من الكلمة أنها أصبحت عَلَماً على الصلاة التي تؤدى في وقت الظهيرة، ولفظ أقام في الحديث السابق قرينة دلت على أن المراد من الظهر صلاة الظهر.

وورد اللفظ في أحاديث أخرى دالاً على الصلاة المفروضة دون وجود أي قرينة، وفي هذا دلالة على أن هذه الألفاظ أصبحت ألفاظاً دالة على الصلوات الخمسة المفروضة في تلك الأوقات وليست أسماء للأوقات كما كانت في الشعر الجاهلي. ومن هذه الأحاديث التي جاءت فيها دالة على أسماء الصلوات الخمس دون أن يصاحبها مايدل على ذلك كلفظ صلاة أو إقامة ماروا عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: **(وَقتُ الظهر مالم يحضر العصر. ووقت العصر مالم تَصْفَرَّ الشَّمسُ، ووقت المغرب مالم يسقُطْ نُور الشفق، ووقت العشاء إلى نصف الليل، ووقت الفجر مالم تطلع الشمس)**[2].

وكذلك لفظ الضحى وهو اسم صلاة من صلوات النوافل، أصبح علما على الصلاة التي تؤدى في هذا الوقت، فعن مُعَاذَة العَدَوِيَّة أنّها سألت عائشة رضي الله عنها قالت: (كَمْ كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة الضحى؟ قالت: أَرْبع ركعات ويزيد ماشاء، وفي

---

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥- باب أوقات الصلوات الخمس ٣١، حديث (٦١٣).

(٢) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥- باب أوقات الصلوات الخمس ٣١، حديث (٦١٣).

رواية ماشاء الله)[1].

وإذا عدنا إلى معاني هذه الألفاظ في الشعر الجاهلي وجدناها دالة على الأوقات بعيدة عن المعاني الدينية.

فالصبح يدل على ظهور ضوء الفجر، ومن ذلك قول النابغة متحدثا عن راحلته التي لمّا بدا لها ضوء الصباح سارت و لم يتريث بها إلى طلوع الشمس[2]:

فَانشقَّ عَنها عَمُودُ الصُّبحِ جَافلةً عَدْوَ النّحُوصِ تخافُ القانِصَ اللّحِمَا

ومنه أيضاً قول امرئ القيس مخاطبا الليل يطلب منه أن ينجلي وينقضي بظهور ضوء الصبح[3]:

أَلاَ أيُّها اللّيْلُ الطويلُ أَلا انجَلِي بِصُبْحٍ ومَا الإصْباحُ فيكَ بأَمْثَلِ

والعِشَاء: أول ظلام الليل، ومنه قول عروة بن الورد لمن يهجوه أنه ليس بصاحب إدلاج ولا غَزْوٍ بَلْ ينام أول الليل[4]:

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٦- باب استحباب صلاة الضحى ١٣، حديث (٧١٩).

(٢) ديوان النابغة: ص ٦٥.

(٣) ديوان امرئ القيس: ص ١٨.

(٤) شرح ديوان عروة بن الورد العبسي: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السِّكيت، صححه ابن أبي شنب، خزانة الكتب العربية، ص ٧٥.

عروة بن الورد: من بني عبس، كان يلقب عروة الصعاليك، وكان جاهليا، وكان أصاب في بعض غاراته امرأة من كنانة فاتخذها لنفسه فأولدها وحج بها، ولقيه قومها وقالوا: فادِنا بصاحبتنا فإنّنا نكره أن تكون سبية عندك.. ولما اختارت قومها، وكان يرى أنها لاتختار عليه قالت: أما إني لاأعلم امرأة ألقتْ ستراً على خير منك: أغفل عينا وأقل فحشا وأحمى لحقيقته. وقال عبدالملك بن مروان: مايسرني أن أحدا من العرب ولدني إلا عروة بن الورد لقوله:

إنـي امـرؤٌ عـافِي إنـائي شـرْكةٌ وأنـت امـرُؤٌ عـافي إنـائِك واحـدٌ

أقسّـمُ جسـمي في جُسُـومٍ كثـيرةٍ وأحْسُـوا قَـرَاحَ المـاءِ، والمـاءُ بـاردُ

الشعر والشعراء: جـ٢ ص ٦٧٩، ٦٨٠.

يَنَـــامُ عِشَـــاءً ثُـــمَّ يُصْبِـــحُ طَاوِيَـــاً يَحُـــتُّ الحَصَـــى عـــن جَنْبِـــهِ المتَعَفِّـــرِ

والضُحى: بالضم والقصر ضحوة النهار بعد طلوع الشمس [1].

قال المرقش الأكبر[2]:

عِظَــامُ الجِفَـــانِ بالعَشِـــيَّاتِ والضُّحَـــى مَشَـــايِيطُ للأبْـــدَانِ غَـــيرُ التَّـــوَارِفِ

يريد أنهم ينحرون غدوة وعشية، وبالمشاييط جمع مشياط وهم النحّارون. كما أنهم قوّامون على الحروب آخذون بالثأر لايطمئنون للترف والدعة[3].

وفي القرآن الكريم ورد تحديد الصلوات الخمسة تحديدا عاما لم يخصص فيه لفظ لكل صلاة من الصلوات المفروضة، وذلك في قوله سبحانه وتعالى[4]: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝﴾.

هذه الآية خطاب للنبي ﷺ يأمره بالصبر على تكذيب الكفار له أسوة بالرسل قبله، كما يأمره في قوله ﴿**وسبح بحمد ربك**﴾ بالصلاة والشكر له عز وجل على ماأنعم به عليه من النبوة ورفعة القدر وعظم الشأن، وعيّن له أوقات الصلوات فقال ﴿**قبل طلوع الشمس**﴾ وهي صلاة الصبح ﴿**وقبل الغروب**﴾ وهما الظهر والعصر ﴿**ومن الليل فسبحه**﴾ وذلك بصلاة العشاء ﴿**وأدبار السجود**﴾ وهي النوافل عقب الفرائض كما في البخاري عن ابن عباس. وإطلاق التسبيح على الصلاة وارد في السنة ومنه سبحة الضحى.

---

(١) لسان العرب (مادة ضحا) جـ٤، ص ٢٥٥٩.

(٢) المفضليات: ص ٢٣٣.

ربيعة بن سعد بن مالك: ويقال: بل هو عمرو بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة، كان على عهد مهلهل بن ربيعة، وشهد حرب بكر وتغلب.

الشعر والشعراء: ٢١٦. ومعجم الشعراء: ٢٠١. والمؤتلف والمختلف: ١٨٤.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٣٣.

(٤) سورة ق آية ٣٩:٤٠.

كما ذكر القرآن كُلا من صلاة الفجر وصلاة العشاء، وذلك في قوله تعالى(١):

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

وأضاف الحديث النبوي صلاة الظهر والعصر والمغرب، بينما ظلت في القرآن محتفظة بدلالتها على الوقت، فالظهر لساعة الزوال، والظهيرة أضوأ أوقات النهار وأظهرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة**﴾ كما دلت على الدخول في الوقت في قوله تعالى(٢): ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

وورد لفظ العصر في القرآن في آية واحدة دالا على الزمن في قوله تعالى(٣): ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞﴾

فالعصر: الدهر، وقد أقسم سبحانه به لِمَا فيه من العِبَر. وقال قتادة والحسن: المراد به في الآية العَشِي، وهو مابين زوال الشمس وغروبها، وروي عن قتادة أيضا أنه آخر ساعة من ساعات النهار. وقال مقاتل: إن المراد به صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى التي أمر الله سبحانه بالمحافظة عليها. وقيل هو قسم بعصر النبي ﷺ قال الزجاج: قال بعضهم: معناه ورب العصر(٤).

وورد لفظ الغرب والمغرب في القرآن دالين على الجهة وعلى الزمان، فالغرب الجهة وهي أقصى ماتنتهي إليه الشمس، ومثله المغرب للموضع، ثم استعمل في المصدر والزمان، وقياسه الفتح، ولكن استعمل بالكسر كالمشرق والمسجد، ويُثَنّى ويُجْمع باعتبار اختلاف مغارب الشمس باختلاف الفصول(٥).

---

(١) سورة النور آية ٥٨.

(٢) سورة الروم آية ١٨.

(٣) سورة العصر آية ١، ٢.

(٤) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م. جـ٥، ص ٤٩١.

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٤٥٠.

ومن الآيات التي ورد فيها دالا على الزمان أو المكان قوله تعالى[1]: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ باعتبار الجهتين، وجاء أيضا مُثنى وجمعاً دالاً على المكان وذلك في قوله تعالى[2]: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ وورد الجمع في قوله تعالى[3]: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ وذكر الأصفهاني في تفسير ذلك قائلا: (والمشرق والمغرب إذا قيلا بالإفراد فإشارة إلى ناحيتي الشرق والغرب، وإذا قِيلا بلفظ الجمع فاعتبارُ بمطلع كل يوم ومغربه أو بمطلع كل فَصْل ومغربه)[4].

وبهذا تكون الألفاظ: الظهر والعصر والمغرب قد انتقلت مجازا من الدلالة على الوقت إلى الدلالة على الصلاة التي تؤدى فيه، فهذا مجاز علاقته زمانية؛ وذلك لتدل على الصلوات المفروضة وتكون علما عليها، حتى نجد السياقات تستغني عن لفظ صلاة كما في الحديث السابق (ووقت المغرب) أي وقت صلاة المغرب، وكذلك فيما رواه ابن ماجة عن العباس بن عبدالمطلب قال: قال رسول الله ﷺ: (**لاتَزَالُ أُمتي على الفِطَرةِ مالم يُؤَخِّروا المَغْرِبَ حَتى تَشْتَبِكَ النجومُ**)[5].

فالمغرب لفظ إسلامي يراد به صلاة المغرب التي يؤديها المسلم بكيفية معينة بعد غروب الشمس وهذا مجاز.

أما صلاة العشاء فقد كان الناس يسمونها بصلاة العتمة، فعن أبي سعيد الخدري قال: (صلينا مع رسول الله ﷺ صلاة العتمة فلم يخرج حتى مضى نحوٌ من شطر الليل، فقال: (**خُذُوا مقاعدكم**) فأخذنا مقاعدنا، فقال: (**إنَّ النَّاس قَدْ صَلّوا وأخَذَوا مَضَاجِعَهم وإنّكم لن تَزالوا في صَلاةٍ ماانْتَظرتُمُ الصلاة، ولولا ضَعْفُ الضَعيفِ وسُقْمُ السَّقيم**

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٨.

(٢) سورة الرحمن: الآية ١٧.

(٣) سورة المعارج: الآية ٤٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ص ٣٥٩.

(٥) سنن ابن ماجه: كتاب الصلاة ٢- باب وقت صلاة المغرب ٧، حديث (٦٨٩). قال البوصيري في مصباح الزجاجة: ٢٤٤:٢ (٢٥٧) (هذا إسناد حسن).

لأخرتُ هذه الصَّلاةَ إلى شَطْرِ الليل)[1].

وقد أمرهم النبي ﷺ بتسميتها العشاء كما وردت في القرآن، فعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (**لاتَغْلِبَنَّكُمُ الأَعْرابُ على اسمِ صَلاتكِم ألا إنَّها العِشاءُ وهم يُعْتِمون بالإبلِ**)[2].

وسميت صلاة الفجر بصلاة الصبح من ذلك مارواه رافع بن خديج،قال: قال رسول الله ﷺ: (**أَصْبِحوا بالصبحِ فإنَّه أَعْظَمُ لأُجُورِكم أو أَعْظَمُ للأَجْرِ**)[3].

وفي الحديث النبوي مصطلح يجمع بين صلاة الفجر والعصر هو: البردان (وهما الغداة والعشي) وذلك لطيب الهواء وبَرْدِه فيهما. والعلاقة بين معنى اللفظ اللغوي ومعناه الشرعي زمنية، حيث دل اللفظ على صلاتي العصر والفجر اللتين تُصليان في هذا الوقت.

ومن الأحاديث التي ورد فيها هذا اللفظ مارواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من صَلَّى البَرْدَين دخَل الجَنَّةَ**)[4].

والبردان من بَرَدَ والبَرْدُ: ضد الحر، والبردان العصران، وكذلك الأبردان، وقيل: هما الغداة والعشي، وقيل ظلالهما[5].

وورد في الشعر الجاهلي (العصران) في قول عبيد بن الأبرص[6]:

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب وقت العشاء الآخرة ٧، حديث (٤٢٢).
وسنن النسائي: كتاب المواقيت ٦- آخر وقت العشاء ٢١، حديث (٥٣٨).
وسنن ابن ماجة: كتاب الصلاة ٢- باب وقت العشاء وتأخيرها ٣٩، حديث (٦٤٤).

(٢) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥- باب وقت العشاء وتأخيرها ٣٩، حديث (٦٤٤).

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب في وقت الصبح ٨، حديث (٤٢٤).
وسنن الترمذي: أبواب الصلاة - باب ماجاء في الإسفار بالفجر ١١٧، حديث (١٥٤).
وسنن النسائي: كتاب المواقيت ٦- الإسفار ٢٧، حديث (٥٤٨).
وسنن ابن ماجة: كتاب الصلاة ٢- باب وقت صلاة الفجر ٢، حديث (٦٧٢). قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

(٤) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة ٩- باب فضل صلاة الفجر ٢٦، حديث (٥٧٤).
وصحيح مسلم: كتب المساجد ومواضع الصلاة ٥- باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ٣٧، حديث (٦٣٥).

(٥) لسان العرب (مادة برد): جـ١، ص ٢٤٨.

(٦) ديوان عبيد بن الأبرص: ص ١١٩.

أَلِيـــــنُ إِذَا لانَ الغَرِيــــــمُ وأُلْيَــــــوِى إذا اشْـتَدَّ حتــى يُــدرِكَ الدَّيْـــنَ قـــاتِلي
وأَمْطُلُـــهُ العَصْرَيْـــنِ حتـــى يَملَّـــني ويرْضَـى ببَعْـضِ الدَّيْـنِ في غـير نَـــائلِ

وقوله ﷺ: **(من صلى البردين دخل الجنة)** هما الغداة والعشي، لطيب الهواء وبـرده فيهما. وقوله ﷺ **(إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة)**[1] أي صلوها إذا انكسر وهج الشمس بعد الزوال، وإذا كانوا في سفر فزالـت الشـمس وهبَّـت الأرواح تنـادوا: أبـردتم بـالرواح، وحقيقة الإبراد: الدخـول في الـبرد، كقولـك: أظهرنـا وأفْجَرنـا، والبـاء للتعديـة، والمعنـى: ادخلوا الصلاة في البرد[2].

وجاءت في الحديث بلفظ العصرين، فعن عبدا لله بن فضالـة عـن أبيـه قـال: علمنـي رسول ا لله ﷺ فكان فيما علمني (وحافظ على الصلـوات الخمـس) قـال: قلـت: إن هـذه ساعات لي فيها أشغال، فمرني بأمر جامع إذا أنـا فعلتـه أجـزأ عـني، فقـال: **(حـافظ علـى العصرين)** وماكانت من لغتنا، فقلت: وما العصران؟ فقـال: (صـلاة قبـل طلـوع الشـمس وصلاة قبل غروبها)[3].

من هذا يتبين لنا أن الحديث النبـوي هـو الـذي نقـل لنـا الألفـاظ (الظهـر، العصـر، المغرب) من مجرد دلالتها على الأوقات لتصبح أعلاما على صلوات يؤديها المسـلم في اليـوم والليلة، وكذلك لفظ الضحى الذي أصبح علما على صـلاة النافلـة الـتي يؤديهـا المسـلم في هذا الوقت، كما سمى الحديث صلاتي الفجر والعصـر بالـبردين والعصريـن فـانتقلت هـذه الألفاظ من دلالاتها اللغويـة إلى دلالاتهـا الإسـلامية بالمجاز وعلاقتـه زمانيـة أَيْ:أنَّ اللفـظ أصبح علما على الصلاة التي تصلى فيه. وكذلك لفـظ الـبردين والعصريـن اللذيـن أصبحـا دالين على الفرضين اللذين يصليان فيهما وهما الصبح والعصر.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة ٩- باب الإبراد بالظهر في شدة الحر ٩، حديث (٥٣٦).
وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصـلاة ٥- بـاب استحباب الإبـراد بـالظهر في شـدة الحـر ٣٢، حديث (٦١٥) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه.

(٢) الفائق في غريب الحديث: جار ا لله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيـق علـي محمـد البجـاوي، ومحمـد أبـو الفضـل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، جـ١، ص ٩١.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٣- باب في المحافظة على وقت الصلوات ٩، حديث (٤٢٨).

فريضة

من الألفاظ التي وردت في الحديث النبوي و لم أعثر عليها فيما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي لفظ (فريضة) ولعل ذلك يعود إلى أن حياة الجاهلي بعيدة عن هذه المعاني.

وجاء لفظ (فرض) في القرآن بمعنى أوجبَ وألزمَ، قال تعالى[1]: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ أي أوجب.

ويحمل اللفظ أيضا معنى الإحلال في مثل قوله تعالى[2]: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾. وقيل: كل موضع ورد (فرض الله عليه)، ففي الإيجاب الذي أوجبه الله، وما ورد من فرض الله له فهو ألا يحظُرها على نفسه[3] نحو ﴿**ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له**﴾.

والفارض: المسن من البقر، قال تعالى[4]: ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ وقيل: إنما سُمي فارضاً لكونه فارضاً للأرض أي قاطعاً، أي فارضاً لما يحمل من الأعمال الشاقة، وقيل: بل لأن فريضة البقر اثنان تبيع ومسنة، فالتبيع يجوز في حال دون حال، والمسنة يصح بذلُها في كل حال، فسميت المسنة فارض لذلك، فعلى هذا يكون الفارض اسما إسلاميا)[5].

وورد لفظ فرض وفريضة في الأحاديث النبوية دالاً على مافرضه الله وأوجبه على عباده مثل: فريضة الحج وفريضة الصدقة وفريضة صوم رمضان، من ذلك ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من خثعم استفتت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله: إن فريضة الله على عباده أدركت أبي شيخا كبيرا لايستطيع أن يستوي على الراحلة فهل

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٨.

(٣) بصائر ذوي التمييز: جـ٤، ص ١٨٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٦٨.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ص ٣٧٦.

يقضي أن أحج عنه قال: (**نعم**)[1].

وتخصص لفظ فريضة أيضا في بعض سياقات الأحاديث للدلالة على الصلوات المفروضة، فعن أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (**مامن عبد مسلم يصلي لله ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة**) أو (**إلا بُني له بيت في الجنة**)[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة**)[3].

وقد يحذف لفظ صلاة من السياق استغناء عنه بلفظ فريضة، من ذلك مارواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: (**إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن وجدت تامة كتبت تامة، وإن كان انتقص منها شيء قال: انظروا هل تجدون له من تطوع يُكمِّل له ماضيع من فريضة من تطوعه ثم سائر الأعمال تجري على حسب ذلك**)[4].

يتبين لنا من خلال السياقات السابقة أن لفظ فريضة دل على العبادات التي فرضها الله على عباده مثل: فريضة صوم رمضان وفريضة الحج وفريضة الصدقة، والسياق يبين المراد بلفظ فريضة بالإضافة أو بقرائن أخرى تحدد الفريضة المقصودة، وقد تخصص اللفظ في الدلالة على الصلوات المكتوبة، وقد دل في جميع السياقات التي جاء فيها معرفا بأل على الصلوات المفروضة إلا في ثلاثة مواضع دلت على صيام رمضان، من ذلك ماروته عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي ٦٤- باب حجة الوداع ٧٧، حديث (٤٣٩٩)، وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما أو للموت ٧١، حديث (١٣٣٤).

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٦- باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن ١٥، حديث (٧٢٨).

(٣) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥- باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات ٥١، حديث (٦٦٦).

(٤) سنن الترمذي: أبواب الصلاة، باب ماجاء أن أول مايحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ٣٠٥، حديث (٤١٣).
وسنن النسائي: كتاب الصلاة ٥- باب المحاسبة على الصلاة ٩، حديث (٤٦٦) وهذا لفظه، قال الترمذي (حديث حسن).

يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة وترك عاشوراء فكان مَنْ شاء صامه ومن شاء لم يصمه)[1].

ومن هنا يمكن القول إن لفظ فريضة مصطلح إسلامي يدل على الصلوات الخمسة المفروضة، وإذا أُطلِقَ كان الأغلب دلالته على هذا المعنى، ويُعد هذا المصطلح من قبيل المشترك اللفظي فهو يحمل دلالة عامة على الفرائض التي فرضها ا لله على عباده مثل فريضة الصوم والصدقة والزكاة، والسياق يُحدّد أحد هذه الفرائض ويخصصها تخصيصا إضافيا. كما خصصته بعض الأحاديث في الدلالة على الصلوات المفروضة، فمتى أُطلِق اللفظ دَلَّ عليها.

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير ٦٥- باب ﴿**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**﴾ ٢٤، حديث (٥٤٠٤). وصحيح مسلم: كتاب الصيام ١٣، باب صوم يوم عاشوراء ١٩، حديث (١١٢٥).

مكتوبة

لم أعثر على لفظ (كَتَبَ) وما اشتق منه فيما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي، ولعل ذلك يعود إلى أن حياة الجاهلي بعيدة عن هذا الاستعمال لهذا اللفظ، فلم يرد على ألسنة شعرائها.

وورد لفظ (كتب) في القرآن الكريم بمعنى فرض وأوجب، فكتب الله الأمر على فلان أي فرضه وأوجبه. ومنه قوله تعالى[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ أي فرضه وأوجبه عليكم[2].

وأيضا ورد اللفظ بمعنى أثبت وسجل، ومنه قوله تعالى[3]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي ثبّته وجعل قلوبهم تطمئن إليه. ومنه أيضا قوله تعالى[4]: ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي ماكتبوه من عندهم ونسبوه إلى الله افتراء عليه)[5].

وورد منه المشتق (مكتوب) في آية واحدة في قوله تعالى[6]: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾. ومعنى ذلك أي يجدون اسمه أو وصفه مثبتا أو مدونا في التوراة والإنجيل[7].

كما ورد لفظ (كتب) في الحديث النبوي بمعنى فرض وأوجب، من ذلك مارواه زيد بن ثابت أن النبي ﷺ اتخذ حجرة في المسجد من حصير فصلى رسول الله ﷺ فيها ليالي حتى اجتمع إليه ناس ثم فقدوا صوته ليلة فظنوا أنه قد نام، فجعل بعضهم ينحنح ليخرج إليهم فقال: (مَازَالَ بِكم الّذي رَأيتُ من صَنيعكُم حتى خَشيتُ أنْ يُكتبَ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٥٤٣.

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٧٩.

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٥٤٣.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٧) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٥٤٧.

عليكم، ولو كتب عليك ماقمتم به، فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة)[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ بسَرِفَ وأنا أبكي فقال: (**مالك أنَفِسْتِ**) قلت: نعم، قال: (**هذا أمر كتبه الله على بنات آدم اقضِ مايقضي الحاج غير أن لاتطوفي بالبيت**). وضحَّى رسول الله ﷺ عن نسائه بالبقر[2].

وورد من مشتقات هذا الفعل لفظ مكتوبة ودلَّ على الصلوات المفروضة ومنه ماروي عن يزيد بن عامر قال: جئت والنبي ﷺ في الصلاة فجلست و لم أدخل معهم في الصلاة. قال: فانصرف علينا رسول الله ﷺ فرأى يزيداً جالساً فقال: (**ألم تسلم يايزيد**)، قال: بلى يارسول الله، قد أسلمت، قال: (**فما منعك أن تدخل مع الناس في صلاتهم**)؟ قال: إني كنت قد صليت في منزلي وأنا أحسب أن قد صليتم، فقال: (**إذا جئت إلى الصلاة فوجدت الناس فصل معهم وإن كنت قد صليت تكن لك نافلة وهذه مكتوبة**)[3].

وعن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَنْ ركَع ثِنتَي عَشْرة ركعة في يومه وليلته سوى المكتوبة بنى الله بها بيتاً في الجنة**)[4].

وفي الحديثين دلالة على أن المكتوبة هي الصلوات المفروضة على العبد والتي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وقد دل اللفظ على هذا المعنى الإسلامي في جميع السياقات التي ورد فيها معرفا بأل وهي كثيرة، وكذلك السياقات التي ورد فيها نكرة، و لم يرد دالاً على معناه اللغوي إلا في مواضع قليلة من الكتب الستة، منها ماذكر في الحث

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩٦ - باب مايكره من كثرة السؤال ٣، حديث (٧٢٩٠).

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٦- باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد ٢٩، حديث (٧٨١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأضاحي ٧٣- باب من ذبح ضحية غيره ١٠، حديث (٥٥٥٩).

وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب بيان وجوه الإحرام.. رقم ١٧، حديث ١١٩ (١٢١١).

(٣) سنن أبي داود: الصلاة ٢- باب فيمن صلى في منزله ثم أدرك الجماعة يصلي معهم ٥٧، حديث (٥٧٧).

(٤) سنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، ٢٠- باب ثواب من صلى في اليوم والليلة ثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة ٦٦، حديث (١٧٩٦).

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه.

على كتابة الوصية مثل قوله ﷺ: (**ماحق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**)[1].

وورد بعضها للدلالة على أن الصلاة مثبتة مسجلة عند الله تعالى، ومنه ماروي عن أبي أمامة عن عمرو بن عَبَسَة السلمي أنه قال: قلت يارسول الله: أي الليل أسمع؟ قال: (**جوف الليل الآخر فصل ماشئت فإن الصلاة مشهودة مكتوبة حتى تصلي الصبح..**)[2].

وبهذا يكون المشتق (مكتوبة) قد تخصص في سياقات الأحاديث للدلالة على الصلوات المفروضة.

ومما يتضح من دراسة اللفظين (فريضة ومكتوبة) أن كلاً منهما دلَّ على الصلوات المفروضة، ومن هنا أمكن القول بترادف اللفظين بدلالة تبادلهما في السياق الواحد، من ذلك ماروي عن أم سلمة قالت: (ماقُبِضَ رسول الله ﷺ حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة)[3].

وعن أم سلمة -أيضا- قالت: (مامات رسول الله ﷺ حتى كان أَكْثرُ صلاته قَاعدا، إلا الفَريضَة، وكان أَحبُّ العمل إليه أَدْوَمَه وإن قَل)[4].

والفرق بين اللفظين هو أن لفظ (مكتوبة) دل في جميع الأحاديث على الصلوات المفروضة، أما لفظ (فريضة) فقد دلَّ في بعض الأحاديث على الفرائض الأخرى مثل فريضة الحج والصدقة إلى جانب دلالته على الصلوات المفروضة، والسياق هو الذي يحدد دلالة اللفظ على أحد هذه المعاني الإسلامية.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الوصايا ٥٥- باب الوصايا ١، حديث (٢٧٣٨).

وصحيح مسلم: كتاب الوصية ٢٥، حديث (١٦٢٧) كلاهما من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب من رخص فيهما إذا كانت الشمس مرتفعة ٢٩٩، حديث (١٢٧٧).

(٣) سنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢٠- باب صلاة القاعد في النافلة ١٩، حديث (١٦٥٣).

(٤) سنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢٠- باب صلاة القاعد في النافلة ١٩، حديث (١٦٥٤).

صلاة الخسوف

وردت أسماء لبعض الصلوات غير الصلوات الخمسة المفروضة جاءت بها أحاديث رسول ا لله ﷺ، ومن هذه الصلوات ماهو سنة مؤكدة تؤدى في أوقات خاصة ومنها صلاة الكسوف.

وهي صلاة تُؤدى عند خسوف الشمس أو القمر اقتداءً بالنبي ﷺ، من ذلك ماروته عائشة رضي ا لله عنها قالت: خُسِفت الشمس في حياة رسول ا لله ﷺ، فخرج رسول ا لله ﷺ إلى المسجد فقَام وكبَّر وصَفَّ الناس وراءه، فاقترأ رسول ا لله ﷺ قراءة طويلة، ثم كبَّر فركع ركوعا طويلا، ثم رفع رأسه فقال: (**سمع ا لله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**) ثم قام فاقترأ قراءة طويلة، هي أدنى من القراءة الأولى، ثم كبر فركع ركوعا طويلا، هو أدنى من الركوع الأول ثم قال: (**سمع ا لله لمن حمده ربنا ولك الحمد**) ثم سجد.. ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ذلك، حتى استكمل أربع ركعات وأربع سجدات، وانجلت الشمس قبل أن ينصرف، ثم قام فخطب الناس فأثنى على ا لله بما هو أهله ثم قال: (**إن الشمس والقمر آيتان من آيات ا لله لايخسَفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتمُوهما فافزَعوا للصلاة**) وقال أيضا: (**فَصلُّوا حتى يفرِّجَ ا لله عنكم**)[1].

أما حكمها فقد أجمع العلماء على أنها سنة، ومذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء: أنه يسن فعلها جماعة[2].

ففي قوله: (فخرج رسول ا لله ﷺ إلى المسجد فقام وكبر وصف الناس وراءه) فيه إثبات صلاة الكسوف، وفيه استحباب فعلها في المسجد الذي تصلى فيه الجمعة، وفيه استحبابها جماعة، وتجوز فرادى، وتشرع للمرأة، والعبد، والمسافر، وسائر من تصح

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الكسوف ١٦- باب الصدقة في الكسوف ٢، حديث (١٠٤٤). وانظر أطرافه.
وصحيح مسلم: كتاب الكسوف ١٠- باب صلاة الكسوف ١، حديث ٣ (٩٠١) وهذا لفظه.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: جـ٦، ص ٤٣٨.

صلاته[1].

وأما الاستشهاد في الحديث بقوله ﷺ: (**إن الشمس والقمر آيتان من آيات ا لله لايُخسفان لموت أحد ولا لحياته**، ففي رواية أنهم قالوا: كُسِفت لموت إبراهيم فقال النبي ﷺ هذا الكلام رَدًّا عليهم. قال العلماء: والحكمة في هذا الكلام أن بعض الجاهلية الضُلال كانوا يُعظِّمون الشمس والقمر، فبين ﷺ أنهما آيتان مخلوقتان لله تعالى كسائر المخلوقات يطرأ عليهما النقص والتغيير كغيرهما، وكان بعض الضُلاَّل من المنجمين وغيرهم يقول: لاينكسفان إلا لموت عظيم أو نحو ذلك، فبين عليه الصلاة والسلام أن هذا باطل لايُغْتَر بأقوالهم لاسيما وقد صادف موت إبراهيم.

وقوله ﷺ: (**فإذا رأيتموهما فافزعوا للصلاة**) وفي رواية أخرى (**فإذا رأيتموهما فكبروا وادعوا ا لله وصلوا وتصدقوا**)[2] فيه الحث على هذه الطاعات وهو أمر استحباب[3].

أما صفتها فالمشهور في مذهب الشافعي: أنها ركعتان، في كل ركعة قيامان وقراءتان، وركوعان، أما السجود فسجدتان كغيرهما. وسواء تمادى الكسوف أم لا، وبهذا قال مالك والليث وأحمد وأبو ثور وجمهور علماء الحجاز وغيرهم[4].

وسميت هذه الصلاة بصلاة الخسوف، فعن عائشة رضي ا لله عنها أن رسول ا لله ﷺ جهر في صلاة الخسوف بقراءته فصلى أربع ركعات في ركعتين، وأربع سجدات[5].

وينادى لصلاة الخسوف بـ (الصلاة جامعة)، من ذلك ماروي عن عبدا لله بن عمرو رضي ا لله عنهما قال: (لما كُسفت الشمس على عهد رسول ا لله ﷺ نودي: أن الصلاة جامعة)[6].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: جـ٦، ص ٤٤١.

(٢) سبق تخريجه في صفحة ١٥٥ حاشية (١).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ٦، ص ٤٤١.

(٤) المرجع السابق: جـ٦، ص ٤٣٨.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الكسوف ١٠- باب صلاة الكسوف ١، حديث ٥ (٩٠١).

(٦) صحيح البخاري: كتاب الكسوف ١٦- باب طول السجود في الكسوف ٨، حديث (١٠٥١).
وصحيح مسلم: كتاب الكسوف ١٠- باب ذكر النداء بصلاة الكسوف ٥، حديث (٩١٠).

وهكذا يتبين أن رسول ا لله ﷺ سن للمسلمين فعل صلاة الخسوف وهي تختلف في كيفيتها عن الصلاة المكتوبة، وكذلك في النداء لها، فقد أمر أن ينادى لها بنداء خاص هو (الصلاة جامعة) وأصبح لهذا النداء دلالة خاصة عند المسلم حيث خصصته الأحاديث النبوية للدلالة على إقامة صلاة الخسوف.

صلاة الاستسقاء

ومن الصلوات التي سنها النبي ﷺ وعلمنا كيفيتها صلاة الاستسقاء التي تُـؤَدى عند انعدام المطر وحاجة الإنسان للقَطْر، من ذلك ماررواه أنس بن مالك رضي ا لله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من بابٍ كان نحو دارِ القضاء ورسول ا لله ﷺ قائم يَخْطب، فاستقبل رسول ا لله ﷺ قائماً، ثم قال: يارسول ا لله! هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع ا لله يُغيثنا، قال: فرفع رسول ا لله ﷺ يديه ثم قال: (**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**) قال أنس: ولا وا لله! مانرى في السماء من سحاب ولا قَزَعة، وما بيننا وبين سَلْعٍ من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل التُّرْس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: فلا وا لله! مارأينا الشمس سَبْتا، قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول ا لله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً، فقال: يارسول ا لله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع ا لله يمسكها عنّا، قال: فرفع رسول ا لله ﷺ يديه ثم قال: (**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهمَّ على الآكامِ والظِّرَاب وبُطُونِ الأوْدِيـةِ ومنابتِ الشجَرِ**) فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس)[1].

قال النووي: أجمع العلماء على أن الاستسقاء سنة، واختلفوا أتسن له صلاة أم لا؟ فقال أبو حنيفة: لاتسن له صلاة بل يستسقى بالدعاء بلا صلاة، وقال سائر العلماء من السلف والخلف: الصحابة والتابعين ممن بعدهم: تُسنُّ الصلاة، و لم يخالف فيه إلا أبو حنيفة وتعلق بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة. واحتج الجمهور بالأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما: أن رسول ا لله ﷺ صلى للاستسقاء ركعتين. وأما الأحاديث التي ليس فيها ذكر الصلاة فبعضها محمول على نِسيان الراوي، وبعضها كان في الخطبة للجمعة، فاكتفى بها، ولو لم يصل أصلا كان بيانا لجواز الاستسقاء بالدعاء بلا صلاة، ولا خلاف في جوازه، وتكون الأحاديث المثبتة للصلاة مقدمة؛ لأنها زيادة عِلْم ولا معارضة

(١) صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء ١٥- باب الاستسقاء في المسجد الجامع ٦، حديث (١٠١٣).

وصحيح مسلم: كتاب صلاة الاستسقاء ٩- باب الدعاء في الاستسقاء ٢، حديث (٨٩٧).

بينهما.

والاستسقاء ثلاثة أنواع:

أحدها: الاستسقاء بالدعا من غير صلاة.

الثاني: الاستسقاء في خطبة الجمعة، أو في إثر صلاة مفروضة، وهو أفضل من النوع الذي قبله.

والثالث: وهو أكملها أن يكون بصلاة ركعتين، وخطبتين ويتأهب قبله بصدقة، وصيام، وتوبة، وإقبال على الخير ومجانبة الشر، ونحو ذلك من طاعة الله تعالى)[1].

ومما ورد في الدلالة على أن الاستسقاء صلاة ودعاء ماذكره ابن عباس رضي الله عنه حين سئل عن استسقاء رسول الله ﷺ فقال: (إن رسول الله ﷺ خرج مُتبذلاً مُتواضعاً مُتضرعاً حتى أتى المصلى فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير وصلى ركعتين كما كان يصلي في العيد)[2].

ومما كان يدعو به ﷺ عند الاستسقاء مارواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ: إذا استسقى قال: (**اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحْيِ بلدك الميت**)[3]. كما كان يرفع يديه عند الدعاء. من ذلك ماورواه أنس رضي الله عنه: (أن نبي الله ﷺ كان لايرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء حتى يُرى بياض إبطيه)[4]. فصلاة الاستسقاء، أو الاستسقاءُ في سياقات الأحاديث لفظ إسلامي يدل على ماسنّه النبي ﷺ من الصلاة والدعاء الذي يتوجه به المسلم إلى الله عند انعدام القَطْر حتى ينجلي ويكرم الله عباده بنزول المطر.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ٦، ص ٤٢٨.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢-، جُمّاع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها ٢٥٨، حديث (١١٦٥).

وسنن الترمذي: أبواب الصلاة، باب ماجاء في صلاة الاستسقاء ٣٩٥، حديث (٥٥٨).

وسنن النسائي: كتاب الاستسقاء ١٧- باب جلوس الإمام على المنبر للاستسقاء ٤، حديث (١٥٠٨).

وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٥- باب ماجاء في صلاة الاستسقاء ١٥٣، حديث (١٢٦٦). قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب رفع اليدين في الاستسقاء ٢٦٠، حديث (١١٧٦).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء ١٥- باب رفع الإمام يده في الاستسقاء ٢٢، حديث (١٠٣١).

وصحيح مسلم: كتاب صلاة الاستسقاء ٩- باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء ١، حديث (٨٩٥).

الوتر

للفظ (وتر) في الشعر الجاهلي معانٍ منها:

(الوَتْر) بالفتح: الثأر، وهو الحق يكون للرجل من دم أوغير ذلك، يقول عبيد[(١)]:

وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَلْهَاكَ زِقٌ وَقَيْنَةٌ ... فَتُصْبِحُ مخمُوراً وَتُمسِي مُتارِكا

عَنِ الوَتْرِ حتى أحْرَزَ الوِتْرَ أَهْلُهُ ... فأَنْتَ تَبكِّي إثْرَهُ متَهَالِكَا

فلا أنْتَ بالأوْتَارِ أدْرَكْتَ أهْلَهَا ... ولا كنتَ -إذْ لم تَنْتَصِرْ- مُتماسِكا

يقول له: إنما هِمتك الشراب والسماع، فأنت متارك لمن عاداك لاتدفع ضيما، وأنت تبكي، يقول: لَمَّا وترك صرت تبكي وتقتل نفسك ليس عندك غير ذلك، والأوتار جمع وتر[(٢)].

وقال قيس بن الخطيم[(٣)]:

ورِثْنَا المجدَ قدْ علمتْ مَعدٌّ ... فَلَمْ نُغلَبْ ولم نُسبَقْ بوَترِ

وفي البيت يفخر قيس بن الخطيم بأنهم يسرعون بأخذ الثأر ولا يُسبقونَ بوتر.

متواتران، المتواتر: المتتابع أي وتراً وتراً. قال لبيد[(٤)]:

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٩٤.

(٢) المرجع السابق، هامش ص ٩٤.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره، تحقيق وتعليق ناصر الدين الأسد، مكتبة دار العروبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م، ص ١٥٢.

قيس بن الخطيم بن عدي بن مازن بن الأزد: وقيل اسمه ثابت بن عدي. يكنى أبا يزيد، شاعر مجيد فحل، قدم على النبي ﷺ بمكة فعرض عليه الإسلام، فقال: أذهب فأستمتع من النساء والخمر وتقدم بلدنا فأتبعك، فقتل قبل أن يسلم.

طبقات فحول الشعراء: ٢٢٨. والمؤتلف والمختلف: ١١٢. ومعجم الشعراء: ٣٢١.

(٤) شرح ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٢٠٦.

كَأَنَّ سِرَاعَهَا مُتَوَاتِرَاتٍ   حَمَامٌ بَاكِرٌ قَبْلَ الحِمَامِ

الوَتْر من الأعداد: الفرد.

قال لبيد بن ربيعة[1]:

تَطِيرُ عَدَائِدُ الأَشْرَاكِ شَفْعاً   وَوَتْراً والزَّعَامَةُ لِلْغُلاَمِ

وللفظ عدة معان لغوية يعنينا منها في تفسير اللفظ المعنى التالي: وهو أن الوِتر والوَتر: الفرد أو ما لم يشفَّع من العدد، قال اللحياني: أهل الحجاز يُسمون الفرد الوَتْر وأهل نجد يكسرون الواو[2].

وقد ورد اللفظ في القرآن في آية واحدة هي قوله تعالى[3]: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝﴾، ورد في تفسير الوتر أنه يوم عرفة. وقال ابن زيد: الوتر يوم النفر الآخر. وقال ابن عباس: الوتر الله. وقيل: صلاة المغرب. وقال الحسن: هو العدد[4].

وورد الفعل في قوله تعالى[5]: ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ قال أبو عبدالله البخاري: يتركم وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا أو أخذت له مالا[6]. وهذا المعنى مرتبط بمعنى الوتر الفرد، وأصل ذلك أن يقال وتره:إذا قتل قريبه وحميمه، وهذا من الوتر للفرد، فكأنه بقتله حميمه يتركه فرداً ولا ريب أن في هذا نقصا للعصبية وللعزة)[7].

وإذا كان اللفظ قد جال في الشعر الجاهلي ثم في القرآن بعيداً عن المعنى الإسلامي أو بعيداً عن الحقيقة الشرعية، فإنه استعمل في الحديث النبويّ لفظا إسلامياً دالاً على سُنة

---

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة: ص ٢٠٢.

(٢) لسان العرب (مادة: وتر) جـ٦، ص ٤٧٥٧.

(٣) سورة الفجر: الآية ٣:١.

(٤) تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق هدى الطويل المرعشلي، دار النور الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص ٣٨٧ وهامشها.

(٥) سورة محمد: الآية ٣٥.

(٧) معجم ألفاظ القرآن: ص ٧٠٨، ٧٠٩.

مؤكَّدة يوصينا النبي ﷺ بعدم تركها، فعن علي رضي ا لله عنه قال: أوتر رسول ا لله ﷺ ثم قال: (**يأأهل القرآن أوتروا، فإن ا لله عز وجل وتر يحب الوتر**)[1].

الوتر: الفرد، وتكسر واوه وتفتح، ومعنى أن ا لله عز وجل وتر أي واحد في ذاته لايقبل الانقسام والتجزئة، واحد في صفاته فلا شِبْه له ولا مِثْل، واحد في أفعاله، فلا شريك له ولا مُعِين، ومعنى يحب الوتر: أي يثيب عليه، ويقبله من عامله)[2].

ومن استخدامه كمصطلح دالٍ على سنة مؤكدة مارواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: (أَوْصَاني خَليلي بثلاث لاأَدَعْهُنَّ حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاةِ الضحى ونومٍ على وتر)[3].

وبيَّن عليٌّ رضي ا لله عنه حكمه فقال: الوتر ليس بِحَتْم كهيئة المكتوبة، ولكنه سُنة سنها رسول ا لله ﷺ.[4].

والوتر هو أن يُصلي مَثنى مَثنى ثم يُصلّي في آخرها ركعة مفردة أو يضيفها إلى ماقبلها من الركعات[5].

قال الشافعي رحمه ا لله: وأوْكَدُ الصلاة -بعد الفرض- الوتر، ويشبه أن تكون صلاة التهجد[6].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب استحباب الوتر ٣٣٦، حديث (١٤١٦).

وسنن الترمذي: أبواب الصلاة، باب ماجاء أن الوتر ليس بحتم ٣٣٣، حديث (٤٥٣).

وسنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢٠- باب الأمر بالوتر ٢٧، حديث (١٦٧٥).

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٥- باب ماجاء في الوتر ١١٤، حديث (١١٦٩). وقال الترمذي: (حديث حسن).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ٥، ص ١٤٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التهجد ١٩- باب صلاة الضحى في الحضر ٣٣، حديث (١١٧٨).

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٦- باب استحباب صلاة الضحى.. والحث على المحافظة عليها ١٣، حديث (٧٢١).

(٤) سنن الترمذي: أبواب الصلاة، باب ماجاء أن الوتر ليس بحتم ٣٣٣، حديث (٤٥٤).

وسنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢٠- باب الأمر بالوتر ٢٧، حديث (١٦٧٦) وحَسَّن الترمذي حديثا قبله، ثم قال في هذا الحديث: وهذا أصح منه.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ٥، ص ١٤٧.

(٦) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ص ١٠٣.

والوتر يكون لصلاة الليل، وتكون في أول الليل أو آخره، رَوَى أبو داود عن عبدا لله بن أبي قيس قال: سألتُ عائشة عن وتر رسول ا لله ﷺ قالت: (ربما أوتر أول الليل وربما أوتر من آخره، قلت: كيف كانت قراءته؟ أكان يُسِرٌّ بالقراءة أم يجهر؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، ربما أسر وربما جهرَ،وربما اغتسل فنامَ،وربما توضأ فنام)[1].

وقد علَّمنا رسول ا لله ﷺ الدعاء الذي يقال في الوتر، فعن الحسن رضي ا لله عنه قال: علَّمني رسول ا لله ﷺ كلمات أَقُولُهُنَّ في الوتر في القنوت: اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ماقضيت إنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنّه لايذلّ من واليتَ تباركت ربَّنا وتعاليت)[2].

وعن علي بن أبي طالب: أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره: (**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**)[3].

ومن هذه السياقات يتبين لنا أن لفظ وتر بعد أن كان يدل على الفرد من الأعداد أصبح يُطلَق مجازاً على نوع من الصلاة النافلة التي حث عليها ﷺ وجعلها سنة مؤكدة، وعلم الصحابة رضي ا لله عنهم عدد ركعاتها وما يقال في القنوت فيها، ومن مصطلح الوتر اشتق الفعل: (أوتر) ومنه (أوتروا). وفي هذا دلالة على أهمية المجاز والاشتقاق في

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب في وقت الوتر ٣٤٣، حديث (١٤٣٧)، وهو في صحيح مسلم: كتاب الحيض ٣- باب جواز نوم الجنب.. رقم (٦) حديث (٣٠٧) وأشار إلى محل الشاهد منه ولم يذكره.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب القنوت في الوتر ٣٤٠، حديث (١٤٢٥).

وسنن الترمذي: أبواب الصلاة، باب ماجاء في القنوت في الوتر ٣٤١، حديث (٤٦٤) وسنن النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢٠- باب الدعاء في الوتر ١٥ حديث (١٧٤٥).

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٥- باب ماجاء في القنوت في الوتر ١١٧، حديث (١١٧٨)، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن) ورجح العلامة أحمد محمد شاكر رحمه ا لله في تعليقه على سنن الترمذي، وفي تعليقه على المحلى لابن حزم ٤:١٤٧-١٤٨ صحة هذا الحديث.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب القنوت في الوتر ٣٤٠، حديث (١٤٢٧).

وسنن الترمذي: كتاب الدعوات ٤٩- باب في دعاء الوتر ١١٣، حديث (٣٥٦٦).

وسنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢٠- باب الدعاء في الوتر ٥١، حديث (١٧٤٧)، وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ٥- باب ماجاء في القنوت في الوتر ١١٧، حديث (١١٧٩) وقال الترمذي: (حديث حسن).

وضع الأسماء الإسلامية.

واحتفظ اللفظ في سياقات الأحاديث بدلالاته الأخرى إلى جانب دلالته الاصطلاحية، من ذلك أنه جاء بمعنى وَتَرت الرجل إذا قَتَلت له قتيلا أو أخذت ماله، من ذلك ماروى عبدا لله بن عمر أن رسول ا لله ﷺ قال: (**الذي تفوته صلاة العصر كأنما وَتِرَ أهله وماله**)[1].

ومعنى قوله ﷺ (وُتِرَ أهله وماله) أي نقص أهله وماله، وأصل هذا من : الوتر، وهو أن يجني الرجل على الرجل جناية فيقتل له قتيلا أو يذهب بماله وأهله وولده)[2].

وجاء اللفظ في الحديث بمعنى الوتر من الأعداد: وهو ماليس بمزدوج، ويقع الوتر على الواحد والثلاث والخمس والسبع. والشفع من الأعداد ماكان مزدوجا مثل الاثنين والأربعة والستة، ورد هذا المعنى فيما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: (**من توضَّأ فليستنثر ومن استجمر فليوتر**)[3].

ومعنى قوله ﷺ (فليوتر) أي يجعل الحجارة التي يَسْتَنجي بها فرداً إما واحدة أو ثلاثاً أو خمساً[4].

ودلَّ أيضا على الوتر من الأعداد فيما رواه أبو سعيد الخدري قال: كان رسول ا لله ﷺ يعتكف العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاما حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج فيها من اعتكافه قال: **مَنْ كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رَأَيْتُنِي أسجد من صبيحتها في ماء وطين، فالتَمِسوها في كل وتر**)[5].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة ٩- باب إثم من فاته العصر ١٤، حديث (٥٥٢).
وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥- باب التغليظ في صلاة العصر ٣٥، حديث (٦٢٦).

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ص ٣٤٠-٣٤١.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، وتقدم تخريجه ص ٩٧ حاشية رقم (٥).

(٤) النهاية: جـ٥، ص ١٤٧.

(٥) صحيح البخاري: كتاب فضل ليلة القدر ٣٢- باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ٣، حديث (٢٠١٨).
ومسلم: كتاب الصيام ١٣- باب فضل ليلة القدر. رقم (٤٠) حديث (١١٦٧).

وقد ارتبط هذا النوع مـن الأعـداد بالعبـادات، فالاسـتجمار والوضـوء يكـون وتـرا وكذلك التكبير في الصلوات فتكبيرة الإحرام واحدة والتكبير في صلاة العيد سبع وخمس، وقبل هذا كله فا لله سبحانه وتعالى وتر يحب الوتر، وفي هذا سُمُو ورقي لدلالة هذا اللفـظ الذي ارتبط في دلالته بوحدانية ا لله سبحانه، كما ارتبط بِسُنة من سنن الصلاة المؤكدة إلى جانب ارتباطه بأداء بعض العبادات.

السبحة وسبحة الضحى

ورد لفظ سَبَح وسَابِح في الشعر الجاهلي بمعنى العدو السريع والخيل أو السفن السابحة: أي السريعة، وكأنها تَسْبَحُ في الهواء أو الماء لسرعتها. قال الطفيل الغنوي(1):

فَإِنْ فَزِعُوا طَارُوا إِلى كُلِّ سَابِحٍ   شَدِيدِ القُصَيْرَى سَابِغِ الضِّلْعِ جُرْشُعِ

ومعنى السابح: أي السريع. السابغ: الطويل الأضلاع. الجُرشُع: المنتفخ الجبين.

وقال عنترة(2):

إِذْ لاأزالُ علـى رِحالـةِ سـابِحٍ   نَهْـدٍ تعـاوَرُه الْكُمـاةُ مُكَلِّمِ

أي لاأزال على سرج فرس سابح: أي ذاهب في سيره كأنه يسبح.

سبحوا: أبعدوا في السير. قال عَبيدٌ بن الأبرص(3):

تِلكَ الجِيادُ عَلَيْهَا القَوْمُ قَدْ سَبَحُوا   كَانُوا لَهُنَّ غَدَاةَ الرَّوْعِ أحْلاسَا

وسبحوا: غاصوا في الأمر وخبروه، قال عبيد بن الأبرص(4):

سَلِ الشُّعَرَاءَ هَلْ سَبَحُوا كسَبْحِيْ   بُحُورَ الشِّعْرِ أو غاصُوا مغَاصي

وورد لفظ سبَّح والتسبيح على أنه التقديس والتنزيه لله سبحانه عند الشعراء الحُنفاء وشعراء النصرانية؛ لأنهم أهل دين سماوي.

---

(1) ديوان الطفيل الغنوي، ص ٥٣.

(2) ديوان عنترة، ص ٢٠٨.

(3) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٧٤.

(4) المرجع السابق: ص ٧٦.

قال ورقة بن نوفل(١):

سُبْحَانَ ذِي العَـرْشِ سُـبْحَاناً نَعُـوذُ بِـهِ   وَقَبْـلُ قَــدْ سَـبَّح الجُـودِيُّ وَالجُمُـدُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل(٢):

وَإِنِّـي لَـو سَـبَّحتُ بِاسْـمِكَ رَبَّنـا   لأكْـثرُ إلا مَـاغَفَرْتَ خَطَائِيَـا

وقال أمية بن أبي الصلت(٣):

مَلِـكٌ عَلَـى عَـرْشِ السَّـمَاءِ مُهَيْمِـنٌ   تَعْنُـو لِعِزَّتِـهِ الوُجُـوهُ وَتَسْـجُدُ

ووردت هذه المادة في القرآن الكريم دالة على تنزيه الله سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد. قال تعالى(٤): ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ

---

(١) شعراء النصرانية: جـ٤، ص ٦١٧، ونسبها صاحب شعراء النصرانية، أيضا لأمية بن أبي الصلت مع اختلاف في الرواية، انظر: شعراء النصرانية، جـ٢، ص ٢٣٥.

ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي: يجتمع مع النبي ﷺ في جد جده، كان ورقة قد كره عبادة الأوثان وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب، وكانت خديجة رضي الله عنها تسأله عن أمر النبي ﷺ فيقول: ماأراه إلا نبي هذه الأمة، بشر به موسى وعيسى ومات ورقة في فترة الوحي رضي الله تعالى عنه.

بلوغ الأرب: جـ٢ ص ٢٦٩:٢٧١.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام: جـ١، ص ٢٤٣، قال ابن هشام: القصيدة لأمية بن أبي الصلت.

زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى بن رباح بن كعب بن لؤي القرشي العدوي: كان يطلب دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام قبل أن يبعث النبي ﷺ، وكان لايذبح للأنصاب ولا يأكل الميتة والدم، مات قبل البعثة بخمس سنين.

بلوغ الأرب: جـ٢ ص ٢٤٧.

(٣) شعراء النصرانية: جـ٢، ص ٢٣٥.

أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف بن قيس عيلان: وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف، وقد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله جل وعز ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبّر بأن نبيا قد أطل زمانه، مؤملا أن يكونه، فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ كفر حسدا له، وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ويذكر خلق السموات والأرض، ويذكر الملائكة ويذكر من ذلك مالم يذكره أحد من الشعراء.

طبقات فحول الشعراء: ٢٦٢-٢٦٧. والشعر والشعراء: ٤٦٦-٤٦٩.

(٤) سورة السجدة آية ١٥.

﴿...رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾

ومعنى ﴿**سبحوا بحمد ربهم**﴾ أي نزهوه عن كل مالايليق به. والمعنى: قالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده، أو سبحان ربي الأعلى وبحمده. وقال سفيان: المعنى صلّوا حمدا لربهم[١].

وقد جاءت آيات القرآن دالة على أن التسبيح لله وحده وعلى أن كل من في السموات والأرض يسبحه سبحانه وتعالى، فقال تعالى[٢]: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

التسبيح هنا التنزيه في ذاته وأفعاله وصفاته عن كل مالايليق به.

ومعنى ﴿**من في السموات والأرض**﴾ من هو مستقر فيها من العقلاء وغيرهم. وقيل: إن التسبيح هنا هو الصلاة من العقلاء. والتنزيه من غيرهم[٣].

فالتسبيح في القرآن يأتي بمعنى التنزيه لله عما لايليق به، كما يأتي بمعنى الصلاة. قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾[٤].

﴿**ومن الليل فسبحه**﴾ أي سبحه بعض الليل، وقيل: هي صلاة الليل، وقيل ركعتا الفجر، وقيل صلاة العشاء، والأول أولى ﴿**وأدبار السجود**﴾ أي وسبحه أعقاب الصلوات[٥].

وورد لفظ سبحة في الحديث النبوي دالا على صلاة التطوع أو النافلة، من ذلك ماروي عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (**لعلكم سَتُدْرِكون أَقْواما يُصلُّونَ الصَّلاة لِغيرِ وَقْتِها فإنَّ أدركتموهم فَصلُّوا في بيوتِكم للوقت الذي تعرفون، ثم صَلُّوا معهم واجْعلوها سُبْحَة**)[٦].

---

(١) فتح القدير: جـ٤، ص ٢٥٣.

(٢) سورة النور: الآية ٤١.

(٣) فتح القدير: جـ٤، ص ٤٠.

(٤) سورة ق: الآية ٤٠.

(٥) فتح القدير، جـ٥، ص ٨٠.

(٦) سنن النسائي: كتاب الإمامة ١٠- الصلاة مع أئمة الجور ٢، حديث (٧٧٩).

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٥- باب ماجاء فيما إذا أخروا الصلاة عن وقتها ١٥٠، حديث (١٢٥٥).

ومعنى (اجعلوها سبحة) أي نافلة(١).

ومما رُوي عن حفصة أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي في سبحته قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيُرتلها حتى تكون أطول من أطول منها)(٢).

وأُطلق لفظ سبحة أيضا على صلاة الليل أو قيام الليل، ومنه ماروي عن ابن شهاب عن عبدا لله بن عامر بن ربيعة أخبره أن أباه أخبره أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي السبحة بالليل في السفر على ظهر راحلته حيث توجهت)(٣).

ذكر ابن الأثير في تفسير لفظ (سبحة) أنه يقال للذكر والصلاة النافلة: سبحة. يقال: قضيت سبحتي. والسبحة من التسبيح، كالسُّخرة من التسخير. وإنما خُصَّت النافلة بالسبحة وإن شاركتها الفريضة في معنى التسبيح لأن التسبيحات في الفرائض نوافل، فقيل لصلاة النافلة: سبحة؛ لأنها نافلة كالتسبيحات والأذكار في أنها غير واجبة(٤).

وإذا كان لفظ سبَّح والتسبيح دل على الذكر والصلاة في القرآن الكريم فإنه تخصص في الأحاديث النبوية في الدلالة على صلاة النافلة، كما تخصص في بعض الأحاديث للدلالة على سبحة الضحى، من ذلك مارُوِى عن أبي الدرداء قال: (أَوْصَانِي خَلِيلي ﷺ بثلاث لأدعهن لشيء. أوصاني بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ولا أنام إلا على وتر، وبسبحة الضحى في الحضر والسفر)(٥).

وسميت في الحديث أيضا باسم الوقت الذي تؤدى فيه -أي بالضحى- مثل الظهر

---

(١) غريب الحديث: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، وثقه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، جـ١، ص ٤٥٣.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٦- باب جواز النافلة قائما وقاعدا، وفعل بعض الركعة قائما وبعضها قاعدا ١٦، حديث (٧٣٣).

(٣) صحيح البخاري: كتاب تقصير الصلاة، ١٨- باب من تطوع في السفر في غير دبر الصلوات وقبلها ١٢، حديث (١١٠٤). وتقدم عنده برقم (١٠٩٣، ١٠٩٧).

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٦- باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت ٤، حديث (٧٠١).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ٢، ص ٣٣١.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، ٢- باب في الوتر قبل النوم ٣٤٢، حديث (١٤٣٣).

والعصر وغيرهما من الصلوات، وقد قيل في تفسير الضحى أن الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا قال تعالى[1]: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ قال الفراء: ﴿ضحاها﴾ نهارها. وكذلك قوله تعالى[2]: ﴿وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ هو النهار كله وقيل ساعة من ساعات النهار، وقيل الضحى حين تطلع الشمس فيصفو ضوؤها)[3].

واللفظ في جميع الآيات دالاً على الوقت، وهو في الحديث النبوي اسم لصلاة النافلة التي سُنَّ للمسلمين القيام بها، من ذلك مارواه أبو داود في صحيحه عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: (**يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة. تسليمه على من لقي صدقة، وأمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة، وإماطته الأذى عن الطريق صدقة، وبضعة أهله صدقة، ويجزئ من ذلك كله ركعتان من الضحى**)[4].

وحَّدثتْ معاذة العدوية عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعاً، ويزيد ماشاء الله)[5].

فالسبحة في الحديث النبوي لفظ إسلامي تخصص في الدلالة على صلاة التطوع، وسبحة الضحى أو صلاة الضحى تخصيص إضافي للفظ دل على صلاة نافلة سَنَّ النبي ﷺ فعلها في هذا الوقت من النهار.

---

(١) سورة الشمس: الآية ١.

(٢) سورة الضحى: الآية ١،٢.

(٣) لسان العرب (مادة ضحا) جـ٤، ص ٢٥٥٩.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، ٢-باب صلاة الضحى ٣٠١، حديث (١٢٨٥).

وأخرجه مسلم في (صحيحه) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٦- باب استحباب صلاة الضحى١٣، حديث (٧٢٠). وفيه اختلاف في الألفاظ.

(٥) أخرجه مسلم: وتقدم تخريجه صفحة ١٤٣ حاشية (١).

التكبير

كَبَّر تكبيراً وكِبَّاراً بالكسر مُشدّدة قال: الله أكبر[1]. من ذلك قول الطفيل[2]:

سَنَجْزِيْ بِإحْسَانِ الأيَادِي الَّتِي مَضَتْ … لَهَا عِنْدَنَا مَا كَبَّرَتْ وأَهَلَّتِ

كبَّرت: أي قالت: الله أكبر.

وكبر بمعنى عَظَّم، والتكبير: التعظيم لله، ومن ذلك قول حاتم الطائي[3]:

فَلَمَّا رَآنِي كَبَّرَ الله وَحْدَهُ … وَبَشَّر قَلْبَاً كان جَمَّاً بَلابِلُهْ

وقد ورد في القرآن بمعنى التعظيم لله، وذلك في قوله تعالى[4]: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ . وفي قوله تعالى[5]: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾.

فالتكبير إذاً يقال لتعظيم الله بقول: الله أكبر، ولعبادته واستشعار تعظيمه[6].

والتكبير في الحديث لفظ إسلامي يراد به الإعلام ببدء الصلاة والدخول في أعمالها، وفي ذلك يقول ﷺ: (**مِفْتَاحُ الصَّلاةِ الطُّهورُ وتَحريمُها التَّكْبِير وتَحْليلُها التَّسْلِيم**)[7].

---

(١) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، مادة (كبر) جـ٢، ص ١٤٨.

(٢) ديوان الطفيل الغنوي: ص ٩٩.

(٣) ديوان حاتم الطائي: ص ٣٠٣.

(٤) سورة الإسراء آية ١١١.

(٥) سورة البقرة آية ١٨٥.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ص ٤٢٢.

(٧) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، ١- باب فرض الوضوء ٣١، حديث (٦١).

وسنن الترمذي: أبواب الطهارة، باب ماجاء أن مفتاح الصلاة الطهور ٣، حديث (٣).

وسنن ابن ماجة: كتاب الطهارة وسننها، ١- باب مفتاح الصلاة الطهور ٣، حديث (٢٧٥). عن علي =

والتحريم أصله من قولك: حرمت فلانا عطاءه: أي منعته إياه، وكل مامنع فهو حَرَم وحَرْم وحَرَام، فالمكبِّر للصلاة صار ممنوعا من الكلام والعمل الذي هو غير عمل الصلاة، فقيل للتكبير: تحريم، لمنعه المصلي عن كل شيء غير عمل الصلاة وما فيها من الذكر والقرآن، فإذا كبر للصلاة صار بالتكبير لها مع النية داخلاً فيما مُنِع منه مما كان مباحاً له قبل ذلك(١).

ولا يحدث التحريم ولا يدخل المسلم الصلاة إلا بالتكبير، أي بقول: ا لله أكبر. يقول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق: إن تحريم الصلاة التكبير، ولا يكون الرجل داخلاً في الصلاة إلا بالتكبير.

قال أبو عيسى: وسمعت أبا بكر محمد بن أبان مستملي وكيع يقول: سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول: لو استفتح الرجل الصلاة بسبعين اسما من أسماء ا لله ولم يكبر لم يُجْزِه(٢).

والتكبير: قول ا لله أكبر، معناه ا لله الكبير، فوُضع (أَفْعل) موضع (فعيل).

وقيل: معناه ا لله أكبر من كل شيء. أي أعظم فحُذِفَتْ (من) لوضوح معناها.

وقيل: معناه ا لله أكبر من أن يُعرَف كُنْه كبريائه وعظمته، وإنما قُدِّر له ذلك وأُوِّل لأن (أفعل فُعْلى) يلزمه الألف واللام أو الإضافة، كالأكبر وأكبر القوم(٣).

والحكمة في ابتداء الصلاة بالتكبير افتتاحها بالتنزيه والتعظيم لله تعالى ونعته بصفات الكمال(٤).

وهذه هي تكبيرة الإحرام التي تُفتح بها الصلاة، وفي بعض الصلوات يضاف إلى تكبيرة الإحرام تكبيرات أخرى للدخول في الصلاة، وذلك في صلاة العيدين. وقد بيَّن ذلك النبي ﷺ فيما رواه عبدا لله بن عمرو بن العاص قال: قال نبي ا لله ﷺ: (**التكبير في**

= رضي ا لله عنه، قال الترمذي: (هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن).

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ص ٨٥.

(٢) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، إعداد هشام البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، جـ٢، ص ٣٨.

(٣) النهاية: ابن الأثير، جـ٤، ص ١٤٠.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ٤، ص ٣١٨.

الفِطْر سبع في الأولى، وخمسٌ في الآخرةِ، والقراءةُ بعدهما كِلْتَيْهِمَا)[1].

وهناك تكبيرات أخرى غير تكبيرة الإحرام، ففي كل صلاة ثنائية إحدى عشرة تكبيرة وهي تكبيرة الإحرام وخمس في كل ركعة، وفي الرباعية ثنتان وعشرون ففي المكتوبات الخمس أربع وتسعون تكبيرة، وتكبيرة الإحرام واجبة وما عداها سنة لو تركه صحت صلاته، لكن فاتته الفضيلة وموافقة السنة، وهذا مذهب العلماء كافة إلا أحمد بن حنبل رضي ا لله عنه فعنده أن جميع التكبيرات واجبة[2].

---

(١) سنن أبي داود: ٢- الصلاة، حديث ١١٥١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: جـ٤، هامش ص ٣١٩.

التسليم

ورد لفظ السَّلام في الشعر الجاهلي بمعنى التحية، من ذلك قول النابغة[1]:

أَتاركَــــــةً تَدَلُّلُهَـــــا قَطَـــــامِ وَضِنّـــــاً بالتَّحِيَّـــــةِ والكـــــلامِ
فــإن كـــان الـــدَّلالَ فـــلا تَلَجِّـــي وإن كـــانَ الـــوَدَاعَ فبالسَّـــلامِ

أي بتسليم منك علينا، أو تحية تُحَيِّينا بها. وقال عنترة[2]:

رِيـــحَ الحِجَـــازِ بحَـــقّ مَـــنْ أَنْشَـــاكِ رُدِّي السَّـــلامَ وَحَيِّـــي مَـــنْ حَيَّـــاكِ

وسلَّم: بمعنى ألقى السلام. قال عنترة العبسي[3]:

قِفَـــا يَـــاخَلِيليَّ الغَـــدَاةَ وَسَـــلِّمَا وَعُوجَـا فَـإِنْ لَـمْ تَفْعَـلا اليَـوْمَ تَنْدَمَـا

والتسلم من السلامة من الفعل القبيح. قال أبو المثلم[4]:

أصخـــرُ بـــن عبـــدا لله هـــلْ ينفعنَّـــي إليـــك ارتجـــاعي أفنُـــدى وتَســـلُّمِي

يقول: هل ينفعني رد القبيح وحسنُ فعلي.

وجاء لفظ السلام بمعنى التحية والسلامة من جميع الآفات وذلك في قول سلامة ابـن

(١) ديوان النابغة: ص ١٣٠. وحاشيتها.
(٢) شعراء النصرانية: جـ٦، ص ٨٥٢.
(٣) المرجع السابق: جـ٦، ص ٨٦٩.
(٤) ديوان الهذليين: نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، القسم الثاني، ص ٢٢٧.
أبو المثلم: لم أعثر على ترجمته.

جندل(١):

هَلْ في سُؤالِكَ عَنْ أَسْمَاءَ مِن حُـوبِ — وفي السَّـلام وإهـداءِ المناسـيبِ؟

ورد لفظ السلام والتسليم في القرآن بمعنى التحية وإلقاء السلام، وبمعنى الانقياد والإذعان، وذلك في قوله تعالى(٢): ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الأعلى بأن يثني عليه عند ملائكته، وأن الملائكة تُصلي عليه، وأمر عباده بأن يقتدوا بذلك ويصلوا عليه، وذلك بأن يقول القائل: اللهم صل وسلم على رسولك أو على محمد أو على النبي أو اللهم صل على محمد وسلم(٣).

وجاء لفظ تسليماً بمعنى الإذعان لأمر الله والتسليم بقضائه في قوله تعالى(٤): ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾!

ومعنى تسليما أي انقياداً وإذعانا)(٥).

وإذا كان لفظ التسليم قد ذكر في القرآن في ثلاث آيات فإننا نجده يشيع في سياقات الحديث النبوي على أنه ركن هام من أركان الصلاة تُختتم به الصلاة وهو قول السلام عليكم ورحمة الله مع الالتفات إلى جهة اليمين ثم إلى جهة اليسار مع تكرار السلام، وهذا إعلام بنهاية الصلاة، كما أن التكبير إعلام بالدخول في الصلاة، وفي ذلك يقول ﷺ: **(مِفْتاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ، وتحريمها التَّكبير، وتَحْليلُهَا التَّسلِيم، ولا صَلاةَ لِمَنْ لم يَقْرأْ بالحَمْدِ وسُورَةٍ في فَرِيضَة أو غيْرِها)**(٦).

---

(١) ديوان سلامة بن جندل: ص ٢٢٢.

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(٣) فتح القدير: جـ٤، ص ٣٠١، ٣٠٢

(٤) سورة الأحزاب آية ٢٢.

(٥) معجم ألفاظ القرآن: ص ٣٠٧.

(٦) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: جـ١، ص ١٥. والحديث في سنن الترمذي: أبواب الصلاة، باب =

والتسليم مشتق من السلام، اسم الله تعالى لسلامته من العيب والنقص، وقيل: معناه أن الله مطلع عليكم فلا تغفلوا.

وقيل: معناه اسم السلام عليك. أي اسم الله عليك؛ إذْ كان اسم الله يُذْكر على الأعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيه وانتفاء عوارض الفساد عنه. وقيل معناه: سَلِمتَ مني فاجعلني أسلم منك، من السلامة بمعنى السلام[1].

وبهذا يكتسب لفظ التسليم دلالة خاصة لم تكن له في الشعر الجاهلي ولا في القرآن حيث انتقل بالتخصيص من دلالته العامة على الانقياد والإذعان لله سبحانه إلى الدلالة على ركن من أركان الصلاة لاتتم الصلاة إلا به.

= باب ماجاء في تحريم الصلاة وتحليلها ١٧٦، حديث (٢٣٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال الترمذي: (حديث حسن).

(١) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، جـ٢، ص ٣٩٣.

التشهد

لفظ لم أعثر عليه في الشعر الجاهلي، ووجدت من مادته الأصل الثلاثي لها، فقد جاء لفظ (شهد) بمعنى (حضر). يقول امرؤ القيس(١):

وإِنْ أُمْسِ مَكْرُوبـاً فَيـارُبَّ غـارَةٍ شَـهِدْتُ عَلَى أَقَبَّ رِخْوِ اللَّبَانِ

قال طرفة(٢):

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الخيلَ وَهْيَ مُغِيْرَةٌ وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبِلاتِ

والمشاهدة: المعاينة. وشَهِدَه شُهوداً أي حضره، فهو شاهد. قال أعشى قيس(٣):

يَمَّمْتُ خَيْرَ فَتًى في النَّاسِ كُلِّهِمُ الشَّاهِدِينَ بِهِ أَعْنِي وَمَنْ غَابَا

والشهادة بالشيء العلم به. قال أعشى قيس(٤):

فَلا تَحْسَبَنِّي كَافِراً لَكَ نِعْمَةً عَلَيَّ شَهِيدٌ شَاهِدُ الله فَاشْهَدِ

و لم يرد لفظ التشهد في القرآن الكريم، وإنما وردت من مادة اللفظ (شهد، شهادة، شاهد، مشهود، شهداء).

ومعنى شهد الشيء يشهده شهادة: حضره أو علم به، ومن ذلك قوله تعالى(٥):

---

(١) ديوان امرئ القيس: ص ٨٦.

(٢) ديوان طرفة بن العبد: ص ١٤.

(٣) ديوان الأعشى الكبير: ص ٣٦٣.

(٤) المرجع السابق: ص ١٩٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾. وقوله تعالى[1]: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ لايحضرونه بنفوسهم ولابهممهم وإرادتهم.

وورد من المادة الشهادة وما يشتق منها، وهو قول صادر عن عِلْمٍ حصل بمشاهدة بَصرٍ أو بصيرة[2]. أو نقول شهد شهادة دل دلالة قاطعة بقول أو غيره[3].

قال تعالى[4]: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ ﴾

وقوله تعالى[5]: ﴿ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ ﴾. وهذا يعني أن لفظ التشهد لم يرد في القرآن وإنما تطالعنا به الأحاديث النبوية دالا على ركن هام من أركان الصلاة، علمنا إياه رسول الله ﷺ وحدد كلماته وموضعه من الصلاة. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله ﷺ: السلام على الله، السلام على فلان) فقال لنا رسول الله ﷺ ذات يوم: (**إنَّ اللهَ هُو السَّلام، فإذَا قَعَد أحدُكم في الصَّلاةِ فَليَقُلْ: التَّحياتُ لله والصلواتُ الطَّيباتُ السَّلام عليك أيُّها النَّبيُ وَرَحْمَةُ اللهِ وبركاته السَّلام علينا وعَلى عِبَادِ اللهِ الصَالِحين، فإذَا قالها أَصَابتْ كَلَّ عَبْدٍ لله صَالحٍ في السَّماء والأَرْضِ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم يتخَيَّر من المسألة ماشاء**)[6].

وقد سماه الرسول ﷺ (تشهدا) فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِذَا قَرأَ الإمامُ فأنْصِتُوا، فَإِذا كان عِنْدَ القَعْدَة فَلَيكُن أَوّلُ ذِكْرِ أَحَدِكم التشهد**)[7].

والأصل في التشهد هو أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٢.

(٢) بصائر ذوي التمييز، جـ٣، ص ٣٥٠.

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٣٣٧.

(٤) سورة النور: الآية ٦.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٦.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الأذان، ١٠- باب التشهد في الآخرة ١٤٨، حديث (٨٣١).
وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، ٤- باب التشهد في الصلاة ١٦، حديث (٤٠٢).

(٧) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ٥- باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا ١٣، حديث (٨٤٧).
وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، ٤- باب التشهد في الصلاة ١٦، حديث (٤٠٤) مطولا ولم يذكر فيه لفظة (التشهد)، وإنما ذكر فيه نص التشهد (التحيات..) إلى آخره.

ا لله. وهو اسم للتحيات المقروءة في الصلاة، وللذكر الذي يقرأ فيه[1].

وسُمي تشهداً؛ لأن فيه شهادة أَنْ لا إله إلا ا لله وأن محمّداً رسول ا لله، وهو (تَفَعُّلٌ) من الشهادة[2].

وقوله في التشهد: (التحيات لله) قال الفراء: التحية: المُلك وجمعها التحيات، كأنه قال: الملك لله، وقيل التحية البقاء الدائم. كأنه قال: البقاء لله.

وقيل معنى التحية: السلام، أي السلام لله، وهي السلامة من آفات الدنيا والآخرة[3].

والتشهد المذكور في الحديث السابق هو التشهد الأول، أما الصلاة على النبي فقد سماها ﷺ بالتشهد الأخير، وذلك فيما رواه أبو هريرة قال: قال رسول ا لله ﷺ: (**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ با لله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال**)[4].

والتشهُّد الأخير يضمُّ الصلاة على النبي ﷺ، وقد حدَّد لنا كيفيتها ﷺ وموضعها من الصلاة، من ذلك ماأخرجه الشيخان عن كعب بن عُجْرَةَ رضي ا لله عنه قال: خرج علينا رسول ا لله ﷺ فقلنا قد عرفنا كيف نُسلم عليك، فكيف نُصلي عليك؟ قال: (**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**)[5].

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ص ٢٦٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث: جـ٢، ص ٥١٥.

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ص ٩١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥- باب مايستعاذ منه في الصلاة، حديث ١٣٠ (٥٨٨).

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ٦- باب ١٠، حديث (٣٣٧٠).

وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، ٤- باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ١٧، حديث (٤٠٦).

وبهذا يكون التشهد من الألفاظ الإسلامية التي أضافها الحديث النبوي للدلالة على عمل من أعمال الصلاة أو واجب من واجباتها، وقد جاء ضمن التفصيلات التي جاءت بها الأحاديث النبوية في بيان كيفية الصلاة، والتشهُّد مصدر لفعلٍ معروفٍ، فدلَّ ذلك على أن الإسلام لم يأت بألفاظ جديدة وإنما حمَّل الألفاظ القديمة أو اشتق منها ما حمل من المعاني الجديدة المتصلة بالعبادات والمعاملات.

سجود السهو

ورد لفظ السجود في الشعر الجاهلي بمعانٍ حسية وأخرى دينية، فالسجود المَيْل، ومنه قول بشر بن أبي خازم(١):

أُجَالِدُ صَفَّهُمْ وَلَقَدْ أَرَانِي عَلَى قَرْوَاءَ تَسْجُدُ لِلرِّيَاحِ

والقرواء: هي الناقة الطويلة السنام. وتسجد للرياح: تميل معها حيثما أمالتها.

وورد السجود أيضا بمعنى التحية والتعظيم. قال عمرو بن كلثوم(٢):

إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لنا رَضِيْعٌ تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

والسجود أيضا: هو الخضوع لله شكرا.

قال النابغة يصف المتجردة زوجة النعمان(٣):

أو دُرَّة صَدَفِيَّةٍ غَوَّاصُهَا بَهِجٌ مَتَى يَرَهَا يُهِلَّ وَيَسْجُدِ

شبه المرأة بالدرة في صفائها ورقة بشرتها، ومعنى يُهِلَّ ويَسْجُد: أي يرتفع صوتها بالحمد لله والثناء، ويسجد له شكراً لما وهبه منها.

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: ص ٤٧.

(٢) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر، ص ٢٩٩.

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن غنم بن تغلب: يكنى أبا الأسود وقيل أبا عمير. وهو فارس شاعر مقدم سيد أحد فتاك الجاهلية. وبلغ خمسين ومائة سنة.

طبقات فحول الشعراء: ١٥١ والشعر والشعراء: ٢٤٠. والمؤتلف والمختلف: ١٥٥. ومعجم الشعراء: ٢٠٢.

(٣) ديوان النابغة: ص ٩٢.

والسجود أحد الشعائر التي يؤديها النصارى وغيرهم من أهل الكتب في صلاتهم أو هي تعبير عن الصلاة نفسها. قال الأعشى[1]:

فإِنّي وَرَبِّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً ... وَمَا صَكَّ نَاقُوسَ النَّصَارَى أَبِيلُهَا

وورد لفظ سجود في القرآن على سبيل التحية، وذلك في معرض الحكاية في قصة يوسف[2] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾.

﴿وخروا له سجدا﴾ خضعوا له بالسجود؛ أبواه وإخوته، وكان سجودهم تحيتهم فيما بينهم، فسجود إخوة يوسف له كان سجود تحية، ولم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض، وإنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام بَطُلَ ذلك في الإسلام[3].

وجاء لفظ سجود في القرآن بمعنى الخضوع والانقياد لله؛ لأن فيه تذللا لله وحده، ويكون باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، قال تعالى[4]: ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴾ أي صلوا له.

والقرآن يُعَبِّر دائماً عن الصلاة بالسجود كما في قوله تعالى[5]: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴾

﴿واسجد﴾: أمر له بالسجود. والمعنى: أي دُمْ على صلاتك، وعبَّر عن الصلاة بأفضل الأوصاف التي يكون العبد فيها أقرب إلى الله تعالى. واقترب: وتقرب إلى ربك. وثبت في الصحيحين سجود رسول الله ﷺ في[6]: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ وفي هذه

(١) ديوان الأعشى: ص ١٧٧.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٠.

(٣) الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٥١٣.

(٤) سورة النجم آية ٦٢.

(٥) سورة العلق: الآية ١٩.

(٦) سورة الانشقاق آية ١.

السورة[1].

وورد لفظ سجود في الحديث النبوي ودلَّ على ركن من أركان الصلاة وعلى الصلاة نفسها، وتمَّ تخصيص اللفظ تخصيصاً تاماً لايقبل المشاركة، فالمْيل وهو المعنى الحسي للسجود عبَّر عنه الحديث بلفظ الميل أو غيره من الألفاظ التي تعبر عن هذا المعنى.

كما لم يرد اللفظ بمعنى التحية والتعظيم لفرد أو لملك، وإنما وصل اللفظ إلى درجة من التسامي والتخصيص والانتشار، فالإسلام حرَّم السجود لغير الله سبحانه، وإن كان ورد في القرآن على سبيل الحكاية بمعنى التحية، فإن اللفظ في الحديث النبوي تخصص في الدلالة على السجود الذي هو أحد أركان الصلاة.

وتُخصص الأحاديث السجود تخصيصاً إضافياً، فتظهر أنواع من السجود ومنها سجود السهو، وقد شرع للخطأ في الصلاة بزيادة أو نقصان أو غيرهما، ومما ورد في ذلك ماروراه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراطٌ فإذا قَضَى أقبَلَ فإذا ثُوِّب بها أَدْبَر، فإذَا قَضَى أقبلَ حتى يَخْطُر بين الإنسان وقَلْبِه فيقول: اذكر كذا وكذا حتى لايَدْري أثلاثاً صَلَّى أم أربعاً فإذا لَمْ يَدْر ثلاثاً صلى أو أربعاً سجد سجدتي السهو)**[2].

وبهذا يصبح سجود السهو لفظاً إسلامياً يعبر عن السجدتين اللتين شرعتا قبل السلام أو بعده بسبب ماحصل من سهو في الصلاة، وسمَّاهما الرسول ﷺ بسجدتي السهو وبين أن فيهما ترغيما للشيطان، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا شَكَّ أَحَدُكم في صَلاتِهِ فلم يَدْرِ كم صلَّى ثلاثاً أم أَرْبعاً فليَطْرَح الشكَّ وليَبْنِ على ماسْتَيقَنَ ثم يَسْجد سجدتين قبل أن يُسَلِّم، فإن كان صَلَّى خمساً شفعن له صلاته وإن كان صلَّى إتماما لأَرْبَع كانتا تَرْغِيماً للشيطان)**[3].

ترغيماً للشيطان: أي إذلالاً له وإخضاعا.

---

(١) البحر المحيط، جـ ٥، ص ٣٤٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، حديث (٣٢٨٥).

(٣) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث (٥٧١).

وعن ابن عباس أن النبي صلى اللله عليه وسلم سَمَّى سجدتي السهو المرغمتين)[1].

وبهذا يكون السجود لفظاً قرآنيا وتكون سجدتا السـهو (المرغمتـان) لفظـاً إسـلاميا خصصه الحديث تخصيصاً إضافياً للدلالة على نوع من أنواع السجود في أوقات خاصة.

(١) سنن أبي داود: كتـاب الصـلاة. ٢- بـاب إذا شـك في الثنتـين والثـلاث مـن قـال: يلقـي الشـك ١٩٧، حديـث (١٠٢٥).

الفصل الرابع

ألفاظ الصوم

الصوم

للفظ الصوم في الشعر الجاهلي دلالات منها:

صام النهار: اعتدل وانتصف، قال امرؤ القيس[(١)]:

فَـدَعْ ذَا وَسَـلِّ الهَـمَّ عَنْـكَ بجَسْـرَةٍ ذَمُـولٍ إِذَا صَـامَ الـنَّهارُ وَهَجَّـرَا

يقول: دع ذكر الظعائن والاشتغال بهنَّ وسلِّ نفسك وباعد همَّك باستعمال السفر على هذه الناقة الشديدة السير في مقت إحياء الإبل وفتور سيرها؛ إذا قامت الشمس في وسط السماء وانتصف النهار.

والخيل الصائمة: القائمة الساكنة التي لم تطعم شيئا.

قال بشر[(٢)]:

وَمَـا يَسْـعَى رِجـالُهُمُ وَلكِـنْ فُضُـولُ الخَيْـلِ مُلْجَمَـةٌ صِيَـامُ

يريد أن لهم خيلاً معدة سوى التي يركبونها.

وصام: سكن. قال بشر[(٣)]:

إذا صَـامَ حِرْبـاءُ العَشِـيِّ رَأَيْتَهَـا مَناسِـمُها بـالجَنْدَل الصُـمِّ تَرْتَمِـي

وورد لفظ صوم في الشعر الجاهلي بمعنى العبادة التي كتبها الله على أهل الكتاب بكيفية مخصوصة. قال صاحب الزينة: (وقد كانت الصلاة والصيام وغير ذلك في اليهود

(١) ديوان امرئ القيس: ص ٦٣.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم: ص ٢٠٩ وهامشها.

(٣) المرجع السابق: ص ١٩٨.

والنصارى، وقد كانت اليهودية والنصرانية في العرب)[1].

قال امرؤ القيس[2]:

لهـا مُقلـةٌ دَعْجَـاءُ لـوْ نَظَـرتْ بهـا ... إلى عـابدٍ قَـد صَـامَ لله وابتهَـلْ

لأَصبَحَ مفتونـاً مُعْنَّـى بحبِّهـا ... كَـأَنْ لم يَصُـمْ لله يومـاً و لم يُصَـل

أي: أن هذه المرأة لها مقلة جميلة لو نظرت بها إلى عابد لهام بها وافتتن بحبها، وترك صلاته وصيامه من أجلها. وعطف الصلاة على الصوم قرينة تدل على المراد.

والصيام لفظ إسلامي ورد في ثلاث عشرة آية من القرآن، وهو في هذه الآيات يدل على الصوم العبادة التي فرضها الله على المسلم شهرا في العام، وهو شهر رمضان، وهو إمساك المكلف بالنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن تناول الأطيبين والاستمناء والاستقاء)[3] أو هو الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات لقوله عليه السلام: **(مَنْ لم يدعْ قولَ الزورِ والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامَهُ وشرابَهُ)**[4].

وورد لفظ (الصوم) في آية واحدة بمعنى الصمت هي قوله تعالى[5]: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

(معنى ﴿**صوما**﴾: صمتا، قاله ابن عباس وأنس بن مالك. (ومعنى هذه الآية أن الله تعالى أمرها بأن تُمسِك عن مخاطبة البشر وتُحيل على ابنها في ذلك؛ ليرتفع عنها خجلها وتتبين الآية فيقوم عذرها)[6].

---

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية: جـ١، ص ١٤٧.

(٢) ديوان امرئ القيس: ص ٤٦٩.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ص ٢٩١.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الصوم، ٣- باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ٨، حديث (١٩٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) سورة مريم: الآية ٢٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: جـ١١، ٩٧، ٩٨.

قال الأصفهاني[1]: وقوله: ﴿**إني نذرت للرحمن صوما**﴾ فقد قيل عُني به الإمساك عن الكلام بدلالة قوله تعالى ﴿**فلن أكلم اليوم إنسيا**﴾ وكذلك قاله الفيروزآبادي[2].

وجمع أبو البقاء بين المَعنَيين اللَّذين ورد بهما المصطلح في القرآن فقال: كل صوم في القرآن فهو من العبادة إلا ﴿**نذرت للرحمن صوما**﴾ أي صمتا[3].

وورد اللفظ في الحديث النبوي في أحاديث كثيرة يصعب عدُّها وحصرها وهو في جميع الأحاديث الواردة في الكتب الستة دل على الصوم (العبادة المعروفة) بين فَرْض ونفل، وهذا دليل على استقرار المصطلح استقراراً تاما على هذه الدلالة في الحديث، بحيث أصبح لايشاركه فيه دلالة أخرى، فالمسلم اليوم لايقول على الخيل الواقفة صائمة، ولا يُسَمي السكوت صوما، ولا غيرها من الدلالات الأخرى الواردة في الشعر الجاهلي، بل إنه استقر على معنى العبادة المخصوصة في القرآن الكريم وظلت آثار ضئيلة لمعنى اللفظ اللغوي وهو الإمساك عن أي شيء كالإمساك عن الكلام في قوله تعالى: ﴿**إني نذرت للرحمن صوما**﴾، وذلك بدلالة السياق ﴿**فلن أكلم اليوم إنسيا**﴾ واكتسب اللفظ تخصيصا كاملا في الحديث النبوي إذ أصبح لايطلق إلا على الصوم بمعناه الشرعي وهو الإمساك عن المطعم والمشرب والجماع من الفجر إلى الغروب، فالصوم إذاً لفظ إسلامي قرآني يفهم منه الصوم الشرعي في الإسلام، ولكن الحديث النبوي أفاد شيئا جديدا للفظ الصوم وهو الاستقرار والثبوت على تلك الدلالة الشرعية، وإذا كنا سنجد في الألفاظ التالية أن الدلالات الأخرى تعيش جنبا إلى جنب مع دلالة اللفظ الشرعية فإن الصوم اكتسب تخصيصا كاملا وسيطرت دلالته الشرعية على الأذهان حتى أصبح وقفا على هذا المعنى في الحديث النبوي، وارتبطت به ألفاظ أخرى عبرت عن الأحكام المرتبطة به، وهذه الألفاظ هي: السحور، الإفطار، صدقة الفطر، يوم الفطر، البيض، الوصال.. وهذا ماسيتبيَّن لنا في الصفحات التالية.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ص ٢٩١.

(٢) بصائر ذوي التمييز: جـ٣، ص ٤٥٦.

(٣) الكليات: ص ٥٤٣.

السحور

لفظ إسلامي كثر وروده في أحاديث النبي ﷺ، وشاع استعماله بين المسلمين، وقد ارتبط بصوم شهر رمضان بل بالصوم في كل وقت وأصبح لازمة من لوازمه.

والسحور لفظ مأخوذ من السّحر والسَّحَر: وهو آخر الليل قبيل الصبح، والجمع: أسحار، والسَّحرة: السَّحر، وقيل: أعلى السَّحر، وقيل: هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر. ومعنى أسْحَرَ القوم: صاروا في السحر، واستحروا: خرجوا في السحر(١).

وبهذا المعنى ورد اللفظ في الشعر الجاهلي، ومنه قول زهير(٢):

بَكَرْنَ بُكُوراً واسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ ... فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَاليَدِ الفَمِ

واستحرنا: أي صرنا في ذلك الوقت/ونهضنا لنسير في ذلك الوقت. قال أبو ذؤيب(٣):

وبِابْني قُبَيْسٍ و لم يُكلَمَا ... إلى أنْ يُضِيءَ عمُودُ السَّحَرْ

إلى أن يضيء عمود السحر، قال: ليلة إلى الصبح.

نُسحر بالشراب: أي نعلل بالشراب، ومُسَحَّر: مُعَلَّل بالطعام والشراب. قال لبيد بن

---

(١) لسان العرب: جـ٣، ص ١٩٥٢، ١٩٥٣.

(٢) شرح ديوان زهير: ص ١٠.

(٣) ديوان الهذليين، القسم الأول: ص ١٥١.

أبو ذؤيب الهُذلي وهو خُوَيْلد بن خالد بن مُحَرِّث بن زبيد بن مخزوم.. بن تميم بن هُذيل، وكان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لاغَميزة فيه ولا وَهْنَ، قال أبو عمرو بن العلاء: سُئل حسان مَن أشعر الناس؟ قال حيًّا أو رجلا؟ قال: حيًّا، قال: أشعر الناس حيًّا هُذيل، وأشعر هذيل غير مدافَع أبو ذؤيب. شاعر جاهلي عده ابن سلام من شعراء الطبقة الثالثة.

انظر: طبقات الشعراء: ص ٢٩.

ربيعة[1]:

فَـــإنْ تســـألينا فِيــــمَ نَحْـــنُ فإنّنـــا عَصافِـــيرُ مِـــن هـــذا الأنـــامِ المُسَـــحَّرِ

عصافير: صغار ضعاف، أي نحن أولاد قوم قد ذهبوا. مسحر: معلل بالطعام والشراب.

سحره بمعنى أطعمه وعلله، وهذا المعنى هو أقرب المعاني إلى اللفظ الإسلامي ومنه أخذ. قال عدي بن زيد[2]:

كَربيَـــبِ البَيْـــتِ يَفـــرِي جُلَّـــهُ طاعَـــةُ العُـــضِّ وتسْـــحِيرُ اللَّبَـــنْ

يفري: يشق. الجل: ماتلبسه الدابة لتصان به. سحَّره: أطعمه وعلله. العض: علف أهل الحضر. أو الحنطة والشعير وغيره..

وجاء اللفظ في القرآن الكريم بالمعنى نفسه دالاً على الوقت، وهو القطع الأخير من الليل، وجمعه أسحار، قال تعالى[3]: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝﴾ . وقال تعالى[4]: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝﴾.

وورد اللفظ بهذا المعنى في الحديث النبوي، من ذلك قوله ﷺ: (**لاتُواصِلـوا فَـأيُّكم إذَا أَرَادَ أَنْ يُواصِلَ فَلْيواصِلْ حتى السَّحر**، قَالوا: فإنَّك تُواصِـلُ يَارسُولَ الله، قـال: **إنّـي لَسْتُ كَهيئَتِكم إني أَبِيْتُ لي مُطْعِمٌ يُطْعِمُني وسَاقٍ يَسْقِيْن**)[5].

ومن لفظ سحر أخذ لفظ السحور الذي ارتبط في الحديث النبوي بالصوم ارتباطاً وثيقاً، وأصبح اسما لما يُتَسحَّر به من الطعام أو الشراب استعداداً لصيام اليوم التالي. وقد حث النبي على السحور لما فيه من البركة للصائم، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال

---

(١) شرح ديوان لبيد: ص ٥٦.

(٢) ديوان عدي بن زيد العبادي، ص ١٧٤.

(٣) سورة القمر: الآية ٣٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الصوم ٣٠- باب الوصال ٤٨، حديث (١٩٦٣) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

رسول الله: (**تَسَحَّروا فإنَّ في السَّحورِ بَرَكَةً**)[1].

والسَّحور بالفتح: اسم لما يتسحر به من الطعام والشراب[2].

وذكر بعضهم أن الصواب بالضم؛ لأنه بالفتح: الاسم لما يُتَسحر به، وبالضم: المصدر، والبركة في الفعل لا في الطعام[3].

وفي الحديث حثٌ على السحور، وقد أجمع العلماء على استحبابه وأنه ليس بواجب، وأما البركة التي فيه فظاهرة؛ لأنه يقوي على الصيام وينشط له وتحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام؛ لخفة المشقة فيه على المتسحر، فهذا هو الصواب المعتمد في معناه، وقيل: لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء في ذلك الوقت الشريف، وقت تّنزل الرحمة وقبول الدعاء والاستغفار، وربما توضأ صاحبه وصلى أو أدام الاستيقاظ للذكر والدعاء والصلاة أو التأهب لها حتى يطلع الفجر[4].

ولما يحمله السحور من الخير والبركة والقوة للصائم فقد سُمِّي بالفلاح، وكأن الذي يداوم عليه يفلح بما يناله من الأجر والثواب، ولما فيه من تسهيل الصيام على المسلم وإعانته على تحمل مشاقه، وتسمية السحور بالفلاح ورد فيما ماوراه أبو ذر قال: (صُمْنا مع رسول الله فلم يُصلِّ بنا حتى بقي سَبْعٌ من الشهر فقام بنا حتى ذهب ثُلُث الليل، ثم لم يقم بنا في السَادِسة وقام بنا في الخامسة حتى ذهب شَطْرُ الليل، فقلنا له: يارسول الله لو نَفَلتنا بَقيةَ ليلتنا هذه، فقال: (**إنَّهُ مَنْ قَامَ مع الإمام حتى يَنْصرفَ كُتِبَ له قِيام لَيلة**) ثم لم يصل بنا حتى بقي ثَلاثٌ من الشَّهر وصَلَّى بنا في الثَالِثةِ ودَعَا أهلَه ونِساءه فقام بنا حتى تخوفنا الفلاح. قلت له: وما الفَلاحُ قال: السَّحور)[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم ٣٠- باب بركة السحور من غير إيجاب ٢٠، حديث (١٩٢٣).
وصحيح مسلم: كتاب الصيام ١٣- باب فضل السجور وتأكيد استحبابه ٩، حديث (١٠٩٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث، جـ٢، ص ٣٤٧.

(٣) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني، تحقيق عبدالكريم العزباوي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، جـ٢، ص ٦٦.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ٧، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٥) سنن الترمذي: كتاب الصوم ٦- باب ماجاء في قيام شهر رمضان ٨١، حديث (٨٠٦).

ووصف الرسول السحور بأنه الغداء المبارك، من ذلك ماروي عن المقدام بن معدي كرب عن النبي قال: (**عليكم بغداءِ السَّحُورِ فإنّه هو الغدَاءُ المُبارَكُ**)[1].

وقد يستغني السياق عن لفظ السحور بلفظ الغداء المبارك، فعن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول ا لله وهو يدعو إلى السحور في شهر رمضان وقال: (هلموا إلى الغداء المبارك)[2].

والغداء: الطعام الذي يؤكل في أول النهار إلى أن يقارب المنْصَف، وسُمي السحور غداء؛ لأنه بمنزل الغداء للصائم[3]. وسماه الرسول ﷺ أيضا: بأكلة السحر نسبة للوقت الذي يتناوله فيه الصائم، وقد بين النبي ﷺ أن أكلة السحر تفصل بين صيام المسلم وصيام أهل الكتاب، فالمسلم يُستحب له السحور وهم لايتسحرون، وهذا دليل على أن هذا المصطلح إسلامي وأن تاريخ وجوده مرتبط بفرض الصيام في الإسلام، وتفصيل أحكامه في الحديث، فعن عمرو بن العاص أنّ رسول ا لله ﷺ قال: (**فَصْلُ مابَيْنَ صِيامِنَا وصِيامِ أَهْلِ الكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ**)[4].

وقد أشار القرآن الكريم إلى وقت السحور والإمساك دون تسميتهما بذلك، وذلك في قوله تعالى[5]: ﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾.

وفصلت الأحاديث أيضاً في بيان وقت السحور، ومن ذلك قوله ﷺ: (**لايَمْنعنَّكم من سَحورِكم أذانُ بِلال ولا الفَجْرُ المَسْتَطيلُ ولكن الفَجْر المُستَطِير في الأُفُق**)[6]. وقوله

= وسنن النسائي: كتاب السهور ١٣- باب ثواب من صلى مع الإمام حتى ينصرف ١٠٣، حديث (١٣٦٤).

وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٥- باب ماجاء في قيام شهر رمضان ١٧٣، حديث (١٣٢٧). قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

(١) سنن النسائي: كتب الصيام ٢٢- تسمية السحور غداء ٢٦، حديث (٢١٦٤).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصوم ٨- باب مَنْ سمى السحور الغداء ١٦، حديث (٢٣٤٤).

وسنن النسائي: كتاب الصيام ٢٢- دعوة السحور ٢٥، حديث (٢١٦٣) وهذا لفظه.

(٣) المجموع المغيث: جـ٢:ص ٥٤٢-٥٥٣.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الصيام ١٣- باب فضل السحور وتأكيد استحبابه ٩، حديث (١٠٩٦).

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٦) سنن الترمذي: كتاب الصوم ٦- باب ماجاء في بيان الفجر ١٥، حديث (٧٠٥) عن سمرة بن جندب =

ﷺ (لايغرَّنَّ أَحَدَكَمْ نِداءُ بِلالٍ من السَّحورِ ولا هذا البَياض حتّى يَسْتَطِير)[1]. ومعنى يستطير: أي ينتشر ضوؤه ويعترض في الأفق بخلاف المستطيل.

وقد بينت لنا أقوال الصحابة رضوان الله عليهم وقت سحور رسول الله ﷺ، من ذلك قول زيد بن ثابت رضي الله عنه: (تَسحَّرنا مع رسول الله ﷺ ثم قام إلى الصلاة قُلْت كَمْ كان بين الأذان والسحور، قال قَدْرَ خمسين آية)[2].

يتبين مما سبق أن السحور بهذا المعنى لفظ إسلامي قدَّمته لنا سياقات الحديث النبوي، حيث لم يرد في القرآن الكريم؛ بهذا المعنى وفيه دلالة على أنَّ الإسلام حمّل الألفاظ القديمة المعاني الجديدة، والعلاقة هنا بين المعنى اللغوي والمعنى الإسلامي علاقة زمانية، فهو يدل على الطعام الذي يؤكل وقت السحر، يتناوله الصائم ليتقوى به على صيام النهار؛ لذلك كان ﷺ يؤخره، فقد كان بين سحوره ﷺ وبين أذان الفجر قدر مايقرأ الرجل خمسين آية من القرآن.

ومن لفظ (السحور) اشتقت ألفاظ أخرى تُعبر عن القيام بالفعل مثل قول سهل بن سعد رضي الله عنه: (كنت أتسحرُ في أهلي ثم تكون سرعة بي أن أدرِك صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ)[3]. وكذلك قول الصحابي في الحديث: (تسحرنا مع رسول الله ﷺ). وقوله ﷺ: (أكلة السحر)، وجميع هذه الاشتقاقات ترجع إلى الاستعمال الإسلامي للفظ سحور.

وقد عبر الحديث النبوي عن السحور بألفاظ عدة، وهي الفلاح، الغداء المبارك، أكلة السحر، وكل لفظة تشير إلى معنى أو جانب من المعنى الذي يحمله لفظ (السحور).

فالفلاح لفظ يدل على الخير والفوز، فقد أفلح مَنْ تسحر اقتداء بالنبي ﷺ واتباعاً لهديه الشريف، فهو يُفلِح باتباع السنة وبالتقوِّي على الصيام في جميع الأوقات، إن تناولَ

= رضي الله عنه، وحسَّنه الترمذي، وانظر الحديث الآتي.

(١) صحيح مسلم: كتاب الصيام ١٣- باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ٨، حديث (١٩٤) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصوم ٣٠- باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر ١٩، حديث (١٩٢١).
وصحيح مسلم: كتاب الصام ١٣- باب فضل السحور وتأكيد استحبابه ٩، حديث (١٠٩٧).

(٣) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، ٩- باب وقت الفجر ٢٧، حديث (٥٧٧).

أكلة السحر التي تعينه على ذلك، وهي بالنسبة للصائم كالغداء وهـو مبـارك؛ لأن في فعله اقتداءً بالرسول ﷺ ثم به يستعد المسلم لقضاء نهاره صائما فهـو مرتبـط بعبـادة ينـال بهـا الثواب من عند ا لله، ومع أن جميع هذه الألفاظ عبَّرت عن السحور إلا أنـه لايمكـن القـول بوقوع الترادف بينها؛ لأنها تدل جميعا على الطعام والشراب الـذي يتناولـه الصـائم وقـت السحر، لأن اللفظ الشائع والذي يعرفـه ويستخدمه المسلمون جميعاً هـو السـحور، وبـه وردت جميع الأحاديث المتعلقـة بالسـحور في الكتـب الستة، و لم يـرد لفـظ الفـلاح إلا في حديثين، حديث ذكرته سابقا[1] مروي عن أبـي ذر رضـي ا لله عنـه، وحديـث آخـر رواه نعيم بن زياد أبو طلحة قال: (سمعت النعمان بن بشـير علـى منـبر حمـص يقـول: قمنـا مـع رسول ا لله ﷺ في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل الأول، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم قمنا معـه ليلـة سبع وعشـرين حتـى ظننـا أن لانـدرك الفلاح، وكانوا يسمونه السحور)[2]. و لم يرد اللفظ على لسان رسول ا لله ﷺ، بـل همـا قولان لصحابيين.

أما لفظ الغداء المبارك فقد ورد على لسان رسول ا لله ﷺ في أربعة أحـاديث، ثلاثـة منها أخرجها النسائي في كتاب الصيـام وحديـث آخـر أورده أبـو داود في كتـاب الصـوم أيضا، وهذا يعني أن لفظ الفـلاح ورد خمـس مـرات في الكتـب الستة، وورد لفـظ الغـذاء المبارك أربع مرات؛ لذا لم ينتشر اللفظان و لم يشـع استعمالهما في الدلالـة علـى السـحور، ولكنها أضافت إليه ظِلالاً من المعاني التي لم يُعبر عنها اللفـظ، فالسـحور يـدل علـى طعـام الصائم وشرابه وقت السحر، أما الفلاح والغذاء المبارك فتضيف المعاني الأخرى التي يجلبها السحور، فهو ليس كتناول الطعام في أي وقت بل هو سنة يؤجر عليها المسلم، وتحصل لـه بها البركة، فالسحور غداء مبارك وفلاح.

وبهذا يضيف لنا الحديث النبوي معنـى جديـداً لم يصـادفني فيمـا اطلعـت عليـه مـن الشعر الجاهلي، و لم يرد في آيات القرآن، فالسحور مصـدر يحمـل دلالـة إسـلامية جديـدة وتتفرع منه استعمالات أخرى مثل: (تسحرنا)، (أتسحر)، (أكلة السحر) وقد عبَّرت عــن جانب مهم من جوانب الصوم ألا وهي أكلة الصائم عند السحر استعدادا للإمسـاك، و لم

(١) انظر ص: ١٩١ من البحث، حاشية (٥).

(٢) سنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، ٢٠- باب قيام شهر رمضان ٤، حديث (١٦٠٦).

تأت السنة بلفظ جديد على العربي لتعبر عـن هـذا المعنـى، وإنمـا اشـتقته مـن مـادة عرفهـا العربي واستعملها في الدلالة على الزمن وفي الدلالة على الطعام، ثم أصبح من اليسير عليـه أن يستعمله دالا على الطعـام والشـراب الـذي يتناولـه الصـائم في وقـت السـحر اسـتعداداً للإمساك عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

الإفطار

دلّت مادة (فَطَرَ) على كثير من المعاني اللغوية منها: فطر البئر: ابتدأ حفرها. وتفطرت الأرض بالنبات: إذا انشقت عنه. وفَطَرَ نابُ البعير فَطراً: شق اللحم وطلع، وفطر الشيء يفطره فطراً. وفطره: شقه. وتَفَطَّر: تشقَّق. والفَطْر: الشق، وجمعه: فطور. وسيف فطار: فيه صدوع وشقوق. وفطر الناقة والشاة يفطرها فطرا: حلبها بأطراف أصابعه. وفطر: أنشأ[1].

قال عنترة[2]:

وَسَيْفِي كالعَقِيقَةِ وهو كِمْعي ... سِلاحِي لا أفَلَّ ولا فُطارا

فمن معاني فطر اللغوية: الشق، والإنشاء، والحلب.

ولم يظهر أي ارتباط بين اللفظ والصوم في الشعر الجاهلي، مع أن الصوم كان معروفاً عند أهل الكتاب، وقد ورد في الشعر الجاهلي -كما سبقت الإشارة إلى ذلك-، ولا يختلف معنى اللفظ كثيراً في القرآن عما كان عليه في الشعر الجاهلي، فَفَطر الله الخلق: خلقهم وبدأهم[3]. قال تعالى[4]: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾. والذي فطرنا: أي أبدعنا وأوجدنا[5].

والفَطْر: الابتداء والاختراع. قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت لأدري مافاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها: أي أنا

(١) لسان العرب (مادة فطر) جـ٥، ص ٣٤٣٢، ٣٤٣٣.

(٢) ديوان عنترة: ص ٢٣٤.

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٤٨٠.

(٤) سورة طه: الآية ٧٢.

(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ٣٨٢.

ابتدأتها[1].

وقوله تعالى[2]: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ إشارة منه تعالى إلى مافطر أي: أبدع وركَزَ في الناس من معرفته تعالى، وفِطْرَة الله هي ماركز فيه من قُوّته على معرفة الإيمان[3].

وورد الفطر بمعنى الشقّ والفُطُور الشقوق قال تعالى[4]: ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ . ﴿من فطور﴾: أي اختلال ووَهْي فيه، وذلك قد يكون على سبيل الفساد، وقد يكون على سبيل الصلاح[5]. قال تعالى[6]: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾

أما في الحديث النبوي فيأتي اللفظ مرتبطا بالصوم ويكتسب دلالة إسلامية جديدة ويتحول إلى لفظ إسلامي يرتبط بالصوم ويمثل جزءاً من أجزائه، فالصوم يتضمن السحور والإمساك والفطور، وإذا تتبعنا لفظ فطور وجدناه يدل على مايتناوله الصائم ليفطر عليه، وبعبارة أخرى هو تناول الطعام بعد الإمساك للصيام[7].

وقد بينت سياقات الحديث النبوي وقته وما يستحب فيه، ومن ذلك قوله ﷺ: **(إذا أَقْبَلَ اللَّيلُ وأَدْبَرَ النَّهارُ وغَابَت الشَّمسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ)**[8].

ومعنى أفطر الصائم: أي انقضى صومه وتمّ. ولا يوصف الآن بأنه صائم، فإنه بغروب الشمس خرج النهار ودخل الليل، والليل ليس محلاً للصوم[9].

---

(١) الصحاح (مادة فطر) جـ٢، ص ٧٨١.

(٢) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص ٣٨٢.

(٤) سورة الملك آية ٣.

(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ٣٧٢.

(٦) سورة المزمل: الآية ١٨.

(٧) القاموس الفقهي: سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ص ٢٨٨.

(٨) صحيح البخاري: كتاب الصوم ٣٠- باب متى فِطر الصائم ٤٣، حديث (١٩٥٤).
وصحيح مسلم: كتاب الصيام، ١٣- باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار ١٠، حديث (١١٠٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٩) صحيح مسلم بشرح النووي: جـ٧، ص ٢٠٩، ٢١٠.

وقيل: فقد أفطر الصائم: أي دخل في وقت الإفطار، وجاز له أن يفطر كقولهم: أصبح وأمسى. وقيل: أي صار في حكم المفطر وإن لم يأكل[1]. وقوله ﷺ: (**أقبل الليل وأدبر النهار وغربت الشمس**) قال العلماء: كل واحد من هذه الثلاثة يتضمن الآخرين ويلازمهما، وإنما جمع بينهما؛ لأنه قد يكون في واد ونحوه بحيث لايشاهد غروب الشمس، فيعتمد إقبال الظلام وإدبار الضياء[2].

ويستحب تعجيل الفطر، وذلك فيما روى سهل بن سعد أن رسول ا لله ﷺ قال: (**لايزال الناس بخير ماعجلوا الفطر**)[3].

وقال ﷺ: (**من فطّر صائما كان له مثل أجره غير أنه لاينقص من أجر الصائم شيئاً**)[4].

وبهذا يصبح لفظ الإفطار أو الفطور لفظاً إسلامياً حيث أطلق مجازاً على الطعام الذي يتناوله الصائم عند الغروب ويقطع به صومه، فكأنه يشق صومه بما يتناوله من الطعام، وهذه هي العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي الذي نقل اللفظ إلى الحقيقة الشرعية ليصبح اسما إسلاميا خاصا بالصوم والصائمين، ومنه سُمي اليوم الذي ينهي الصائم فيه شهر رمضان: يوم الفطر، وهو عيد المسلمين، وقد نهى النبي ﷺ عن صيامه، فقد روى أبو سعيد عن رسول ا لله ﷺ أنه نهى عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى)[5].

وفي يوم الفطر يبدأ النبي ﷺ بالصلاة قبل الخطبة، فقد روي عن جابر بن عبدا لله

---

(١) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، جـ٢، ص ٦٢٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ٧، ص ٢١٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصوم ٣٠- باب تعجيل الإفطار ٤٥، حديث (١٩٥٧).

وصحيح مسلم: كتاب الصيام ١٣- باب فضل السحور وتأكيد استحبابه ٩، حديث (١٠٩٨).

(٤) سنن الترمذي: كتاب الصوم، ٦- باب ماجاء في فضل من فطر صائما ٨٢، حديث (٨٠٧).

وسنن ابن ماجة: كتاب الصيام ٧- باب في ثواب من فطّر صائماً ٤٥، حديث (١٧٤٦) عن زيد بن خالد الجهني رضي ا لله عنه -قال الترمذي (هذا حديث حسن صحيح).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الصوم ٣٠- باب صوم يوم الفطر ٦٦، حديث (١٩٩١).

وصحيح مسلم: كتاب الصيام، ١٣- باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى ٢٢، حديث ١٤١ (٨٢٧).

يقول: (إن النبي ﷺ خرج يوم الفطر فبدأ بالصلاة قبل الخطبة)[1].

وهو يوم الفطر وعيدٌ للمسلمين، فعن أبي عبيد مولى عبدالرحمن بن عوف قال: (شَهدتُ عُمَر بن الخطاب في يوم النَّحر بَدأَ بالصلاة قبل الخطبة ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يَنْهى عن صوم هذين اليومين، أَمَّا يوم الفطر فَفِطْرُكُم من صَوْمِكم، وعِيدٌ للمسلمين، وأما يومُ الأضحى فكُلُوا من لحوم نسككم)[2].

وقد كان للعرب يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فأبدل الله بهما يوم الفطر أو عيد الفطر، ويوم الأضحى أو عيد الأضحى، فعن أنس رضي الله عنه قال: (قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: (ماهذان اليومان؟) قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: **(إنَّ اللهَ قَدْ أَبدَلكم بِهمَا خَيراً مِنْهما يَوم الأَضْحَى ويَوم الفِطْر)**[3].

ووردت تسميته بيوم الفطر أو بيوم عيد الفطر، فعن عائشة قالت: دخل عليَّ أبو بكر وعِنْدي جَاريتان من جَواري الأنصار تُغَنِّيَان بما تناولت به الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنّيتين، فقال أبو بكر: أَبِمَزْمُور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: **(ياأَبا بَكْر إنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيداً وهَذا عِيدُنا)**[4].

تُحَدّد لنا السياقات السابقة سمات يوم الفطر أو يوم عيد الفطر، فهو عيد للمسلمين، أبدلهم الله به عن عيدين كانا لهم في الجاهلية بعيدين في الإسلام هما عيد الفطر وعيد

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العيدين ١٣- باب المشي والركوب إلى العيد بغير أذان ولا إقامة ٧، حديث (٩٥٨).
وصحيح مسلم: كتاب صلاة العيدين ٨- حديث (٨٨٥).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الصوم ٦- باب ماجاء في كراهية الصوم يوم الفطر والنحر ٥٨، حديث (٧٧١) وقال: (حديث حسن صحيح) وهو في صحيح البخاري برقم (١٩٩٠).
وصحيح مسلم برقم (١١٣٧) بدون قوله: (وعيد للمسلمين).

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، ٢- باب صلاة العيدين ٢٤٥، حديث (١١٣٤).
وسنن النسائي، كتاب صلاة العيدين ١٩، حديث (١٥٥٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، ٦٣- باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٤٦- حديث (٣٩٣١).

وصحيح مسلم: كتاب صلاة العيدين ٨- باب الرخصة في اللعب الذي لامعصية فيه في أيام العيد ٤، حديث (٨٩٢) واللفظ له.

الأضحى، وفي يوم الفطر نهى الرسول ﷺ عن الصيام وكان ﷺ لايغدو حتى يأكل تمرات ويأكلهن وتراً، ثم يخرج للصلاة ويبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ويؤدي فيه المسلمون صدقة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة.

وجميع هذه الألفاظ وهي: السحور، والفطور، ويوم الفطر، وصدقة الفطر، أو زكاة الفطر لم يرد لها ذكر في الشعر الجاهلي ولا في القرآن الكريم، بل إن المسلم عرفها من أحاديث الرسول ﷺ، فقد اكتسب لفظ السحور والإفطار التخصيص من سياقات الحديث النبوي، حيث خصص الحديث استعمالهما للصائم، فالسحور طعام الصائم وقت السحر، والفطور طعامه عند الغروب بعد أن يقضي نهاره صائماً، ومن مصطلح الفطور أُخِذّ مصطلح: يوم الفطر، حيث تخصص في الدلالة على اليوم الأول من شهر شوال فهو أول يوم يُفطر فيه المسلم نهاراً بعد أن قضى شهره صائماً.

فبالنقل المجازي تحدد لنا اللفظ الإسلامي السحور و الإفطار أو الفطر وبالتخصيص الإضافي تحدد لنا مصطلح يوم الفطر وزكاة الفطر.

البيض

البيض: جمع أبيض، والبياض في اللغة ضد السواد، وبياض الوجه يُكنى به عن الإشراق والسرور. وللفظ البيض دلالات متعددة، ورد منها في الشعر الجاهلي: البيض بمعنى السيوف، قال عمرو بن براقة(١):

فَلا صُلْحَ حَتّى تَقْدَعَ الخَيْلُ بِالقَنَا ... وَتُضْرَبَ بِالبيض الخِفَافِ الجَمَاجِمُ

والبيض: النساء الحرائر. قال طرفة(٢):

يَومَ تُبدي البِيْضُ عن أسْوُقِها ... وتَلُفُّ الخَيْلُ أعْرَاجَ النَّعَمَ

يقول: يوم تكشف الحرائر عن أسوقها من الفزع استعداداً للهرب.

وبيض: بقايا الماء. ومن ذلك قول تأبط شرا(٣):

بِهِ مِنْ نِجَاءِ الدَّلْو بيضٌ أقرّهَا ... جُبَارٌ، لصُمِّ الصَّخْرِ فيهِ قَرَاقِرُ

والبيض: السحاب. قال عبيد بن الأبرص(٤):

ماالسُّودُ والبِيْضُ والأسْماءُ واحِدَةٌ ... لايسْتَطيعُ لَهُنَّ النَّاسُ تِمْسَاسَا

---

(١) قصائد جاهلية نادرة: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ص ١٠١.
عمرو بن براقة الهمداني ثم النهمي، وبراقة أمه، وهو عمرو بن منبه بن شهر بن همدان. شجاع فاتك. المؤتلف والمختلف. ٦٦.

(٢) ديوان طرفة: ص ٩٠.

(٣) ديوان تأبط شرا: ص ٩٥.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص: ص ٧٢.

فقال امرؤ القيس[1]:

تِلْـكَ السَّـحابُ إذا الرَّحمـنُ أَرْسَـلها ... رَوَّى بهـا مِـنْ مُحُـول الأرْضِ أيْباسَـا

والبيض: صفة للعظام. قال حاتم الطائي[2]:

أَمَـا والـذِي لايَعْلَـمُ الغَيْـبَ غَـيْرُهُ ... ويُحْيِـي العِظَـامَ البيـضَ وهْـيَ رَمِيـمُ

والبيض: وصف للرايات. قال عمرو بن المنذر[3]:

أَبَـا هِنْـدٍ فـلا تَعْجَـلْ عَلَينـا ... وَأَنْظِرْنَـا نُخَـبِّرْكَ اليَقينـا
بِأنّـا نُـورِدُ الرَّايـاتِ بِيضـاً ... ونُصْدِرُهُـنَّ حُمْـراً قَـدْ رَوينـا

واستعمل الشعراء البياض صفة حسية ومعنوية، فالبيض صفة للرجال في فعالهم الشريفة الكريمة، فهنا يصفهم الشاعر بالحلم والشجاعة. قال عبيد[4]:

بِيـضٌ بَهَـالِيلُ يَنفِـي الجَهْـلَ حِلمهُـمُ ... وتفزَعُ الأرْضُ منهـم إنْ هُـم سَـخِطُوا

ووردت مادة (بيض) في القرآن الكريم، وورد منها الفعل والمصدر والصفة، ودلت في مجموعها على البياض الحِسِّي والبياض المعنوي الذي يُكنّى به عن الإشراق والسرور والطهر.

جاء لفظ الأبيض بمعنى: بياض النهار، قال تعالى[5]: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾. أي حتى يتميز بياض النهار وسواد

---

(١) ديوان امرئ القيس: ص ٤٦١.

(٢) ديوان حاتم الطائي: ص ١٨٤.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ص ٣٨٧، ٣٨٨.
عمرو بن المنذر: لم أعثر على ترجمته.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص: ص ٨٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

الليل[1].

والبياض: كناية عن إشراق الوجوه وإضاءتها، قال تعالى[2]: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾.

وورد لفظ (بيض) نكرة في آية واحدة هي قوله تعالى[3]: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق: وهي الجدد جمع (جدة) مختلفة الألوان أيضاً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجدد: الطرائق. وكذا قال أبو مالك والحسن وقتادة والسُدِّي، ومنها غرابيب سود، قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود)[4].

يتضح من معنى الآية أن لفظ بيض ورد بالمعنى الحسي،وهو الدلالة على البياض الذي هو ضد السواد.

وإذا تتبعنا اللفظ في الأحاديث النبوية وجدناه قد انتقل من الدلالة على المعاني اللغوية السابقة، الحقيقية والمجازية إلى دلالة شرعية، فالبيض اسم لأيام الليالي القمراء: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسميت لياليها بيضاً؛ لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها. وقد صامها النبي ﷺ ودعا إلى التمسك بصومها، فعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ لايفطر أيام البيض في حضر ولا سفر)[5].

وقد عد النبي ﷺ صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر، فعن جرير بن عبدالله عن النبي ﷺ قال: (**صِيامُ ثَلاثةِ أيامٍ من كلِّ شَهْرٍ صِيامُ الدَّهْرِ، وأَيامُ البِيضِ صَبيحَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ وأَرْبَعَ عَشْرَةَ وخَمْسَ عَشْرَةَ**)[6].

والبيض هي أيام الليالي البيض (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) وقد سماها

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ١٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٦.

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم: جـ٣، ص ٥٧١.

(٥) سنن النسائي: كتاب الصيام، ٢٢- صوم النبي ﷺ، حديث (٢٣٤٥).

(٦) سنن النسائي: كتاب الصيام، ٢٢- كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ٨٣، حديث (٢٤٢٠).

النبي ﷺ بذلك لبيض لياليها، ففي قوله ﷺ: (وأيام البيض صبيحة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة)، تعريف بهذه الأيام، وباللفظ المختار لها والذي لم يعرف بهذه الدلالة. وبهذا يصبح لفظ البيض لفظاً إسلامياً نقلته الأحاديث النبوية من الدلالة اللغوية إلى الدلالة الإسلامية وهنا نرى كيف حمَّل الإسلام الألفاظ القديمة المعاني الجديدة.

الوصال

الوصال: مصدر للفعل واصل. قال ابن فارس: (الواو والصاد واللام: أصل واحد يدلُّ على ضمِّ شيء إلى شيء حتى يَعْلَقَه. وَوَصَلْتُه به وَصْلا، والوصل ضد الهجران[1]. قال امرؤ القيس[2]:

إنّـــي لأصْـــرِم مَـــنْ يُصَـــارِمُني وأُجِـــدُّ وَصْـــلَ مَـــنِ ابتغَـــى وَصْلِـــي

وصّال: أي الرجل الذي يصل في موضع الوصل. وقال زهير في سياق وصفه لناقته[3]:

إنّـــي لتُعدِيـــني علـــى الهَـــمِّ جَسْـــرَة تَخُـــبُّ بوصّـــالٍ صُـــرومٍ وتُعْنِـــقُ

والوصيلة من الغنم: كانت العرب إذا ولَّدَ أحدهم الشَّـاةَ ذكراً قالوا: هذا لآلهتنا، فتقربوا بها، فإذا وَلَدَّها ذكراً وأنثى قالوا: وَصَلَتْ أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها. ويقال: إن الوصيلة: العمارة والخصب، والوصيلة: الأرض الواسعة، ويقال: هذا وصل هذا: أي مثله[4].

و لم أعثر على لفظ (وصال) فيما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي، وكذلك في القرآن الكريم ورد لفظ (تَصِل، يَصِل، يَصِلون، يُوصَل، وَصِيلة، وَصَلْنَا).

ورد لفظ (وَصَله) بمعنى: برَّه وتودَّد إليه، قال تعالى[5]: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ

---

(١) معجم مقاييس اللغة: جـ٦، ص ١١٥.

(٢) ديوان امرئ القيس: ص ٢٣٩.

(٣) ديوان زهير: ص ٢٥٧.

(٤) مجمل اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. جـ٤، ص ٩٢٧.

(٥) سورة الرعد: الآية ٢١.

أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾. الوصل هنا بمعنى البر والإحسان[1].

وجاء اللفظ بمعنى بلغه وانتهى إليه[2]. قال تعالى[3]: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾

وورد لفظ الوصيلة بمعنى: أنثى الشاء التي تولد في بطن مع ذكر، وكان أهل الجاهلية يقولون: وَصَلَتْ أخاها، فلا يذبحون الذكر لأجلها، قال تعالى[4]: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾. وَوَصَّل الشيء تَوْصيلا جعل أجزاءه متتابعة غير متقطعة[5]، قال تعالى[6]: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾

وتوصيل القول لهم إتباع بعضه بعضا في التنزيل[7].

وورد لفظ (الوصال) في الحديث النبوي وارتبط في سياقاته بالصوم وأصبح لفظا إسلاميا له دلالة خاصة بعد أن كان يدل على معنى عام في اللغة، فالوصال مصدر للفعل (واصل) وهو ضم الشيء إلى الشيء دون فصل بينهما، وخصصه الحديث في الوصال في الصيام، وذلك أن يصوم المسلم يومين أو أكثر دون أن يُفْطِر بينهما، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**لاتُواصِلُوا فأيكم أَرَادَ أَنْ يُوَصِل فَلْيُواصِل حتى السَّحَر، قالوا: فإنك تُواصِلُ، قال: إنّي لَسْتُ كهيئَتِكُمْ إنّي أَبِيْتُ لي مُطْعِمٌ يُطْعِمُني وسَاقٍ يَسْقِيني**)[8].

وفي الحديث نَهْيٌ عن الوصال أي تتابع الصوم من غير إفطار بالليل. قال الخطّابي: الوصال من خصائص ماأبيح لرسول الله ﷺ وهو محظور على أمته ويشبه أن يكون المعنى في ذلك مايتخوف على الصائمين من الضعف وسقوط القوة فيعجزوا عن الصيام المفروض

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٧٢٥.

(٢) المرجع السابق: ص ٧٢٥.

(٣) سورة هود: الآية ٧٠.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٣.

(٥) معجم ألفاظ القرآن، ص ٧٢٥.

(٦) سورة القصص: الآية ٥١.

(٧) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٢٥.

(٨) صحيح البخاري: تقدم تخريجه، ص ١٩٠ حاشية (٥).

وعن سائر الطاعات أو يملُّوها إذا نالتهم المشقة فيكون سببا لترك الفرَيضة، ويكره الوصال ولا يكره إلى السحر نَصًّا وتركه أولى[1].

وذكر الأحوذي في شرح سنن الترمذي أن الناس اختلفوا في حكم الوصال على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لايجوز ولا معنى له؛ لأن النبي ﷺ نهى عنه في الصحيح، وقال: إذا أقبل الليل من ههنا فقد أفطر الصائم فأي وصال بقي.

الثاني: أنه يواصل إلى السحر.

الثالث: أنه يجوز كما قال عبدا لله بن الزبير وابنه عامر قال: مالك بن أنس في رواية محمد بن سلمة عنه: كان عامر بن عبدا لله بن الزبير يواصل يومين وليلة، وقد روى قوم أن عبدا لله أباه كان يواصل الجمعة إلى الجمعة ويفطر على الصَّبر؛ ليتسع معاه مخافة أن ينشق بدخول الطعام فجأة فيه وقد لصق بعضه إلى بعض فكان الصبر يعتقه له وحجتهم أن النبي عليه السلام إنما نهاهم عن الوصال رحمة لهم، فلمَّا لم يقبلوا واصل بهم حتى رأوا الهلال، ثم قال (لو تأخر لزدت) كالُمنكِّل لهم فلذلك والصحيح منعه، فإن النهي ثابت وتمكينه منهم تَنْكِيلٌ لهم، وما كان على طريق العقوبة لايكون من الشريعة[2].

وقد ورد فيما رُوي عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أن أبا هريرة رضي ا لله عنه قال: نهى رسول ا لله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يارسول ا لله، قال: (**وَأَيُّكُمْ مِثْلِي؟ إِنِّي أَبِيْتُ يُطعِمُني رَبِّي وَيَسْقِيْن**). فلما أَبَوْا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً ثم يوماً، ثم رأوا الهلال فقال: **لو تأخر لزدتكم**) كالتنكيل لهم حيث أبوا أن ينتهوا)[3].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م. جـ٣، ص ٣٤٩.

(٢) انظر عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، جـ٣، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم ٣٠- باب التنكيل لمن أكثر الوصال ٤٩، حديث (١٩٦٥).

وصحيح مسلم: كتاب الصيام، ١٣- باب النهي عن الوصال في الصوم ١١، حديث (١١٠٣).

وبذلك ينتقل لفظ الوصال من الدلالة اللغوية العامة وهي ضم الشيء إلى الشـيء إلى الدلالة الإسلامية الخاصة، ويتخصص في الدلالة على مواصلـة الصيـام بـين الأيـام مـن غـير إفطار أو مواصلة الصيام إلى السحر.

الفصل الخامس

ألفاظ الزكاة والصدقة

الزكاة

أَصْلُ الزّكاة في اللغة الطّهارةُ والنّماءُ والبركةُ والمَدْحُ والزّكاءُ، ممدود: النّماء والرّيع، والزّرع يَزْكُو زَكاءً أي نما، وكل شيء يَزْدادُ ويَنْمِي فهو يَزْكُو زَكاءً، فالزّكاءُ الزيادةُ[1] وزكا الرّجلُ يَزْكُوا زُكُواً، إذا تَنَعَّمَ وكان في خِصْب[2].

وحول هذه المعاني دار اللفظ في الشعر الجاهلي، قال الأعشى يمدح الملك بأنه قد نما خيره ووفاؤه وزاد مجده[3]:

إلى مَلِكٍ كَهِلاَلِ السَّمَاءِ أَزْكَى وَفَاءً وَمَجْداً وَخِيرَا

والزكاة: الصَّلاح، ورجلٌ تقيٌّ زكي أي زاك من قوم أتقياء أزكياء[4]، قال الأعشى يمدح قيس بن معديكرب[5]:

فَذاكَ أَوَانُ التُّقَى والزَّكَا وَذَاكَ أَوَانٌ مِنَ المُلْكِ حَارَا

يقول: لقد عاد الملك إلى نصابه ورجع إلى صاحبه خير الملوك واستقر بعد اضطراب ولكل نبأ مستقر.

ولم يرد للفظ دلالة دينية في الشعر الجاهلي كما ظهر في الصوم والحج، حيث عُرف كل منهما عند العرب في الجاهلية لوجود اليهودية والنصرانية وآثار من الحنفية دين إبراهيم عليه السلام، فلم أعثر فيما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي على مايدل على أن الجاهلي عرف الزكاة والصدقة، كما عرف الصوم وعرف الحج وأدى شعائره التي سيَّرها وفقا

(١) لسان العرب: ابن منظور، مادة (زكا) جـ٣، ص ١٨٥٠.

(٢) الصحاح: الجوهري، مادة (زكا) جـ٦، ص ٢٣٦٨.

(٣) ديوان الأعشى: ص ٩٦، ٩٧.

(٤) لسان العرب: ابن منظور، مادة (زكا) جـ٣، ص ١٨٤٩.

(٥) ديون الأعشى: ص ٥٠، ٥١.

لأهوائه ومصالحه.

وورد لفظ زكاة في القرآن وما اشتق منه من الأفعال والأسماء دالا على النمو والزيادة والطهر والصلاح، والنمو يكون للمال وحصول البركة فيه وتطهيره، والصلاح يكون للنفس بتطهيرها وتزكيتها. قال الفيروزآبادي: الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية[١].

يقال زكا الزرع يزكو إذا حصل فيه نمو وبركة[٢]. قال تعالى[٣]: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾.

﴿**أزكى طعاما**﴾ أي أطيب طعاما.. وقيل أكثر طعاما ومنه زكا الزرع إذا كثر، والصحيح الأول، لأن مقصودهم إنما هوالطيب الحلال سواء كان كثيرا أو قليلا[٤].

وتزكية النفس تطهيرها وإصلاحها، قال تعالى[٥]: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝﴾. أي من زكى نفسه بعمل البر، واصطناع المعروف[٦]، والمعنى أي فازت نفس من أصلحها الله، وعرفها، ووفقها، وقد خسرت نفس من أغواها الله وأضلها وخذلها[٧].

وينسب تطهير النفس في القرآن إلى العبد تارة لاكتسابه ذلك كما في الآية السابقة، وتارة إلى الله تعالى لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة[٨]. قال تعالى[٩]: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ وتارة إلى النبي ﷺ لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو قال تعالى[١٠]: ﴿خُذْ

(١) البصائر: الفيروز ابادي: جـ٣، ص ١٣١.

(٢) المفردات: الأصفهاني، ص ٢١٣.

(٣) سورة الكهف آية ١٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٣ ص ٦٩.

(٥) سورة الشمس آية ٩.

(٦) غريب القرآن: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٥٣٠.

(٧) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٥١٢.

(٨) البصائر: الفيروزابادي جـ٣ ص ١٣٣.

(٩) سورة النساء آية ٤٩.

(١٠) سورة التوبة آية ١٠٣.

﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وتارة إلى العبادة التي هي آلـة في ذلـك نحـو[1] قال تعالى[2]: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾

وخصص القرآن لفظ زكـاة ليـدل علـى مايخرجـه الإنسـان مـن حـق ا لله تعـالى إلى الفقراء، فقد أوجب على المسلم دفع قسط من المال -إذا بلغ النصاب- فريضة من ا لله كل عام على سبيل العبادة، وسمى هذا المال بالزكاة لما يكون فيها مـن رجـاء البركـة أو تزكيـة النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات،أولهما جميعا،فإن الخيرين

قال تعالى[4]: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، أي أتموا الصلوات الخمس وأعطـوا زكاة أموالكم[5].

وقال تعالى[6]: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ . أي أوصـاني بإتمـام الصلاة والصدقة ماحييت[7].

وكل موضع تقرن فيه الزكاة بالإيتاء وما في معناها فهي بمعنى المـال المـراد إخراجـه، وكل موضع تقرن فيه الزكاة بطلبها أو الوصية بها فمعناها الإخراج والإعطاء[8].

وقد وردت كلمة (الزكاة) في اثنتين وثلاثين آية، واقترنت الصـلاة بالزكـاة في سـبع وعشرين آية منها على حين وردت الزكاة وحدها في خمس آيات، دلت في آيتين منها على المعنى العام للفظ وهو الطهر والصلاح وذلك في قوله تعالى[9]: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾

ومعنى الزكاة هنا الطهارة من الدنس والآثام والذنوب، وقال قتـادة: الزكـاة العمـل

(١) البصائر: الفيروزابادي جـ٣ ص ١٣٣.
(٢) سورة مريم آية ١٣.
(٣) المفردات: الأصفهاني: ص ٢١٣.
(٤) سورة البقرة آية ٤٣.
(٥) تنوير المقياس: ابن عباس ص ٨.
(٦) سورة مريم: الآية ٣١.
(٧) تنوير المقياس: ابن عباس: ص ٢٥٥.
(٨) معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، ص ٢٧١.
(٩) سورة مريم: الآية ١٣.

الصالح، وقال الضحاك وابن جريج العمل الصالح الزكي، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿وزكاة﴾ قال بركة[1].

ووردت بهذا المعنى أيضا في سورة الكهف في قوله تعالى[2]: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝﴾

﴿**فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة**﴾ أي ولدا أزكى من هذا، وهما أرحم به منه قال ابن جريح وقال قتادة: أبر بوالديه.. قال ابن جريج لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم[3].

وقد جاء اللفظ نكرة في الآيتين السابقتين دالا على معنى الطهر والصلاح، وورد في جميع الآيات معرفا بأل دالا على إخراج قدر معروف من المال صدقة أو على القدر المخرج نفسه، وبهذا يكون القرآن هو الذي خصص لفظ زكاة ونقله إلى هذا المعنى الشرعي الذي تغلب على دلالات اللفظ اللغوية، واكتسبت هذه الدلالة الشرعية التي سيطرت على الأذهان وأصبح اللفظ يدل دلالة حقيقية عليها.

وحيث نتتبع السياقات التي ورد فيها لفظ زكاة في الحديث النبوي نجد أن الدلالة الشرعية التي قررها القرآن الكريم قد تقررت مرة أخرى في أحاديث النبي ﷺ وكما جاء اللفظ في بعض الأحاديث دالا على معنى التطهير (تطهير النفس إصلاحها) فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**اللهم إنَّمَا أَنا بشر فَأَيّما رَجُل من المسلمين سَبَبْتَهُ أو لَعَنْتُه أَوْ جَلَدْتُه فَاجْعَلْها لَه زَكَاةً ورحمة**)[4] وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**اللَّهم إنّي اتَّخَذْتُ عِنَدَك عَهدا لن تُخْلِفْنيه، فإنَّما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيتُه شتَمتُه لَعنتُه جَلدْتُه، فَاجْعَلْها لَهُ صَلاةً وزكاة**

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) سورة الكهف: آية ٨٠، ٨١.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ص ١٠١.

(٤) صحيح مسلم: ٤٥ كتاب البر والصلة والآداب ٢٥٠، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك ٤:٢٠٠٧ حديث ٨٩ (٢٦٠١).

وَقُرْبةً تُقَرِّبُه بِها إِليك يَومَ القِيامَةِ)[1].

وجاء لفظ الزكاة في معظم الأحاديث دالا على مقدار المال الذي فرض ا لله على المسلم إخراجه؛ سداً لحاجة المحتاجين؛ وطهرة لمال المسلم، وجعل ذلك فرضاً واجباً بل ركنا من أركان الإسلام، وقد بينت الأحاديث أن الزكاة هي ركن من أركان الإسلام، منها مارواه ابن عمر رضي ا لله عنهما قال: قال رسول ا لله ﷺ: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا ا لله، وأن محمداً رسول ا لله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)**[2].

وعن أبي هريرة رضي ا لله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: (دُلّني على عمل إذا عملته دخلتُ الجنة. قال: **تعبد ا لله لاتشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان..)**[3].

وقد بين ﷺ أن هذه الزكاة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء، فعن ابن عباس رضي ا لله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذا رضي ا لله عنه إلى اليمن قال: **(إِنَّكَ تَقْدَمُ على قَومٍ أَهل كِتَاب، فَلْيَكنْ أول ماتَدْعُوهم إليه عِبادَةُ ا للهِ فإِذَا عَرفوا ا لله فَأَخبرهُم أَنَّ ا لله قَدْ فَرض عَليهم خَمسُ صَلواتٍ في يَومِهمْ ولَيْلَتِهم، فإذَا فَعلوا الصَّلاة فَأَخْبِرْهُم أَنَّ ا لله فَرضَ عليهم زَكَاةً من أَموالِهم وتُردُّ على فُقَرائِهم، فإذا أطَاعُوا بِها فَخذْ منهم، وتوقَّى كَرَائِمَ أَموالِ النَّاس)**[4].

وبعد أن قررت الأحاديث ماقرره القرآن من وجوب الزكاة أخذت تحدد لنا الأصناف التي تجب فيها الزكاة ومقدار الزكاة في كل صنف، من ذلك ماروواه أبو سعيد الخدري رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: **(لَيس فِيما دُونَ خَمسةِ أَوْسُق من التمر**

---

(١) صحيح مسلم: ٤٥ كتاب البر والصلة والآداب ٢٥٠، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك: ٤: ٢٠٠٨، ٩(٢٦٠١).

(٢) صحيح البخاري: ٢ كتاب الإيمان – ٢ باب دعاؤكم إيمانكم، حديث (٨).

ومسلم ١ كتاب الإيمان – ٥ باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ١: ٤٥ حديث ١٩ (١٦).

(٣) صحيح البخاري: ٢٤ – ، كتاب الزكاة –١ باب وجوب الزكاة، حديث (١٣٩٧).

ومسلم: ١ – كتاب الإيمان – ٤ باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.. ١:٤٤ حديث ١٥ (١٤).

(٤) البخاري ٢٤ كتاب الزكاة – ٤١ باب لاتؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث (١٤٥٨).

ومسلم: ١ كتاب الإيمان – ٧ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١:٥١ حديث ٣١ (١٩).

صَدقة وليس فيما دون خَمْسِ أَوَاقٍ من الورق صَدقة، وليس فِيما دُون خَمس ذَوْدٍ من الإبل صدقة)[1].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**قَدْ عَفوتُ عَن صَدقة الخيل والرَقِيقِ، فَهاتُوا صَدَقة الرِّقَة: من كلِّ أربعين درهما، درهما. وليس في تِسْعِين ومِائة شَيء فإِذَا بلغت مائتين فِفيها خَمسةُ دَراهم**)[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَيس على المُسْلِمِ في عَبْدِه ولا فَرسِهِ صَدَقَة**)[3].

ودلت الأحاديث على نوع من أنواع الزكاة لم يرد ذكره في القرآن وهو زكاة الفطر، وهو نوع من الزكاة يختلف عن زكاة الأموال في أدائه ومقداره ونوعه ووقته وجنسه والمستحقين له، فعن ابن عمرر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)[4].

وقد شرعت هذه الزكاة طهرة للصائم، من ذلك ماأورده النسائي في سننه أن ابن عباس خطب بالبَصْرة فقال: أدوا زكاة صومكم، فجعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض، فقال: مَنْ هَاهُنا مِنْ أهل المدينة، قُوموا إلى إِخوانكم فعلموهم فإنهم لايعلمون أن رسول

---

(١) صحيح البخاري: ٢٤ كتاب الزكاة ٤٢- باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة، حديث (١٤٥٩).
ومسلم: ١٢- كتاب الزكاة ٢: ٦٧٣ حديث ١ (٩٧٩).

(٢) أبو داود: ٣ كتاب الزكاة - ٤ باب في زكاة السائمة، حديث (١٥٧٤).
والترمذي: ٥ كتاب الزكاة - ٣ باب ماجاء في زكاة الذهب والورق، حديث (٦٢٠).
والنسائي ٢٣ كتاب الزكاة - ١٨ باب زكاة الورق ٣٧:٥ حديث (٢٤٧٧، ٢٤٧٨).
وابن ماجة: ٨ كتاب الزكاة -٤ باب زكاة الورق والذهب، حديث (١٧٩٠) ونقل الترمذي عن البخاري تصحيح هذا الحديث، وهذا لفظ الترمذي.

(٣) صحيح البخاري ٢٤ - كتاب الزكاة - باب ٤٥، ٤٦ حديث (١٤٦٣، ١٤٦٤).
ومسلم ١٢ كتاب الزكاة - ٢ باب لازكاة على المسلم في عبده وفرسه) ٢: ٦٧٥، ٦٧٦، حديث ٨(٩٨٢) وهذا لفظه.

(٤) البخاري: ٢٤ كتاب الزكاة ٧٠- باب فرض صدقة الفطر، حديث (١٥٠٣).
ومسلم ١٢ كتاب الزكاة ٤- باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير ٦٧٧:٢ حديث ١٢ (٩٨٤)، واللفظ للبخاري.

ا لله ﷺ فرض صدقة الفطر على الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى نصف صاع من بر أو صاعا من تمر أو شعير)[١].

وقول ابن عباس زكاة صومكم أي زكاة الفطر، ووردت أيضا بلفظ زكاة رمضان في حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: (وكّلني رسول ا لله ﷺ بحفظ زكاة رمضان..)[٢].

وسميت أيضا بصدقة رمضان في حديث ابن عمر رضي ا لله عنهما قال: (فرض النبي ﷺ صدقة رمضان على الحر والعبد والذكر والأنثى..)[٣].

أما وقت إخراجها فهو قبل خروج الناس لصلاة عيد الفطر، أي في آخر يوم من أيام رمضان، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، فعن عبدا لله بن عمر أن رسول ا لله ﷺ أمر بإخراج زكاة الفطر أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة)[٤].

وهكذا فصلت الأحاديث في أنواع الزكاة -بعد أن قرر القرآن فرضيتها- وحدد أهلها ثم بينت الأموال التي تجب فيها الزكاة، والأموال التي لازكاة عليها، كما حددت مقدار المال الذي ينبغي إخراجه، ومتى يجب على المسلم أن يخرجه، وفي كل هذا تفصيل وتخصيص للفظ زكاة وهذا التخصيص تخصيص سياقي، حيث يتحدد نوع الزكاة من خلال السياق كإضافة لفظ زكاة إلى نوع المال المراد استخراج الزكاة منه مثل صدقة الرقة[٥]، وزكاة الكروم، وزكاة النخل)[٦].

وبينت الأحاديث نوعا آخر من الزكاة وهو زكاة الفطر ووردت تسميته -كما

---

(١) أبو داود: ٣ كتاب الزكاة ٢٠- باب من روى نصف صاع من قمح، حديث (١٦٢٢).

والنسائي ١٩ - كتاب صلاة العيدين ٢٣- حث الإمام على الصدقة في الخطبة ٣:١٩٠ حديث (١٥٨٠) واللفظ له، والحديث من رواية الحسن عن ابن عباس والأكثر على أن الحسن لم يسمع من ابن عباس.

(٢) البخاري: ٥٩ كتاب بدء الخلق ١١- باب صفة إبليس وجنود، حديث (٣٢٧٥).

(٣) مسلم: ١٢ كتاب الزكاة ٤- باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير ٢:٦٧٧ حديث ١٤ (٩٨٤).

(٤) مسلم: ١٢ كتاب الزكاة ٥- باب الأمر بإخراج زكاة الفطر قبل الصلاة ٢:٦٧٩ حديث ٢٣ (٩٨٦).

(٥) انظر صفحة ٢١٥ من البحث حاشية (٢).

(٦) الترمذي: ٥ كتاب الزكاة ١٧- باب ماجاء في الخرص، حديث (٦٤٤).

وابن ماجة: ٨ كتاب الزكاة ١٨- باب خرص النخل والعنب، حديث (١٨١٩) قال الترمذي: (حديث حسن غريب).

ذكرت سابقا- في أقوال الصحابة رضي ا لله عنهم بزكاة الفطر[1]، وصدقة الفطر، وزكاة رمضان، وصدقة رمضان، وهذا النوع من الزكاة لم يرد ذكره في القرآن فكان هذا اللفظ الإسلامي أو هذا التخصيص الإضافي مما جاءتنا به السنة النبوية.

وهكذا حددت لنا أحاديث رسول ا لله ﷺ مفهوماً متكاملاً واضحاً وصورة ذهنية واضحة الملامح والحدود والقيود للفظ الإسلامي (الزكاة) والذي لم تبين آيات القرآن عنه إلا صورة عامة غير واضحة الملامح والتفاصيل.

ومما يتبين من الأحاديث السابقة أن لفظ زكاة وصدقة يتبادلان في بعض السياقات مثل زكاة الفطر[2]، وصدقة الفطر[3]، وفي حديث معاذ حيث بعثه ﷺ على اليمن قال: (.. **فَأَخْبِرْهُم أَنَّ ا لله فَرَضَ عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم وتردُّ على فقرائهم**)[4]. أو كما قال ﷺ. (..**فَأَعْلِمهم أَنَّ ا لله افترَضَ عليهم صَدقَة في أَموالِهم تُؤْخذُ من أغنيائِهم وتُرَدُّ على فُقَرائِهم**)[5].

وقد سبقت الإشارة أيضا إلى أن القرآن استعمل لفظ صدقة دالا على الزكاة المفروضة فهل يمكن القول بترادف اللفظين أم أن للفظ الصدقة دلالات أخرى غير دلالته على الزكاة المفروضة.

وللإجابة على هذا السؤال لابد من تتبع الأحاديث الوارد فيها لفظ (صدقة) وتحديد دلالاته من خلالها.

---

(١) انظر صفحة ٢١٥ من البحث، حاشية (٤).

(٢) انظر صفحة ٢١٦ من البحث حاشية (٤).

(٣) انظر صفحة ٢١٦ من البحث، حاشية (٣).

(٤) انظر صفحة ٢١٤ من البحث، حاشية (٤).

(٥) البخاري: ٢٤ كتاب الزكاة ١- باب وجوب الزكاة، حديث (١٣٩٥).

الصدقة

لم يرد لفظ الصدقة في الشعر الجاهلي، وورد من مادته مشتقات كثيرة منها صَدْق، وصَدْقات، ومصدق، وصديق، وصادق، ودلت هذه المشتقات على عدة معان منها معنى حسي ارتبط بالسيف والرمح.

فالصَدْق بفتح الصاد الصُّلبُ المستوي من الرماح(١).

قال عبيد(٢):

صَدْق من الهِنْدِيِّ أُلبِسَ جُبَّةً ... لَحِقَتْ بِكَعْب كالنَّوَاةِ مَلِيسِ

والصدق: المستوي من الرماح. والجبة: مادخل فيه الرمح من السنان والمليس الأملس.

وقال سلامة بن جندل(٣):

وَأَصمَّ صَدقاً مِن رِماحِ رُدَينةٍ ... بيَدَيْ غُلامِ كَرِيهةٍ مِخراقِ

والأصم الرمح وصفه بأنه صلب. وغلام كريهة أي: فارس اعتاد خوض الشدائد في الحرب.

وجمع صَدْق صَدقات، وقال سلامة أيضا(٤):

بِالمَشرَفِيِّ وَمَصْقُولٍ أَسِنَّتُها ... صُمُّ العَوامِلِ صَدْقاتِ الأنابيبِ

(١) القاموس المحيط: الفيروزابادي، جـ٣ ص ٢٥٢.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص: ص ٧١.

(٣) ديوان سلامة بن جندل: ص ١٤٩.

(٤) المرجع السابق: ص ١٠٩.

وصف السيوف المشرفية وهي التي نسب إلى قرى بالشام، يقال لها المشارف بأن أسنتها محددة كما أنها صلبة الكعوب.

وقد أرجع علماء اللغة هذا المعنى الحسي إلى المعنى الأصلي للمادة، روى ابن بّري عن ابن دُرستويه قال: ليس الصدق من الصلابة في شيء، ولكن أهل اللغة أخذوه من قول النابغة:

في حالك اللون صدق غير ذي أود.

قال: وإنما الصَّدق الجامع للأوصاف المحمودة والرمح يوصف بالطول واللين والصلابة ونحو ذلك . قال الخليل: الصّدقٌ الكاملُ من كل شيء، فالصدق من الصدق بعينه والمعنى أنه يصدق في وصفه من صلابة وقوة وجودة، قال لو كان الصدق الصلب لقيل حجرُ صدق، وحديد صَدْق، قال وذلك لايقال[1].

ومن المعاني التي وردت في الشعر الجاهلي أيضا أن الصدق: نقيض الكذب، وصدَّقه: قبل قوله، وصدقه الحديث أنبأه بالصدق، قال الحادرة[2]:

لــــو تَصْدُقِــــينَ لقُلــــتِ إنَّهُــــمُ   صُــــبرٌ علــــى النَّجَــــداتِ والأزْلِ

وقال لبيد يرثي أخاه أربد[3]:

لَعَمْــرِي لَئِــنْ كــان المُخَــبِّرُ صادِقــا   لَقَــدْ رُزِئْــتَ في ســالفِ الدهــرِ جَعْفَــرُ

والصَدْق الكامل من كل شيء وبه وصف الجاهلي الحسام والصبر والحي واليوم يوم الصدق، والمواطن صادقات، ووصف الشجاع بأنه صَدْق اللقاء. قال عنترة العبسي[4]:

إِذَا كَــذَبَ الْــبَرْقُ اللمُــوعُ لِشَــائِمٍ   فَــبَرقُ حُسـامِي صَـادِقٌ غَـيرُ كَــاذِبِ

---

(١) لسان العرب: ابن منظور، مادة (صدق) جـ٤، ص ٢٤١٩.

(٢) ديوان الحادرة: ص ٨٣.

(٣) ديوان لبيد: ص ١٦٧.

(٤) شعراء النصرانية: لويس شيخو جـ٦، ص ٨٢١.

والحي حي صدق، قال النابغة[1]:

وَبَنُــو جَذِيمَــةَ حَــيُّ صِــدْقٍ ســـادةٌ   غَلَبُــوا علــى خَبْــتٍ إلى يِعْشَـــارِ

والصبر يوصف بالصِّدْق، قال عنترة[2]:

عِقَـــابُ الْهجــرِ أعْقَــبَ لي الْوِصَـــالاَ   وَصِــدْقُ الصَّــبْرِ أَظْهَـــرَ لي الُمحَـــالاَ

واليوم الطيب الجيد هو يوم الصِّدق، قال تأبط شرا[3]:

إِذَا لاقيْـــتَ يَـــوْمَ الصِّـــدْقِ فـــارْبَعْ   عَلَيْـــهِ وَلا يُهِمُّـــكَ يَـــوْمُ سَـــوٍّ

ويفخر عنترة بأن قومه فيهم كل باسل صَدْق اللقاء، ففي الحروب يتبين صدق شجاعته وعزه[4]:

مَــنْ مِثْــلُ قَوْمِــي حِيْــنَ يَخْتَلِــفُ القَنَــا   وَإِذا تَــــزِلُّ قَوَائِـــــمُ الأبْطَــــالِ
يَحْمِلْــنَ كُــلَّ عَزِيْــزِ نَفْــسٍ بَاسِــلٍ   صَــدْقِ اللِّقَـــاءِ مُجــرِّبِ الأهْـــوَالِ

والشجاع يكون صَادِق القتال: وذلك إذا أجاد وأحسن في القتال، قال عمرو بن كلثوم[5]:

بِـــأَنَّ الْمـــاجدَ الْقَـــرْمَ ابـــنَ عَمـــرٍو   غَـــدَاةَ نُطَـــاعُ قَـــدْ صَـــدَقَ القِتَـــالا

والطعن الجيد القوي طعن صَادِق، قال سلامة بن جندل[6]:

(١) ديوان النابغة: ص ٥٦.
(٢) شعراء النصرانية: لويس شيخو، جـ٦، ص ٨٥٤.
(٣) ديوان تأبط شرا: ص ٢٣٠.
(٤) شعراء النصرانية: لويس شيخو: جـ٦، ص ٨٥٩.
(٥) المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٠١.
(٦) ديوان سلامة بن جندل: ص ١٦٦.

ضَمَمْنَا عليهم حافَتَيْهِم بصادِقٍ مِنَ الطَّعْنِ حتَّى أزمَعُوا بتَفَرُّقِ

ورجُلٌ صَدْقٌ: نقيض رَجُلٌ سَوْءٌ، ويقال رَجُلُ صِدْق مضاف بكسر الصاد، ومعناه نعم الرجل هو، وامرأة صدق كذلك، فإن جعلْته نَعْتا قلت: هو الرجل الصَّدق، وهي صَدْقة[1].

قال عبيد بن الأبرص[2]:

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قد ثَنَيْتُ عليهِمُ رِدائي وفي شَمْس النَّهارِ دُحُوضُ

وقال أيضا يصف الفتيان بأنهم أصدق من السيف، وأنهم بعيدون عن سوء الخلق وخبث اللسان[3]:

وَخِرْقٍ مِن الفِتيانِ أكْرَمَ مَصْدَقَا مِن السَّيْفِ قَدْ آخَيْتُ لَيْسَ بِمَذْرُوبِ

وقال تأبط شرا في ثنائه على ابن عمه بأنه ابن عم الصدق[4]:

إِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِيْ فَقَاصِدٌ بِهِ لابنِ عَمِّ الصِّدْقِ شَمْسِ بنِ مَالِكِ

والصداقةُ والمُصادقة : المُخَالَّة، والرجل صديق، والأنثى صديقة، والجمع أصدقاء، وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق[5].

قال الحارث[6]:

(١) لسان العرب: مادة (صدق) جـ٤، ص ٢٤١٨.

(٢) ديوان عبيد: ص ٨١.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٥.

(٤) ديوان تأبط شرا: ص ١٤٨.

(٥) الصحاح: الجوهري، مادة (صدق) جـ٤، ص ١٥٠٦.

(٦) ديوان الشاعرين الكبيرين: عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن حلزة اليشكري (شعر الحارث) ، مجلة المشرف، السنة العشرون، تموز العدد ٧، ص ٦٩٩.

فَهَــلاَّ سَــعَيْتَ لِصُلْــحِ الصَّدِيْــقِ   كَسَــعْيِ ابْــنِ مارِيَــةِ الأَقْصَــمِ

وقال عروة بن الورد[1]:

يَعُــدُّ الغِنــى مِــنْ دَهْــرِهْ كُــلَّ لَيْلَــةٍ   أَصَــابَ قِرَاهــا مِــنْ صَدِيــق مُيَسَّــر

ومعنى البيت أن هذا الصعلوك إذا أصاب القرى والضيافة كل ليلة من صديق غني موفق للبر والإحسان حسب ذلك من نفسه غنى وسعة أي يرضى من عيشه بقرى ليلة من خليل.

هذه هي بعض مشتقات مادة صدق في الشعر الجاهلي، وقد دلت في معناها الحسي على الصلب من الرماح وغيرها، وفي المعنوي على الكامل من كل شيء، والجامع للصفات المحمودة، و دلت على الصحة والاستقامة في القول، وهو ضد الكذب، كما دلت على الصدق في الود والمحبة.

ووردت مشتقات هذه المادة في القرآن الكريم ودلت على عدة معان منها أن الصدق يطلق على كل مايحسن من شيء أو شخص، ويجري الوصف بالمصدر منه مضافا فيقال: رجل صدقٍ وامرأة صدق، ومقعد صدق، ولسان صدق[2]. وقد أخبر سبحانه عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه سأله أن يجعل له لسان صدق في الآخرين.

وبشر عباده أن لهم قدم صدق، ومقعد صدق فقال[3]: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾. وقال تعالى[4]: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾

وقد أمر سبحانه رسوله أن يسأله أن يجعل مُدخله ومُخرجه على الصدق فقال[5]:

(١) شرح ديوان عروة بن الورد: ص ٧٤.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، ص ٣٥٢.

(٣) سورة يونس آية ٢.

(٤) سورة القمر: الآية ٥٤، ٥٥.

(٥) سورة الإسراء آية ٨٠.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، ومقعد الصدق، وقدم الصدق، وحقيقة الصدق في هذه الأشياء هوالحق الثابت المتصل با لله الموصل إلى ا لله، وهو ما كان به وله من الأعمال والأقوال وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة[١].

ومما يلاحظ هنا أن الصدق ارتبط في القرآن الكريم بدلالة إسلامية فحقيقة الصدق وأساسه هو الصدق مع ا لله سبحانه في السر والعلانية في الأعمال والأقوال للوصول إلى جنة ا لله ورضوانه، وكلما ارتقى المؤمن في درجات الصدق ارتفعت درجته عند ا لله، وقد مدح ا لله المؤمنين الذين صدقوا في عهدهم مع ا لله قال تعالى[٢]: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ أي حققوا العهد بما أظهره من أفعالهم[٣].

وما يزال المؤمن يرتفع في درجات الصدق حتى يصل إلى مرتبة الصديقين، والصديقون هم قوم دون الأنبياء في الفضيلة[٤]. قال صاحب الكليات: والصديقية درجة أعلى من درجات الولاية وأدنى من درجات النبوة، ولا واسطة بينها وبين النبوة، فمن جاوزها وقع في النبوة بفضل ا لله تعالى في الزمان الأول[٥].

قال تعالى[٦]: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾

أي من عمل بما أمره ا لله به ورسوله وترك مانهاه ا لله عنه ورسوله فإن ا لله عز وجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقا للأنبياء ثم لمن بعده في الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء

(١) بصائر ذوي التمييز: الفيروزابادي: جـ٣، ص ٤٠٠.
(٢) سورة الأحزاب آية ٢٣.
(٣) المفردات: الأصفهاني، ص ٢٧٧.
(٤) المرجع السابق.
(٥) الكليات: ص ٥٥٧.
(٦) سورة النساء آية ٦٩.

ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم[1].

وفي هذه الآيات دلالة على أن الصدق والصديقين ارتبط في القرآن بالعقيدة وأصبح الصدق مع الله سبحانه في الاعتقاد والقول والعمل هو الذي يبلغ الإنسان مراتب الصادقين وأصبح لفظ الصديق يدل على مرتبة عند الله سبحانه دون مرتبة الأنبياء، بل إن الله سبحانه مدح بهذه الصفة أو بهذه المرتبة الأنبياء قال تعالى[2]: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝﴾

واستعمل القرآن الكريم من مادة (صدق) لفظ (الصدقة) والذي لم أعثر على استعمال له في الشعر الجاهلي، وتردد اللفظ في آيات القرآن الكريم الذي جعلته لفظا إسلاميا يدل على مايخرجه الإنسان من ماله على وجه القُربة كالزكاة، لكن الصدقة في العرف تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب، وقيل يسمَّى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبه الصدق في فعله[3]. قال تعالى[4]: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وقد اختلف أهل العلم في هذه الصدقة المأمور بها في هذه الآية فقيل هي صدقة الفرض، وقيل هي مخصوصة بهذه الطائفة المعترفة بذنوبها، لأنهم بعد التوبة عليهم عرضوا أموالهم على رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، و﴿من﴾ للتبعيض على التفسيرين، والآية مطلقة مبينة بالسنة المطهرة[5].

وقد تكون الصدقة كفارة لبعض مايقع فيه الإنسان من الذنوب، قال تعالى[6]: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

وقد بينت السنة ماأطلق هنا من الصيام والصدقة والنسك، فثبت في الصحيح (أن رسول الله رأى كعب بن عجرة وهو محرم وقمله يتساقط على وجهه فقال: أيؤذيك هوامُّ

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ١، ص ٥٢٣.

(٢) سورة مريم آية ٤١.

(٣) بصائر ذوي التمييز: الفيروزابادي: جـ٣، ص ٤٠٨.

(٤) سورة التوبة آية ١٠٣.

(٥) فتح القدير: جـ٢، ص ٣٩١.

(٦) سورة البقرة آية ١٩٦.

رأسك؟ قال: نعم، فأمره أن يحلق ويطعم ستة مساكين، أو يهدي شاة، أو يصوم ثلاثة أيام)[1].

وقد سمى الله سبحانه وتعالى الزكاة صدقة في بعض الآيات قال تعالى[2]: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝﴾

والزكاة والصدقة ليست مترادفتين، بل بينهما عموم وخصوص فكل زكاة صدقة، وليس كل صدقة زكاة لأن للزكاة شروطا وأحكاما خاصة فصلتها السنة النبوية.

و لم يقتصر لفظ الصدقة على هذه الدلالة الإسلامية وإن كانت هي الأسبق للأذهان عند إطلاقه، فقد سمى القرآن الإعفاء مما يجب من حق صدقة،ومن ذلك قوله تعالى[3]: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ﴾.

وفي الآية واجبان في قتل الخطأ أحدها الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم، ويجب أن تكون رقبة مؤمنة ولا تجزئ الكافرة، والواجب الثاني وهو الدية وتعطى لأهل القتيل عوضا لهم عما فاتهم من قتيلهم، إلا أن يتصدقوا بها فلا تجب[4].

وهنا سمى القرآن تسامح أهل القتيل عن حقهم في الدية صدقة، ومنه أيضا تسمية مايسامح به المعسر صدقة قال تعالى[5]: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝﴾

يأمر سبحانه وتعالى في الآية الكريمة بالصبر على المعسر الذي لايجد وفاء ثم قال سبحانه وأن تصدقوا خير لكم يعني إن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين فهو خير لكم[6]. فالإعفاء عن المعسر هنا عبر عنه القرآن الكريم بأنه صدقة لأنه وجه من

---

(١) فتح القدير: جـ١، ص ١٩٦.

(٢) سورة التوبة آية ٦٠.

(٣) سورة النساء آية ٩٢.

(٤) انظر تفسير ابن كثير: جـ١، ص ٥٣٤-٥٣٥.

(٥) سورة البقرة آية ٢٨٠.

(٦) انظر تفسير ابن كثير: جـ١، ص ٣٣٠، ٣٣١.

أوجه بذل المال تقربا لله سبحانه وتعالى.

وبهذا يتخصص لفظ الصدقة في القرآن في الدلالة على مايُخرج من المال على وجه القربة و لم أعثر على هذه الدلالة في الشعر الجاهلي فيكون القرآن الكريم هو الذي نقل هذا اللفظ إلى الدلالة الشرعية وجعله لفظا إسلاميا ارتبط بإخراج المال تقربا لله أو الإعفاء عن الحقوق المالية تيسيرا على المعسرين، وهو بهذا المعنى لفظ إسلامي له دلالته الشرعية الخاصة في القرآن الكريم.

ودلت لفظة الصدقة في الأحاديث على مادلت عليه في القرآن وهو مايخرجه الإنسان من ماله علىوجه القربة، وفي هذا تثبيت للفظ الإسلامي على هذه الدلالة الشرعية، ومن الأحاديث الوارد فيها اللفظ بهذا المعنى مارواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لاظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله.. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)**[1].

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(خير الصدقة ماكان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول)**[2].

وبتتبع لفظ (الصدقة) في الكتب الستة نجد أنها دلت على معان إسلامية كثيرة منها أن القيام بكثير من أعمال البر يعد صدقة من ذلك مارواه أبو ذر رضي الله عنه أن أناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يارسول الله ذهب أهل الدُّثُورِ بالأُجُورِ يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدَّقُونَ بفُضُولِ أموالهم، قال: **أوَلَيس قَدْ جَعَلَ اللهُ لكم ماتَصدَّقُون، إنَّ بِكلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدقةً، وكُل تَكْبِيرة صَدَقَة، وكُل تَحْمِيدَة صَدَقة، وكل تَهْلِيلَة صَدقَة، وَأَمرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقة، ونَهْيٌ عن مُنْكرٍ صدقة، وفي بِضعِ أحدِكم صَدَقة..)** الحديث[3].

---

(١) البخاري: ٢٤ كتاب الزكاة ١٦- باب الصدقة باليمين، حديث (١٤٢٣).

ومسلم: ١٢ كتاب الزكاة ٣٠- باب فضل إخفاء الصدقة ٢:٧١٥ حديث ٩١ (١٠٣١) واللفظ للبخاري.

(٢) البخاري: ٢٤ كتاب الزكاة ١٧- باب من أمر خادمه بالصدقة و لم يناول بنفسه، حديث (١٤٢٦).

(٣) مسلم: ١٢ كتاب الزكاة ١٦- باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢:٦٩٧، حديث ٥٣ (١٠٠٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(كُلُّ سُلامَى مِن الناس عليه صدقة، كُلُّ يومٍ تطلع فيه الشمس يَعْدلُ بين الاثنين صدقة، ويُعينُ الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكَلمةُ الطيبةُ صدقة، وكُلُّ خطوة يخطوها إلى الصَّلاة صدقة، ويميطُ الأذى عن الطريق صدقة)**(1).

فكل أنواع العمل الصالح الواردة في الحديث تعد صدقة، فالذكر باللسان صدقة (التكبير والتحميد والتهليل) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة، وفي إتيان الرجل أهله صدقة.

وكل سلامى من الناس عليه صدقة (وكل سُلامى) أي أنملة، وقيل كل عظم مجوف صغير، والمعنى على كل مسلم مكلف بعدد كل مفصل من عظامه صدقة لله تعالى على سبيل الشكر له بأن جعل عظامه مفاصل يتمكن بها من القبض والبسط وخصت بالذكر لما في التصرف بها من دقائق الصنائع التي اختصَّ بها الآدمي(2).

وتبسم المسلم في وجه أخيه صدقة، والأمر بالمعروف صدقة، والنهي عن المنكر صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة أيضا، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **(تَبَسُّمُك في وجه أخيك لك صدقة، وبصرك للرجل الرَّدِيء البصر لك صدقة، وإماطَتك الحجر والشَّوكة والعَظْم عن الطَّريقِ لك صدقة، وإفْراغُك من دَلْوك في دَلْو أخيك لك صدقة)**(3).

وما ينفقه الرجل على أهله وعياله صدقة، حتى اللقمة التي يرفعها إلى في امرأته، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة قلت: (يارسول الله أوصي بمالي كله، قال: **لا** ، قلت: فالشطر، قال: **لا .. وإنَّك مَهْما أَنْفقتَ من نَفَقةٍ**

---

(1) البخاري: ٥٦ كتاب الجهاد والسير ٢٨- باب من أخذ بالركاب ونحوه، حديث (٢٩٨٩).

ومسلم: ١٢ كتاب الزكاة ١٦- باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢:٦٩٩ حديث ٥٦ (١٠٠٩) واللفظ للبخاري.

(2) فتح الباري جـ٦، ص ١٣٢.

(3) الترمذي: ٢٨ كتاب البر والصلة ٣٦- باب ماجاء في صنائع المعروف، حديث (١٩٥٦) وقال: (حديث حسن غريب).

فإنها صدقة، حتى اللقمة التي ترفعها إلى فيِّ امرأتك)[1].

وفي الغرس الذي يغرسه المسلم صدقة، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مامِنْ مُسْلمٍ يَغْرِس غَرْسَاً إلا كان ماأُكِلَ منه له صدقة، وما سُرِق منه له صدقة، وما أَكَل السَّبعُ منه له صدقةٌ، وما أَكَلت الطَّيرُ فهو له صدقة، ولا يَزورُهُ أحدٌ إلا كان له صدقة**)[2].

وهكذا فصلت الأحاديث في أعمال البر والخير التي تعد نوعا من الصدقة حتى أطلقت الأحاديث دلالة لفظ الصدقة حتى أصبحت تشمل جميع أنواع المعروف كبيرها وصغيرها، فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**كُلُّ مَعْروفٍ صَدقةٌ**)[3].

والكف عن الشر صدقة يتصدق بها المسلم على نفسه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل، قال: **إيمان بالله وجهاد في سبيله.. قال: فإن لم أفعل قال: تدع الناس من الشر فإنها صدقة تَصدَّقُ بها على نَفْسِك**)[4].

وللمتصدقين باب يدخلون الجنة منه يدعى باب الصدقة، فهو علم على باب من أبواب الجنة من ذلك مارواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**مَنْ أنفقَ زَوَجين في سَبيلِ الله نُودِي من أبوابِ الجنَّة: ياعبَد الله هذا خَيرٌ، فمن كان من أَهلِ الصَّلاةِ دُعِي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من بَابِ الجهاد، ومن كانَ من أَهلِ الصيام دُعِي من باب الرَّيانِ، ومن كَانَ من أَهْلِ الصَّدقة دُعِي من باب الصَدقَة..**)[5].

---

(١) صحيح البخاري: ٥٥ كتاب الوصايا ٢- باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس حديث (٢٧٤٢).
ومسلم ٢٥- كتاب الوصية ١- باب الوصية بالثلث ٣:١٢٥٠ حديث ٥ (١٦٢٨) واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح مسلم:٢٢ كتاب المساقاة ٢- باب فضل الغرس والزرع ٣:١١٨٨ حديث ٧ (١٥٥٢).

(٣) صحيح البخاري: ٧٨ كتاب الأدب - ٣٣ باب كل معروف صدقة، حديث (٦٠٢١).
وأخرج مسلم اللفظ نفسه عن حذيفة، مسلم: كتاب الزكاة - ١٦ باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢:٦٩٧ حديث ٥٢ (١٠٠٥).

(٤) صحيح البخاري: ٤٩ كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، حديث (٢٥١٨).

(٥) صحيح البخاري: ٣٠ كتاب الصوم - ٤ باب الريان للصائمين، حديث (١٨٩٧).
ومسلم ١٢ كتاب الزكاة - ٢٧ باب من جمع الصدقة وأعمال البر ٢:٧١١ حديث ٨٥ (١٠٢٧).

وهناك نوع من الصدقة بينتها سياقات الأحاديث وهي صدقة يتصدق بها ا لله على عباده وهي التيسير والتخفيف عليهم والرحمة بهم في أداء مافرضه عليهم من ذلك ماروواه مسلم في صحيحه عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب ﴿**ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا**﴾ فقد أمن الناس، فقال: عجبت مما عجبتَ منه، فسألت رسول ا لله ﷺ عن ذلك فقال: (**صَدقةٌ تَصدّق ا للهُ بِها عَليكم فَاقْبَلُوا صدقته**)[1].

وصدقة ا لله في هذا الحديث التخفيف على المسلم بقصر الصلاة الرباعية للخائف والمسافر.

ودل لفظ الصدقة في كثير من الأحاديث على (الزكاة) من ذلك ماروواه البخاري عن أبي سعيد رضي ا لله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الهجرة فقال: **ويحك إنّ الهِجرَةَ شَأْنُها شَديد، فَهلْ لك من إبلٍ** قال نعم، قال: **فَتُعطي صَدَقَتَهَا** قال: نعم..)[2].

وما رواه البخاري أيضا عن أنس بن مالك رضي ا لله عنه قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فَأَنَاخَهُ في المسجد ثم عَقَلَهُ ثم قال لهم: أَيُّكُم محمد؟ .. قال: أنشدك با لله أا لله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: **اللّهم نَعم..**)[3].

وهذه السياقات وغيرها تبين أن لفظي (الزكاة والصدقة) بينهما عموم وخصوص، فالصدقة أعم من الزكاة، فهي تطلق على صدقة التطوع وتطلق أيضا على الزكاة المفروضة، فكل زكاة صدقة وليست كل صدقة زكاة.

وبهذا يتبين أن لفظ (الصدقة) دل في أحاديث النبي ﷺ كما دل في القرآن الكريم على مايخرجه المسلم من المال على وجه القربة، لأنها تظهر صدق العبودية، ولكن اللفظ لم يقف عند هذا الحد في الحديث النبوي بل تعددت دلالاته في الحديث النبوي وتنوعت وفي

---

(١) صحيح مسلم - ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها -١ باب صلاة المسافرين وقصرها ١:٤٧٨ حديث (٦٨٦).

(٢) صحيح البخاري ٦٣ كتاب مناقب الأنصار -٤٥ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة حديث (٣٩٢٣).
ومسلم: ٣٣ كتاب الإمارة - ٢٠ باب المبايعة بعد فتح مكة ٣:١٤٨٨ حديث ٨٧ (١٨٦٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب ماجاء في العلم وقوله تعالى ﴿**وقل رب زدني علما**﴾ حديث (٦٣).

هذا اتساع وتعميم للمدلول الذي لم يعد محصورا في الدلالة على مايخرج من المال على وجه القربة، وإنما انتقل إلى صورة معنوية فأصبح القيام بكثير من الأعمال الصالحة صدقة ثم بلغ المدلول من التعميم حدا أصبح معه فعل المعروف أي معروف صدقة والكف عن الشر صدقة يتصدق بها المسلم على نفسه.

المصدّق

من الألفاظ المشتقة من لفظ الصدقة المصدق، وهو لفظ ورد في القرآن الكريم دالا على مادل عليه لفظ الصدقة مع دلالته على من يخرج الصدقة، فهو اسم فاعل من الفعل يصدق متصدق، أو مصدق بحذف التاء وورد بلفظ المتصدق في آيتين وورد لفظ المصدق في آية واحدة من سورة الحديد، قال تعالى[1]: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾.

يبين سبحانه وتعالى أنه أعد لهؤلاء المذكورين في الآية المغفرة والأجر العظيم ومنهم ﴿**المتصدقين والمتصدقات**﴾. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (الصدقة هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء الذين لاكسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحسانا إلى خلقه[2].

فهؤلاء سمّاهم القرآن بالمتصدقين لكثرة إخراجهم للصدقة تقربا إلى ا لله.

وجاء لفظ المُصدِّق في قوله تعالى[3]: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

وقد تكرر ذكر لفظ المصدق في الأحاديث الواردة بشأن الزكاة ومن ذلك مارواه مسلم في صحيحه عن جرير بن عبدا لله قال: قال رسول ا لله ﷺ:(إذا أتاكم المُصدِّق فليَصْدُرْ عَنكم وهو عَليكم رَاضٍ)[4].

والذي يتبين من الحديث أن المراد من المصدق أي جامع الزكاة والصدقة.

وورد في صحيح البخاري أن ثمامة حدث أن أنسا رضي ا لله عنه حدثه أن أبابكر

(١) سورة الأحزاب آية ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ٣، ص ٥٠٤.

(٣) سورة الحديد آية ١٨.

(٤) صحيح مسلم ١٣- الزكاة، حديث (٩٨٩).

رضي الله عنه كتب له التي أمر الله رسوله ﷺ (ولا يخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس إلا ماشاء المصدق)[1].

قال ابن حجر تفسير معنى المصدق (اختلف في ضبطه، فالأكثر على أنه بالتشديد والمراد المالك وهذا اختيار أبي عبيد، وتقدير الحديث لاتؤخذ هرمة ولا ذات عيب أصلا، ولا يؤخذ التيس وهو فحل الغنم إلا برضا المالك لكونه يحتاج إليه، ففي أخذه بغير اختياره إضرار به، والله أعلم.

وعلى هذا فالاستثناء مختص بالثالث، ومنهم من ضبطه بتخفيف الصاد وهو الساعي وكأنه يشير بذلك إلى التفويض إليه في اجتهاده لكونه يجري مجرى الوكيل فلا يتصرف بغير المصلحة فيتقيد بما تقتضيه القواعد)[2].

وسياق الحديث الوارد في صحيح مسلم (إذا أتاكم المصدق) دليل على أنه يراد به جامع الزكاة والصدقات، وهذه دلالة لم ترد في القرآن واقتضى وجودها في الحديث وجود الساعي الذي يكلف جمع الزكاة[3].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة ٣٩- باب لاتؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس إلا ماشاء المصدق، حديث (١٤٥٥).

(٢) فتح الباري: جـ٣، ص ٣٢١.

(٣) انظر صفحة ٢٣١ من البحث.

اليد العليا واليد السفلى

من الألفاظ التي لها ارتباط بلفظ الصدقة لفظان مركبان بالوصف هما (اليد العليا واليد السفلى) أما معنى اليد اللغوي فيقول ابن فارس: (الياء والدال أصل بناء اليد للإنسان وغيره)[١].

(واليد من أطراف الأصابع إلى الكف، وهي أنثى محذوفة اللام وزنها فَعْلُ يَدْيُ، فحذفت الياء تخفيفا فاعتقبت حركة اللازم على الدال)[٢].

ولليد استعمالات مجازية كثيرة وردت في الشعر الجاهلي منها اليد بمعنى الإعطاء والإحسان إلى الغير، قال بشر بن أبي خازم[٣]:

تكن لك في قومي يد يشكرونها وأيدي الندى في الصالحين قُروضُ

واليد القوة والطاقة، نقول مالي بفلان يدانِ، أي طاقة، قال كعب بن سعد الغنوي[٤]:

فاعمِد لما تعلو فما لك بالذي لاتستطيع من الأمور يدان

وفي التعبير باليد دلالة على الدنو والقرب، قال لبيد في وصف الشمس عند الغروب[٥]:

حتى إذا أَلْقَتْ يداً في كافرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظلامها

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، مادة (يد) جـ٦، ص ١٥١.

(٢) لسان العرب: مادة (يدى) جـ٦، ص ٤٩٥٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) لسان العرب: مادة (يدي) جـ٦، ص ٤٩٥٣.

(٥) شرح ديوان لبيد، ص ٣١٦.

ألقت أي الشمس، جعل لها يداً والكافر أي الليل الساتر. عورات الثغور: مواضع المخافة منها.

ووردت مادة (علا) و (سفل) بالمعنى الحسي الارتفاع والانخفاض أو الدنو، وبالمعنى المعنوي وهو علو المكانة والمنزلة وشرف الأصل أو دنو المكانة والنسب.

ومما ورد بالمعنى الحسي قول بشر بن أبي خازم[1]:

مَنَازِلُ مِنْهَا أَقْفَرَتْ بتَبالَةٍ   وَمِنْهَا بأَعْلَى ذي الأَرَاكِ مَرابِعُ

يقول: إن منازل مية بتبالة -وهو موضع بقرب الطائف- قد أقفرت ولكن لها بأعلى منطقة من الأراك -وهو موضع أيضاً- مرابع يقيم فيها قومها بالربيع، فاستعمل لفظ أعلى بمعناه الحسي وهو الارتفاع. وقال النابغة[2]:

خَلَتْ بِغزالِها وَدَنَا عليها   أَرَاكُ الجِزْعِ أسفلَ مِن سَنامِ

أي تركت القطيع وانفردت بغزالها، فهي تُراقب القطيع يميناً وشمالاً وكانت أغصان الأراك قريبة منها.

وقال امرؤ القيس في ظفره ببني أسد الذين قتلوا أباه[3]:

وَمِنْ بَني غَنْمِ بن دودانَ إذْ   نقذِفُ أعلاُهمْ عَلى السافلِ

وجاء لفظ (عال) دالا على النصر والغلبة، قال أوس[4]:

إذا مَا عَلَوا قالوا أبونَا وأُمُّنَا   وَلَيْسَ لهم عَالِين أمٌّ ولا أبُ

يقول: إذا كانت الغلبة لغيرهم استنجدوا وذكروا الآباء والأمهات والأرحام، وإذا

---

(١) ديوان بشر: ص ١١٣.

(٢) ديوان النابغة: ص ١٣١.

(٣) ديوان امرئ القيس: ص ٢٦٠.

(٤) ديوان أوس بن حجر: ص ٨.

كانت الغلبة لهم قطعوا الأرحام ونسوا الآباء والأمهات.

ومن الدلالة على علو المكانة قول الأعشى[1]:

أَخَا ثِقَةٍ عَالِياً كَعْبُهُ   جَزِيلَ العَطَاءِ كَرِيمَ المِنَنْ

والعلا: المجد والرفعة، قال حاتم الطائي[2]:

كَذَاكَ أُمُورُ النَّاسِ رَاضٍ دَنِيَّةً   وَسَامٍ إِلى فَرْعِ العُلا مُتَوَرِّدُ

وهذه الأبيات وغيرها تدلنا على أن الجاهلي استعمل لفظ يد بمعناه الحسي للدلالة على الجارحة، كما استعمله في معان معنوية ومنها الدلالة على العطاء والقوة وعلو المكانة وكذلك مادة (علو) وسفل) استعملها في معناها الحسي وهو الارتفاع وضده كما استعملها الجاهلي في الدلالة على علو المكانة بالعطاء والكرم وذم البخل، و لم أجد فيما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي هذا الوصف لليد (اليد العليا، اليد السفلى).

واستعمل القرآن الكريم أيضا لفظ (يد) للدلالة على الجارحة في مثل قوله تعالى[3]:
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾

واستعير لفظ اليد للدلالة على معان كثيرة منها: الملك والتصرف[4] قال تعالى[5]:
﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝﴾

ومعنى أن ﴿**الفضل بيد الله**﴾ أي (الأمور كلها تحت تصرفه وهو المعطي المانع يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام، ويضل من يشاء فيعمي بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة وله الحجة التامة والحكمة البالغة)[6].

---

(١) ديوان الأعشى الكبير: ص ١٩.

(٢) شعراء النصرانية: جـ١، ص ١١٣.

(٣) سورة المائدة آية ٦.

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٧٤٨.

(٥) سورة آل عمران: آية ٧٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ١ ص ٣٧٣.

وجاء في القرآن استعمال (عن يد) للدلالة على الذل والانقياد قال تعالى[1]: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

أي (يعطون مايعطون عن مُقابلَةِ نعْمةٍ عليهم في مُقـارّتهمْ.. وقيـل بـل اعـتراف بـأن أيديكم فوق أيديهم أي يلْتزمون الذل)[2].

(وينسب إلى اليد مايعمله الإنسان إذاكان أكثر الأعمال بمباشرتها فيقال هذا ماعملته يداك أي ماعملته)[3] من ذلك قوله تعالى[4]: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

وورد في القرآن استعمال لفظ (يد) للدلالة على البخل، قـال تعـالى[5]: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

ومعنى الآية: (أي لاتكن بخيلا منوعا لاتعطي أحدا شيئا كمـا قـالت اليهـود عليهـم لعائن ا الله يد ا الله مغلولة أي نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريـم الوهـاب وقولـه ﴿**ولا تبسطها كل البسط**﴾ أي:ولا تسرف في الإنفاق فتعطـي فـوق طـاقتك وتخـرج أكـثر مـن دخلك فتقعد ملوما محسورا)[6].

وبهذا الوصف لليد (مغلولة) أشار القرآن إلى تلك اليد الممسكة و لم يرد لفـظ العليـا أو السفلى وصفا لليد، وإنمـا جـاء في وصـف كلمـة ا الله بأنهـا العليـا قـال تعـالى[7]: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) سورة التوبة آية ٢٩.

(٢) المفردات: الأصْفهاني ص ٥٥١.

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٧٤٨.

(٤) سورة الحج آية ١٠.

(٥) سورة الإسراء آية ٢٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٣ ص ٣٨.

(٧) سورة التوبة آية ٤٠.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة ا لله هي العليا﴾ (وجعل كلمة الذين كفروا وهي كلمة الشرك السفلى لأنها قهرت وأذلت وأبطلها ا لله تعالى ومحق أهلها وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب، والغالب هو الأعلى،وكلمة ا لله هي العليا يقول ودين ا لله وتوحيده وقول لاإله إلا ا لله وهي كلمته العليا على الشرك وأهله الغالبة)[١].

نتبين مما سبق أن القرآن الكريم ذكر (اليد المغلولة) كناية عن البخل (واليد المبسوطة) كناية عن الكرم، ووصف كلمة ا لله بأنها العليا وكلمة الشرك بأنها السفلى، وورد هذا الوصف لكلمة ا لله في الحديث النبوي من ذلك مارواه أبو موسى الأشعري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول ا لله ماالقتال في سبيل ا لله، فإن أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية فرفع إليه رأسه قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائما فقال: **مَنْ قَاتَلَ لتَكونَ كَلمة ا لله هي العُليا فهو في سَبيلِ ا للهِ**)[٢]. كما جاءت في الأحاديث دالة على معناها اللغوي وهو تحديد للموضع أو المكان فقد روى ابن عمر رضي ا لله عنهما قال: كان رسول ا لله ﷺ يدخل من الثنية العليا ويخرج من الثنية السفلى)[٣].

و لم يقف الحديث النبوي عند حد الاستعمال اللغوي للفظ (العليا والسفلى) أو استخدام العليا وصفاً لكلمة ا لله تعالى -كما ورد في القرآن- وإنما طالعنا باستخدام جديد لهذا التركيب يضيف إليه دلالة إسلامية جديدة، فكلمة ا لله هي الكلمة العليا، واليد العليا تعني شيئاً جديداً تبينه الأحاديث، فعن عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما أن رسول ا لله ﷺ قال وهو على المنبر وذكر الصدق والتعفف والمسألة: **اليدُ العُليا خَيرٌ من اليدِ السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة)**[٤].

وقد فسر الحديث المراد باليد العليا فهي التي تنفق وتعطي والسفلى هي السائلة.

---

(١) تفسير الطبري: جـ١٠، ص ٩٦.

(٢) صحيح البخاري -٣ كتاب العلم - ٤٥ باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، حديث (١٢٣).

(٣) صحيح البخاري: ٢٥ كتاب الحج - ٤٠ باب من أين يدخل مكة، حديث (١٥٧٥).

(٤) صحيح البخاري: ٢٤ كتاب الزكاة - ١٨ باب لاصدقة إلا عن ظهر غنى، حديث (١٤٢٩).

ومسلم: ١٢ كتاب الزكاة -٣٢ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى.. ٢:٧١٧ حديث ٩٤ (١٠٣٣).

قال ابن الأثير: (العليا: المعطية، وقيل: المتعففة، والسفلى: السائلة، وقيل: المانعة)[1].

وقد جاءت (العليا والسفلى) وصفا معرفا بلام التعريف لكلمة (يد) في مواضع كثيرة تربو على ثلاثة وعشرين موضعا من الكتب الستة، وقد جاءت في جميع هذه الأحاديث متلازمة (واليد العليا خير من اليد السفلى) وذلك في معرض:

- الحث على التعفف وعدم المسألة، وذلك فيما رواه البخاري في صحيحه عن سعيد ابن المسيب وعروة بن الزبير أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال لي: (**ياحَكِيمُ إنَّ هَذا المالَ خَضِرُ حُلو فمَنْ أَخَذَه بسَخَاوةِ نَفْسٍ بُورِك له فِيه، ومن أَخَذَهُ بإشْرافِ نَفْسٍ لم يُبارِكْ لَهُ فِيه، وكان كالَّذِي يَأْكلُ ولا يشبع، واليد العُلْيَا خير من اليد السُّفْلَى..**) الحديث[2]. وهنا بين ﷺ أن الذي يأخذ المال بطيب نفس يبارك الله له فيه، أما الذي يأخذه بلهفة وتطلع وطمع يكون كالذي يأكل ولا يشبع، فلم يأخذ حكيم بعدها العطاء من أحد حتى توفاه الله.

- الحث على الإنفاق: فقد روى مسلم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (**ياابَن آدم إنَّك إنْ تَبذلْ الفَضل خَيرٌ لك وإن تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَك، ولا تُلامَ على كَفَاف وابدَأ بِمَنْ تَعولُ، واليَد العُلْيَا خَير من اليَدِ السُّفْلَى**)[3].

- الحث على الصدقة وأن يبدأ الرجل بمن يعول، فقد روى طارق المحاربي قال: قدمنا المدينة فإذا رسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول: (**يَد المُعْطِي العُلْيَا وابدَأْ بِمَنَ تَعولُ،أُمَّكَ وأباك وأُخْتَك وأَخَاك ثم أَدْنَاك أَدْنَاك**)[4].

وبهذا تظهر لنا الأحاديث السابقة أن لفظ (اليد العليا) ورد في السياقات التي حث فيها ﷺ على البذل والعطاء، وهنا أستطيع أن أرجح أن تكون اليد العليا هي اليد المنفقة

---

(١) النهاية جـ٥، ص ٢٩٣.

(٢) صحيح البخاري ٥٧ كتاب فرض الخمس - ١٩ باب ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث (٣١٤٣).

ومسلم: ١٢ كتاب الزكاة - ٣١ باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح ٢:٧١٧ حديث ٩٦(١٠٣٥) وهذا لفظ البخاري.

(٣) مسلم: ١٢ كتاب الزكاة -٣٢ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى.. ٢:٧١٨ حديث ٩٧(١٠٣٦).

(٤) النسائي: ٢٣ كتاب الزكاة - ٥١ باب أيتهما اليد العليا ٥:٦١ (٢٥٣٢).

والمتعففة التي تأبى المسألة وأن اليد السفلى هي اليد السائلة، وقال ابن حجر في الفتح بعد عرضه للآراء التي قيلت حول معنى اليد العليا والسفلى (وكل هذه التأويلات المتعسفة تضمحل عند الأحاديث المتقدمة المصرحة بالمراد، فأولى مافسر به الحديث الحديث، ومحصل مافي الآثار المتقدمة أن أعلى الأيدي المنفقة، ثم المتعففة عن الأخذ، ثم الآخذة بغير سؤال، وأسفل الأيدي السائلة والمانعة وا لله أعلم)(١).

وقد بين ﷺ في حديث رواه أبو داود في سننه عن مالك بن نضلة قال: قال رسول ا لله ﷺ: **(الأيدي ثلاثة فيد ا لله العليا ويد المعطي التي تليها ويد السائل السفلى فأعط الفضل ولا تَعجزْ عن نفسك)**(٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أنه ﷺ كنى بطول اليد عن العطاء والصدقة، فعن عائشة رضي ا لله عنهما أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ: أينا أسرع بك لحوقاً؟ قال: **أطولكن يدا** فأخذوا قصة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقا به وكانت تحب الصدقة)(٣).

وبهذا يكون الحديث النبوي هو الذي أضاف لنا هذه الدلالة الإسلامية وقد اكتسب اللفظ هذه الدلالة بالتركيب فبوصف لفظ (اليد) (بالعليا) ووصفها (بالسفلى) تخصصت الدلالة وأصبح المراد باليد العليا المنفقة والمتعففة، و (بالسفلى) السائلة، وهذا الاستعمال للفظ استعمال مجازي، فليس المراد هو المعنى الحسي للعلو والدنو وإنما المراد بيان مكانة المنفق ومنزلته عند ا لله سبحانه وتعالى.

---

(١) فتح الباري: جـ٣ ص ٢٩٨.

(٢) أبو داود: ٣ كتاب الزكاة – ٢٨ باب في الاستعفاف، حديث (١٦٤٩).

(٣) صحيح البخاري: ٢٤ كتاب الزكاة – ١١ باب فضل صدقة الشحيح الصحيح، حديث (١٤٢٠).

الشجاع الأقرع

الشِجاع والشُجاع بالكسر والضم: الحية الذكر، وقيل: هو الحية مطلقا، وقيل هو ضرب من الحيات، وقيل: هو ضرب منها صغير(١).

قال مرة بن عداء الفقعسي(٢):

وَهَلاّ أَعدُّني لمثلِي تفَاقَدُوا وفي الأرض مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وعَقْرَبُ

والمعنى: هلا جعلوني عدة لرجل مثلي في البأس-فَقَدَ بَعْضُهم بعضاً -دعاء عليهم- وقد انتشر في الأرض أعداء كثيرة وأنواع من الشر فظيعة، وكنى بالحية وبالعقرب عن الأعداء والشر(٣).

وتزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه تعرضت له في بطنه حية يسمونها الشجاع والشجاع، قال أبو خراش الهذلي يخاطب امرأته(٤):

أَرُدُّ شُجَاعِ البَطْنِ لو تَعْلَمِينَهُ وأُوثِر غَيري مِنْ عِيالِك بالطَّعْمِ

وقال أحد شعراء بني عدنان(٥):

---

(١) اللسان، مادة (شجع) جـ٤، ص ٢٢٠١.

(٢) شرح ديوان الحماسة أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٧- ١٩٦٨م. جـ١، ص ١٢٤.

مرة بن عداء الفقعسي: لم أعثر على ترجمته.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٢١٥.

(٤) اللسان، مادة (شجع) جـ٤، ص ٢٢٠١.

أبو خراش الهذلي: من شعراء هذيل واسمه خُويلد بن مُرَّة أحد بني قِرْد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل من الشعراء المفلقين.

الشعر والشعراء: جـ٢ ص ٦٦٧. وبلوغ الأرب: جـ٣ ص ١٤٠.

(٥) شعراء النصرانية: جـ٣، ص ٣٣٨.

فَـأَطْرَقَ إِطْـرَاقَ الشُّـجَاعِ وَلَـوْ يَـرَى   مَسَـاغاً لِنَابَيْـهِ الشُّـجَاعُ لَصَمَّمَـا

فالشجاع معروف في لغة العرب، ومعروف عند الجاهلي على أنه ضرب من الحيات، وأكثر الإجماع على أنه الحية الذكر، وهو معروف بهذا اللفظ، و لم يرد اللفظ في القرآن الكريم، ولكنه ورد في الحديث النبوي في كتاب الزكاة في معرض الحديث عن عقوبة مانع الزكاة، فأصبحت له دلالة خاصة واختلفت صورته عما كان يُعرف بها، من ذلك ماروه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **مَنْ آتاهُ الله مالا فَلم يُؤَدِ زَكَاته مُثّل لَه يومَ القِيامة شُجَاعاً أَقْرَع له زَبيبتان يُطوّقه يَومَ القِيامة، ثـم يَأْخذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يعني: بِشِدّقَيه، ثم يقول: أَنَا مَالكُ أنا كَنزُك ثمَ تلا ﴿لايحسبن الذين يبخلون﴾** الآية[1].

(الشجاع الذكر من الحيات، والأقرع الذي قرى السم في رأسه حتى تمعط شعره.

الزبيتان: النكتتان السوداوان فوق عينيه، وهو أوحش مايكون من الحيات، وقيل: هما الزبدتان في شدقيه إذا غضب)[2].

وذكر ابن حجر في الفتح أن الزبيبتان هما الزبدتان اللتان في الشدقين يقال تكلم حتى زبد شدقاه أي خرج الزبد منهما، وقيل هما النكتتان السوداودان فوق عينيه، وقيل نقطتان يكتنفان فاه، وقيل هما في حلقه بمنزلة زنمتي العنز، وقيل لحمتان على رأسه مثل القرنين، وقيل نابان يخرجان من فيه، ومعنى يطوقه أن يصير له ذلك الثعبان طوقا، وظاهر الحديث أن الله يصير نفس المال بهذه الصفة وفي قوله (أنا مالك، أنا كنزك) الحسرة والزيادة في التعذيب حيث لاينفعه الندم، وفيه نوع من التهكم، وفي الحديث دلالة على أن المراد بالتطويق في الآية الحقيقية، خلافا لمن قال إن معناه سيطوقون الإثم[3].

وقد حذر النبي ﷺ مَنْ تَحَايَل لكي لايخرجَ الصدقة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يَكونُ كنزُ أحدكم يوم القيامة شُجَاعا أقرعَ يفرُّ منه صَاحبه فَيَطْلُبُهُ ويقول: أَنَا كَنْزُكُ، قال: والله لَنْ يزالَ يَطْلُبه حتى يَبْسطَ يَده فَيلقمها فَاه، وقال**

(١) صحيح البخاري: ٢٤ كتاب الزكاة – ٣ باب إثم مانع الزكاة، حديث (١٤٠٣).

(٢) الفائق في غريب الحديث: الزمخشري جـ٢ ص ٢٢٢.

(٣) انظر فتح الباري جـ٣، ص ٢٧٠.

رسول الله ﷺ: إذا ما ربُّ النعم لم يُعْطِ حقها تُسَلَّطُ عليه يوم القيامة فتخبط وَجْهَهُ بأخفافها، وقال بعض الناس في رجل له إبل فخاف أن تجب عليه الصدقة فباعها بإبل مثلها أو بغنم أو ببقر وبدراهم فرارا من الصدقة بيوم احتيالا فلا بأس عليه، وهو يقول: إن زكى إبله قبل أن يحول الحول بيوم أو بستة جازت عنه)[1].

فالشجاع الأقرع ارتبط بلفظ الزكاة وبماله من دلالة إسلامية، فهو بهذه الوصف الذي جاء به في الأحاديث ليس على هيئة الثعبان الذي نعرفه وإنما هو صورة من صور العالم الغيبي فتكون صورته على غير مانعرفه من الحياة وكذلك حقيقته، فحقيقته هو الكنز الذي بخل صاحبه عن إخراج زكاته وتحايل لكي لايخرج صدقة ماله.

وإذا كان (الشجاع) معروفاً لدى الجاهلي بأنه الحية الذكر وبأنها من أخبث أنواع الحيات، وبها صور الشر والأعداء فإن الشجاع الأقرع ارتبط في سياقات الأحاديث بمانع الزكاة وأصبحت له صورة خاصة وصفها ﷺ وبين حقيقتها يقول (أنا مالك أنا كنزك) وذلك عقابا له على منع الزكاة وهي ركن من أركان الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري ٩٠ كتاب الحيل – ٣ باب في الزكاة ... حديث (٦٩٥٧، ٦٩٥٨).

الفصل السادس

ألفاظ الحج

يمكننا هنا أن نقف لنتساءل: هل عرف الجاهلي الحج؟ وماذا عرف من شعائره؟ وكيف كان يؤديها؟ وما الألفاظ التي استخدمها في التعبير عن تلك الشعائر؟

أما عن معرفته بالحج وشعائره فالتاريخ يؤكد لنا هذه المعرفة ويبين لنا مصدرها، فمما يُذْكَر أن إسماعيل بن إبراهيم صلى ا لله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملئوا مكة ونَفَوْا من كان بها من العماليق، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش.

وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لايظعَن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة، فحيثما حلُّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمُّنا منهم بها وصبابة بالحرم وحباً له وهم بعد يُعظِّمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)(1).

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا مااستحبوا وَنَسوا ماكانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم وانتجثوا ماكان يعبد قوم نوح عليه السلام منها، على إِرْث مابقي فيهم من ذكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت، والطواف به، والحج، والعمرة، والوقوف على عرفة ومزدلفة وإهداء البُدن، والإهلال بالحج والعمرة، مع إدخالهم فيه ماليس منه، فكان تلبية عك إذا خرجوا حُجاجا قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم، فكانا أمام ركبهم فيقولان:

نحن غُرَابَا عكّ !

فتقول عَكٌّ من بعدهما:

عَكٌّ إليك عَانيهْ، عِبادُك اليمانِيه، كَيْمَا نَحُجَّ الثانِيَةْ !

وكانت ربيعة إذا حجَّت فقضت المناسك ووقفت في المواقف نفرت في النفر الأول

---

(1) الأصنام: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م. الطبعة الثانية، ص ٦.

ولم تُقِم إلى آخر التشريق[1].

يدلنا التاريخ على معرفة الجاهلي بشعائر الحج كالتلبية والطواف والوقوف بعرفة، ولكنه يحدثنا أيضاً عمّا آلت إليه هذه الشعائر من تحريف وما وصلت إليه من شرك وجاهلية، لقد بلغ من أمر الجاهلي أنه أصبح يُغَيِّر في الأشهر الحرم وِفقا لظروف الحرب والغارة، وكانت كِنانة تتولى عملية الإنساء، وكان ذلك مبعث فخر لها، وكانوا إذا أرادوا الحج وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلّوا عنده ثم لَبّوا حتى يقدموا مكة.

وقد ظهر التغيير في كل شعيرة من الشعائر بما يتفق وتحقيق المصالح الاقتصادية والسياسية للعرب عامة ولقريش خاصة، وخرج الحج عن كونه عبادة يراد بها التقرب لله وحده والخشوع له فماذا ظهر من التعبير عن الحج وشعائره في لغة الجاهلي؟ وبأي لفظ أو مصطلح عبَّر عن تلك الشعائر؟ ثم ماذا كان من شأن هذه الألفاظ الجاهلية في الإسلام بعد أن فرض الله علينا الحج في كتابه العزيز، وعلَّمنا آدابه، ثم فصَّل لنا الرسول ﷺ أحكامه وشعائره قولا وفعلا؟

هذا ماسأحاول معرفته من خلال استنطاق نصوص الشعر الجاهلي، ثم نصوص الأحاديث النبوية، لمعرفة التطور الدلالي لتلك الألفاظ.

(١) الأصنام: الكلبي: ص ٦، ٧.

الحج

الحَجُّ: القصد، حَجَّ إلينا فلان: أي قدم، وحَجَجْتُ فلانا: أي قصدته، ورجل محجوج: أي مقصود، وبهذه المعاني ورد لفظ الحج في الشعر الجاهلي، ومنها قول الأعشى(١):

فَإِنْ كُنْتَ مِنْ وُدِّهَا يَائِساً   وَأَجْمَعْتَ مِنْهَا بِحَجٍ قَلُوصَا

ومعنى أجمعت منها بحج قلوصاً: أي عزمت على الرحيل قاصدا دياراً جديدة.

وحج بنو فلان فلانا: إذا أطالوا الاختلاف إليه. قال المخبل السعدي(٢):

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيْرَةً   يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقَانِ الْمُزَعْفَرَا

يحجون سِبَّ الزبرقان: أي يقصدونه ويزورونه.

والحج عند الجاهلي هو القصد لِمعظَّم، وهو عنده التوجه لزيارة الكعبة والطواف حولها والقيام بشعائر أخرى غير الطواف، كل ذلك تقرباً لله الذي أشرك معه الجاهلي آلهة أخرى. قال النابغة(٣):

عَليهِنَّ شُعْثٌ عَامِدُونَ لحجِّهِمْ   فَهِنَّ كَأَطرَافِ الحَنِيِّ خوَاضِعُ

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ص ٢٠٧.

(٢) لسان العرب: جـ٢، ص ٧٧٨.

المخبل السعدي: ربيعة بن ربيع، وقيل ابن مالك، بن قتال من بني لأي بن أنف الناقة، يكنى أبا يزيد، له شعر كثير جيد، هجا به الزبرقان وغيره، وشعره كثير. وهو شاعر مخضرم فحل، عمر طويلا، يقال: إنه مات في خلافة عثمان.

طبقات فحول الشعراء: ١٤٩. والشعر والشعراء: ٤٢٧. والمؤتلف والمختلف: ١٧٧.

(٣) ديوان النابغة: ص ٣٦.

وأراد الجاهلي بهذه العبادة التقرب إلى ا لله، يظهر ذلك في تلبية جُرْهم أول سكان البيت الحرام(١):

وا لله لولا أنت ماحَجَجْنَا
مكة والبيت ولا عَجَجْنَا
ولا تصدقنا ولا ثَجَجْنَا

وللحج مكانة خاصة عندهم فهم يَحْلِفون بالذي حَجَّ له الناس. قال عوف بن الأحوص(٢):

وَإِنِّي والَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشُ   مَحَارِمَهُ ومَا جَمَعَتْ حِرَاءُ

وقد بلغ من تعظيمهم لهذه العبادة أن أقسموا بالإبل التي ترفع الحجيج وتوصلهم إلى مكة. قال النابغة(٣):

فَلا عَمْرُ الذِّي أُثْنِي عَلَيهِ   وَمَا رَفَعَ الحَجيجَ إلى إلالِ

ومع قسمهم بالذي حج له الناس إلا أنهم أشركوا معه أصنامهم، ومن ذلك قول النابغة(٤):

فلا لَعَمْرُ الذِّي مسَّحتُ كَعْبَتَه   ومَا هُرِيقَ على الأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

مسحت كعبته: أي أتيت بيته وطُفْتُ به. والأنصاب: حجارة كانوا يذبحون عليها العتائر لآلهتهم. والعتائر: جمع عتيرة وهي ذبيحة كانت تذبح في رجب يتقرب بها أهل

---

(١) الأزمنة وتلبية الجاهلية: ص ١٢١.
(٢) المفضليات: ص ١٧٤.
(٣) ديوان النابغة: ص ١٥١.
(٤) المرجع السابق: ص ٢٥.

الجاهلية لآلهتهم، وللحج شهور معينة، قال خفاف بن ندبة[1]:

وأَبــدَى شُــهُورُ الحــجِّ مِنْهَــا محاسِــنًا ووجْهاً متى يَحْلِلْ لــهُ الطيــبُ يُشــرِقِ

وقد كانت النساء إذا طافت إحداهن بالبيت وضعت ثيابها كلها إلا درعا مفرَّجاً عليها ثم تطوف فيه. وكانوا يحرمون الطيب على المحرم ثم يحل له إذا أتم حجه، وذلك من شعائر إبراهيم عليه السلام، وقد أقرَّه الإسلام.

والحج يكون مرة كل عام؛ لذا جاء لفظ حجة بمعنى سنة. قالت الخِرْنَقْ ترثي أخاها[2]:

عدَدْنَــا لــهُ خمْسَــاً وعشْــرِيْنَ حِجَّــةً فلمّــا توفَّاهَــا اسْــتوَى سَــيِّداً ضَخْمَــا

أما في القرآن الكريم فقد دلَّ لفظ (الحج) على قصد بيت الله الحرام إقامة للنسك كما أمر الله بها في الإسلام، حيث فرض الحج على المسلم مرَّة في العمر، وجعله ركنا من أركان الإسلام، واقترن هذا الفرض بالاستطاعة، فهو فَرضٌ عليه مادام مستطيعا، قال

---

(١) الأَصمعيات: ص ٢٢.

خُفاف بن نَدْبة: وأبو خراشة كنية و(نَدْبة) أمه، وهي سوداء بنت شيطان بن قنان من بني الحارث، وأبوه عمير بن الحارث بن الشريد بن خفاف بن امرىء القيس الفارس المشهور الشاعر المجيد.

وخفاف هو أحد فرسان قيس وشعرائها المذكورين وهو أحد أغربة العرب أي سُودانهم، وخفاف مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، صحابي شهد فتح مكة، وكان ممن ثبت على إسلامه في الردَّة.

المؤتلف والمختلف: ١٠٨. الخزانة: جـ٤، ص ١٥، جـ٥ ص ٤٤٤، ٤٤٥.

(٢) ديوان الخرنق بنت بدر بن هنان ، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م، ص ٣.

الخِرْنق: لم أعثر على ترجمة لها. وجاء في مقدمة الديوان: الخِرْنقُ بنت بدر بن هِفّان بن مالك بن صبعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.. بن جديلة بن أسير بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان، وهي أخت طرفة بن العبد لأمه، وأمها وردة ولها شعر في رثاء أخيها حين قتل، وقصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعي، وابنها علقمة بن بشر، وأخويه حسان وشرحبيل، وكان بشر غزا بني أسد ابن خزيمة هو وعمرو بن عبدالله بن الأشل، فتقدمتهم بنو أسد إلى عقبة يقال لها قُلاب، فقُتل بشر بن عمرو وبنوه وفرَّ عمرو بن الأشل، فسمي ذلك اليوم يوم قلاب.

انظر: الديوان، ص ٣. الخزانة: جـ٥، ص ٥١.

تعالى[1]: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

ومعنى ﴿**حج البيت**﴾: أي القصد إلى البيت الحرام بأعمال مخصوصة[2].

وقد كان التكليف بالحج منذ عهد إبراهيم عليه السلام بعد أن أمره الله ببناء البيت، قال تعالى[3]: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝﴾

﴿**وأذن في الناس بالحج**﴾: أي: نَادِ في الناس داعياً لهم إلى الحج، إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه)[4].

ولفظ الحج في القرآن دلَّ في جميع الآيات التي ورد فيها على قصد بيت الله الحرام إقامة للنسك، ومنه اشتُقَّ لفظ الحاج وهو اسم فاعل من (حج)، وقد يكون اسم جنس أو اسم جمع يراد به غير الواحد[5]، قال تعالى[6]: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾. وأُريد بالحاج هنا جماعة الحجاج[7].

وبذلك يتخصص لفظ الحج ويصبح دالاً على عبادة الله وحده، وهو الركن الخامس من أركان الدين الإسلامي، وزمنه ثابت في شهر ذي الحجة وله شعائر معينة يؤديها المسلم في أيام محددة مابين الثامن إلى الثالث عشر من شهر ذي الحجة. وقد فرضه الله على المسلم مرة في العمر مادام مستطيعاً على أن يؤدي شعائره بكيفياتها الصحيحة بعيدة عن تلك الشعائر المشوهة التي كان يفعلها الجاهلي كالطواف حول البيت عرياناً أو إشراك الأصنام في العبادة، فقد كان الجاهليون يطوفون حول الكعبة وقد وضعوا فيها مايزيد على ثلاثمائة صنم. أما المسلم فقد توجه للحج وقد أخلص قلبه لله سبحانه، وحرص على القيام بجميع

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، جـ٥، ص ٩٩.

(٣) سورة الحج: الآية ٢٦ و ٢٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، جـ٣، ص ٢٢٢.

(٥) معجم ألفاظ القرآن، ص ١٢٥.

(٦) سورة التوبة: آية ١٩.

(٧) معجم ألفاظ القرآن، ص ١٢٥.

الشعائر والآداب التي أمره الله بها. وقد بين سبحانه وتعالى بعض هذه الشعائر في القرآن الكريم كالسعي بين الصفا والمروة. قال تعالى:[1] ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝﴾

كما بين سبحانه بعض الآداب التي يجب على الحاج الالتزام بها قال تعالى[2]: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾

وأتمّتْ السنة النبوية بيان شعائر الحج، وقد وضَّحَها لنا رسول الله ﷺ قولا وفعلا فاكتملت صورة الحج في الاسلام في السنة النبوية حيث بين لنا الرسول ﷺ جميع الشعائر والأحكام والآداب التي بها يتم حج المسلم ثم بين لنا ﷺ عظم أجر من حج حجا كاملا كما فرضه الله سبحانه وسمى حجه مبرورا، وجعل جزاء الحج المبرور الجنة. قال ﷺ في عظم أجر من حج حجا صحيحا: **(من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)**[3].

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **(العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)**[4].

ومعنى الحج المبرور أي الحج المقبول. يقال: بَرَّ الله حجه يبره أي تقّبله، وأصله من البر، وهو اسم لجماع الخير[5].

والأصح الأشْهَر أن المبرور هو الذي لايخالطه إثم، وقيل: هو المقبول، ومن علامة القبول أن يرجع خيراً مما كان ولا يعاود المعاصي. وقيل: هو الذي لا رياء فيه. وقيل:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الحج ٢٥- باب فضل الحج المبرور ٤، حديث (١٥٢١).

وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ٧٩، حديث (١٣٥٠).

(٤) صحيح البخاري: كتاب العمرة ٢٦، باب العمرة، وجوب العمرة وفضلها ١، حديث (١٧٧٣).

وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ٧٩، حديث (١٣٤٩).

(٥) الزاهر: ص ١٧٧-١٧٨.

الذي لايعقبه معصية، وهما داخلان فيما قبلهما[1].

وبذلك تكون السنة النبوية هي المبيِّنة للحج وشعائره والمفصِّلة لأحكامه تفصيلاً دقيقاً، فكأنها أعطت للفظ مدلولاً جديداً على الرغم من وجوده في الشعر الجاهلي، ولكن البَوْن كبير جدا، فالجاهلي يستخدم لفظ الحج دالا على قصد شيء ما أو شخص ما، وعلى قصد البيت والطواف حول الكعبة والقيام بالشعائر الأخرى التي فرضها الجاهلي على نفسه.

أما في سياقات القرآن والحديث، فقد تخصص اللفظ في الدلالة على قصد بيت ا لله الحرام إقامة للنسك، وذلك تَعبداً لله سبحانه ورغبة فيما عنده من أجر، ولعل المسلم لايستخدم هذا اللفظ إلا لحج بيت ا لله الحرام بعد أن خصصه بذلك القرآن والحديث؛ وذلك تعظيماً لهذه الشعيرة وتعظيما للبيت، فما الشيء أو الشخص الذي يستحق أن يقال لقصده حجا؟

لذا فإنه يبدو لي أنه حدث رقي وتسامٍ للفظ الحج، فأين الحج الشركي الذي يقوم به الجاهلي وأين الاعتقادات الباطلة التي تدل على جهالة تامة؟ وأين الموسم الاقتصادي والسياسي والتلاعب بالأشهر الحرم؟ أين الجهالة من الإسلام المنهج الرباني الذي بلغنا إياه الرسول ﷺ في كل خطوة نخطوها في الحج، وفي كل لفظ نتلفظ به، وكل أدب نتأدب به، فلا يمكننا بعد جمع الصور الذهنية التي يثيرها إطلاق اللفظ في العصرين إلا أن نشعر بأن الفرق بين الدلالتين كبير جدا، ويمكننا توضيح ذلك بما يلي:

١ - الدلالة المعجمية واحدة: بل إنها في لغة الشعر الجاهلي زائدة على الدلالة الإسلامية من حيث كونها جمعت في الاستعمال بين الدلالة العامة والدلالة الخاصة، ولعل هذه بدايات لاستقرار اللفظ على دلالته الإسلامية.

٢ - الدلالة الإسلامية المعجمية اكتسبت تخصيصا تاماً، فقد تخصص لفظ الحج في الدلالة على قصد بيت ا لله الحرام بأعمال مخصوصة، ولا شيء غير ذلك.

٣ - يمكن القول بأنه لم يحدث تطور في الدال أو اللفظ وإنما التطور حادث في المدلول أو المسمى، فالتطور والتغيير الحادث في أعمال الحج وأحكامه وشرائعه، وليس في

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ٩، ص ١٢٢.

المصطلح الدال على هذه الأعمال.

٤ – بالنظر إلى الصور الذهنية التي تتوارد على ذهن المسلم عند إطلاق لفظ الحج في القرآن والحديث وما يصاحبها من استشعار الأجر الـذي وعـد ا لله بـه مَـنْ أتم حجـه ومـا يصاحب أركان الحج من تجرد لله وخشية له، بالنظر إلى ذلك كله نقـول: إن هنـاك سمـواً ورقياً في دلالة اللفظ، وهذا مايبدو لي اعتمادا على نظرية السياق التي تنظر للفظ من خلال مايحيط بدلالته المعجمية من دلالات ثانوية وهامشية، ومن صور ذهنية ومشاعر قلبية ترتبط بهذه الدلالة المعجمية وتدل عليها مجموع السياقات اللغوية التي يقع فيها اللفظ.

الإحرام

وأصل هذا اللفظ الثلاثي هو (حَرَمَ)، ولهذه المادة وما يُشتق منها دلالات كثيرة في الشعر الجاهلي منها:

حرم: بمعنى منع. قال الأعشى الكبير لمن يخاطبهم: إنّ الذي يكثر التسآل لابد أن يمنع يوما من العطاء[١]:

تُسِرُّ وتُعْطِي كُلَّ شَيءٍ سَأَلْتَهُ ... ومَنْ يُكْثِرِ التَّسْآلَ لابُدَّ يُحْرَمِ

وقال بشر بن أبي خازم[٢]:

فَإِنَّ الجِزْعَ جِزْعَ عُرَيْتِنَاتٍ ... وَبُرْقَةَ عَيْهَلٍ مِنْكُم حَرَامُ

يقول: إذا لم يكن بيننا وبينكم ودّ منعنا كم الرعي في هذه المواضع، وحرّم على نفسه الشيء: منعه عنها لأجل ما، وإن كانت حلالاً له قبل ذلك، قال امرؤ القيس[٣]:

حَلَّتْ لَهُ مِنْ بَعْدِ تَحْرِيمٍ لَهَا ... أو أَنْ يَمَسَّ الرَّأْسَ مِنهُ غُسُولا

أي بعد أن بَرَّ بيمينه وأخذ ثأره حلت له الخمر، كما حَلَّ له غسل رأسه.

والحرام: مالاينبغي فعله. قال امرؤ القيس[٤]:

جَالَتْ لِتَصْرَعَني فَقُلت لها اقْصِري ... إِنِّي امْرُؤ صَرْعِي عليكِ حَرامُ

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص ١١٩.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ٢٠٧.

(٣) ديوان امرئ القيس: ص ٣٦١.

(٤) المرجع السابق: ص ١١٦.

جالت: نهضت نشطة قلقه لتلقي بي عن ظهرها إلى وجه الأرض، فقلت لها: قد أتيت إليك من الإحسان مالاينبغي لك معه أن تصرعيني، أي قد حرَّم إحساني إليك صرعي عليك.

والمحرَّم: ماحرّم فلم يُمس، قال الأعشى(١):

أَجَارَتُكُمْ بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ   وَجَارَتُنَا حِلٌّ لكُمْ وحَليلُهَا

بَسْل: حرام. وهو من الأضداد، يطلق على الحلال والحرام؛ لذلك بينه بقول: محرم. وحليلها: زوجها.

وللفظ المحرّم دلالات حسية.

المحرّم: السوط الذي لم يُمرَّن، قال الأعشى(٢):

تَرَى عَيْنَهَا صَغْوَاءَ فِي جَنْبِ مُؤْقِهَا   تُراقِبُ فِي كَفِّي القَطِيعَ المُحَرَّمَا

القطيع: السوط، جلد مُحرم: لم يدبغ، وسوط مُحرَّم: لم يُمرَّن؛ لأنه لايحتاج لضربها.

والمحرَّم الجلد الذي دُبغ و لم يَلِنْ، قال المثّقبُ العبدي(٣):

---

(١) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٧٥.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٩٥.

(٣) شعر المثقب العبدي تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف بغداد، ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م، ص ٣٦.

المثقب العبدي: هو عائذ بن مِحصن بن ثعلبة بن واثلة بن عدي بن عوف بن دُهن بن عُذرة بن مُنبِّه بن نُكرة -وهي القبيلةوهم من بطن من عبد- وإنما سمي المثقب لبيت قاله:

رَددْت تحية وكننَّ أُخرى * وثَقَّبنَ الوصَاصَ للعُيُونِ

وكان أبو عمرو بن العلاء يستجيد هذه القصيدة له ويقول: لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه.

كان معاصر للملك عمرو بن هند (٥٥٤-٥٧٠م) كما أنه مدح أبا قابوس النعمان بن المنذر الملك (٥٨٠-٦٠٧) وهو من شعراء البحرين. قال ابن سلام: وفي البحرين شعر كثير جيد وفصاحة منهم المثقب العبدي.

الشعر والشعرا: جـ٢ ص ٤٠٢. طبقات الشعرا: ٢٧١. تاريخ الأدب العربي: جـ١ ص ١١٥.

يَجُـــدُّ تَنَفُّـــسَ الصُّعَـــداءِ مِنْهَــــا ... قُــوَى النِّســع الُمحَـــرَّمِ ذِي الُمتـــونِ

يقول: إذا زفرت فامتلأ جوفها بِنفسها قطعت السير الذي يضفـر مـن الجلـد والـذي دبغ و لم يَلِنْ[1].

والطرق المحرَّمة: أي التي لم تَلِنْ بالسير فيها، قال الممزق العبدي[2]:

وقــد جَاوزَتْهـــا ذاتُ نِـــيريْنِ شـــارِفٌ ... مُحرَّمَــــةٌ فِيهــــا لَوامِـــعُ تَخفِـــقُ

جاوزتها: الضمير لأحداج القطين، وهي التي جـاوزت الطريـق، وذات نـيرين: يعـني طريقا واسعاً صعباً. والنير: جانبه. والشارف: القديمة من الطرق. محرمة: يعني لم تَلِنْ بالسير فيها.

وللمادة دلالات دينية، فالحرم: مكة، وقد يطلق على أرض الحجاز. قال النابغة[3]:

قَلَّدهـــا مِـــنْ عُـــرَا نَجْـــدٍ أعِنَّتَهَـــا ... سَـوْمَ الجَـرَاد فنـــاصَتْ غَرْقَـــدَ الحَـــرَم

يتحدث عن الخيل التي أتى بها من عرى نجد، وهي أماكن فيهـا عشـب كثـير يـدوم للرعي، ولانتشار الجراد جـاء لـلرعي في غرقـد الحـرم، أي حـرم مكـة، أي وصلـت أرض الحجاز.

(١) المفضليات: ص ٢٩٠.

(٢) المفضليات: ص ٤٣٣.

الُمَزَّق العَبْدي: واسمه شأس بن نهار بن أسود بن حريك بن حي بن غشاش وكان ابن أخـت المثقـب. وإنمـا سُمِّي الممزق ببيت قاله لبعض الملوك وكان أسيرا عنده:

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُوْلا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ * وَإِلاَّ فَأَدْرِكْنِي وَلَّما أُمَزَّق

قال ابن سلام عند حديثه عن شعراء القرى العربية: وفي البحرين شـعر كثـير جيـد وفصاحـة.. وذكـر منهـم الممزق العبدي. وهو جاهلي قديم.

طبقات فحول الشعراء: ٢٧٤. والشعر والشعراء: ٤٠٦. وطبقات الشعراء: ٧٠:٩٦. والمؤتلـف والمختلـف: ١٨٥. ومعجم الشعراء: ٤٩٥. وبلوغ الأرب: ١٢٤.

(٣) ديوان النابغة: ص ٢٠١.

وفي مكة المسجد الحرام. قال قيس بن الخطيم[1]:

وا لله ذِي المسْـــجِدِ الحَـــرامِ ومَـــا جُلِّـــلَ مـــن يُمْنَـــةَ لهـــا خُنُـــفُ

ولقريش الحل والحرم، قال بشر بن أبي خازم[2]:

أَثَـــافٍ مِـــنْ خُزَيْمَـــةَ راسِـــياتٌ لَهَـــا حِـــلُّ المَنَـــاقِبِ والحَـــرَامُ

يقول: نحن ثلاث قبائل كالأثافي، يعني: قريشا وأسداً وكنانة. فالعِزُّ يستوي بيننا، والشرف استواء القدر المنصوبة على ثلاث أثاف، ولهذه الأُثافي ماكان خارجاً عن الحرم، وهي الحلال وحرام المناقب: مكة، يريد لنا الحِلَّ والحرم.

ويتحدث الجاهلي عن الأشهر الحرم، فيقول النابغة في مدح أبي قابوس[3]:

فـــإِنْ يَهلِـــكْ أبـــو قَـــابُوسَ يَهْلِـــكْ رَبِيـــعُ النَّـــاسِ والشَّـــهْرُ الحَـــرامُ

وهذا البيت مدح لأبي قابوس وفيه كناية عن تشبيه أبي قابوس بالربيع في نفع الناس بالأرزاق، وكذلك فيه كناية عن تشبيهه بالشهر الحرام في حفظ أمن الناس.

ويقسم عوف بن الأحوص بالذي حجت قريش محارمه[4]:

وإنِّـــي والَّـــذِي حَجَّـــتْ قُرَيْـــشٌ محارِمَـــهُ ومـــا جَمعَـــتْ حِـــرَاءُ
وشَـــهْرِ بَنِـــي أميَّـــةَ والهدَايَـــا إِذَا حُبسَـــتْ مُضَرَّجَهَـــا الدِّمَـــاءُ

وشهر بني أمية ذو الحجة، كانت قريش تعظمه، إذ يفخرون فيه بآبائهم بعد الحج، ونسبه الشاعر إلى بني أمية.

ويقسم الشاعر الجاهلي بربِّ الحل والإحرام. قال مهلهل في حرب البسوس التي قتل

(١) ديوان قيس بن الخطيم، ص ٩٠.
(٢) ديوان بشر: ص ٢٠٦.
(٣) ديوان النابغة: ص ١٠٥.
(٤) المفضليات: ص ١٧٤.

فيها أخاه[1]:

قَتَلُوا كُلَيْبَاً ثُمَّ قَالوا: ارْبَعُوا   كَذَبُوا ورَبِّ الحِلِّ والإحْرَامِ

والمحرم: المسالم. قال خداش بن زهير[2]:

إِذَا ماأَصَابَ الغَيْثُ لَمْ يَرْعَ غَيْثَهُمْ   مِنَ النَّاسِ إلاَّ مُحْرِمٌ أوْ مُكَافِلُ

فالمُحرِمُ المُسالِمُ، والمُكَافِلُ المجَاورُ المُحالف.

ورجل محرم إذا كانت له ذمة، أو إذا دخل في حرمة لاتهتك. قال زهير[3]:

جَعَلْنَ القَنَانَ مِنْ يَمِينٍ وحزْنَهُ   وكَمْ بالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ ومُحْرِمِ

يقول: وكم بالقنان (وهو جبل لبني أسد) كم بالقنان ممن له عهد أو ذمة أو جوار فله حرمة من أن يُغار عليه فهذا محرم، وقوله (من محل) أي ليس في حرمة تمنعه من عهد وميثاق.

وقال عدي بن زيد[4]:

قَتَلُوا كِسْرَى بِلَيْلٍ مُحرِماً   فَتولَّى لَمْ يُمتَّعْ بِكَفَنْ

---

(١) الأصمعيات: ص ١٥٦.

عدي بن ربيعة: أخو كليب وائل الذي هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب، وكان أول من قصَّد القصائد وذكر الوقائع في قتل أخيه كليب، وسمي مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب وهو اضطرابه واختلافه وهو خال امرئ القيس، وجد عمرو بن كلثوم.

الشعر والشعراء: ٣٠٣. ومعجم الشعراء: ٢٤٨. وطبقات الشعراء: ١٣.

(٢) لسان العرب: جـ٢، ص ٨٤٧.

خداش بن زهير: بن ربيعة ذي الشامة بن عمرو: وهو فارس الضحناء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. جعله ابن سلاّم في الطبقة الخامسة من طبقات الشعراء الجاهليين، وقال عنه أبو عمرو بن العلاء: هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد، وهو من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية.

الشعر والشعراء: ٦٤٩. طبقات فحول الشعراء: ١٤٤. ومعجم الشعراء: ١٠٧. طبقات الشعراء: ٣٢.

(٣) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ١١.

(٤) ديوان عدي بن زيد العبادي: ص ١٧٨.

يريد عدي أنَّ كسرى لم يأت شيئا يوجب تحليل دمه.

وأحرم القوم: إذا دخلوا في الشهر الحرام. قال الحارث بن حلزة(١):

ثُــمَّ مِلْنَــا عَلَــى تَمِيــمٍ فَأَحْرَمْـــ ـنَــا وَفينَــا بَنَــاتُ مُــرٍّ إِمَــاءُ

وقد عرف العرب الأشهر الحرم ولكنهم كانوا يُغَيِّرون فيها وفقا لمصالحهم التي قد يعرقلها استتباب الأمن ثلاثة أشهر متوالية (ذو القعدة و ذو الحجة ومحرم) تلك الأشهر التي كانت تعطي الفرصة للحجاج للقدوم للحج والعودة منه إلى بلادهم وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، لذلك كان يلجأ من يريد تغيير هذه الأشهر إلى القلامسة (وهم فقهاء العرب والمفتون لهم في دينهم) ليحلوا لهم شهرا منها، والطريقة التي كان يتم بها النسيء هي أن يقوم الناسئ عند باب الكعبة ويقوم رجل آخر في الحجر، فيقول كل واحد منهما: (أنا الذي لاأعاب ولا أحاب ولا يرد قضاء قضاه) فإن جاءه قوم يريدون الغارة في المحرم يسألوه أن يؤخر المحرم فيحسب لهم ويقول: هذا العام صفر الأول.

وكانت كنانة تتولى عملية الإنساء وتتوارثها، فكان هذا مبعث فخر لها، وفي ذلك يقول الطعان الكناني مفتخرا بأن قومه كانوا ينسئون على مَعَدٍّ كلها(٢):

لَقَــدْ عَلِمَــتْ مَعَــدٌّ أَنَّ قَوْمِــيْ كِــرامُ النَّــاسِ أَنَّ لَهُــمْ كِرَامَــا

فَــأَيُّ النَّــاسِ فَائْتونــا بِوِتْــرٍ وأي النــاس لَــمْ نَمْلِــكْ لِجَامَــا

أَلَسْــنَا النَاسِــئِيْنَ عَلَــى مَعَــدٍّ شُــهُورَ الحِــلِّ نَجْعَلُهــا حَرَامَــا

يدل العرض السابق للفظ محرم ومادته أن لها دلالات دينية عرفها الجاهلي فقد عرف البيت الحرام، والشهر الحرام، والبلد الحرام، وعرف أن الله هو رب الحل والحرم، وأدرك

(١) شرح القصائد السبع، ص ٤٧٢.

(٢) المحَبَّر أبو جعفر محمد بن حبيب، رواية أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ١٥٧.

الطعان الكناني: لم أعثر على ترجمته.

شيئا من معاني لفظ الإحرام، فالمحرم هومن دخل في حرمة عهد أو ذمة، والمحرم هو المسالم، والمحرم من دخل في الأشهر الحرم.

كما أن مادة اللفظ (حرم) تشير إلى أن الحرام هو مالاينبغي فعله، وحرم بمعنى منع النفس عن فعل شيء، والتحريم قليلا مايكون من الله والأغلب في اعتقادي ووفقا لما أشارت إليه السياقات التي ورد فيها اللفظ أن الحرام هو ماتحرمه القبيلة أو مايحرمه هو على نفسه، كأن تحرم قبيلة على قبيلة من أن ترعى في مرعى معين، أو يحرم هو على نفسه شيئا مما هو حلال في أعراف الجاهليين، كأن يحرم على نفسه غسل رأسه أو يحرم على نفسه الخمر حتى يدرك ثأره، فيقول امرؤ القيس عن أم الخبائث أنها (حلت له من بعد تحريم لها) فالحلال ماأحله لنفسه، والحرام ماحرمه على نفسه لأجل ما، بل إنه قد يحل ماحرمه الله أو يحرم ماأحله الله وفقا لأهوائه كما كانت تفتخر كنانة بأنها تجعل الشهر الحرام حلالا، وكما أشار إلى ذلك القرآن الكريم، قال تعالى[1] ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾.

وقال تعالى[2]: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مافوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ﴿**قد خسر الذين قتلوا أولادهم..**﴾ أي قد خسر الذين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم وضيقوا عليهم في أموالاهم فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم وأما في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل)[3].

ويرد لفظ (المحرم) ومادته في القرآن الكريم فتنقلب موازين الحلال والحرام، فما كان حلالا طيبا يصبح حراما ممنوعا، وما كان حراما قد يصبح حلالا بأمره سبحانه وتعالى، فالحرام ماحرمه الله والحلال ماأحله الله، ولا يملك الإنسان أن يحلل لنفسه شيئا حرمه الله، فشرب الخمر حرام على المسلم في كل حال، والطيبات حللها الله سبحانه وتعالى

(١) سورة التوبة آية ٣٧.

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ٢، ص ١٨٥.

فهي حلال له، ولا تحرم عليه إلا في أوقات يحرمها الله عليه، كأن يحرم عليه الطعام والشراب والجماع في نهار رمضان أو يحرم عليه الطيب ولبس المخيط والصيد وهو محرم بالحج أو العمرة.

وهكذا فالطيبات حللها الله سبحانه ولا يحرمها إلا هو، وليس للإنسان أن يحل لنفسه أو يحرم عليها شيئا، بل إن الله سبحانه وتعالى عاتب نبيه ﷺ حين حرم على نفسه مارية أم إبراهيم، أو حين حرم على نفسه شرب العسل إرضاء لزوجاته، وهو مما أحله الله تعالى له[1]، قال تعالى[2]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ ﴾.

كما ينهى الله المؤمنين عن ذلك فيقول سبحانه[3]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝﴾

وما حرمه الله على المسلم واضح في شرعه سبحانه مفصل في آياته، قال تعالى[4]: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾.

وبذلك أصبحت ألفاظ الحلال والحرام دالة على ماأحله الله أو ماحرمه سبحانه وليس لأحد أن يحلل أو يحرم ولو كان رسولا من عند الله سبحانه وتعالى.

أما لفظ (مُحْرِم) فقد تخصص في القرآن في الدلالة على من أحرم بحج أو عمرة، ولعله وصف بذلك لأنه يحرم عليه ماكان له حلالا من قبل كالصيد والنساء، أو لأنه دخل في عهد وحرمة من أن يعتدى عليه كما كانت عادة العرب، قال تعالى[5]: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ﴾. أي في حال إحرامكم يحرم عليكم الاصطياد، ففيه دلالة على تحريم ذلك فإذا اصطاد المحرم الصيد متعمدا أثم وغَرِم أو مخطئا عزم وحرم عليه أكله؛ لأنه في حقه كالميتة[6].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: جـ٤، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) سورة التحريم: الآية ١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٨٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

(٥) سورة المائدة: الآية ٩٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: جـ٢، ص ١٠٥.

وذكر سبحانه وتعالى الأشهر الحرم التي حرمها ا لله من عهد قديم، والتزمت العرب تحريمها وإن كانت قد أخذت تبدل فيها وفقا لمصالحها، قال تعالى[1]: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

تبين هذه الآية أن ا لله سبحانه وتعالى قد وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على هذا الترتيب المعروف يوم خلق السموات والأرض، وأن هذا هو الذي جاءت به الأنبياء ونزلت به الكتب وأنه لااعتبار بما عند العجم والروم والقبط من الشهور التي يصطلحون عليها ويجعلون بعضها ثلاثين يوما وبعضها أكثر وبعضها أقل[2]. (منها أربعة حرم) بيان لعدد هذه الأشهر الحرم، وقد حددتها السنة.

أما لفظ الحرمة في القرآن فهو جامع لكل مالايحل انتهاكه أو ماوجب القيام به من حقوق ا لله وحرم التفريط فيه وجمعه حرمات[3]. قال تعالى[4]: ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾.

وتأتي السنة النبوية لتؤكد من خلال السياقات الكثيرة بأن الحرام ماحرمه ا لله، والحلال ماأحله ا لله، ثم تفصل لنا الحلال والحرام، وتؤكد على حرمة مكة وحرمة شهر ذي الحجة وحرمة يوم النحر، فعن أبي سعيد قال: قال رسول ا لله ﷺ في حجة الوداع: **(ألَا إنَّ أَحرمَ الأَيام يَومُكم هذا، ألا وإن أَحْرَمَ الشُّهور شَهرُكم هذا، ألا وإنَّ أحرمَ البَلدِ بلدُكم هذا، ألا وإن دِماءَكم وأموالكم عليكم حَرَامٌ كحُرْمةِ يَومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد)**[5].

كما بينت الأحاديث الأشهر الحرم الأربعة، فعن أبي بَكْرة رضي ا لله عنه عن النبي

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٦.

(٢) فتح القدير: جـ٢، ص ٣٥٨.

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ١٣٢.

(٤) سورة الحج: الآية ٣٠.

(٥) سنن ابن ماجة: كتاب الفتن ٣٦- باب حرمة دماء المؤمن وماله ٢، حديث (٣٩٣١) قال البوصيري في مصباح الزجاجة: جـ ٣، ص ٢٢٢ (١٣٧٦) (هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات).

ﷺ قال: (**إنَّ الزمان قد استدارَ كهيئتــه يَومَ خَلـق ا لله السـموات والأرضَ السـنة اثنـا عشر شَهْرا منها أربعةٌ حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضـر الذي بين جمادى وشعبان**)[1].

وقد جاء هذا التفصيل ليعلم منه أنه لايجوز التلاعب في الأشهر الحرم، وأنها ثابتـة في الإسلام وليس لأحد أن يغير في ترتيبها أو يحرم شهرا ويحل آخر بدلا منه ولو كان رسـولا من عند ا لله، وإذا كان لفظ الحلال والحـرام ثابتـاً كمـا ورد في القـرآن الكريـم فـإن لفـظ (إحرام) اتسعت دلالتـه عمـا كـانت عليـه في القـرآن الكريـم، فـالإحرام هـو الدخـول في التحريم كأن الرجل يحرم على نفسه النكاح والطيب وأشياء مـن اللبـاس فيقـال أحـرم أي دخل في التحريم كما يقال أشتى إذا دخل في الشتاء وأربع إذا دخل في الربيـع وأقحـط إذا دخل في القحط[2].

ومعنى ذلك أن الإحرام معناه الدخـول في أي حرمـة ومنهـا حرمـة الصـلاة، وكـأن المصلي بالتكبير والدخول في الصلاة صار ممنوعا من الكلام والأفعـال الخارجـة عـن كـلام الصلاة وأفعالها، فقيل للتكبير: تحريم، لمنعه المصلي من ذلك[3].

ومما رواه عبيد بن ثمامة المرادي قال: قدم علينا مِصْر عبدا لله بن الحارث بن جزء من أصحاب النبي ﷺ فسمعته يحدث في مسجد مصر قال: لقد رأيتني سـابع سبعة أو سـادس ستة مع رسول ا لله ﷺ في دار رجــل فمـر بـلال فنـاداه بـالصلاة فخرجنـا فمررنـا برجـل وبرمته على النار، فقال له رسول ا لله ﷺ **أطابت بُرْمتك؟** قـال: نعـم، بـأبي أنـت وأمـي، فتناول منها بَضْعة فلم يزل يعلكها حتى أحرم بالصلاة وأنا أنظر إليه)[4].

وأحرم بالصلاة أي دخل فيها فصار ممنوعا من كل مايحرم فعله في الصلاة، ومن هنـا سميت التكبيرة التي تبدأ بها الصلاة تكبيرة الإحرام: أي الإحـرام بـالصلاة، ومما روي عـن علي رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ (**مِفْتـاحُ الصَّـلاة الطَّهـورُ وتَحرِيمُهـا التكبـير**

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ٥٩- باب ماجاء في سبع أرضين ٢، حديث (٣١٩٧).

وصحيح مسلم: كتاب القسامة ٢٨- باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٩، حديث (١٦٧٩).

(٢) غريب الحديث: ابن قتيبة، جـ١، ص ٤٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ١، ص ٣٧٣.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الطهارة ١- باب في ترك الوضوء مما مست النار ٧٥، حديث (١٩٣).

وتحليلها التسليم)[1].

قال ابن الأثير: (والصيام إحرام لاجتناب الصائم مايثلم صومه)[2].

وأحرم الرجل يحرم إحراما إذا أهل بالحج أو العمرة وباشر أسبابها وشروطها من خلع المخيط واجتناب الأشياء التي منعه الشارع منها كالطيب والنكاح والصيد وغيره. والأصل فيه المنع فكأن المحرم ممتنع من هذه الأشياء[3].

وقد تكرر لفظ الإحرام والمحرم بهذا المعنى في الحديث النبوي كثيرا منه مارواه يعلى ابن أمية رضي الله عنه قال أتى النبي ﷺ رجل وهو بالجعرانة وأنا عند النبي ﷺ وعليه مقطّعاتٌ (يعني: جُبَّةٌ وهو متضمخ بالخَلُوق فقال: إني أحرمت بالعمرة وعلي هذا وأنا متضمخ بالخلوق، فقال له النبي ﷺ: **مَاكُنْتُ صانعا في حجك؟** قال: أَنْزَعُ عني هذه الثياب وأغسل عني هذا الخلوق، فقال له النبي ﷺ **ماكُنْتَ صَانِعا في حَجِك فاصنعه في عُمْرتِك**[4].

ويرد في السياقات لفظ حرام بدل محرم، من ذلك مارواه البخاري قال عطاء قال جابر أمر النبي ﷺ عليا أن يقيم على إحرامه زاد محمد بن بكر عن ابن جريج قال عطاء قال جابر فقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسعايته قال له النبي ﷺ **بِم أهَلَلتَ ياعلي؟** قال: بما أهل به النبي ﷺ، قال: **فَأهْدِ وامكثْ حَراما كَما أنْت**، قال: وأهدى له علي هديا)[5]. ومكث حراما: أي محرما لم يحل من إحرامه.

ومن هنا يتضح أن لفظي: محرم والإحرام دلا في القرآن الكريم على الإحرام بالحج أو العمرة، واتسع مدلولهما في الحديث النبوي فأصبحا يدلان على الدخول في حرمة

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٧١، حاشية (٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ١، ص ٣٧٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ١، ص ٣٧٢.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العمرة ٢٦- باب يفعل بالعمرة مايفعل بالحج ١٠، حديث (١٧٨٩).

وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب مايباح للمحرم بحج أو عمرة ومالايباح١، حديث ٧ (١١٨٠) واللفظ له.

(٥) صحيح البخاري: كتاب المغازي ٦٤- باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع ٦١، حديث (٤٣٥٢).

شرعية كالإحرام بالصلاة وكأن يعد الصوم إحراما؛ لدخول الصائم في حرمة تمنعه من ارتكاب المحرمات كما تمنعه من بعض المباحات كالأكل والشرب والجماع. وعليه فالإحرام هو دخول في حرمة شرعية لوقت معلوم، ولعل هذا هو الفرق بين المحرم والتحريم وبين أحرم ومحرم، فالمحرم بالحج يحرم عليه لبس المخيط والنكاح والصيد والطيب فترة الإحرام ثم يحل له بعض ماكان محرما عليه، وكذلك المصلي يحرم بالصلاة فيحرم عليه الأكل والشرب والكلام والضحك إلى أن يسلم فيحل له كل ذلك، وكذلك الصائم الذي يمتنع عن الأكل والشرب والجماع.. إلى وقت الإفطار، وذلك بالنسبة للمباحات.

أما المحرمات فهي محرمة بشرع الله دائمة الحرمة مدة حياة الإنسان فلم أجد السياقات تستعمل لفظ إحرام أو محرم فيها بل تستعمل لفظ حرمة وحرام، من ذلك ماروى ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ بمنى: (**أتدرون أي يوم هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **فإن هذا يوم حرام أفتدرون أي بلد هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: بلد حرام. **أتدرون أي شهر هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **شهر حرام.** قال: **فإنَّ الله حَرَّم عليكم دماءَكم وأمَوالكم وأعَراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**)[1].

ومن الحرمة الدائمة حرمة المسلم على أخيه المسلم، ومن ذلك ماحدث به بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يانبي الله ماأتيتك حتى حلفت أكثر من عددهن لأصابع يديه ألا آتيك ولا آتي دينك وإني كنت امرأ لاأعقل شيئا إلا ماعلمني الله ورسوله، وإني أسألك بوجه الله عز وجل بما بعثك ربك إلينا قال: **بالإسلام** قال: قلت وما آيات الإسلام؟ قال: أن تقول: **أسلمت وجهي إلى الله عز وجل وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة.كُل مُسْلِم على مسلم محرم،أخوان نَصيرانِ،لايقبل اللهُ عزَّ وَجلَّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعدما أَسْلمَ عملا،أو يفارق المشركين إلى المسلمين**)[2].

وقد وجدت لفظ حرام مستعملا بدل إحرام ومن ذلك قوله ﷺ: (**لاتلبسوا**

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب ٧٨- باب قول الله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم..﴾ الآية. رقم الباب ٤٣. حديث (٦٠٤٣).

(٢) سنن النسائي: كتاب الزكاة، ٢٣- من سأل بوجه الله عز وجل ٧٣، حديث (٢٥٦٨).

القُمص ولا السَراويلات ولا البَرانِس ولا العَمائم ولا الخفاف إلا أن يكون أحد ليست له نعلان فليلبس الخُفين وليُقْطَعْهُما ماأسفل من الكَعْبين ولا تلبسوا شيئا من الثياب مَسّهُ الزعفران ولا الوَرس ولا تَتنقّبُ المرأةُ الحرَامُ ولا تَلبس القُفازَين)[1].

والمرأة الحرام أي المحرمة، لذا يبدو لي أن التعبير عن الحرمة الدائمة يكون بلفظ حرام ومحرم، وهذا هو الأَصل فيه، وقد يعبر عنها بلفظ إحرام ومحرم أحيانا أما التعبير عن الحرمة المؤقتة أو المحددة بزمن معين فيكون بلفظ أحرم وإحرام كالإحرام بالحج أو الإحرام بالصلاة، ومن هنا يمكنني القول بأن لفظ إحرام اتسع مدلوله في الحديث وأصبح يدل على الدخول في التحريم أو الدخول في حرمة معينة، لكن مصاحبته للفظي الحج والعمرة وارتباطه بهما في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية واعتباره أحد أركانهما هو الذي جعله يتخصص في الدلالة على الإهلال بالحج والعمرة، كما أن تخصيص القرآن للفظ في الدلالة على الإحرام بالحج والعمرة من الأسباب المهمة التي جعلته يكتسب هذا التخصيص في الاستعمال، كما أن الأحاديث التي جاء فيها دالا على هذا المعنى يفوق عددها عدد الأحاديث التي جاء فيها دالا على الدخول في حرمة ما. لذا فإنه يمكن القول بأن المصاحبة والاستعمال من العوامل المهمة التي تساعد على ثبات مدلول معين للفظ فإذا أطلق لاتتبادر للذهن إلا تلك الدلالة التي شاعت بالاستعمال والمصاحبة.

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الحج ٧- باب ماجاء فيما لايجوز للمحرم لبسه ١٨، حديث (٨٣٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

الإهلال

أصل الإهلال في اللغة رفع الصوت، ومنه استهلال المولود: تصويته عند ولادته، وأهل الهلال: إذا طلع. وَهلَّ السحاب بالمطر هلا وانهل بالمطر انهلالا واستهل: هو شدة انصبابه[1].

ومعنى يستهل يسيل، ومنه قول زهير[2]:

كَأنَّ عَليهُم بِجُنُوب عِسْرٍ غَمَاماً يَسْتَهِلُّ ويَسْتَطِيرُ

ومعنى يستهل: يسيل. ويستطير: بالبرق إذا اتسع وطال وامتد، وقد شبه انصباب الدماء بالمطر وبريق السيوف بالبرق والمعنى يقع بهم كوقوع المطر.

قال عروة بن الورد[3]:

إِذَا قُلْتُ اسْتَهَلَّ عَلى قُدَيْدٍ يَحُورُ رَبَابُهُ حَوْرَ الكَسِيرِ

استهل: أي صب. قديد: من مكة على مرحلتين. والرباب: السحاب. حور الكسير: أي رجوع البطيء في المضي.

تستهل: تعطي وتغدق. قال تأبط شرا[4]:

وَجَدْتُ ابنَ كُرْزٍ تَسْتَهِلُّ يَمِيْنُهُ وَيُطْلِقُ أغْلالَ الأَسِيْرِ الْمُكَبَّلِ

(١) اللسان: جـ ٦، ص ٤٦٨٨، ٤٦٨٩.

(٢) شرح ديوان زهير، ص ٣٣٨.

(٣) ديوان عروة بن الورد، ص ٤٢.

(٤) ديوان تأبط شرا: ص ١٧٢.

أهلوا: بمعنى رأوا هلالا. قال عمرو بن قميئة[1]:

وَوَجْـــهٌ يَحَـــارُ لَـــهُ النَّـــاظِرُوْنَ   يَخَـــالُونَهُمْ قَـــدْ أَهَلُّـــوْا هِـــلاَلاَ

أي: كأنهم قد رأوا برؤية وجهها هلالا.

وسمي الهلال هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه.

وأَهَلَّ أيضا رفع الصوت بالدعاء. قال النابغة يصف المتجردة زوجة النعمان ويشبهها بالدرة في صفائها ورقة بشرتها[2]:

أَوْ دُرَّةٍ صَدَفِيَّـــةٍ غَوَّاصُهَـــا   بَهِـجٌ مَتَـى يَرَهَـا يُهِـلُّ وَيَسْـجُدُ

يعني بإهلاله رفعه صوته بالدعاء والحمد إذا رآها.

والإهلال في العمرة رفع الصوت بالتلبية والدعاء، قال مالك بن نويرة[3]:

يُهِلُّـــوْنَ عُمَّـــاراً إِذَا مَـــاتَغَوَّرُوا   وَلاقَـــوْا قُرَيْشَـــاً خَبَّرُوْهَـــا فَـــأَنْجَدُوا

أما في القرآن الكريم فقـد ورد اللفـظ في أربـع آيـات وكلهـا بمعنـى أهـلَّ بالذبيحـة

---

(١) ديوان عمرو بن قميئة، حققه وشرحه وعلق عليه حسن كامل الصيرفي، مجلة معهـد المخطوطـات العربيـة، جامعـة الدول العربية، المجلد الحادي عشر، ١٩٦٥م، ص ١١٤.

عمرو بن قميئة: بن سعد بن مالك، وقيل هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك، ويكنى أبا كعب، وهو قديم جاهلي عمَّر حتى جاوز التسعين، صحب امرأ القيس بن حجر إلى قيصر فمات في سـفره ذلـك، فسـمته بكر عمراً الضائع.

الشعر والشعراء: ٣٨٣. والمؤتلف والمختلف: ١٦٨. ومعجم الشعراء: ٢٠٠.

(٢) ديوان النابغة: ص ٩٢.

(٣) الأصمعيات: ص ١٩٢.

مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد بن زيد مناة بن تميم، يكنى أبا حنظلة، يلقب الجَفُول، وهو شـاعر شـريف أحد فرسان بني يربوع ابـن حنظلـة ورجـالهم المعدوديـن في الجاهليـة، وكـان مـن أرداف الملـوك. وكـان النبي ﷺ استعمله على صدقات قومه، فلما بلغه وفاة رسول الله ﷺ أمسك الصدقة وفرقهـا في قومـه، وجفـل إبـل الصدقـة فسمي الجَفُول، وقتله ضرار الأسدي بأمر خالد بن الوليد صبراً.

الشعر والشعراء: ٣٤٤. ومعجم الشعراء: ٣٨٤. والمؤتلف والمختلف: ١٩٤.

لِمُعَظَّم يعبده: يذكر اسمه عند الذبح ويقصده بها، وكان من عادة العرب أن يصيحوا باسم المقصود بالذبيحة من أصنامهم عند ذبحها فيقول العربي: باسم اللات، أو باسم العزى، ونحو ذلك، ويهتف بذلك، فذلك الإهلال بالذبيحة لغير الله[1].

قال تعالى[2]: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾

أي حرم عليهم ماأهل به لغير الله وهو ماذبح على غير اسمه تعالى من الأنصاب والأنداد والأزلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له[3].

ومن اللغويين من يجعل الأصل في المادة الهلال وهو القمر في الليلتين الأولى والثانية من بدء الشهر القمري، وقيل: هو القمر في الليالي الثلاث الأول، وسُمي هلالا لإهلال الناس بالإخبار عنه ورفع أصواتهم بذلك ويكون الإهلال في رفع الصوت منه[4].

ويجمع الهلال على الأهلة، قال تعالى[5]: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ أي جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعدة نسائهم ومحل دينهم)[6].

أما في الحديث النبوي فقد صاحب لفظ الإهلال لفظي الحج والعمرة في معظم السياقات، وتخصص معناه في الإحرام بالحج أو العمرة أو التلبية والدعاء، من ذلك ماروي عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **يُهِلُّ أهل المدينة من ذي الحليفة، وأهل الشام من الجحفة، وأهل نجد من قَرْن**، قال عبدالله: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال: **ويهل أهل اليمن من يلملم**[7].

ومعنى يهل أهل المدينة من ذي الحليفة، يهل من أهل أي: يحرم، وهو خبر بمعنى

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٠٢.

(٢) سورة البقرة: ١٧٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج١، ص ٢٠٥.

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٠٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ١، ص ٢٢٥.

(٧) صحيح البخاري: كتاب الحج ٢٥- باب ميقات أهل المدينة ٨، حديث (١٥٢٥).
وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب مواقيت الحج والعمرة ٢، حديث (١١٨٢).

الأمر، فإن خبر الشارع آكد في الطلب من الأمر، والمراد أنه لايؤخر عـن ذي الحليفـة وإلا فالتقديم عند الجمهور جائز[١].

ومن القرائن التي تؤكد دلالته على الإحرام ماذكر عن ابن عباس أن رسـول ا لله ﷺ أهل في دبر الصلاة، وكذلك ماأخبر به أنس رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ صلى الظهر بالبيداء ثم ركب وصعد جبل البيداء وأهل بالحج والعمرة حين صلى الظهر)[٢].

ومعنى في دبر الصلاة أي ركعتي الإحرام، قال الـترمذي: وهـو الـذي يسـتحبه أهـل العلم، قلت: فإنهم حملوا اختلاف الصحابة في موضع الإحرام على الاختلاف بحسب العلم بأن الناس لكثرتهم ماتيسر لكلهم الاطلاع على تمام الحال، فبعضهم اطلعوا على تلبيته دبـر الصلاة، وبعضهم على تلبيته عند استواء الراحلة علـى البيـداء فزعـم أن ماسمعـه أول تلبيتـه وأنه صلى ا لله تعالى عليه وسلم أحرم بها، فنقل الأمر على وفق ذلك وكان الأمر أنه أحرم بعد الفراغ من الصلاة في مسجد ذي الحليفة[٣].

وصاحب لفظ الإهلال لفظي الحج والعمرة دالا على الإحـرام بـالحج أو بـالعمرة أو بهما معا.

وقد ظهرت هذه المصاحبة في سياقات كثيرة منها ماروي عن عائشة رضي ا لله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول ا لله ﷺ موافقين لهلال ذي الحجة فقال لنا: **من أحب منكم أن يهل بالحج فليهل ومن أحب أن يهل بعمرة فليهل بعمرة فلولا أني أهديت لأهللت بعمرة**، قلت: فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج..الحديث)[٤].

والإهلال بالحج هو الإظْهار لإيجابه بالتلبية، ومنه يقال: أهل الصبي واستهل[٥].

ومن الإهلال المُهِلّ بضم الميم: موضع الإهلال وهو الميقات الذي يحرمون منه، ويقـع على الزمان والمصدر[٦].

---

(١) سنن النسائي: جـ٥، ص ١٢٢.

(٢) المرجع السابق: جـ ٥، ص ١٦٢.

(٣) سنن النسائي: جـ٥، ص ١٦٣.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العمرة، ٢٦- باب العمرة ليلة الحصبة وغيرها ٥، حديث (١٧٨٣).

(٥) غريب الحديث: ابن قتيبة، جـ ١، ص ٤٠.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ ٥، ص ٢٧١.

وقد روي عن جابر بن عبدا لله رضي ا لله عنهما أنه سأل النبي ﷺ عن المُهَلِّ، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: **مُهَلُّ أهلِ المدينة مِنْ ذي الحُلَيفَةِ والطريق الآخر الجُحْفَة، وَمُهَلُّ أهل العراق من ذَاتِ عِرْقٍ، ومُهَلُّ أَهْلِ نجد من قرن، ومهل أهل اليمن من يَلَمْلَم**)[1].

والإهلال: رفع الصوت بالتلبية، فعن خلاد بن السائب عن أبيه أن النبي ﷺ قال: (**أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال**)[2].

والإهلال هنا رفع الصوت بالتلبية، يقال: أهل المحرم بالحج يهل إهلالا:إذا لبى ورفع صوته[3]. والأمر هنا أمر ندب عند الجمهور، وفي قوله ﷺ: (أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال) إظهارٌ لشعار الإحرام وتعليمٌ للجاهل مايستحب له في ذلك المقام[4].

ووردت عن رسول ا لله ﷺ كيفية التلبية، فعن ابن عمر قال: سمعت رسول ا لله ﷺ يهل يقول: (**لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك**)[5].

يظهر من دراسة لفظ (إهلال) أن اللفظ كان يحمل دلالة عامة إذ إن أصل الإهلال في اللغة رفع الصوت، فكل رافع صوته مهل، يقول الأصفهاني: الإهلال رفع الصوت عند رؤية الهلال، ثم استعمل لكل صوت، وبه شبه إهلال الصبي[6]، ومنه استهلَّ المولود: أي

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب مواقيت الحج والعمرة ٢، حديث ١٨ (١١٨٣).

(٢) سنن أبي داود: كتاب المناسك ٥- باب كيفية التلبية ٢٧، حديث (١٨١٤).

وسنن الترمذي: كتاب الحج ٧- باب ماجاء في رفع الصوت بالتلبية ١٥، حديث (٨٢٩).

وسنن النسائي:كتاب المناسك ٢٤- رفع الصوت بالإهلال ٥٥. حديث (٢٧٥٣).

وسنن ابن ماجة: كتاب المناسك ٢٥- باب رفع الصوت بالتلبية ١٦، حديث (٢٩٢٢) جاء في بعض الروايات: أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال، وفي بعضها بالتلبية، وعند الترمذي: بالإهلال والتلبية. قال الترمذي، (حديث حسن صحيح).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ ٥، ص ٢٧١.

(٤) سنن النسائي بشرح السيوطي: جـ ٥، ص ١٦٢.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الحج ٢٥- باب التلبية ٢٦، حديث (١٥٤٩).

وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب التلبية وصفتها ووقتها ٣، حديث (١١٨٤).

(٦) المفردات: ٥٤٤.

صاح وأهل فلان: رفع صوته وصاح.

وورد في القرآن أهل الذابح بالضحية أي رفع صوته ذاكرا اسم من تقدم له الضحية قربانا.

أما في الحديث النبوي فيكتسب اللفظ دلالة إسلامية ويتخصص في الإهلال بالحج والعمرة، ويصاحبهما في السياقات المختلفة، فيدل على الإحرام بالحج والعمرة وتحديد النسك المراد كما دل في بعض السياقات على رفع الصوت بالتلبية للحاج والمعتمر.

وهذا يعني أن لفظ الإهلال انتقل بالتخصيص من دلالته اللغوية العامة إلى دلالة إسلامية خاصة ارتبطت في جميع السياقات بالحج والعمرة، فأصبح لفظاً إسلامياً يدلُّ إذا أطلق على الإحرام ورفع الصوت بالتلبية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أهل وأحرم يمكن أن يحل كل لفظ منهما محل الآخر في بعض السياقات، وهذا دليل على اشتراكهما في الدلالة على معنى واحد، ومما يدل على ذلك مارواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أهل النبي ﷺ حين استوت به راحلته قائمة)[1].

ومما رواه نافع رضي الله عنه قال: (كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أراد الخروج إلى مكة ادَّهن بدهن ليس له رائحة طيبة ثم يأتي مسجد ذي الحليفة فيصلي ثم يركب، وإذا استوت به راحلته قائمة أحرم ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل)[2].

ومما يدل على اشتراكها في المعنى أيضا أن يسمى المكان الذي يهل الحاج منه بالمحرم كما سمي بالمُهَلِّ في الأحاديث التي سبق ذكرها من ذلك مارواه نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا صلى الغداة بذي الحليفة أمر براحلته فرحلت ثم ركب فإذا استوت به استقبل القبلة قائما ثم يلبي حتى يبلغ المحرم، ثم يمسك، حتى إذا جاء ذا طوى بات به حتى يصبح، فإذا صلى الغداة اغتسل وزعم أن رسول الله ﷺ فعل ذلك)[3].

ومعنى المحْرَم: أي المكان الذي يحرم منه أو مايسمى بالمهل أو الميقات.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الحج، ٢٥- باب من أهل حين استوت به راحلته قائمة ٢٨، حديث (١٥٥٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الحج، ٢٥- باب الإهلال مستقبل القبلة ٢٩، حديث (١٥٥٤).

(٣) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين، حديث (١٥٥٣).

فالإهلال والإحرام يشتركان في جزء من الدلالة وهو التأكيد على عقد النية وتعيين النسك والتلفظ بذلك، ولكن الإحرام يتضمن أفعالا تأتي قبل تحديد النسك كخلع المخيط والتطهر وغير ذلك من الأفعال التي لايعبر عنها لفظ الإهلال، ويدلنا على ذلك أن بعض السياقات لايمكن استخدام لفظ إهلال فيها بدلا من لفظ إحرام، من ذلك مارواه عطاء قال: قال جابر رضي ا لله عنه أمر النبي ﷺ عليا رضي ا لله عنه أن يقيم على إحرامه)[١].

وكذلك ماروي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: **بما أهللت ياعلي**، قال بما أهلَّ به النبي ﷺ، قال: **فأهد وامكث حراماً كما أنت**)[٢].

ففي قول النبي ﷺ وفي قول جابر رضي ا لله عنه لايصلح إحلال لفظ إهلال محل لفظ إحرام، حيث أمر النبي ﷺ عليا أن يظل على إحرامه وأنه لايجوز له التحلل من إحرامه بلبس المخيط أو الصيد أو الجماع أو غير ذلك مما يحرم على المحرم.

وبهذا يمكن القول بأن هناك فروقاً دقيقة بين هذه الألفاظ في الدلالة، فالإهلال: إحرام؛ لأن به تنعقد نية الإحرام ويتحدد النسك ويسمى المسلم بعد ذلك محرما أي بعد أن أهل بالحج أو العمرة وباشر أسبابها من خلع المخيط واجتناب الأشياء التي منعه الشارع منها كالطيب والصيد والنكاح.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج ٢٥- باب من أهل في زمن النبي ﷺ كإهلال النبي ﷺ ٣٢، حديث (١٥٥٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج ٢٥- باب من أهل في زمن النبي ﷺ كإهلال النبي ﷺ ٣٢، عقب حديث (١٥٥٨).

التلبية

وأصل التلبية الإقامة بالمكان، يقال: أَلْبَبْت بالمكان ولَبَّبت، لغتان إذا أقمت به، قال: ثم قلبوا الباء الثانية إلى الياء استثقالا، كما قالوا: تظنيت، وإنما أصلها تظننت[1].

ولب بالمكان لبًّا: أقام به ولزمه، وألبَّ على الأمر: لزمه فلم يفارقه.. قال المضرب بن كعب[2]:

فَقُلْتُ لَهَا فَيْئِي إِلَيْكِ فَإِنَّنِي حَرَامٌ وَإِنِّي بَعْدَ ذَاْكَ لَبِيْبُ

أي مع ذاك مقيم، وقال بعضهم: أراد ملب من التلبية[3].

ولبى بمعنى أجاب، قال عنترة العبسي[4]:

وَمَا لَبَّيْتُهُ إِلاَّ وَسَيْفِيْ وَرُمْحِيْ فِي الوَغَى فَرَسَا رِهَانَ

---

(١) الصحاح: الجوهري، جـ ٦، ص ٢٤٧٩؟

(٢) اللسان: جـ ٥، ص ٣٩٧٩، ٣٩٨٠.

المضرّب المزني: واسمه عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، سمِّي المضرّب لأن بني الجليح من بني عبدا لله بن غطفان اجتمعوا عليه وضربوه بالسيوف، فقيل له المضرّب، فقال يهجو الجليح:

شربتكم يا ابن الجليح كأنما شريت فلم أغبن بكم بيع تاجر
فلم تفعلوا فعل الرجال أولي النهى و لم تفعلوا فعل النساء الحرائر

المؤتلف والمختلف: ص ١٨٢.

(٣) الصحاح: جـ١، ص ٢١٧.

(٤) شعراء النصرانية: جـ٦، ص ٨٧٧.

وقال أيضا[1]:

وصــــاحبٍ ناديتُــــهُ فَغَمْغَمَــــا   يُرِيْــــدُ لَبَّيْــــكَ وَمَــــا تَكَلَّمَــــا

قَدْ صَاْرَ مِنْ خَوْفِ الكَلامِ أَعْجَمَا

والملبي هو المجيب، قال البراق[2]:

أَأَتْــرُكُ مَــــنْ لايَــتْرُكُ الدَّهْــرَ طَــاعَتِيْ   مُلَــــبٌّ لِمَــــا أَدْعُــوْ بِكُــلِّ لِسَــاْنِ

والتلبية هي إجابة لدعوة ا لله الناس إلى الحج التي أمر ا لله إبراهيم أن ينادي بها في الناس، فقد روي عن ابن عباس رضي ا لله عنه أنه قال لعامر بن وائلة: أتدري ماكان أصل التلبية؟ قلت: لا، قال: لما أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج خفضت الجبال رءوسها، ورفعت له القرى فنادى في الناس بالحج فأجابه كل شيء لبيك.. لبيك[3].

فالتلبية إذن ليست من الشعائر التي اختصت بها أمة محمد ﷺ، فعن ابن عباس قال: سرنا مع رسول ا لله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد. فقال: **أيُّ واد هذا؟** قالوا: وادي الأزرق، قال: (**كأني أنظر إلى موسى ﷺ واضعا إصبعيه في أذنيه، له جؤار إلى ا لله بالتلبية مارا بهذا الوادي**). قال: ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال: **أي ثنية هذه؟** قالوا: ثنية هَرْش أو لَفْتٍ: قال: (**كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف وخطام ناقته جُلْبَةٌ مارا بهذا الوادي ملبيا**)[4].

وكانت التلبية في أول أمرها توحيدا لله وإجابة لدعوته، ولكن الوثنية انحرفت بها عن هذه الغاية فأشركت مع إجابة ا لله إجابة الأصنام والآلهة، وكان العرب لايبدءون رحلة الحج إلا من عند أصنامهم، فكانوا إذا أرادوا الحج وقفت كل قبيلة عند صنمها

---

(١) ديوان عنترة: ص ٣٣٩.

(٢) شعراء النصرانية: جـ٢، ص ١٤٦.

البراق: لم أعثر على ترجمته.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١٢، ص ٣٨.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ١- باب الإسراء برسول ا لله ﷺ ٧٤، حديث ٢٦٩ (١٦٦).

وصلوا عنده ثم لبوا حتى يقدموا مكة.

ويقول قطرب عن الجاهليين: كانوا يحجون ويلبون في حجهم في الجاهلية، **كانت تلبية قريش**[1]:

لبيك اللهم لبَّيكْ

لبيك لاشَريكَ لكْ

إلا شَريكٌ هو لَكْ

تملكه وما ملَكْ

أَبو بَناتٍ في فَدكْ.

وكانت تلبية ثقيف هي[2]:

لبيك اللهم لبيك

هذي ثقيف قد أتوكا

وخَلَّفوا أَوْثانَهم وعظَّمُوكا

قَد عظَّمُوا المال وقد رَجَوكَا

عُزَّاهم واللاتُ في يديْكا

دانت لك الأصنام تعظيما إليك

قد أَذْعَنت بسِلْمِها إليكَ

فاغْفرْ لها فطَالما غفرْت.

وكانت تلبية بني أسد[3]:

لبَّيك اللَّهم لبَّيكْ

ربَّنا أقْبلَتْ بَنُو أسدْ

---

(١) الأزمنة وتلبية الجاهلية، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) المرجع السابق: ص ١١٧.

(٣) الأزمنة وتلبية الجاهلية: ص ١١٩.

أَهْلُ الوفاءِ والنَّوالِ والجَلَدْ

فِينا النَّدى الدّري والعَدَدْ

ذو المال والبنون فِينا والوَلَدْ

الواحِدُ القهّار والرَّبُ الصَّمَدْ

لانعْبدُ الأصنامَ حتى تَجْتَهِدْ

لربِّها وتَعْتَبِدْ

لحجه لها الدماء، وحجها حتى ترد.

هذه تلبيات بعض القبائل في الجاهلية، وهي تلبيات شركية جمعت فيها القبائل بين عبادة الله وعبادة أصنامها، ولم يرد لفظ لبى أو تلبية في القرآن الكريم؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا في كتابه العزيز عن فرض الحج على المسلم وبين لنا بعضاً من شعائره وآدابه وأتمت السنة النبوية بقية الشعائر، ومنها التلبية حيث بينت الأحاديث حكمها والمواقف التي ينبغي على المسلم أن يلبي فيها، وأنكرت تلبية المشركين؛ لأنها كانت معبرة عن شركهم وعقيدتهم الفاسدة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يقولون: لبيك لاشريك لك، قال: فيقول رسول الله ﷺ (**ويلكم قَدْ قَدْ**) فيقولون: إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك) يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت)[1].

وقوله ﷺ (قَدٍ قَدٍ) بإسكان وكسر مع التنوين معناه كفاكم هذا الكلام فاقتصروا ولا تزيدوا عليه.. أي اقتصروا على قولكم لبيك لاشريك لك[2].

أما مايقال في التلبية في الإسلام فقد علمنا إياه رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة منها ماروى نافع عن عبدالله بن عمر أن تلبية رسول الله ﷺ (**لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك**). قال: وكان عبدالله بن عمر يزيد فيها تلبية: لبيك لبيك، لبيك وسعديك، والخير بيديك، لبيك والرغباء إليك

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب التلبية وصفتها ووقتها ٣، حديث (١١٨٥).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: جـ ٨، ص ٩٠.

والعمل)[1].

ومعنى لبيك: أي أنا مقيم عند طاعتك وعلى أمرك، وإنما ثنوه لأنهم أرادوا به إقامة بعد إقامة، وطاعة مع طاعة كما قالوا: حنانيك ربنا أي هب لنا رحمة بعد رحمة أو رحمة مع رحمة[2].

والتلبية من لبيك كالتهليل من لا إله إلا ا لله، وقيل معناه: اتجاهي وقصدي يارب إليك، من قولهم: داري تلب دارك: أي تواجهها.

وقيل معناه: إخلاصي ومحبتي لك، من قولهم: حب لباب، إذا كان خالصا محضا ومنه لب الطعام ولبابه[3].

وقد أمر ا لله سبحانه على لسان رسوله ﷺ بالتلبية كما أمرهم برفع الصوت بها، فعن خلاد بن السائب بن خلاد عن أبيه قال: قال رسول ا لله ﷺ **(أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتلبية)**[4].

وتحدث الصحابة عن المواقف التي لبى فيها رسول ا لله ﷺ من ذلك ماروي عن ابن عباس عن الفضل بن عباس أن رسول ا لله ﷺ لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة[5].

وعن عبدا لله بن عمر قال: (غدونا مع رسول ا لله ﷺ من منى إلى عرفات منا الملبي، ومنا المكبر)[6].

وورد في السنة التعبير عن التلبية بلفظ (الإهلال) فعن عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما أن رسول ا لله ﷺ كان إذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب التلبية وصفتها ووقتها ٣، حديث (١١٨٤).

(٢) غريب الحديث: ابن قتيبة، ص ٤١-٤٢.

(٣) النهاية: ابن الأثير: جـ ٤، ص ٢٢٢.

(٤) سنن الترمذي: حديث (٨٢٩) وتقدم تخريجه ص ٢٧٠ حاشية (١).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الحج، ٢٥- باب التلبية والتكبير غداة النحر حين يرمي الجمرة، ١٠١، حديث (١٦٨٥).

وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر ٤٥، حديث ٢٦٧ (١٢٨١).

(٦) صحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب التلبية والتكبير في الذهاب من منى إلى عرفات في يوم عرفة ٤٦، حديث (١٢٨٤).

فقال: (**لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك**)، قالوا: وكان عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما يقول هذه تلبية رسول ا لله ﷺ.[(١)]

فللتلبية في الحديث النبوي إذاً ألفاظ معينة علمنا إياها الرسول ﷺ وأبطل ماكان يردده الجاهلي من تلبيات شركية، ثم علم أصحابه ﷺ بالدرس العملي في حجة الوداع وفي العمرة كيفية التلبية والمواقف التي ينبغي للمسلم أن يلبي فيها كما وجههم ﷺ إلى رفع أصواتهم بالتلبية وبين عظم أجر التلبية عند ا لله سبحانه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن لفظ التلبية بهذا المفهوم الإسلامي لم يرد في لغة الشعر الجاهلي، وكل ماوجدته هو تلبيات شركية لعدد من القبائل، وأن العبارات التي جاءت بها وإن كانت تحمل معنى الإجابة أي أن الدلالة المعجمية واحدة لكن المعاني المحيطة باللفظ والصور الذهنية المصاحبة له وما يحمله القلب من نية خالصة وحسن توجه لله ورغبة في طاعته ورهبة وتذلل، كل هذا يجعلنا نقول إن التلبية بما حملته في سياقات الحديث من وجوب اليقين با لله والإذعان لأمره والخضوع له سبحانه والالتزام بسنة النبي ﷺ في ذلك قولا وعملا تعد لفظا جديدا يرسم للمسلم الصورة الحقيقية التي ينبغي أن يكون عليها في الحج والعمرة من الاستجابة لله وحده ولزوم طاعته سبحانه، والتذلل بهذه العبادة التي فرضها عليه، فإذا كانت شعيرة التلبية معروفة عند الجاهلي فهي شركية مشوهة وما تحمله من المعاني الثانوية بعيدة عن إخلاص العبادة لله والخشوع والخضوع التام له سبحانه والالتزام بسنة النبي ﷺ في ذلك قولا وعملا.

وقد أضافت لنا الأحاديث التعبير عن التلبية بالإهلال، بل إن الكلمتين تتبادلان في السياق الواحد أو تجتمعان وذلك باختلاف الرواية، وفي هذا دلالة على أنهما يحملان المعنى نفسه أو يشتركان في قدر كبير من الدلالة، ونلحظ ذلك بوضوح في الحديث التالي:

عن خلاد بن السائب عن أبيه أن النبي ﷺ قال: (**أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال**)[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج، ١٥- باب التلبية وصفتها ووقتها ٣، حديث ٢٠ (١١٨٤).

(٢) سنن ابن ماجة: حديث (٢٩٢٢) وتقدم تخريجه في ص ٢٧٠ حاشية (١).

وفي رواية: (**جاءني جبريل فقال لي يامحمد مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية**)[1].

وفي رواية أخرى: (**أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتلبية**)[2].

أما القدر المشترك في الدلالة -في اعتقادي- فهو الإجابة والطاعة وهي دلالة يحملها لفظ (لبيك) وهو لفظ مشترك بين الإهلال والتلبية.

فالمسلم عند إهلاله يقول لبيك بحج أو لبيك بعمرة، أو لبيك بحج وعمرة، رُوي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (قدمنا مع رسول الله ﷺ ونحن نقول: لبيك اللهم لبيك بالحج، فأمرنا رسول الله ﷺ فجعلناها عمرة)[3].

ومع ذلك فإنه لايمكن القول بالترادف بينهما لأن شرط الترادف أن الكلمتين يمكن أن تحل كل منهما محل الأخرى في جميع السياقات ولكن هناك بعض السياقات، لايمكن أن يحل فيها لفظ التلبية محل لفظ الإهلال، من ذلك ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن متعة الحج فقال: أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ **اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة..الحديث**)[4].

وبهذا يمكن القول بأن التلبية والإهلال لفظان إسلاميان يحملان معنى الإجابة والطاعة، والتلبية أعم من الإهلال؛ لأن الإهلال خصصت بعض السياقات استعماله في الدلالة على تحديد النسك.

وبهذا يكون لفظ الإهلال مشتركا مع لفظ الإحرام في الدلالة على عقد النية وتحديد النسك، ويشترك مع لفظ التلبية في دلالته على رفع الصوت بالتلبية، ويبقى لكل لفظ من هذه الألفاظ الثلاثة قدرٌ من الدلالة لايمكن أن يعبر عنه اللفظ الآخر، ويبقى لكل منهم استعمال خاص به وسياقات لايمكن أن يحل فيها لفظ محل الآخر، فلا ترادف بين هذه الألفاظ.

---

(١) سنن النسائي: حديث (٢٧٥٣).

(٢) سنن الترمذي: حديث (٨٢٩).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الحج ٢٥- باب من لبى بالحج وسماه، ٣٥، حديث (١٥٧٠).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الحج ٢٥- باب قول الله تعالى (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) ٣٧، حديث (١٥٧٢).

السعي

السَّعي: بفتح أوله وسكون ثانيه، مصدر سعى ومعناه العمل؛ وقد ورد في الشعر الجاهلي بمعنى العمل طلبا للكسب أو الرزق.

قال امرؤ القيس(١):

فَلَوْ أَنَّ مَاأَسْعَى لأَدْنَى مَعِيْشَةٍ ... كَفَانِيْ -وَلَمْ أَطْلُبْ- قليلٌ مِن المَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المؤَثَّلَ أَمْثَالِيْ

أي: لو كان سعي لأقرب معيشة وأدناها لكفاني قليل من المال و لم أطلب الملك، والسعي المشي والمضي في الدنيا. قال المرقش الأكبر(٢):

بَيْنَا الفَتَى يَسْعَىْ وَيَسْعَىْ لَهُ ... تَاْح لَهُ مِنْ أَمْرِه خَالِجُ

أي: بينما يمضي الفتى في الدنيا ويسعى فيها يعرض له عارض من موت يجذبه إليه فيذهب به.

والسعي: يضم كل عمل من خير أو شر. قال أوس(٣):

فَأَبْرَحْتَ فِي كُلِّ خَيْرٍ فَمَا ... يُعَاشِرُ سَعْيَكَ مِنْ طَالِبِ

أبرح: زاد وتفوق. يعاشر: يصاحب ويقارب. أي تفوقت في فعل الخير، حتى أن أحدا لايقارب سعيك فيه.

---

(١) ديوان امرئ القيس، ص ٣٩.

(٢) المفضليات، ص ٤٣٠.

(٣) ديوان أوس بن حجر، ص ١٢.

وسعى بين الناس: أصلح ذات بينهم. قال زهير[1]:

سَعَى سَاعِيا غَيْظُ بن مُرَّة بعدَمَا ... تَبَزَّل مَا بَيْنَ العَشِيْرَةِ بالدَّمِ

أي سعيا في الصلح وجمع ماتحملا من ديات القتلى.

وجاء السعي بمعنى السعاية بالسوء، أي القيام بالوشاية أو السعي بالنميمة، قال حاجب بن حبيب بن خالد[2]:

وَقَدْ سَعَى بَيْنَنَا الوَاشُوْنَ واخْتَلَفُوا ... حَتَّى تَجنَّبْتُهَا مِنْ غَيْرِ هِجْرَانِ

وسعى: اجتهد في طلب الثأر. قال الأعشى[3]:

قَدْ كَانَ فِيْ أَهْلِ كَهْفٍ إنْ هُمُوْا قَعَدُوْا ... وَالجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى وَيَنْتَضِلُ

يقول: إن قعد أهل كهف (وهم من بني سعد بن مالك) فلم يطلبوا ثأرهم فقد كان فيهم من يسعى وينتضل. والجاشرية: إمرأة من إياد وقيل هي بنت كعب بن أمامة، يقول: قد كان لهم من يسعى لهم فما دخولك بينهم ولست منهم.

والسعي في القرآن جاء بمعنى المشي السريع، واستعمل للجدّ في الأمر خيرا كان أو شرا[4]. قال تعالى[5]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ... ﴾. فاسعوا: أي امشوا وسيروا.

يقول صاحب الكليات: والمشي جنس الحركة المخصوصة. وإذا اشتد فهو سعي. وإذا زاد فهو عدو، قال عز وجل[6]: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ ﴾. أي مجتهدين

(١) شرح ديوان زهير، ص ١٤.

(٢) الأصمعيات، ص ٢٢١.

حاجب بن حبيب بن خالد: لم أعثر على ترجمته.

(٣) ديوان الأعشى الكبير: ص ٦١.

(٤) البصائر: جـ ٣، ص ٢٢٢.

(٥) سورة الجمعة: الآية ٩.

(٦) سورة سبأ: الآية ٣٨.

في إظهار العجز[1].

وسعى عمل خيرا. قال تعالى[2]: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾. فلا كفران لسعيه: أي عمله.

والسعي إذا كان بمعنى المضي والجري يتعدى بـ (إلى) نحو[3]: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. وإذا كان بمعنى العمل يتعدى باللام كقوله تعالى[4]: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾

وأطلق السعي أيضا على عمل الشر قال تعالى[5]: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾

وذكر عودة لفظ (سعى) ضمن المصطلحات القرآنية التي درسها فقال: (إن السعي من المصطلحات العجيبة التي يقدمها القرآن الكريم، فعند قراءة الآيات الكريمة التي ذكر فيها السعي نجد أنها كلها تتضافر على تقديم معنى جديد للسعي، فإن السعي في القرآن الكريم يقصد به العمل الجاد الذي يصاحبه التفكير والتخطيط والتنظيم، ولا يتم إلا ببذل الجهد ومعاناة الأمر، فمن السهل أن نقول عمل الإنسان عملا ما، ولكن هذا لا يرادف قولنا سعى فلان في عمل ما، ولنقرأ آيات الله عز وجل[6]: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾

وسعي الآخرة يحتاج -من المسلم- إلى إرادة وعزيمة وثبات على الأمر حتى يكون من الفائزين، فالسعي هو العمل مع الجهد ومع التصميم؛ ولذلك سمي الله عز وجل الطواف حول الصفا والمروة سعيا؛ لما يبذله فيه الحاج من جهد وما يشعر فيه من تعب، خاصة إذا تذكرنا الساعية الأولى وهي السيدة هاجر زوج رسول الله إبراهيم عليه

(١) الكليات: ص ٣٧٧.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٤.
(٣) سورة الجمعة: الآية ٩.
(٤) سورة الإسراء آية ١٩.
(٥) سورة المائدة: الآية ٣٣.
(٦) سورة الإسراء: الآية ١٩.

السلام)[1].

فالقرآن إذاً لم يُسَمِّ السعي بين الصفا والمروة بهذا اللفظ، وإنما ورد ذلك في السنة النبوية وسماه القرآن طوافا، قال تعالى[2]: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

ومن معاني الطواف اللغوية التجول في أنحاء الشيء والإلمام به، ومن هنا سمي السعي بين الصفا والمروة في القرآن الكريم طوافا وليس سعيا[3].

وورد في الحديث النبوي هذا التعبير القرآني، فعن ابن عمر رضي ا لله عنهما أن رسول ا لله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول خب ثلاثا ومشى أربعا، وكان يسعى ببطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة، وكان ابن عمر يفعل ذلك[4].

ولكن معظم الأحاديث النبوية جاء التعبير فيها عن الدوران حول الكعبة بلفظ الطواف، وعن المرور بين الصفا والمروة بلفظ السعي، من ذلك ماروي عن عمرو بن دينار قال: سمعت ابن عمر رضي ا لله عنهما قال: قدم النبي ﷺ مكة فطاف بالبيت ثم صلى ركعتين ثم سعى بين الصفا والمروة ثم تلا[5]: ﴿**لقد كان لكم في رسول ا لله أسوة حسنة**﴾.

وعن عبدا لله بن أبي أوفى رضي ا لله عنهما قال: (كنا مع النبي ﷺ حين اعتمر فطاف فطفنا معه وصلى وصلينا معه وسعى بين الصفا والمروة فكنا نستره من أهل مكة

---

(١) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ص ٢٤٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٨.

(٣) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، ص ٢٤٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الحج ٢٥- باب من طاف بالبيت إذا قدم مكة قبل أن يرجع إلى بيته ثم صلى ركعتين، ثم خرج إلى الصفا ٦٣، حديث (١٦١٧).

وصحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة وفي الطواف الأول من الحج ٣٩، حديث (١٢٦١).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الحج ٢٥- باب ماجاء في السعي بين الصفا والمروة ٨٠، حديث (١٦٤٧).

لايصيبه أحد بشيء)[1].

ومع شيوع دلالة لفظ (سعي) في الحديث على السعي بين الصفا والمروة إلا أن اللفظ ورد دالا على معان أخرى منها الإسراع في المشي ورد فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**)[2]. وفي الحديث نهي عن الإسراع في المشي إلى الصلاة وحث على المشي إليها بسكينة ثم يتم الإنسان مافاته منها.

وورد السعي في الحديث ودل على العمل خيرا كان أو شرا، فمن السعي في عمل الخير ماوراه أبو هريرة عن النبي ﷺ (**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار**)[3].

ومن السعي في عمل الشر ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مر النبي ﷺ على قبرين فقال: (**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**)، ثم قال: (**بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لايستتر من بوله**)، قال: ثم أخذ عودا رطبا فكسره اثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال **لعله يخفف عنهما مالم ييبسا**)[4].

ومن هنا يتبين أن الحديث النبوي أضاف للفظ (السعي) الذي كان يحمل معنى عاما وهو العدو والإسراع في المشي معنى جديدا حيث أصبح يدل على السعي بين الصفا والمروة، وهذا تخصيص للدلالة العامة وانتقال باللفظ من الدلالة اللغوية إلى الدلالة الشرعية، فالسعي الآن يشير إلى ركن هام من أركان الحج والعمرة، وهو السعي بين الصفا والمروة، ويصبح بالتالي لفظاً إسلامياً إذا أطلق تبادرت إلى ذهن المسلم هذه الدلالة وسبقت الدلالات الأخرى إليه، وذلك لأن معظم نصوص الأحاديث جاءت لتثبت هذا المعنى؛ وبذلك يكون السعي لفظاً إسلامياً من ألفاظ الحديث النبوي، وإذا كان ورد في الحديث بلفظ الطواف فإنني أتصور أن البداية كانت بالتعبير عن الطواف والسعي بلفظ واحد كما

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي ٦٤- باب غزوة الحديبية ٣٥، حديث (٤١٨٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، ١١- باب المشي إلى الجمعة ١٨، حديث (٩٠٨).

(٣) صحيح البخاري: كتاب النفقات ٦٩- باب فضل النفقة على الأهل ١، حديث (٥٣٥٣) وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق ٥٣- باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ٢- حديث (٢٩٨٢).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: ٢٣- باب عذاب القبر من الغيبة والبول ٨٨، حديث (١٣٧٨).

هو الشأن في القرآن الكريم ثم ظهر لفظ السعي في الحديث النبوي وأصبح المسلم يفرق بين الطواف والسعي، فالطواف ارتبط بالكعبة، والسعي أصبح مصاحبا للفظي الصفا والمروة.

وتشير نصوص الأحاديث إلى أن السعي كان من شعائر الجاهلية، من ذلك ماورد في صحيح البخاري قال: حدثنا أحمد بن محمد، أخبرنا عبدا لله أخبرنا عاصم قال: قلت لأنس بن مالك رضي ا لله عنه: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال: نعم، لأنها كانت من شعائر الجاهلية، حتى أنزل ا لله(1): ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر ا لله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**﴾.

وإذا كان السعي من شعائر الجاهلية فليس هذا يعني -في تصوري- أنه أطلق عليه هذا اللفظ، ولو أطلق عليه لظهر في ثنايا الشعر الجاهلي كما ظهرت بعض شعائر الحج كالطواف الذي ورد في قول زهير(2):

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِيْ طَافَ حَوْلَهُ ... رِجَالُ بَنَوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ

يَمِيْنَاً لَنِعْمَ السَيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَمِ

وقال عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض(3):

وَكُنَّا وُلاةَ البَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ ... نَطُوفُ بِذَاكَ البَيْتِ والخَيْرُ ظَاهِرُ

وبهذا يمكن الاطمئنان إلى القول بأن السعي لفظ إسلامي قدمته لنا الأحاديث النبوية وخصصته في الدلالة على السعي بين الصفا والمروة.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الحج، ٢٥- باب ماجاء في السعي بين الصفا والمروة، ٨٠، حديث (١٦٤٨) والآية رقم ١٥٨ من سورة البقرة.

(2) شرح ديوان زهير، ص ١٤

(3) السيرة النبوية: ص ١١٥.

عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو بن غالب الجرهمي: أحد المعمرين القدماء، يقال أنه مدَّ له في العمر إلى أن أدرك الإسلام.

معجم الشعراء: ٢٠٤.

الإفراد والقران

أمر الله بالحج والعمرة في القرآن الكريم، وجعلهما فرضا على المسلم مرة في العمر إذا توفرت له الاستطاعة، ولكن هل يجوز للمسلم الجمع بينهما بإحرام واحد أو يؤدي كل واحد منهما على حده؟

لقد وضح لنا القرآن صورة من الصور التي يمكن أن يحرم بها المسلم بالحج والعمرة، وسمى هذا النسك بالتمتع، وذلك في قوله تعالى[1]: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾.

ومعنى التمتع الإحرام بالعمرة في أشهر الحج، فإذا أداها وتحلل منها وانتفع بما كان محرما عليه من الطيب ونحوه أحرم بالحج.

وأضافت السنة النبوية نوعين آخرين من النسك هما القران والإفراد، وإذا بحثنا عن المعنى اللغوي للفظ الإفراد وجدنا أن الفرد ماكان وحده يقال: فرد يَفْرُدُ، وأفْردته جعلته واحدا. واستفرد الشيء: أخرجه من بين أصحابه وأفرده جعله فردا.

وأفردت الأنثى: وضعت واحداً فهي مفرد[2].

ومفرد: مبعد عن القطيع، قال طرفة[3]:

مُؤلَّلتانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فِيْهِمَا　　　كَسَامِعَتِيْ شَاةٍ بحَوْمَلَ مُفْرَدِ

التأليل: التحديد والتدقيق، من الآلة وهي الحربة. يقول: لها أذنان محددتان تحديد الآلة تعرف نجابتها فيهما، وهما كأذني ثور وحشي منفرد في الموضع المعين، وخص المفرد؛ لأنه أشد فزعا وتيقظا واحترازا.

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٦.

(٢) اللسان: مادة (فرد) جـ ٥، ص ٣٣٧٤.

(٣) ديوان طرفة: ص ٢٨.

وأفرد أبعد وعزل. قال طرفة[1]:

إلى أَنْ تَحَامَتْنِي العَشِيْرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيْرِ المُعَبَّدِ

يقول: فتجنبتني عشيرتي كما يتجنب البعير المطلي بالقطران، وأفردتني رأت أنني لاأكف عن إتلاف المال والاشتغال باللذات.

وهكذا تدور المادة في معانيها حول دلالة واحدة هي جعل الشيء واحدا فردا.

وورد لفظ (فرد) في القرآن ومعناه الذي لايختلط به غيره، فهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى[2].

وقد ورد في القرآن واحدا وجمعا، ورد مفردا في قوله تعالى[3]: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝﴾

ومعنى رب لاتذرني فردا: (أي لاولد لي ولا وارث يقوم بعدي في الناس)[4] أي وحيدا.

وورد جمعا في قوله تعالى[5]: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾.

و لم يرد لفظ (الإفراد) في القرآن الكريم ولكنه يطالعنا في الحديث النبوي في باب الحج ليدل على نوع من أنواع النسك لم يرد في القرآن وهو الإهلال بالحج وحده في أشهره، وقد أهل الرسول ﷺ بالحج مفرداً، روى ذلك ابن عمر رضي ا لله عنهما قال: أهللنا مع رسول ا لله ﷺ بالحج مفردا).

وفي رواية أخرى: (أن رسول ا لله ﷺ أهل بالحج مفردا)[6]. وعن عائشة: (أن

(١) ديوان طرفة، ص ٣١.

(٢) المفردات: ص ٣٧٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم: جـ٣ ، ص ١٩٩.

(٥) سورة الأنعام آية ٩٤.

(٦) صحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب الإفراد والقران بالحج والعمرة ٢٧، حديث (١٢٣١).

رسول الله ﷺ أفرد الحج)[1].

والإفراد وهو أن ينوي الحج مفردا عن العمرة فيقول: لبيك بحج[2].

أما القران في اللغة فهو من قرن الشيء بالشيء وقرنه إليه يقرنه قرنا: شدَّه إليه، وقارن الشيء الشيء مقارنة وقرانا اقترن به وصاحبه، والمصدر القران، واقترن الشيء بغيره وقارنته قرانا صاحبته وقرنت الشيء بالشيء وصلته، والقرين المصاحب[3].

و لم يرد لفظ (القران في القرآن وإنما ورد لفظ قرين بمعنى مصاحب وملازم وجمعه قرناء[4].

قال تعالى[5]: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ أي صاحب ملازم لي. وقرَّن الأشياء: شد بعضها إلى بعض، وكل منها مقرن وجمعه مقرنون[6]. قال تعالى[7]: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي قد شد بعضهم إلى بعض[8].

واقترنت الأشياء أو الأشخاص: اصطحبت وانضم بعضها إلى بعض، وكل منها مقترن والجمع مقترنون[9]. قال تعالى[10]: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ أي مجتمعين مصطحبين[11].

وجميع المعاني السابقة تدل على الجمع بين شيئين، ومن هذاالمعنى أخذ معنى لفظ

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج، ١٥- باب بيان وجوه الإحرام.. رقم ١٧، حديث ١٢٢ (١٢١١).

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق وتخريج وتعليق عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ومطبعة الملاح، ومكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. جـ ٣، ص ٩٩.

(٣) اللسان: جـ ٥، ص ٣٦١٠.

(٤) معجم ألفاظ القرآن، ص ٥٠٤.

(٥) سورة الصافات: الآية ٥١.

(٦) معجم ألفاظ القرآن، ص ٥٠٥.

(٧) سورة إبراهيم: الآية ٤٩.

(٨) معجم ألفاظ القرآن، ص ٥٠٥.

(٩) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٥٠٥.

(١٠) سورة الزخرف: الآية ٥٣.

(١١) معجم ألفاظ القرآن، ص ٥٠٥.

القران في الحج، فالقران معناه: الجمع بين الحج والعمرة، وقرن بين الحج والعمرة أي وصلهما وجمع بينهما بنية واحدة فيقول: لبيك بحجة وعمرة[١]، فيحرم بالحج والعمرة معا في أشهر الحج. فعن القاسم بن محمد عن أم المؤمنين عائشة رضي ا لله عنها قالت: (مِنَّا من أهل بالحج مفردا ومنا من قرن، ومنا من تمتع)[٢].

يظهر من قول عائشة رضي ا لله عنها أن أنواع النسك ثلاثة: وهي التمتع وهو أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، ثم بعد الفراغ منه يحرم بالحج في تلك السنة بلا عود إلى الميقات والقران أن يحرم بهما، والإفراد أن يحرم بالحج، وبعد الفراغ يحرم بالعمرة[٣].

فالقران إذاً لفظ قدمته لنا الأحاديث النبوية ضمن التفصيلات التي جاءت بها عن شعائر الحج وآدابه، فقد بين الحديث النبوي أنواع النسك التي يمكن أن يحرم بها المسلم، وهي: التمتع وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، والقران والإفراد وقد ورد ذكرهما في الحديث النبوي، ودلا في سياقاته على هذه الدلالة الإسلامية التي لم تكن لهما قبل ذلك فلفظ (الإفراد) في الشعر الجاهلي وفي القرآن حمل دلالة لغوية عامة،فأفردته أي جعلته واحدا، ثم انتقل اللفظ من هذه الدلالة اللغوية إلى دلالة شرعية، وتخصص في الدلالة على معنى الإحرام بالحج وحده دون أن تصاحبه العمرة، والقران يحمل معنى مصاحبة الشيء للشيء ووصله به، وتخصص في الحديث في الدلالة على الجمع بين الحج والعمرة بنية واحدة، وبذلك يصبح لدينا لفظان إسلاميان قدمتهما لنا سياقات الأحاديث النبوية فأصبحا عند إطلاقهما يدلان على هذا المعنى المرتبط بفريضة الحج والعمرة.

---

(١) جامع الأصول، جـ ٣ ص ١٠٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب بيان وجوه الإحرام، رقم ١٧، حديث ١٢٤ (١٢١١)

(٣) صحيح البخاري بشرح الكرماني، جـ ٨، ص ٨٩.

جمعت في هذا الباب بعض مصطلحات العبادات الخاصة بالصلاة والصوم والحج والواردة في سياقات الحديث النبوي، وتبين لي أن هذه الألفاظ الإسلامية ليست بألفاظ جديدة على العربي، مع أنها تعبر عن دلالات جديدة مرتبطة بالدين الجديد -الدين الإسلامي الحق- الذي جاء بهذه العبادات، وأبطل ماكان يتعبد به الجاهلي لآلهته، فالأذان والإقامة والتثويب والتهجير كلها ألفاظ عرفها العربي، ولكنه علم بعد إسلامه أن الأذان هو إعلام للصلاة بألفاظ محددة في أوقات مخصوصة، وأن التهجير هو التكبير لحضور الصلاة وبخاصة صلاة الجمعة، وأن السحور هو طعام يسن تناوله وقت السحر استعدادا للصوم، وهكذا تغيرت دلالات هذه الألفاظ عما كان يعرفه الجاهلي وارتبطت في ذهن المسلم بهذه المفاهيم الجديدة، فإذا أطلق لفظ (أذان أو مؤذن) كان السابق للذهن هو الإعلام بالصلاة ومن ينادي لها، وقد تبين لي أن هذه الألفاظ القديمة قد انتقلت من معانيها اللغوية إلى معانيها الشرعية وفقا لقواعد التغير الدلالي في اللغات والذي يتمثل في عدة مظاهر منها التعميم والتخصيص، والمجاز، وتسامي الدلالة وانحطاطها.

فالأذان والمؤذن والإمام، والتهجير والسبحة والسعي والطواف انتقلت بالتخصيص إلى معانيها الاصطلاحية، والوضوء والغرة والتحجيل والبردان والبيض والسحور انتقلت مجازا إلى معانيها الشرعية، كما يظهر من عرض هذه الأسماء الإسلامية أهمية الاشتقاق في تكوينها، فـ(المهل) زمان الإهلال أو مكانه، و(مكتوبة) اسم مفعول دل على الصلوات الخمس، وقد تبين من خلال عرض هذه المصطلحات أنها عبارة عن أسماء (مصادر أومشتقات) وأن معظمها تخصص في الدلالة على المعنى الشرعي في سياقات الأحاديث، وأن أفعالها هي التي جمعت بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي مثل لفظ (أذان وأذن)[1].

وقد ظهرت نتائج التغير الدلالي والعلاقات الدلالية التي تربط بين بعض الألفاظ، فهناك ترادف بين الاستنجاء والاستطابة، وبين الأذان والنداء، وبين مصطلح السحور والغذاء المبارك والفلاح.

كما أن (فريضة) من قبيل المشترك اللفظي، فقد دلت على مافرضه الله على عباده

(١) انظر ص ١١٤ من البحث.

من العبادات والأحكام، كما دلت على الصلوات الخمسة المفروضة، والإحرام دل على الدخول في أي حرمة شرعية مثل الإحرام بالصلاة والإحرام بالحج كما تخصص في بعض السياقات للدلالة على الإحرام بالحج.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض هذه الأسماء الإسلامية لم ترد في القرآن الكريم مثل الاستنجاء والاستجمار والاستطابة والترجيع والترسل والبردين والتشهد. وبعضها وردت كيفيته و لم يرد الاسم الاسلامي الدال عليها مثل: الوضوء، وقسم منها ورد ولكن بغير معناه الاصطلاحي مثل الأذان والإمام وفريضة والتسليم.

وبذلك يكون الحديث النبوي هو الذي قدم لنا هذه الألفاظ وخصصها في معانيها الشرعية.

الباب الثالث

ألفاظ أخرى

الفصل الأول : ألفاظ فقهية .

الفصل الثاني: ألقاب إسلامية .

الفصل الثالث: ألفاظ الفرق

يضم هذا الباب دراسة ألفاظ من أبواب متفرقة أمكن جمعها في فصول، يمثل كل فصل وحدة مستقلة تجمع عدداً من الألفاظ.

أما الفصل الأول فيضم بعض الألفاظ الفقهية مثل: السنة، البدعة، الشبهة، الرخصة.

ويضم الفصل الثاني: بعض الألقاب الإسلامية وهي: الخلفاء الراشدون، الصحابة، التابعون، القراء، الغرباء.

أما الفصل الثالث: فيشمل بعض ألفاظ الفرق وهي: الجماعة، الخوارج، المرجئة، القدرية.

وقد تتبعت كل لفظ منها في الشعر الجاهلي، ثم في القرآن، وأخيراً في أحاديث رسول الله ﷺ لمعرفة دلالات هذه الألفاظ في سياقات الحديث النبوي.

وقد حاولت تتبع الأحاديث التي وردت فيها هذه الألفاظ في الكتب الستة لأتبين سمات اللفظ وأحدد دلالته تحديداً دقيقاً، فمن هم الخلفاء الراشدون؟ ومن الذين نستطيع أن نطلق عليهم هذا اللفظ، وهل كل ماورد عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير يدل عليه لفظ سنة؟ ثم كيف انتقل اللفظ إلى هذه الدلالة؟

ومن هم الخوارج الذين ذكرهم الرسول ﷺ؟ وما صفاتهم؟ وهل ظهرت هذه الفرقة في عهد رسول الله ﷺ أم أنها ستظهر بعد ذلك؟. ومن مجموع السياقات الوارد فيها اللفظ يمكن تحديد دلالته بدقة ومعرفة ماأراده الرسول ﷺ بهذا اللفظ في الحديث النبوي لتتجلى دلالته الإسلامية وتظهر لنا العلاقة بينها وبين دلالته اللغوية.

الفصل الأول

ألفاظ فقهية

السنة، البدعة، الشبهة، الرخصة

السنة

من المعاني التي وردت في الشعر الجاهلي للفظ سن مايأتي:

سنَّ الشيء يسنُّه، سنًّا وسنَّنه أحدَّه وصقله. والسِّنان: الحجر الذي يسن بـه أو يسـنُّ عليه. قال امرؤ القيس[(١)]:

يُبـــارِي شَــباةَ الرُّمْــحِ خَـــدٌّ مذلَّـــقٌ   كصفْــحِ السِّــنَان الصَّلبِـــيِّ النَّحِيـــضِ

سَنَّ الرجل إبله إذا أَحْسَنَ رعْيتها والقيام عليها حتى كأنه صقلها. قال النابغة[(٢)]:

بــأنَّ حِصْنــاً وحَيّــاً مِـــن بَنِـــي أَسَـــدٍ   قــاموا فقــالوا: حِمانــا غَـــيرُ مقْـــرُوبِ
ضَلَّـــتْ حُلُومُهُـــمُ عنهـــمْ وَغرَّهُـــمُ   سَـــنُّ الْمُعَيْـــدِيِّ في رَعْـــيٍ وَتغزِيـــبِ

والسُّنَّة: الوجه لصقالته وملاسته. قال الأعشى[(٣)]:

كَرِيمــــاً شَمَائِلُـــــهُ مِـــــنْ بَنِـــــي   مُعَاوِيَــــةَ الأكْرَمِـــــينَ السُّـــــنَنْ

ويريد ببني معاوية هنا رهط قيس بن معدي يكرب، والسنن الوجوه والطبائع.

والسنة الطريق الذي يسنه أوائل الناس فيصير مسلكا لمن بعدهم. والسنة الإمام المتبـع المؤتم به.

(١) ديوان امرئ القيس: ص ٧٤.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص ٤٩.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٩.

قال بشامة بن الغدير[1]:

وبَـــــدَأتمُ للنَّـــــاسِ سُـــــنَّتَها　　وَقَعدْتُــــمُ لِـــــلريْحِ في رَجْـــــعِ

وقال لبيد بن ربيعة[2]:

مِـــنْ مَعْشَـــرٍ سَـــنَّتْ لَهُـــمْ آبـــاؤُهُمْ　　ولكـــلِّ قَـــوْمٍ سُـــنَّةٌ وَإمَامُهَـــا

كل هؤلاء الذين عدّهم: لزاز العظيمة الجشام والمقسم والمغذمر وذو الكرم هم من معشر سنت لهم آباؤهم سنة تحتذى، الإمام: المثال.

والسنة النهج الذي يتبع والهدى الذي يُهدَى به حتى بعد موت الإنسان.

قال المتلمس[3]:

لأورِثَ بَعْـــدِي سُـــنَّةً يُهْتَـــدَى بهـــا　　وأجْلُـــوَ عـــن ذي شُـــبْهَةٍ أن يُفَهَّمَـــا

فأي طريق سنه الناس وصار مسلكا لمن بعدهم يعد سنة، وهذا معنى عام يضم كل طريق يحتذى أو كل مسلك يسلك فهي الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية.

وإذا تتبعنا اللفظ في آيات القرآن نجده واردا بهذا المعنى، فقد ورد مضافا للفظ الجلالة للدلالة على أن المراد بسنة الله ماجرى به نظامه في خلقه، والجمع سنن[4]. قال

---

(١) المفضليات، ص ٤٠٨.

بشامة بن الغدير عمرو بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن معاوية بن الغدير بن مرة بن عوف: وكان شاعرا متقدما وهو خال زهير بن أبي سلمى، وكان زهير مقيما في غطفان بين أ×واله، ومن قبل بشامة أتاه التجويد في الشعر، وهو شاعر محسن مقدّم.

المؤتلف والمختلف: ص ٦٦، ١٦٣، ١٦٤.

(٢) شرح ديوان لبيد بن ربيعة: ص ٣٢٠.

(٣) الأصمعيات، ص ٢٤٦.

المتلمس: جرير بن عبدالمسيح بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار، الشاعر المشهور، خال طرفة بن العبد، وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، فكتب إلى عامله بالبحرين بقتله، فدفع الكتاب إلى من يقرأه له، ثم هرب إلى الشام.

طبقات فحول الشعراء: ١٥٥، والشعر والشعراء: ١٨٥. والمؤتلف: ٧١.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، ص ٣١٤.

تعالى[1]: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾

يقول سبحانه وتعالى: إن سنتنا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك إليهم أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم أو قتلوه أن ينزل العذاب بهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) أي ماأجرى الله به العادة لم يتمكن أحد من تحويله ولا يقدر على تغييره)[2].

وقد أضيفت للفظ الأولين في مثل قوله تعالى[3]: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾

﴿**فقد مضت سنة الأولين**﴾ هذه العبارة مشتملة على الوعيد والتهديد والتمثيل بمن هلك من الأمم في سالف الدهر بعذاب الله: أي قد مضت سنة الله فيمن فعل مثل فعل هؤلاء من الأولين من الأمم أن يصيبه بعذاب فليتوقعوا مثل ذلك.

وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى: ﴿**فقد مضت سنة الأولين**﴾ بما مضى في الأمم المتقدمة من عذاب من قاتل الأنبياء وصمم على الكفر[4].

وأما في قوله تعالى[5]: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ فالمراد بالسنن ماسنه الله في الأمم من وقائعه أي قد خلت من قبل زمانكم وقائع سنها الله في الأمم المكذبة، والسنة الأمة والسنن الأمم قاله المفضل الضبي، وقال الزجاج: المعنى في الآية أهل سنن فحذف المضاف[6].

وسنة الله قد يقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته في مثل قوله تعالى[7]: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾.

وفي هذا تنبيه أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لايختلف

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٧.

(٢) فتح القدير: جـ٣، ص ٢٤٨.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٨.

(٤) فتح القدير: جـ٢، ص ٣٠٨.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٧.

(٦) فتح القدير، جـ١، ص ٣٨٣.

(٧) سورة فاطر: الآية ٤٣.

ولا يتبدل وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب اللـه تعالى وجواره)[1].

فلفظ السنة في القرآن الكريم دل على سنة اللـه أي ماجرى به نظامه في خلقه.

أما الأحاديث النبوية فقد ورد فيها لفظ السنة دالا على ماسنه رسول اللــه ﷺ مـن الأحكام والعبادات، من ذلـك قولـه ﷺ: (**إن اللــه تبـارك وتعـالى فـرض صيـام رمضـان عليكم وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيمانا احتسابا خرج من ذنوبـه كيـوم ولدتـه أمه**)[2].

وكذلك قوله ﷺ: (**يؤم القوم أقرؤهم لكتـاب ا لله، فـإن كـانوا في القـراءة سـواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة..**) الحديث[3].

قال الإمام الخطابي: (... ثم تلا القــراءة العلـم بالسـنة وهـي الفقـه ومعرفـة أحكـام الصلاة وما سنه رسول اللــه ﷺ وبينـه مـن أمرهـا، وأن الإمـام إذا كـان جـاهلا بأحكـام الصلاة وبما يعرض لها من سهو وما يقع من زيادة ونقصان أفسدها فكان العالم بهــا الفقيـه فيها مقدما على من لم يجمع علمها ولم يعرف أحكامها، ومعرفة السنة وإن كانت مؤخـرة في الذكر وكانت القراءة مبتدأة بذكرها فإن الفقيه العالم بالسنة إذا كـان يقـرأ مـن القـرآن ماتجوز به الصلاة أحق بالإمامة من الماهر بالقراءة إذا كان مختلفا عن درجتـه في علـم الفقـه ومعرفته السنة، وإنما قدم القارئ في الذكر؛ لأن عامة الصحابة إذا اعتبرت أحوالهم وجدت أقرأهم أفقههم به، وقال ابن مسعود: كان أحدنا إذا حفـظ السـورة مـن القـرآن لم يخـرج عنها إلى غيرها حتى يحكم علمها ويعرف حلالها وحرامها، أو كما قال. فأمـا غـيرهـم ممـن تـأخر بهـم الزمـان فـإن أكـثرهم يقـرءون ولا يفقهـون، فقرّاؤهـم كـثير، والفقهـاء منهـم قليل)[4].

---

(١) المفردات: الأصفهاني، ص ٢٤٥.

(٢) سنن النسائي: كتاب الصيام ٢٢- ذكر اختلاف يحيى بن أبي كثير والنضر بن شـيبان في حديـث ثـواب مـن قـام رمضان وصامه ٤٠، حديث (٢٢١٠) وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٥- باب ماجـاء في قيـام شهر رمضان ١٧٣، حديث (١٣٢٨) عن عبدالرحمن بن عوف رضي اللـه عنه.

(٣) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥- باب من أحق بالإمامة ٥٣، حديث (٦٧٣) عن أبي مسـعود الأنصاري رضي اللـه عنه.

(٤) عون المعبود شرح وسنن أبي داود: جـ٢، ص ٢٠٥.

ومما علمنا إياه رسول الله ﷺ أيضا أداء ركعات بعد الفريضة أو قبلها وجعل ذلك سنة للمسلم دعاه إلى فعلها، وبين له عظم أجر من داوم عليها فعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ أنها قالت: سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: (**مامن عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة إلا بنى ا لله له بيتا في الجنة أو إلا بُني له بيت في الجنة**)(١).

قوله (من السنة) ماانفرد به الترمذي و لم يذكره غيره من أصحاب السنن ويعني به ماليس بفرض لأن الفرض لابد منه، والنفل هو الجالب لرضوان الله وهو ربح وهو الذي تجبر به الفرائض(٢).

وكل ماسنَّه النبي ﷺ من الأحكام والعبادات لم يكن من وحي نفسه فهو لاينطق عن الهوى وكان جبريل عليه السلام ينزل عليه ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن(٣).

وإصابة الحكم الشرعي يعبر عنه الحديث بالسنة، من ذلك ماروي عن أبي سعيد أن رجلين تيمما وصليا ثم وجدا ماء في الوقت فتوضأ أحدهما وعاد لصلاته ماكان في الوقت و لم يعد الآخر فسألا النبي ﷺ فقال للذي لم يعد: **أصبت السنة وأجزأتك صلاتك**، وقال للآخر: **أما أنت فلك مثل سهم جمع**)(٤).

ومعنى (أصبت السنة) أي وافقت الحكم المشروع وهذا تصويب لاجتهاده وتخطئة لاجتهاد الآخر، وفيه أن الخطأ في الاجتهاد لاينافي الأجر في العمل المبني عليه، والظاهر ثبوت الأجر له ولمن قلده على وجه يصح(٥).

وقد يعبر عن الواجب بلفظ السنة، فعن عبدا لله، قال: من سره أن يلقى ا لله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن ا لله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سننِ الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته

---

(١) سبق تخريجه ص ١٥٠، حاشية (٢).

(٢) شرح صحيح الترمذي: جـ٢، ص ٢٠٨.

(٣) سنن الدارمي: كتاب المقدمات، حديث ٤٩.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الطهارة ١ - باب في المتيمم يجد الماء بعدما يصلي في الوقت ١٢٨، حديث (٣٣٨).
وسنن النسائي كتاب الغسل والتيمم ٤- باب التيمم لمن لم يجد الماء بعد الصلاة ٢٧، حديث (٤٣٣).

(٥) شرح سنن النسائي: جـ١، ص ٢١٣.

لترکتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب ا لله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُوتى يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)[1].

وقوله (فليحافظ على هؤلاء الصلوات.. أي الصلوات الخمس بالجماعة (فإنهن من سنن الهدى) أي الصلوات الخمس بالجماعة.

(فإنهن من سنن الهدى) وروي بضم السين وفتحها حكاهما القاضي وهما بمعنى متقارب أي طرائق الهدى والصواب[2].

(ولو تركتم سنة نبيكم) قال الطيبي يدل على أن المراد بالسنة العزيمة قال الشيخ بن الهمام؛وتسميتها بالسنة على مافي حديث ابن مسعود لاحجة فيه للقائلين بالسنة إذ لاينافي الوجوب في خصوص ذلك الإطلاق لأن سنن الهدى أعم من الواجب لغة كصلاة العيد. وقد يقال لهذا الواجب سنة لكونه ثبت بالسنة أي الحديث[3].

ويأتي لفظ السنة مقابلا للفظ البدعة فيدل لفظ البدعة على الإحداث في الدين ويدل لفظ السنة على أقوال الرسول ﷺ وأفعاله مما ينبغي تطبيقه والالتزام به، من ذلك ماروي عن عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: (**سَيَلِي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها**) فقلت: يارسول الله إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال: (**تسألني ياابن أم عبد كيف تفعل، لاطاعة لمن عصى ا لله**)[4].

وقد جمعت عبارات العلماء في بيان المعنى الاصطلاحي للسنة هذه المعاني التي وردت في سياقات الحديث ومنها قول الشوكاني رحمه ا لله:

(وأما معناها شرعا أي: في اصطلاح أهل الشرع فهو قول النبي ﷺ وفعله وتقريره،

(١) سنن النسائي: كتاب الغسل والتيمم، ٤- باب التيمم لمن لم يجد الماء بعد الصلاة ٢٧، حديث (٤٣٣).

(٢) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥- باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ٤٤، حديث ٢٥٧ (٦٥٤).

(٣) عون المعبود: جـ٢، ص ١٧٩.

(٤) سنن ابن ماجة: كتاب الجهاد، ٢٤- باب لاطاعة في معصية الله ٤٠، حديث (٢٨٦٥). ورجال إسناده موثوقون.

وتطلق بالمعنى العام على الواجب وغيره في عرف أهل اللغة والحديث، وأما في عرف أهل الفقه فإنما يطلقونهما على ماليس بواجب، وتطلق على مايقابل البدعة، كقولهم فلان من أهل السنة... وقيل هي: في العبادات النافلة وفي الأدلة ماصدر عن النبي ﷺ من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير)[1].

وقال التهانوني رحمه الله: (السنة في الشريعة تطلق على معاني منها: الشريعة، ومنها ماهو أحد الأدلة الأربعة الشرعية، وهو ماصدر عن النبي ﷺ غير القرآن من قول ويسمى الحديث أو فعل أو تقرير، ومنها ماثبت بالسنة، ومنها مايعم النّفْل، وهو مافِعْلُهُ خير من تركه من غير افتراض ولا وجوب، ومنها النفل وهو مايُثَاب على فعله ولا يعاقب على تركه، ومنها: الطريقة المسلوكة في الدين من غير وجوب ولا افتراض، ونعني بالطريقة المسلوكة: ماواظب عليه النبي ﷺ و لم يتركه نادرًا أو واظب عليه الصحابة كذلك.. وهي أعم من الحديث لتناولها للفعل والقول والتقرير، والحديث لايتناول إلا القول..)[2].

وبتتبع الأحاديث التي ورد فيها لفظ السنة في الكتب الستة وجدت أن السياقات الحديثية جعلت السنة لفظاً خاصاً بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وكل ماجاء مخالفا لها بدعةٌ وضلالة، ففي جميع المواضع التي تتبعتها ورد فيها اللفظ نكرةً دلّ فيها على هذا المعنى الاصطلاحي، من ذلك ماروي عن عبدالله المزني عن النبي ﷺ قال: (**صلوا قبل صلاة المغرب**) قال في الثالثة: (**لمن شاء**) كراهية أن يتخذها الناس سنة)[3].

ومما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت في بريرة ثلاث سنن: عتقت فخيرت، وقال رسول الله ﷺ: (**الولاء لمن أعتق**) ودخل رسول الله ﷺ وبُرْمة على النار فقُرِّب إليه خُبْزٌ وأدْمٌ من أُدْم البيت فقال: لم أر البرمة فقيل: لَحْمٌ تُصدِّق به على بريرة وأنت لاتأكل الصدقة، قال: (**هو عليها صدقة، ولنا هدية**)[4].

وحين ورد اللفظ معرفا بأل دل أيضا على المعنى الاصطلاحي من ذلك قوله ﷺ:

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني، ص ٦٧-٦٨.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي، جـ٢/ ص ٧٠٢-٧٠٤ باختصار.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التهجد ١٩- باب الصلاة قبل المغرب ٣٥، حديث (١١٨٣).

(٤) صحيح البخاري: كتاب النكاح ٦٧، باب الحرة تحت العبد ١٨، حديث (٥٠٩٧).

(**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله.. إلى قوله: فأعلمهم بالسنة**)(١).

هذا يعني أن لفظ سنة إذا أطلق و لم يخصص بوصف أو إضافة أو غيرهما كان المراد به سنة رسول الله ﷺ، أما إذا أريد غير ذلك فنجد في السياق قرائن لفظية تحدد الدلالة المقصودة كأن يتخصص اللفظ بالإضافة ومن ذلك ماروي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلْحِدٌ في الحرم، ومُبْتَغٍ في الإسلام سُنَّةَ الجاهلية، وَمُطَّلِبُ دم امرئ بغير حقٍّ لِيُهريق دَمَه**)(٢).

وسنة الجاهلية: أي منهج أو طريقة أو عادة جاهلية.

ومنه أيضا قوله ﷺ: (**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتَّى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يارسول الله، اليهود والنصارى، قال: فمن**)(٣).

ويتخصص كذلك بالوصف، ومنه قوله ﷺ: (**من سن في الإسلام سنة حسنة..**)(٤).

كما يتخصص بقرائن لفظية أخرى كما في قصة أسر خبيب الأنصاري وقتله التي أوردها البخاري في صحيحه حتى قال: (فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا..)(٥).

ومن هذا يتبين أن لفظ السنة تخصص في الدلالة على أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته، وأن الحديث النبوي هو الذي خصص هذا اللفظ بهذا الاستعمال وكأنه أصبح علما على سنته ﷺ، فإذا أطلق توجهت الأذهان إلى هذه الدلالة ولا يتبادر إلى الذهن

---

(١) أخرجه مسلم، وتقدم تخريجه، ص ١٣٢، حاشية (٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الديات ٨٧- باب من طلب دم امرئ بغير حق ٩، حديث (٦٨٨٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ٦٠- باب ماذكر عن بني إسرائيل ٥٠، حديث (٣٤٥٦) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الزكاة ١٢- باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ٢٠، حديث (١٠١٧) عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير ٥٦- باب هل يستأسر الرجل.. رقم ١٧٠، حديث (٣٠٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

غيرها، إلا حين يخصص السياق هـذا المعنـى المـراد بوصـف أو إضافـة أو أي قرائـن لفظيـة أخرى.

فالسنة إذا لفظ حديثي خصصته سياقات الحديث النبوي في الدلالة على ماجـاء عـن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وليس معنى هذا الحكم أن مصطلح السنة بهذا المفهـوم لاأصل له في اللغة، وإنما معناه أن اللغة ذهبت به مذهبا عاما، فسمت كل طريقة سنة، وأما تطوره الدلالي في الحديث فقد أصبح ملازما لما جـاء عـن النبـي ﷺ مـن قـول أو فعـل أو تقرير، وذلك خلاف مااعتقده الباحث (عودة) في بحثه عن الألفاظ القرآنيـة إذ يقـول: (إن السنة ليست لفظاً قرآنيـا؛ لأن القـرآن الكريـم لم يذكرهـا مسـندة إلى النبـي عليـه الصـلاة والسـلام، بـل اصطلـح عليهـا الفقهـاء عنـد كتـابتهم لسـيرة النبي عليـه الصـلاة والسـلام واستنباطهم الأحكام الإسلامية من القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة)[١].

---

(١) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: عودة خليل أبو عودة، ص ١٧٠.

البدعة

لمادة (بدع) في الشعر الجاهلي عـدة دلالات منهـا بَـدَعَ الشـيء أنشـأه وبـدأه. قـال بشر[1]:

بِضَرْبَـــــةٍ يَسْـــــتَدِيرُ صَاحِبُهـــــا أَوْ طَعْنَـــةٍ لَـــمْ تَكُـــنْ لـــهُ بِدَعَـــا

ومعنى طعنة لم تكن له بدعا: يريد أن هذه الطعنة لم تكن أول طعنـة لـه مـن البدعـة وهي الأمر يصنع ابتداء على غير مثال.

ورجل بِدْعٌ وامرأة بِدْعةٌ: إذا كان غاية في كل شيء كان عالما أو شريفا أو شجاعا. قال أوس[2]:

أَوْدَى وهـــل تَنْفَـــعُ الإشـــاحةُ مِـــنْ شَـــيءٍ لِمَـــنْ قـــدْ يُحَـــاوِلُ البِدَعَـــا

ومعنى أودى: أي هلك، فلا ينفع الحذر من أمر لمن يطلب البدع. أي الحـذر والجـد لايغني عن نزول النوازل لطالبي عظائم الأمور تنبيها على أن المرثيَّ كان منهم.

والبِدع من الأمور المستحدث والمستغرب. قال تأبط شرا[3]:

فَمَـا كَـانَ بِدْعـاً أَنْ يُصَـابَ، فَمِثْلُـهُ أُصيـبَ وَحُـمَّ الملتَجُـونَ الفـوادرُ

أي: إن كان الشنفرى قد حُمَّ يوماً، وأتاه المقـدور فليـس ذاك بمستغرب، فقـد أتـى الموت الأروى والوعول الشديدة في حصنها بشاهق الجبل.

(١) ديوان بشر الأسدي، ص ١٢٨.

(٢) ديوان أوس، ص ٥٥ وهامشها.

(٣) ديوان تأبط شرا، ص ٨١.

البِدْع: الأمر غير المعروف. قال لبيد بن ربيعة[1]:

مَـــنْ كَـــانَ مِنِّـــيْ جَـــاهِلاً أو مغمـــرا   فَمَـــا كَـــانَ بِدْعَـــاً مِـــنْ بَلائـــي عَـــامِرُ

يقول: إذا كان أحد يجهل بلائي فإن عامر بن مالك ملاعب الأسنة يعرفه حق المعرفة.

البِدع: الأشياء المستحدثة على غير مثال سابق. قال عبد القيس[2]:

أَرَى بِدَعـــاً مُســـتَحدَثَاتٍ تُرِيْبُـــني   يَجُـــوزُ بِهَـــا مُسْـــتَضْعَفٌ وَحَلِيمُهَـــا

وهكذا فإن معاني هذه المادة تدور حول أنشأ الشيء وبدأه واستحدثه على غير مثال سابق.

و لم يرد اللفظ في القرآن الكريم وورد من مادته لفظ (ابتدع) في آية واحدة هي قوله تعالى[3]: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ .

ومعنى ابتدعوها: أي أحدثوها وألزموا أنفسهم بها و لم نفرضها عليهم.

قال قتادة: الرأفة والرحمة من الله والرهبانية هم ابتدعوها، والرهبانية رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن واتخاذ الصوامع، ورهبانية ابتدعوها يعني وأحدثوها من عند أنفسهم ونذورها[4].

(١) ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٢١٥.

(٢) شعراء النصرانية، جـ٣، ص ٤١٤.

عبدالقيس بن خفاف البرجمي التميمي: كان معاصراً لحاتم الطائي فأتاه ذات يوم في دماء حملها عن قومه وعجز عنها، فأعطاه حاتم مرباعا له من غارة على بني تميم وقال:

أتـــاني الـــبرجمي أبـــو جبيـــل   لهـــم في حمالتـــه طويـــل

معجم الشعراء: ٣٢٥. وتاريخ الأدب العربي: جـ١، ص ١١٦.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٤) البحر المحيط: جـ٨، ٢٢٨.

وورد لفظ (البدْع) ايضا في آية واحدة هي قوله تعالى[1]: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾.

أي: ماأنا بأول رسول، قد بعث الله قبلي كثيرا من الرسل[2]. أو ماكنت رسولا على غير سنن من تقدمني من الرسل، أو ماكنت مبتدعا من تلقاء نفسي ماأدعو إليه إن أتبع إلا مايوحى إلي إن أنا إلا نذير[3].

وقد وصف الله نفسه في القرآن بالبديع في آيتين، ومعنى هذا الوصف أي الذي يحدث الأشياء على غير مثال سابق. قال تعالى[4]: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

من هذا يتبين أن المعنى في الآيات السابقة دار حول إنشاء الشيء وإحداثه على غير مثال سابق. وهذه بدايات لتكوين اللفظ الإسلامي في الحديث النبوي وهو لفظ (البدعة) الذي أصبح له دلالة خاصة واستعمال خاص بين المسلمين.

وقد ورد في أحاديث كثيرة منها ماروي عن يحيى بن أبي المطاع قال: سمعت العرباض بن سارية يقول: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقيل: يارسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد، فقال: **(عَليكُم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنَّ عَبدا حَبشيا وسَترَون مِنْ بَعْدي اختلافا شَديدا فعليكم بسنتي وسنَّةِ الخُلفاءِ الراشدين المهديين عضوا عليها بالنَّواجذِ وإياكم والأمور المُحْدثاتِ فإنَّ كُلَّ بدْعةٍ ضَلالة)**[5].

يقول ابن الجوزي في تفسير (كل محدثة بدعة) البدعة في عرف الشرع: مايذم

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٩.

(٢) فتح القدير: جـ٥، ص ١٥.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٤٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ١١٧.

(٥) سنن أبي داود: كتاب السنة ٣٤- باب في لزوم السنة ٦، حديث (٤٦٠٧).

وسنن الترمذي: كتاب العلم، ٤٢- ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ١٦، حديث (٢٦٧٦).

قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

وسنن ابن ماجة: المقدمة - باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ٦، حديث (٤٢) قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

لمخالفته أصول الشريعة[1]. وذكر ابن الأثير بأن البدعة ماخالف أصول الشريعة و لم يوافق السنة وأكثر مايستعمل المبتدع عرفا في الذم[2].

ولخص الجرجاني تعريف البدعة في قوله: (هي الفَعلة المخالفة للسنة، سميت: البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام).

وهي الأمر المُحْدَث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، و لم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي[3].

وقد وردت تعريفات تُفَصِّلُ معنى البدعة شرعا منها: (التعبد لله بما لم يشرعه الله، وإن شئت فقل: التعبد لله بما ليس عليه النبي ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون، فالتعريف الأول مأخوذ من قوله تعالى[4] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ والتعريف الثاني مأخوذ من قول النبي ﷺ: (**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**). فكل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله أو بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ وخلفاؤه فهو مبتدع سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه. أما الأمور العادية التي تتبع العادة والعرف فهذه لاتسمى بدعة في اللغة[5].

وإذا كان إحداث البدعة ضلالة فإن لإحياء السنة أجراً عظيماً، قال ﷺ: (**من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل أجر من عمل بها من الناس لاينقص من أجور الناس، ومن ابتدع بدعة لايرضاها الله ورسوله فإن عليه مثل إثم من عمل بها من الناس لاينقص من آثام الناس شيئا**)[6].

---

(١) غريب الحديث: ابن الجوزي، جـ١، ص ٦١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ١، ص ١٠٧.

(٣) التعريفات: ص ٤٣.

(٤) سورة الشورى: الآية ٢١.

(٥) معجم ألفاظ العقيدة: أبو عبدالله عامر عبدالله فالح، ص ٦٤.

(٦) سنن الترمذي: كتاب العلم ٤٢- باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ١٦، حديث (٢٦٧٧).

وسنن ابن ماجة: المقدمة، باب أحيا سنة قد أميتت ١٥، حديث (٢٠٩) عن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه، وهذا لفظ ابن ماجة، قال الترمذي: (هذا حديث حسن).

وعن عبدالرحمن بن عبدالقاري -وهو من كبار التابعين- أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إن أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه)[1].

وأما قول عمر رضي الله عنه: نِعمَتِ البدعة هذه. لما كانت (أي صلاة القيام) من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح سماها بدعة ومدحها، لأن النبي ﷺ لم يسنها لهم، وإنما صلاها ليالي ثم تركها، ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، وأما عمر رضي الله عنه فقد جمع الناس عليها ونَدَبهم إليها، فبهذا سماها بدعة، وهي على الحقيقة سنة، لقوله ﷺ: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)**[2]. **وقوله: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)**[3].

قال ابن الأثير (رحمه الله): البدعة بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلال). فما كان في خلاف ماأمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وماكان واقعا تحت عموم ماندب الله إليه وحض عليه أو رسوله فهو في حيز المدح، ومالم يكن له مثال موجود كنوع من السخاء والجود وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ماورد في الشرع لأن النبي ﷺ قد جعل له في ذلك ثوابا[4]. قال: **(من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من**

---

(١) صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح ٣١- باب فضل من قام رمضان١، حديث (٢٠١٠).

(٢) هذا طرف من حديث العرباض بن سارية، تقدم بتمامه ص ١٨٠، حاشية (٢).

(٣) سنن الترمذي: كتاب المناقب، ٥٠- باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما ١٦، حديث (٣٦٦٢).

وسنن ابن ماجة: المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ١١، حديث (٩٧) عن حذيفة رضي الله عنه، قال الترمذي: (حديث حسن).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ١، ص ١٠٧.

بعده من غير أن يَنْقُصَ من أوزارهم شيء)[1].

وعن حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول: (البدعة بدعتان، بدعة محمودة، وبدعة مذمومة.. فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم)[2].

وقال الشافعي أيضا: (المحدثات ضربان: ماأحدث يخالف كتابا أو سنة أو إجماعا أو أثرا، فهذه بدعة الضلال، وما أحدث من الخير لايخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة)[3].

يتبين من العرض السابق للفظ (بدعة) في الشعر الجاهلي ثم في القرآن والحديث، أن اللفظ انتقل من معناه اللغوي العام (الإنشاء والخلق وإحداث الأمور على غير مثال سابق) إلى معنى شرعي خاص حيث تخصص لفظ البدعة في الدلالة على مايتعبد به لله بما ليس عليه النبي ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون، وهذا يعني أن القاسم المشترك بين دلالتي اللغة والحديث هو الاستحداث والإنشاء، بيد أن المفهوم الإسلامي توجه باللفظ نحو مخالفة سنة النبي ﷺ والسير على منهج مغاير لها، وبذلك يكون اللفظ قد خصص الدلالة العامة التي كان يتسم بها إلى معنى شرعي يتصف بالإثم والإنكار، وأصبح لفظاً إسلامياً إذا أطلق لم يتبادر إلى ذهن المسلم إلا هذا المعنى الشرعي، وقد ورد في الكتب الستة في تسعة عشر موضعا بين أحاديث نبوية وآثار موقوفة على صحابة رسول الله ﷺ وهي في جميع المواضع دلت على المعنى الإسلامي، ولم تخرج عنه إلى معان أخرى وفي هذا دليل على استقرار هذه الدلالة وثباتها على هذا المعنى الإسلامي.

---

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ١٢- باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ٢٠، حديث (١٠١٧) عن جرير رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: جـ١٣، ص ٢٥٣.

(٣) المرجع السابق.

الشبهة

الشِّبه والشَّبه، والشَّبيه: المِثْلُ، والجمع أشْباهٌ، وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثَلَه(١).

قال عنترة(٢):

شَـــبيهُ اللَّيْـــلِ لَوْنِـــي غَـــيَر أَنِّـــي　　　بِفِعْلِـــي مِـــنْ بَيَـــاضِ الصُبْـــحِ أَسْـــنَى

وتشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحـد منهمـا صاحبـه، والمتشـابهات المتمـاثلات، وتشبه فلان بكذا والتشبيه التمثيل(٣).

قال أوس(٤):

شَـــبّهْتُ آيـــاتٍ بَقـــينَ لَهَـــاَ　　　في الأوَّلِيْـــنَ زَخَارِفَـــاً قُشُـــباَ

يقول: شبهت مابقي من آثار ديارها بالزخارف الجديدة التي لم تندثر.

وقال عبيد بن الأبرص(٥):

تَبَيَّـــنْ صَـــاحِبِي أتَـــرَى حُمُـــولا　　　يُشّـــبهُ سَـــيْرُها عَـــوْمَ السَّـــفِينِ

يقول: تبصر الحمول أي الإبل التي عليها الهوادج كيف أنهـا تشبه في هـدوء سيرها ولينه السفن وهي تسير في الماء.

والشُّبهة: الالتِبَاس، وأمور مُشْتَبِهةٌ مشكلة يشبه بعضها بعضا، والمشْتَبِهَاتُ من الأمـور

---

(١) اللسان: ابن منظور، جـ٤، ص ٢١٨٩.

(٢) شعراء النصرانية: لويس شيخو، جـ٦، ص ٨٧٦.

(٣) اللسان: ابن منظور، جـ٤، ص ٢١٨٩.

(٤) ديوان أوس، ص ١.

(٥) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٥١.

المشكلات[1].

واشْتَبهت الأمور: اختلطت والتبست.

قال المثقب العبدي[2]:

إنَّ الأُمــــوْرَ إِذَا اسْــتَقبلتَها اشْــتبهتْ   وَفِــــيْ تَدَبُّرِهَــــا التبيــــانُ والعــــبرُ

قال عنترة[3]:

يَــاعَبْلَ دُونَــكِ كُــلَّ حَــيٍّ فَاسْــأَلِيْ   إِنْ كَــانَ عِنْــدَكِ شُــبْهَة فِي عَنْــتَر

قال المتلمس[4]:

وَقَـدْ كُنْــتَ تَرْجُــو أَنْ أَكُــوْنَ لِعقَبكُــمْ   زَنِيمــــا فمــــا أُجْــرِرْتُ أن أتَكلمــــا
لأُوْرِثَ بَعْــدِي سُــنةً يُهتَــدَى بِهَــا   وأجلــوَ عــن ذِي شُــبْهَةٍ إن تَوَهَّمَــا

والشبهات: جمع شبهة، ويراد بها الأمور الملتبسة، والمختلطة الـتي لم تتبـين صحتهـا، قال عامر بن الطفيل[5]:

تَبَــينْ فِــي شُـــبُهَاتِ الأمُــوْرِ   فَـــإِنَّ التَّجـــارِبَ قَـــدْ تُؤثَـــرُ

---

(١) اللسان، جـ٤، ص ٢١٩٠.

(٢) ديوان المثقب العبدي، ص ٥٧.

(٣) شعراء النصرانية: جـ٦، ص ٨٤١.

(٤) مختارات ابن الشجري: ص ٢٩. وشعراء النصرانية: لويس شيخو، جـ٣، ص ٣٣٩. (وفيهاأرجو بدلا من ترجو).

(٥) ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبي بكر محمد بن قاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بـن يحيـى ثعلـب، دار صـادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م، ص ٦٩.

عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري: وكنيته في الحرب أبـو عقيـل، وفي السـلم أبـو علـي، وهو ابن عم لبيد الشاعر، وكان فارس قيس وكان أعور عقيما، أتى النبي ﷺ فقال له: تجعل لي نصف ثمار المدينـة وتجعلني وليَّ الأمر من بعدك وأسلم؟ فقال النبي ﷺ **(اللهم اكفني عامرا واهْدِ بـني عـامر)** فـانصرف وهـو يتوعـد فطعن في طريقه فمات.

الشعر والشعراء: جـ١ ص ٣٤١، ٣٤٢. بلوغ الأرب: ص ١٢٩.

يقول: إن التجارب هي التي تبين صحة الأمور وتظهر ماالتبس منها.

و لم يرد لفظ الشبهات في القرآن الكريم وإنما وردت بعض مشتقات هذه المادة مثل: مشتبه، ومتشابه، ومتشابهات، وانحصرت في معنيين:

أولهما: شُبِّه عليه الأمر أي خُلِّط عليه أو لُبِّس عليه حتى اشتبه بغيره، ومن ذلك قوله تعالى[1]: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾. ومعنى شبه لهم أي ألقي شبهه على غيره، وقيل: لم يكونوا يعرفون شخصه وقتلوا الذي قتلوه وهم شاكون فيه[2].

وثانيهما: تشابهت الأشياء أي تماثلت، فالشيء متشابه والأشياء متشابهات[3]. ومنه قوله تعالى[4]: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تماثلت في الغي والضلال وطرق التفكير[5].

وورد لفظ متشابهات في قوله تعالى[6]: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾.

والمتشابه من القرآن ماأشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى، فقال الفقهاء المتشابه مالاينبئ ظاهره عن مراده، وحقيقة ذلك أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه[7].

وقد فصَّل العلماء في حقيقة المتشابه وأقسامه[8]. وفسر بعضهم معنى قوله تعالى ﴿**متشابهات**﴾ أي متشابهات في التلاوة ومختلفات في المعنى، وقال بعضهم المحكمات من آية الكتاب المعمول بهن وهن الناسخات والمتشابهات من آيه المتروك العمل بهن

(١) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٢) فتح القدير: جـ١، ص ٥٣٤.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٢٤.

(٤) سورة البقرة: ١١٨.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٢٤.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٧) المفردات: الأصفهاني، ص ٢٥٤.

(٨) انظر المفردات، ص ٢٥٤، ٢٥٥، والبصائر: الفيروزآبادي، جـ٣، ص ٢٩٤-٢٩٧.

المنسوخات، وقيل المتشابه ماااحتمل من التأويل أوجها. وقال آخرون: المحكم من آي القرآن ماعرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه مثل وقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة[1].

و لم يرد لفظ الشبهات في القرآن الكريم ووجدته في سياقات الأحاديث النبوية دالا على الأمور المشتبهة بين الحلال والحرام، من ذلك قوله ﷺ: (**إنّ الحلالَ بينٌ وإنّ الحرامَ بَينٌ وبينهما مُشْتَبهاتٌ لايَعلَمهُنَّ كَثيرٌ من النّاسِ، فَمن اتَّقَى الشُّبهاتِ اسْتَبرأَ لِدينهِ وعِرْضه، ومنْ وقَع في الشُّبهاتِ وقع في الحَرام كالراعي يرعى حَولَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرْتعَ فيه، ألَا وإنَّ لِكلِّ مَلكٍ حِمى ألا وإنَّ حِمَى اللّهِ مَحارمُه ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلحَتْ صلح الجسد كله، وإذا فَسدت فَسدَ الجَسَدُ كُلُّه ألا وهي القلب**)[2].

أما قوله ﷺ الحلال بين والحرام بين فمعناه أن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال بين واضح كالخبز والفواكه والزيت وغيره من المطعومات والكلام والنظر والمشي وغير ذلك من التصرفات، فهي حلالٌ بيّنٌ لاشكَّ في حِلّه.

وأما الحرام البين فكالخمر والخنزير والميتة وكذلك الزنا والكذب والغيبة والنميمة وأشباه ذلك.

وأما المشتبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لايعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة و لم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي، فإذا ألحقه به صار حلالا وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال البين فيكون الورع تركه ويكون داخلا في قوله ﷺ: (**فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه**) وما لم يظهر للمجتهد فيه شيء وهو مشتبه فهل يؤخذ بحله أم بحرمته، أم يتوقف فيه أربعة مذاهب: الأصح أنه لايحكم بحل ولا حرمة ولا إباحة

---

(١) جامع البيان في أحكام القرآن، م٣، جـ٤، ص ١١٤-١١٦.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ٢- باب فضل من استبرأ لدينه ٣٩، حديث (٥٢).

وصحيح مسلم: كتاب المساقاة ٢٢- باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٢٠، حديث (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، وهذا لفظ مسلم، وسيأتي قريبا لفظ البخاري.

ولا غيرها لأن التكليف عند أهل الحق لايثبت إلا بالشرع. والثاني: أن حكمها التحريم. والثالث: الإباحة. والرابع: التوقف[1].

وأما قوله ﷺ: (**ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**)، يحتمل وجهين: أحدهما أنه من كثرة تعاطيه الشبهات يصادف الحرام، وإن لم يتعمده، وقد يأثم بذلك إذا نسب إلى تقصير.

والثاني: أنه يعتاد التساهل ويتمرن عليه ويجسر على شبهة ثم شبهة أغلظ منها ثم أخرى أغلظ وهكذا حتى يقع في الحرام عمدا، وهذا نحو قول السلف: المعاصي بريد الكفر أي تسوق إليه، عافانا الله تعالى من الشر[2].

وورد اللفظ أيضا في قوله ﷺ: (**مَنْ سَمِعَ بالدَّجال فلينأَ عنه فوَاللّـه إنَّ الرَجُل لَيأتِيه وهو يَحسبُ أنَّه مؤمنٌ فيتَّبِعهُ ممَّا يَبعثُ به مِن الشُّبهَاتِ أَو لِما يَبْعثُ بِه من الشُّبهاتِ** (هكذا قال)[3].

ومعنى من الشبهات هنا أي المشكلات، كالسحر، وإحياء الموتى، وغير ذلك[4].

ولعلها اعتبرت من الشبهات لما تبعث به من الفتن، فالمتبع له متبع للفتنة، ولا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن نفسه إليه.

وورد أيضا بلفظ المشَّبهات، من ذلك مارُوي عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **الحلَالُ بَيِّنٌ والحَرامُ بَيِّنٌ وبينَهما مُشَبَّهات لايَعْلَمُهَا كَثيرٌ من النَّاس، فَمن اتقى المُشَبَّهات اسْتَبرأَ لِدينهِ وعِرْضهِ، ومَنْ وقعَ في الشبهاتِ كَراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل مِلكٍ حمى أَلَا وإنّ حِمَى اللّـهِ في أَرْضهِ محَارِمه، أَلَا وإنَّ في الجَسَد مُضْغَةً إِذا صَلحَتْ صَلحَ الجَسَدُ كُلُّه، وإذا فَسَدتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وهي القلبُ**[5].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١١، ص ٢٩، ٣٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: جـ١١، ص ٨٩.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الملاحم ٣١- باب خروج الدجال ١٤، حديث (٤٣١٩) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٤) عون المعبود: جـ١١، ص ٢٩٨.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ٢- باب فضل من استبرأ لدينه ٣٩، حديث (٥٢).

الجسد كله، ألا وهي القلب[1].

وبهذا يصبح لفظ الشبهات في الحديث النبوي لفظاً إسلامياً يدل في الشعر الجاهلي على معنى لغوي عام، فالشبهات ماالتبس واختلط من الأمور و لم تتبين صحتها، فلم يكن للفظ دلالة دينية ولكنّها تخصصت في سياقات الأحاديث النبوية لتصبح لفظاً له دلالة إسلامية خاصة، فإذا أطلق تبادرت إلى ذهن المسلم تلك الأمور المترددة بين الحلال والحرام، والتي لاتسكن لها النفس. ومما يلاحظ على لفظ (الشبهات) أنه جاء في جميع السياقات معرفاً بأل، وكأنَّ المراد به الشبهات المعروفة عند المسلم، والتي لايراد بهذا اللفظ غيرها.

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان ٢- باب فضل من استبرأ لدينه ٣٩، حديث (٥٢).

الرخصة

قال ابن فارس: الراء والخاء والصاد أصلٌ يدلُّ على لين وخلاف شدّة، من ذلك اللّحْمُ الرَّخْص، هو الناعم. والرَّخص: خلاف الغلاء. والرُّخْصَة في الأمر: خلاف التشديد [1]. وقد وجدته في الشعر الجاهلي دالا على الناعم اللين في قول الطفيل [2]:

فَفَازَ بِنَهْبٍ فيهِ مِنْهُمْ عَقِيلَةً ... لَهَا بَشَرٌ صَافٍ وَرَخْصٌ مُخَضَّبُ

والعقيلة هي كريمة الحي وصفها بصفاء بشرتها ولين أناملها المخضبة.

وجاء: الرُّخصُ بمعنى ضد الغلاء، في قول المرقش الأكبر [3]:

إِنَّا لَنُرْخِصُ يَومَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا ... وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الأَمْنِ أُغْلِينَا

يقول: إذا كان الروع تقدمنا للقاء فإن ذهبت أنفسنا ذهبت رخيصة لأننا بذلناها بالإقدام و لم نمنعها بالإحجام، ولكنها يوم الأمن غالية.

وفي الشاهدين دلالة على أن مشتقات هذه المادة تدل على اللين والسهولة. أما في القرآن الكريم فلا يوجد اللفظ ولا مادته.

وجاء لفظ رخصة في الحديث النبوي بدلالة تُعد امتدادا آخر للمعاني التي ورد بها في الشعر الجاهلي، من ذلك ماحَدَّث به قَزَعَةُ قال: أتيت أبا سعيد الخُدْري رضي ا لله عنه، وهو مَكْثورٌ عليه، فلمَّا تفرق الناس عنه قلت: إني لاأسألك عما يسألك هؤلاء عنه سألته عن الصوم في السفر فقال سافرنا مع رسول ا لله ﷺ إلى مكة ونحن صيام، قال: فنزلنا

---

(١) المقاييس: ابن فارس، جـ٢ ص ٥٠٠.

(٢) ديوان الطفيل الغنوي، ص ٥١.

(٣) شعراء النصرانية، جـ٣، ص ٢٨٧، شرح ديوان الحماسة، جـ١، ص ١٠٤.

منزلا فقال رسول الله ﷺ: **إنكم قد دَنَوْتُمْ من عدوكم والفطرُ أقوى لكم فكانت رُخْصَةً فمنّا من صام ومنّا من أفطر**[1].

ومما روي عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: يارسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل علي جناح. فقال رسول الله ﷺ: **(هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه)**[2].

ومعنى الرخصة هنا ترخيص الله للعبد في أشياء خففها عنه فهي مشتقة من الرخص، والرَخص هو اللين فهي من السهولة والمسامحة واللين، وقد دلتنا سياقات الأحاديث على أن الله سبحانه وتعالى رَخَّص لعباده أي سهل عليهم وخفف عنهم في بعض مايؤمرون به من الأحكام في العبادات حين يشق عليهم ذلك، ويظهر العذر الذي يجعل تنفيذ الحكم فيه مشقة عليهم كإباحة الفطر للصائم في نهار رمضان في السفر، ومن هنا عرف العلماء الرخصة من تعريفاتهم بأنها ماشرع الله للمكلف فعله كأكل الميتة أو تركه كترك الصوم (لعذر) والدليل المقتضي لتحريمه باق[3].

وذكر الجرجاني بأنها اسم لما شرع متعلق بالعوارض، أي مااستبيح بعذر من قيام الدليل المحرم عليه[4]، من ذلك رخصة الإفطار في رمضان، ورخصة التطهر بالصعيد الطيب عند عدم وجود الماء.

وقد تكون رخصة خاصة بأحد المسلمين من ذلك ماروي عن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب أنه قال: يارسول الله، أرأيت إن وُلِدَ لي بعدَك أسميه محمدا وأكنيه بكنيتك. قال: **نعم**، قال: فكانت رخصة لي[5].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الصوم، ١٣- باب أجر المفطر في السفر إلى تولى العمل ٣٦، حديث (١١٢٠).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصيام، ١٣- باب التخيير في الصوم والفطر في السفر ١٧، حديث ١٠٧ (١١٢١م).

(٣) أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل، تحقيق حسين أحمد السباعي، وحسن محمد الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص ؟؟؟.

(٤) التعريفات: الجرجاني، ص ٤٧.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الأدب، ٣٥- باب في الرخصة في الجمع بينهما ٧٦، حديث (٤٩٦٧).
وسنن الترمذي: كتاب الأدب ٤٤- باب ماجاء في كراهية الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته ٦٨، حديث (٢٨٤٣). قال الترمذي: (هذا حديث صحيح) وهذا لفظه.

ترضع سالما مولى أبي حذيفة حتى تُذْهِب غَـيْرَةَ أبـي حذيفـة، فَأَرْضَعَتـه وهـو رجـل، قـال ربيعة: فكانت رخصة لسالم[1].

وقد يطلب المسلم الرخصة ولا يرخص له ﷺ في الأمر، من ذلك ماروي عن ابن أم مكتوم قال: قلت للنبي ﷺ: إني كبير ضرير شاسع الدار وليس لي قائد يلازمني، فهل تجـد لي من رَخْصَة؟ قال: **هَلْ تَسمعُ النِّداءَ**؟ قُلْتُ: نعم، قال: **مَاأَجِدُ لَكَ رُخْصَةً**[2].

والمسلم مخير في الأخذ بالرخصة، من ذلك ماروي عن عائشـة رضـي اللـه عنهـا أن حمزة بن عمرو الأسلمي سـأل النبي ﷺ فقـال: يارسـول الله، إنـي رجـل أسْرُدُ الصـوم، أفأصوم في السفر؟ قال: (**صُمْ إنْ شِئتَ وأَفْطِرِ إنْ شِئْتَ**)[3].

أما قوله ﷺ: (صم إن شئت وأفطر إن شئت) فيه دلالة لمذهب الجمهـور أن الصـوم والفطر جائزان، وأن صوم الدهر وسرده غير مكروه لمن لايخاف منه ضـررا ولا يفـوت بـه حقا، بشرط فطر يومي العيدين والتشريق، لأنه أخبر بسرده و لم ينكر عليه، بـل أقـره عليـه وهذا محمول على أن حمزة بن عمرو كان يطيق السـرد بـلا ضـرر ولا تفويـت حـق، وأمـا إنكاره ﷺ على ابن عمرو بن العاص صوم الدهر -في حديث آخـر- فلأنـه علـم ﷺ أنـه سيضعف عنه، وهكذا جرى، فإنه ضعف في آخر عمره وكان يقول: ياليتني قبلت رخصة رسول اللـه ﷺ، وكان رسول اللـه ﷺ يحب العمل الدائم وإن قل ويحثهم عليه)[4].

نصل من مجموع هذه السياقات إلى أن الرخصة دلت على معنى شرعي خاص كمـا حددت السياقات بعض أنواع الرخص وبينت حكم الإتيان بالرخصة أو تركها كما بينـت لنا أن بعض الرخص كان خاصا في حالة خاصة.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن لفظ (رخصة) في جميع السياقات في الكتب الستة لم يخرج عن المعنى الشرعي، فبالتخصيص انتقل من الدلالة اللغوية العامة وهـي اللـين والسـهولة إلى

---

(١) سنن النسائي: كتاب النكاح ٢٦- باب رضاع الكبير ٥٣، حديث (٣٣٢١).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب في التشديد في ترك الجماعة ٤٧- حديث (٥٥٢).

وسنن ابن ماجـة، كتـاب المسـاجد والجماعـات، ٤- بـاب التغليـظ في التخلـف عـن الجماعـة ١٧، حديـث (٧٩٢).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الصيام ١٣- باب التخيير في الصوم والفطر في السفر ١٧، حديث ١٠٤ (١١٢١).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ٧، ص ٢٣٨.

الدلالة الشرعية الخاصة وهي مااستُبيح بعذر مع قيام الدليل المُحِّرم عليه، وفي ذلك ترخيص من الله للعبد في أشياء خففها عنه.

الفصل الثاني

ألقاب إسلامية

الخلفاء الراشدون، الصحابة ،التابعون، القراء، الغرباء

الخلفاء الراشدون

من المعاني التي وردت بها هذه المادة في الشعر الجاهلي مايأتي:

خلف الشيءُ الشيءَ وأخلفه إذا جاء بعده. قال الشاعر امرؤ القيس[1]:

فَـآبَ إِيابَـاً غَـيرَ نَكْـدٍ مُواكِـلٍ وَأَخْلَـفَ مـاءً بَعـد مـاءٍ فَضِيْـضِ

ومعنى أخلف ماءً أي عرقا بعد عرقه، أو جهدا مرّة بعد مرّة.

وقال زهير بن أبي سلمى[2]:

بِهَـا العِيْـنُ والآرَامُ يَمْشِـيْنَ خِلْفَـةً وأَطْلاؤُهَـا يَنْهَضْـنَ مِـنْ كَـلِّ مَجْثِـمِ

وقوله: (خِلْفَة) إذا مضى فوج جاء آخر، وأصله إذا ذهب شيء خلف مكانه شيء آخر.

وخلف فلان فلاناً أي: جاء بعده أو قام بالأمر بدلا منه. والخليفة الذي يستخلف ممن قبله والجمع خلائف جاءوا به على الأصل مثل كريمة وكرائم، وهو الخليف والجمع خلفاء[3].

قال أوس بن حجر[4]:

إنّ مِـنَ القَـوْمِ مَوْجُـوداً خَلِيفَتُـهُ وَمَـا خَلِيـفُ أبـي وَهْـبٍ بِمَوْجـودِ

وفي هذا مدح لأبي وهب وكأنه لايوجد من يمكن أن يكون خليفة له في فعاله

---

(١) ديوان امرئ القيس: ص ٧٦.

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٥.

(٣) اللسان، جـ٢، ص ١٢٣٥.

(٤) ديوان أوس بن حجر، ص ٢٥.

وصفاته.

وورد لفظ خليفة وخلفاء في القرآن الكريم بهذا المعنى اللغوي، فالخليفة من يخلف غيره، ويقوم مقامه ويجمع على خلائف وخلفاء، ومن ذلك قوله تعالى[1]: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾.

الخليفة هنا معناه الخالف لمن كان قبله من الملائكة، ويجوز أن يكون بمعنى المخلوف، أو يخلفه غيره، قيل هو آدم، وقيل كل من له خلافة في الأرض، ويقوي الأول قوله خليفة دون خلائف، واستغنى بآدم عن ذكر من بعده[2].

وورد الجمع (خلفاء) في ثلاث آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى[3]: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾. أي واذكروا نعمة الله عليكم في جعلكم من ذرية نوح الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته لما خالفوه وكذبوه[4].

والإخلاف قد يكون بخير أو بشر. قال تعالى[5]: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾.

قال: (بئسما خلفتموني من بعدي) هذا ذم من موسى لقومه أي بئس العمل ماعملتموه من بعدي أي من بعد غيبتي عنكم، يقال: خلفه بخير وخلفه بشر: استنكر عليهم مافعلوه وذمهم لكونهم قد شاهدوا من الآيات مايوجب بعض الانزجار والإيمان بالله وحده، ولكن هذا شأن بني إسرائيل في تلون حالهم واضطراب أفعالهم[6].

ولفظ الخليفة بهذا المعنى وارد في الحديث النبوي ولكن تخصص في الدلالة على من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) فتح القدير: جـ١، ص ٦٢.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٦٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ٢، ص ٢٣٠.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.

(٦) فتح القدير: جـ٢، ص ٢٤٨.

خلف رسول الله ﷺ في حكم المسلمين وولاية أمرهم وهم خمسة من ذلك ماروي عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: (**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء**) قال سعيد: قال لي سفينة: أمسك عليك أبا بكر سنتين وعمر عشرا وعثمان اثنتي عشرة وعليًّا كذا قال سعيد، قلت لسفينة: إن هؤلاء يزعمون أن عليا عليه السلام لم يكن بخليفة، قال: كذبت أسْتاه بني الزرقاء يعني بني مروان)(١).

ومما حدث به عبادٌ السماك قال: (سمعت سفيان الثوري يقول: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم)(٢).

(خلافة النبوة ثلاثون سنة) قال العلقمي: قال شيخنا: لم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة، وأيام الحسن، والثلاثون سنة هي مدة الخلفاء الأربعة، فمدة خلافة أبي بكر سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ومدة عمر عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، ومدة عثمان أحد عشر سنة وأحد عشر شهرا وتسعة أيام، ومدة خلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام، فلعلهم ألغوا الأيام وبعض الشهور.

وقوله ﷺ: (**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملكا بعد ذلك**). قال المناوي: أي بعد انقضاء زمان خلافة النبوة يكون ملكا لأن اسم الخلافة إنما هو لمن صدق عليه هذا الاسم بعمله للسنة، والمخالفون ملوك لا خلفاء، وإنّما تسمَّوا خلفاء لخلفهم الماضي)(٣).

وأخرج البيهقي في المدخل عن سفينة: (إن أول الملوك معاوية رضي الله عنه). والمراد بخلافة النبوة هي الخلافة الكاملة وهي منحصرة في الخمسة فلا يعارض الحديث (**لايزال هذا الدين قائما حتى يملك اثني عشر خليفة**) لأن المراد به مطلق الخلافة والله أعلم(٤).

وهذا يعني أن لفظ خليفة لايطلق على كل من خلف آخر في الحكم، بل لمن شملهم الهدى وعملوا بسنته ﷺ، وفي حديث أبي بكر: (جاءه أعرابي فقال له: أنت خليفة رسول

---

(١) سنن أبي داود: كتاب السنة ٣٤- باب في الخلفاء ٩، حديث (٤٦٤٦).

وسنن الترمذي، كتاب الفتن ٣٤- باب ماجاء في الخلافة ٤٨، حديث (٢٢٢٦) وقال: حديث حسن.

(٢) سنن أبي داود: كتاب السنة ٣٤- باب في التفضيل ٨، حديث (٤٦٣١) وهو موقوف على سفيان الثوري من كلامه.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود: جـ١٢، ص ٢٥٩.

(٤) المرجع السابق: جـ٢، ص ٢٦١.

اللـه ﷺ؟ فقال: **لا**، قال: فما أنت؟ قال: **أنا الخالفة بعده**)[١].

فالخليفة يعني من يقوم مقام الذاهب ويسد مسده والهاء فيـه للمبالغـة وجمعـه الخلفـاء على معنى التذكير لا على اللفظ، أما الخالفة فهو الذي لاغناء عنده ولا خير فيه، وكذلـك الخالف وإنما قال أبو بكر رضي اللـه عنه ذلك تواضعا وهضما من نفسه حين قال له: أنت خليفة رسول ا لله[٢].

والذي يدلنا على أن لفظ الخليفة أو الخلفاء في سياقات الحديث يدل علـى مـن جـاء بعده ﷺ وعمل بسنته ماجاء من وصفه ﷺ للخلفاء بعده بالراشدين وكذلك أمر المسلمين باتباع سننهم، روي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول اللـه ﷺ يومـا بعـد صـلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظـة مودع، فماذا تعهد إلينا يارسول ا لله، قال: **أوصيكم بتقوى اللــه والسـمع والطاعـة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكـم يـرى اختلافـا كثيرا، وإيـاكم ومحدثـات الأمـور فإنهـا ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليهـا بالنواجذ**)[٣].

فقوله ﷺ: (**عليكم بسنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهديـين**) يعـني الذيـن شملهـم الهدي والهدى وهـم الأربعة باجماع (أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) وهـم الذين أنفذ اللـه فيهم وعده وأنهى حده في قوله[٤]: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾

وقد قال ﷺ: (**اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكـر وعمـر**)[٥]. فخـص مـن الأربعـة اثنين. وقال للمرأة التي سألته وأمرها أن ترجـع إليـه فقـالت لـه: فـإن لم أجـدك، قـال لهـا:

---

(١) النهاية، جـ٢، ص ٦٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح) وهذا لفظه. وتقدم ص ٣٠٦ حاشية (٥).

(٤) سورة النور: الآية ٥٥.

(٥) أخرجه الترمذي وابن ماجة. وقال الترمذي: (حديث حسن) وتقدم ص ٣٠٨ وحاشية (٣).

تجدين أبا بكر)[1].

وورد لفظ خلفاء نكرة دالا على المعنى اللغوي في حديث واحد في ثلاثة مواضع بروايات مختلفة، والحديث مروي عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: **كانَتْ بَنو إسرائِيل تَسوسُهم الأنبياءُ كُلّما هَلَك نَبيٌّ خَلفه نَبي وإنه لانَبي بَعْدي، وسَتَكونُ خُلفاء فتَكثُر**، قالوا: فما تأمرنا، قال: **فُوا بيعَة الأوَلِ فالأوَل، وأَعْطوهُم حَقّهم،فإنّ اللّهَ سائِلهُم عمّا استرعَاهم)**[2].

تدلنا هذه السياقات التي ورد فيها لفظ خلفاء والخلفاء أنه إذا كان معرفا بأل دل على الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم، والذين يمثلون خلافة النبوة، والتي حددها النبي ﷺ بثلاثين سنة، أما إذا لم يُعرف بأل كان المراد أي خليفة، وهؤلاء كثيرون، كما بين ﷺ في الحديث السابق (**وستكون خلفاء تكثر**).

وورد اللفظ مفردا نكرة ومعرفا بأل وبالإضافة، وهنا يحدد السياق المعنى المراد فالله سبحانه يخلف الإنسان في ماله وأهله، فهو يتركهم في ذمة الله سبحانه ولا راعي يخلفه عليهم، فمما روي في ذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال: (**سُبحانَ الّذي سَخّرَ لنَا هذا.. اللّهُم إنّا نَسألُكَ في سَفرنَا هذا البر والتقوى ومن العَمَلِ ماتَرْضَى اللهم هَوّن علينَا سَفرنا هَذا واطوِ عَنّا بُعدَه، اللّهم أنتَ الصَاحِبُ في السَفرِ والخَلِيفَةُ في الأَهْل..)**[3].

والخليفة من استخلف على أمر المسلمين، من ذلك ماروي عن النبي ﷺ قال: (مااستخلف خليفة إلا له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم ا لله)[4].

وقد يضاف لفظ خليفة لله سبحانه فقد أخبرنا ﷺ بأنه لن يكون هنا نبي بعده، وإنما

---

(١) عارضة الأحوذي: جـ١٠، ص ١٤٦.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإمارة ٣٣- باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ١٠، حديث (١٨٤٢) وورد الحديث أيضا في صحيح البخاري (٣٤٠٠) وابن ماجة (٢٨٧١).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الحج ١٥- باب مايقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ٧٥، حديث (١٣٤٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح البخاري: كتاب القدر ٨٢- باب المعصوم من عصم الله ٨، حديث (٦٦١١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

خلفاء ومنهم من سيستخلفه اللـه سبحانه من ذلك قوله ﷺ: (**يقتتـل عنـد كـنزكم ثلاثـة كلهم ابن خليفة ثم لايصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايـات السـود مـن قبـل المشـرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر شيئا لاأحفظه، فقال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة اللـه المهدي**)[1].

وبعد هذا العرض يتبين لي أن لفظ الخلفاء جمعا معرفا بأل موصوفا بالراشدين أو غير موصوف بها خصصته سياقات الأحاديث في الدلالة على الخلفـاء الراشـدين الأربعـة (أبـي بكر وعمر وعثمان وعلي) رضي ا لله عنهم، يثبت هذا التخصيص قوله ﷺ: (**خلافة النبوة ثلاثون سنة**) فهذه هي الخلافة الحقة الراشدة التي أرادها ﷺ بقوله: (عليكـم بسـنتي وسـنة الخلفاء الراشدين بعدي..) هذا مع بقاء دلالة اللفظ اللغويـة مسـتعملة في السـياقات بدليـل قوله ﷺ: (وستكون خلفاء تكثر) فيكون المراد أي من خلف سلفه في ولاية الأمر فالخلافة مستمرة باستمرار الحياة.

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، حديث (٤٠٨٤) وقد انفرد به ابن ماجة ورجاله ثقات.

الصحابة

صَحِبه وصاحَبَه عاشره، والصاحب المُعاشِر، والجمع أصحاب وأصاحيب، وصُحبان، مثل شاب وشبان، وصِحاب مثل جائع وجياع، وصَحْب وصحابةٌ وصِحابَةٌ[1].

قال امرؤ القيس[2]:

إذَا قُلتُ هذا صاحِبٌ قد رَضِيْتُه   وَقَرَّتْ به العَيْنَان بُدِّلْتُ آخَرَا
كَذَلِكَ جَدِّي ماأُصاحبُ صاحبا   من النَّاسِ إلا خانَني وَتَغَيَّرَا

يقول: إن الدّهر قد تغير وأنه لايلقى ما يسره، ويُقر عينه، وكلما لقي إنسانا ورجا منه حسن الصحبة بدا منه عند الاختبار مالايرضاه ولا يقر عينه.

وجمع صاحب على أصحاب، قال المرقش الأكبر[3]:

سَرَىْ لَيْلاً خَيَالٌ مِنْ سُلَيْمَى   فَأَرَّقَنِي وَأَصْحَابِيْ هُجُوْدُ

وجمع على صحابة، قال الأخنس بن شهاب التغلبي[4]:

وَقَدْ عِشْتُ دَهْراً والغُوَاةُ صَحَابَتِيْ   أُوُلئِكَ خُلْصَانِي الّذِيْنَ أُصَاحِبُ

فلفظ الصاحب وجمعه استعمل للدلالة على من يعاشرهم الإنسان سواء كان صالحا أو من الغواة.

---

(١) اللسان، جـ٤، ص ٢٤٠٠.
(٢) ديوان امرئ القيس: ص ٦٩.
(٣) المفضليات، ص ٢٢٣.
(٤) المرجع السابق: ص ٣٠٤.
الأخنس بن شهاب بن عمرو بن غنم بن تغلب: أحد الشعراء والفرسان.
المؤتلف والمختلف: ٢٧.

وورد اللفظ في القرآن الكريم دالا على المعاشر، وعلى مالك الشيء الذي يملك التصرف فيه، قال تعالى[1]: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾.

(قال له صاحبه) أي قال صاحب الجنتين الكافر لصاحبه المؤمن: (وهو يحاوره) أي الكافر يحاور المؤمن، أي: يراجعه الكلام ويجاوبه[2].

فأطلق لفظ الصاحب على صاحب الجنتين الكافر.

وجاء في آية أخرى دالا على أبي بكر رضي الله عنه الصاحب المؤمن، ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته. قال تعالى[3]: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾

وفي قوله تعالى[4]: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾. وقد سمى النبي ﷺ صاحبهم تنبيها أنكم صحبتموه وجربتموه وعرفتموه ظاهره وباطنه، ولم تجدوا به خبلا وجنة[5].

وجاء أمر الله سبحانه بمصاحبة الوالدين ومعاشرتهما بالمعروف، قال تعالى[6]: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾.

أي صاحبا أو مصاحبا معروفا وعِشرة جميلة، وهو إطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما وعيادتهما إذا مرضا ومواراتهما إذا ماتا[7].

واستعمل اللفظ في القرآن الكريم مضافا دالا على مالك الشيء، والملازم للشيء، والصديق والمعاشر، من ذلك: أصحاب الكهف والرقيم، وأصحاب مدين، وأصحاب القرية، وأصحاب موسى، وأصحاب الجنة، وأصحاب النار، وأصحاب الجحيم، وأصحاب السعير، وأصحاب السبت، وأصحاب الشمال، وأصحاب الميمنة، وهكذا، فإن لفظ

---

(١) سورة الكهف آية ٣٤.

(٢) فتح القدير: جـ٣، ص ٢٨٦.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٤) سورة سبأ: الآية ٤٦.

(٥) المفردات: الأصفهاني، ص ٢٧٥.

(٦) سورة لقمان: الآية ١٥.

(٧) البحر المحيط، جـ٧، ص ١٨٧.

صاحب أطلق على المعاشر، وعلى مالك الشيء، والذي يملك التصرف فيه، وهذا هو المعنى اللغوي العام للفظ صاحب.

أما في الحديث النبوي فتخصص في الدلالة على صحابة رسول الله ﷺ من ذلك ماروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لاتَسبوا أَصْحَابي، فوالّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لو أَنَّ أَحَدَكم أَنْفَقَ مِثْلَ أُحدٍ ذَهَبا ماأدرَكَ مُدَّ أَحدِهم ولا نَصيفَهُ**)[1].

وَبَيَّن رسول الله ﷺ أن أصحابه الذين صحبوه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: (**السَّلامُ عَليكم دَارَ قَوْمٍ مُؤْمنين، وإنَّا إنْ شَاءَ اللّهُ بكم لاحِقُون، وودت أنَّا قَدْ رأينا إخواننا**، قالوا: أَولَسْنَا إخوانَك يارسولَ الله. قال: (**أنتم أَصْحَابي، وإِخْوانَنا الذين لم يَأْتوا بَعْد..**)[2].

كما بين ﷺ أن خير القرون قرنه، فعن عبيدة عن عبدالله قال: سُئل رسولُ اللّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خَير، قال: **قَرْنِيْ ثُمَّ الذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ ثُمَّ الذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَومٌ تَبْدُرُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِيْنَهُ وتَبْدُرُ يَمِيْنُهُ شَهَادَتَهُ**)[3].

وقد تبين من الحديث أن خير القرون قرنه ﷺ، والمراد أصحابه، واختلف المراد بالقرن هنا، وفي مدته، والصحيح أن قرنه ﷺ الصحابة والثاني التابعون، والثالث تابعوهم.

أما من هُمْ الصحابة؟ فدلتنا نصوص الأحاديث على أنهم من صحبوا رسول الله ﷺ وعلى أنهم خير القرون كما دلتنا بعض النصوص على فضلهم ومكانتهم.

وبتتبع سياقات الحديث النبوي في الكتب الستة وجدت أن لفظ (أصحاب) ورد مفردا جمعا كما ورد لفظ (صحابة)، وبالبحث عن دلالة هذه الألفاظ في كل موضع وجدت أن لفظ (صاحب) ورد بالمعنى اللغوي حيث أطلق على من كثرت ملازمته للشخص أو لشيء. ومن ذلك ماروته عائشة عن النبي ﷺ عندما مرَّ على قبر فقال: **إن**

---

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ٤٤- باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ٥٤. حديث (٢٥٤٠) وروي أيضا عن أبي سعيد رضي الله عنه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣) ومسلم برقم (٢٥٤١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الطهارة ٢- باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ١٢- حديث (٢٤٩).

(٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ٤٤- باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٥٢، حديث ٢١١ (٢٥٣٣).

صاحب القبر لَيُعذَّبُ وإن أهله يبكون عليه، ثم قرأت: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[1].

وورد دالا على صحابة رسول الله بالإضافة إلى لفظ (رسول) أي محمد ﷺ وذلك في آثار الصحابة ومن ذلك ماحدث به يزيد الفقير وفيه قوله فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبدالله يحدث القوم جالس إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجَهَنَّميينَ، قال: فقلت له: ياصاحب رسول الله ماهذا الذي تحدثون به..)[2].

وورد بمعنى الصحبة والبر أيضا في حديث روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (**أمك**)، قال: ثم من؟ قال: (**أمك**). قال: ثم من؟ قال: (**أمك**). قال: ثم من؟: قال: (**أبوك**)[3].

وورد في الآثار لفظ (صحابة) مضافا إلى رسول الله ﷺ أو إلى ضميره (صحابته) من ذلك ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر، قال: وكان صحابة رسول الله ﷺ يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره)[4].

وورد لفظ (صحابة) مضافة إلى ضمير (الهاء) عائداً على رسول الله ﷺ في خمسة مواضع من الكتب الستة وهو حديث واحد مروي بطرق خمس، ودل على المعنى الإسلامي للفظ (الصحابة) من ذلك ماروي عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ أعطاه غنما يقسمها على صحابته فبقي عَتُودٌ فذكره للنبي ﷺ فقال: **ضحِّ به أنت**)[5].

أما لفظ (أصحاب) فقد وردت في أحاديث رسول الله ﷺ دالة على من صحبه ﷺ وذلك بإضافتها لياء المتكلم، كقوله ﷺ: (**أنتم أصحابي**)[6] وكذلك في قوله ﷺ: (**جاءني جبريل فقال: يامحمد، مر أصحابك فيلرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعار**

---

(١) سنن النسائي: كتاب الجنائز ٢١- النياحة على الميت ١٥، حديث (١٨٥٥) والآية رقم ١٦٤ من سورة الأنعام

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ١- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ٨٤، حديث ٣٢٠ (١٨٨).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب ٧٨- باب من أحق الناس بحسن الصحبة ٢، حديث (٥٩٧١).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الصيام ١٣- باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان ١٥، حديث (١١١٣).

(٥) سنن النسائي: كتاب الضحايا ٤٣- المسنة والجذعة ١٣، حديث (٤٣٧٩).

(٦) أخرجه مسلم، وتقدم بتمامه ص ٣٢٩، حاشية (٢).

الحج)[1].

وورد لفظ (الأصحاب) معرفا بأل بمعناه اللغوي في حديث واحد، رواه عبدالله بن عمرو وفيه يقول: قال ﷺ: (**خير الأصحاب عِنْدَ اللّه خَيْرُهُم لِصَاحبه وخَيْرُ الجيران عند اللّه خَيْرُهم لجاره**)[2].

نستدل من هذا التتبع للفظ (أصحاب) و (صحابة) أن ماجاء على لسان رسول الله ﷺ للدلالة على صحابته هو لفظ (أصحاب) وليس لفظ (صحابة) وأن لفظ (أصحاب) حين عرف بأل وأطلق لم يكن المراد به أصحاب رسول الله ﷺ، وهذا يدلنا على أن لفظ (أصحاب) لم يدل على من صحب رسول الله ﷺ في الحديث النبوي إلا بالتخصيص الإضافي: (أصحابي) (أصحابك) (أصحابه) والضمير يعود على الرسول ﷺ.

أما حين أضيفت لاسم ظاهر دلت على فئة معينة مثل: أصحاب النار، أصحاب القبور.. من ذلك ماروي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**إن أصحابَ هذه الصور يُعذَّبُون ويُقَالُ لهم: أحيوا ماخَلَقْتُم**)[3].

أما لفظ (صحابة) فلم يرد على لسان رسول الله ﷺ دالا على أصحابه، وإنما ورد في الآثار المروية عن الصحابة من ذلك ماروي عن هشام عن أبيه أن عمر أرسل إلى عائشة ائذني لي أن أدفن مع صاحبي، فقالت: إي والله، قال: وكان الرجل إذا أرسل إليها من الصحابة، قالت: لا والله لا أوثرهم بأحد أبدا[4].

وشاع استعمال لفظ (أصحابه) وتخصص في الدلالة على صحابة رسول الله ﷺ وأصبح علما عليهم، فنجد أصحاب الكتب الستة في تعليقهم على رواة الأحاديث يستعملون لفظ (صحابة) وكذلك استعمل اللفظ في فهرسة هذه الكتب، ففي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، وفيه: باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين

(١) سنن ابن ماجة: كتاب المناسك ٢٥- باب رفع الصوت بالتلبية ١٦، حديث (٢٩٢٣) ولم يروه غيره من حديث زيد بن خالد، وهو في السنن الأربعة وغيرها عن السائب بن خلاد رضي الله عنه.

(٢) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة ٢٨- باب ماجاء في حق الجوار ٢٨، حديث (١٩٤٤) وقال (حديث حسن).

(٣) صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة ٣٧- باب تحريم تصوير صورة الحيوان ٢٦، حديث ٩٦ (٢١٠٧).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩٦- باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة ١٥، حديث (٧٣٢٨).

يلونهم ثم الذين يلونهم. وأيضا باب تحريم سب الصحابة.

وبهذا يمكنني القول بأن بداية هذا اللفظ كانت أحاديث رسول الله ﷺ، فهو الذي جعلهم أصحابه، وجعلنا إخوانه، وسمى من جاء بعهدهم بالتابعين، ولكن الاستعمال والذي بدأ من الآثار المروية عن صحابته ﷺ ثبت لفظ (صحابة) ليصبح علما على من صحبه ﷺ وجعلهم خير القرون، ثم تتابعت أقوال العلماء لوضع أبعاد وحدود هذا اللفظ للتعريف بمن يمكن أن يطلق عليه لفظ (صحابي).

وقد اختلف العلماء في تعريف الصحابي هل يطلق على من لقي النبي ﷺ أو رآه ولو مرة واحدة متبعا له أو يطلق على من طالت صحبته للنبي ﷺ وكثرت مجالسته له وروى عنه، وجمهور المحدثين وإن اختلفت عباراتهم في تعريف الصحابي إلا أنهم يطلقون هذا اللفظ على من لقي النبي ﷺ أو رآه متبعا له ولو مرة واحدة.

قال البخاري: من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من الصحابة(١).

وقال الإمام أحمد: من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من الصحابة(٢).

وقال ابن حجر: الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام ولو تخلّلت رِدّة في الأصح(٣).

وقال السخاوي: رائي النبي ﷺ حال كونه مسلما عاقلا ذو صحبة على الأصح كما ذهب إليه الجمهور من المحدثين والأصوليين، وغيرهم اكتفى بمجرد الرؤية ولو لحظة، وإن لم يقع معها مجالسة، ولا مماشاة، ولا مكالمة لشرف منزلة النبي ﷺ.(٤).

وهذا التعريف هو أجمع التعريفات، وإن كان لفظ اللقيا أولى من لفظ الرؤيا.

وقد وجدت عبارة جامعة تدل على أن لفظ صحابة أصبح علما على أصحاب رسول الله ﷺ، يقول صاحب الكليات: الصحابة في الأصل مصدر أطلق على أصحاب

---

(١) مقدمة ابن الصلاح، ص ١٤٦.

(٢) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي، جـ٣، ص ٩٣.

(٣) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ابن حجر، ص ١٠٩.

(٤) فتح المغيث شرح ألفية الحديث: السخاوي، جـ٣، ص ٩٣.

الرسول، لكنها أخص من الأصحاب لكونها بغلبة الاستعمال في أصحاب الرسول كـالعَلم لهم، ولهذا نسب الصحابي إليها بخلاف الأصحاب.

والصاحب مشتق من الصحبة، وهي وإن كانت تعم القليل والكثير، لكن العرف خصصها (لمن كثرت ملازمته وطالت صحبته)[1].

---

(١) الكليات: ص ٥٥٨.

التابعون

للفظ التابعين ومادته عدة معان لغوية وردت في الشعر الجاهلي منها:

تبع الشيء أو الشخص أي وافقه وعمل ماأراده له، قال تأبط شرا(١):

غَـدَاةَ تَقُـولُ: قَـدْ مَلَكْتُـمْ فَأسْـجِحُوا   وإنِّـيْ لِمـا أَسْـلَكْتُمُوْنِيْ لَتَـابِعُ

ومعنى أسْجحوا: هونوا وسهلوا، وأسلكتموني: حملتموني عليه.

تبع الشيء سار في إثره أو لحق به، قال حاتم الطائي(٢):

إِنَّ البَخِيْـلَ إذا مَامَـاتَ يَتْبَعُـهُ   سُـوْءُ الثَّنَـاءِ وَيَحْـوِي الـوارِثُ الإِبـلاَ

التتابع: التوالي، والتابع: التالي، قال عروة بن الورد(٣):

فَمَـا شَـابَ رَأْسِـي مِـنْ سِـنِيْنَ تَتَـابَعَتْ   طِـوَالٍ وَلَكِـنْ شَـيَّبَتْهُ الوَقَـائِعُ

التابع: اللصيق بالقوم. والتابع للشيء أي المتبع له، قال النابغة(٤):

لِيَهْنَـئ بَـنِي ذُبيـان أَنَّ بِلادَهُـم   خَلَـتْ لهـمُ مِـن كـلِّ مَوْلًـى وتَـابعِ

وقال حاتم الطائي(٥):

سَـأنْصُرُهُ إِنْ كَـانَ للحَـقِّ تَابِعًـا   وَإِنْ جَـارَ لَـمْ يَكْـثُرْ عليـهِ التَّعَطُّـفُ

---

(١) ديوان تأبط شرا، ص ١١١.

(٢) شعراء النصرانية، جـ ١، ص ١٢٨.

(٣) ديوان عروة بن الورد: ص ١٦٠.

(٤) ديوان النابغة: ص ٨٦.

(٥) ديوان حاتم بن عبدالله الطائي، ص ٢٢٥، وانظر شعراء النصرانية، جـ١، ص ١٣١.

والتابع للحق، المتبع له.

تبعه: أطاع أمره وسار على نهجه واقتدى به، قال لبيد بن ربيعة[1]:

وَأَسْــرَع في الفَوَاحِــشِ كــلُّ طِمْـــلٍ ... يَجُـــرُّ المخزَيـــاتِ وَلا يُبَـــالِيْ

أَطعتُـــمْ أَمْــــرَهُ فَتَبِعْتُمُــــوهُ ... وَيَـــأْتِيْ الغـــيَّ مُنْقَطِـــعَ العقَـــالِ

يقول: إنكم أطعتم أمره وتبعتموه مع أنه يأتي بالمخزيات من الأمور والأفعال القبيحة ويأتي الغي لايمنعه من ذلك أحد ولا يحبسه عنه فهو سريع فيه.

وقال الأعشى[2]:

تَلْقَـى لَــهُ سَــادَةَ الأَقْــوَامِ تَابِعَــةً ... كُــلٌّ سَـيَرْضَى بِــأَنْ يُرْعَـى لَــهُ تَبَعًـا

والتابعون هم الذين يتبعون قائدا أو حاكما يقودهم في حرب أو غيرها، قال كليب يخاطب البراق وقد كان معتزلا عنهم بقومه لرغبة لكيز عنه بابنته ليلى، فقالوا لـه: قـد طـم الخطب ولا فرار لنا عليه[3]:

إليــكَ أَتَيْنَــا مُسْــتَجيْرِيْنَ للَّنصْــرِ ... فَشَــمِّرْ وبَــادِرْ للقِتَــالِ أَبَــا نَصْــرِ

وَمــا النَّــاسُ إلا تَــابِعُوْنَ لِوَاحِــدٍ ... إِذَا كَــاْنَ فِيْــهِ آلــةُ المَجْــدِ والفَخْــرِ

يتبين من الشواهد السابقة أن مادة تبع في الشعر الجاهلي دلـت علـى كـل مـن سـار على نهج معين متبعا في ذلك شخصا أو شيئا أو مقتفيا أثرا، كما دل لفـظ التـابعين علـى كل من اتبع غيره واقتفى أثره بسببٍ ما، كأن يكون قائد حرب، أو شيخ قبيلـة، أو غـيره،

---

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة: ص ٩٤.

(٢) ديوان الأعشى الكبير: ص ١٠٩.

(٣) شعراء النصرانية، القسم الثاني، ص ١٤١.

كليب بن ربيعة التغلبي: وهو كليب وائل الذي يُضرب به المثل في العز فيقال: أعز من كليب وائل، وهو أخو مهلهل بن ربيعة، وهما خالا امرئ القيس بن حجر الكندي، وبسبب قتله كانت حرب البسوس بين بكر وتغلب.

معجم الشعراء: ٣٥٤.

سواء كان على الحق أو الباطل و لم تكن للفظ أي دلالة دينية في الشعر الجاهلي.

وورد اللفظ في القرآن الكريم بمعنى أتبعه إتباعا أي سار وراءه سواء أكان السير حسيا أم معنويا، والإتباع المعنوي هوا لاقتداء والامتثال وأكثر ماجاء في القرآن هو من الإتباع المعنوي، ومن الإتباع الحسي قوله تعالى[1]: ﴿ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾.

المراد بالتابعين هم الذين يتبعون القوم فيصيبون من طعامهم لاهمة لهم إلا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء[2].

ويقال أتْبعه إذا لحقه، ومنه قوله تعالى[3]: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾. أي لحقهم، أو كاد يلحقهم[4].

ومن الإتباع المعنوي قوله تعالى[5]: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال: على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس[6].

وورد لفظ (تابع) في قوله تعالى[7]: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿**وما أنت بتابع قبلتهم**﴾ هذا الإخبار ممكن أن يكون بمعنى النهي من الله سبحانه لنبيه ﷺ إلى القبلة التي كان عليه وقوله ﴿**وما بعضهم بتابع قبلة بعض**﴾ فيه إخبار بأن اليهود والنصارى مع حرصهم على مبايعة الرسول ﷺ لما عندهم مختلفون في دينهم حتى

---

(١) سورة النور: الآية ٣١.

(٢) فتح القدير، جـ٤، ص ٢٤.

(٣) سورة يونس: الآية ٩٠.

(٤) البصائر، جـ٢، ص ٢٩٣.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٦) فتح القدير، جـ١، ص ٣٣٤.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٤٥.

في هذا الحكم الخاص الذي قصه الله سبحانه على رسوله، فإن بعضهم لايتابع الآخر في استقبال القبلة[1].

فإذا كان التابع في القرآن الكريم يدل على الاقتداء والامتثال فإن له في الحديث النبوي دلالة إسلامية خاصة لم ترد إلا في حديث واحد مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنَّ خيْرَ التابعين رَجلٌ يقالُ له أُوَيس وله وَالِدةٌ وكان به بَياضٌ، فمُرُوه فليَسْتغفِر لكم**)[2].

(إن خير التابعين رجل يقال له أويس) هذا صريح في أنه خير التابعين، وقد يقال قد قال أحمد بن حنبل وغيره أفضل التابعين سعيد بن المسيب، والجواب أن مرادهم أن سعيدا أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها، لا في الخير عند الله تعالى[3].

وقد اختلفت عبارات المحدثين في تعريف التابعي بين إطلاق وتقييد، قال الخطيب الحافظ: التابعي من صحب الصحابي[4]. وقال السيوطي: وأحدهم تابعي وتابع، قيل: هو من صحب الصحابي، وقيل: من لقيه، وهو الأظهر[5].

ولكن أوضح هذه التعريفات وأشملها تعريف السخاوي للتابعي في شرحه لألفية العراقي يقول: التابع ويقال له التابعي أيضا وكذا التبع. وهو اللاقي لمن قد صحب النبي ﷺ واحدا فأكثر، سواء كانت الرؤية من الصحابي نفسه حيث كان التابعي أعمى أو بالعكس، أو كانا جميعا، كذلك يصدق أنهما تلاقيا وسواء كان مميزا أم لا، سمع منه أم لم يسمع)[6].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن لفظ (التابعين) لم يرد إلا في حديث واحد في الكتب الستة، أي أن الرسول ﷺ هو الذي أطلق على الجيل الذي يلي الصحابة لفظ التابعين، ثم شاع اللفظ بعد ذلك بالاستعمال حتى أصبح علما على من صحب الصحابي، فقد ورد

(١) فتح القدير: جـ١، ص ١٥٤.

(٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ٤٤- باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه ٥٥ حديث ٢٢٤(٢٥٤٢).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٦، ص ٣١١، ٣١٢.

(٤) علوم الحديث: ابن الصلاح، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٥) تدريب الراوي: السيوطي، جـ٢، ص ٢٧٢.

(٦) فتح المغيب شرح ألفية الحديث: العراقي، جـ٣، ص ١٥٢.

اللفظ كثيرا في الكتب الستة من كلام رواة الحديث للإشارة إلى رواية أحد التابعين للحديث الذي أورده أو للدلالة على أن أحد التابعين قد قام بتفسير حكم فقهي أو ترجيحه لما ورد في حديث نبوي، من ذلك ماروي عن علي بن أبي طالب أنه ذكر القيام في الجنائز حتى توضع فقال علي: قام رسول الله ﷺ ثم قعد، قال أبو عيسى: حديث علي حديث صحيح وفيه رواية أربعة من التابعين بعضهم عن بعض، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، قال الشافعي: وهذا أصح شيء في هذا الباب(١).

وورد في موضع آخر مانصه: رُوي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه رأى في الحلي زكاة وفي إسناد هذا الحديث مقال، واختلف أهل العلم في ذلك فرأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين في الحلي زكاة ماكان منه ذهب وفضة وبه يقول سفيان الثوري وعبدالله بن المبارك(٢).

وقد ورد اللفظ مفردا نكرة ومعرفا بأل ولكن بمعان لغوية مختلفة، من ذلك قوله ﷺ: (**تَدْمعُ العَينُ ويَحْزنُ القَلبُ ولا نقولُ مايُسْخِطُ الرَّبَ لولا أنَّهُ وَعْدٌ صَادِقٌ وَموعُودٌ جَامِعٌ وأنَّ الآخِرِ تَابعٌ لـلأولِ لوجَدنَا عَليكَ يـاإبرَاهِيمُ أَفْضَل مِمَّا وَجَدنا وإنَّا بـك لمحزونون**)(٣). ومعنى تابع للأول: أي تالٍ له لاحق به.

ومن ذلك أيضا قول أبي بكر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: **لانورث ماترَكْنَا صَدقَةٌ، والله يعْلمُ إنَّهُ صَادِقٌ بَارٌ رَاشِدٌ تَابعٌ للحقِّ**)(٤).

وبهذا يمكن القول بأن لفظ التابعين قد انتقل من المعنى اللغويّ العام وهو التابع (وهو كل من تبع شيئا أو شخصا واقتفى أثره وسار على نهجه) إلى المعنى الشرعي الخاص حيث تخصص في الدلالة على من صحبوا الصحابة (رضوان الله عليهم) واقتفوا أثرهم، وبالتخصيص، ثبت هذا المعنى الذي لم يكن في حياة الجاهليين بل إنه من الدلالات الجديدة التي حمّلها الإسلام للألفاظ القديمة.

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الجنائز ٨- باب ارخصة في ترك القيام لها ٥٢، حديث (١٠٤٤).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الزكاة ٥- باب ماجاء في زكاة الحلي ١٢، عقب حديث (٦٣٦).

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب الجنائز ٦- باب ماجاء في البكاء على الميت ٥٣، حديث (١٥٨٩). قال البوصيري في المصباح ١:٥٢٢(٥٧٢) (هذا إسناد حسن، وله شاهد من حديث أسامة بن زيد رواه الأئمة الستة).

(٤) سنن الترمذي: كتاب السير ٢٢- باب ماجاء في تركة رسول الله ﷺ ٤٤، حديث (١٦١٠) وقال: (حديث حسن صحيح).

القراء

أصل هذا اللفظ مأخوذ من قرأ ومعنى قــرأ الكتـاب يقـرؤه قـراءة وقرآنـا: أَيْ نطـق بكلماته المكتوبة جهرا أو سرا.

وقرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض[1].

ويبدو أن هذا المعنى لم يكن شائعا في الشعر الجاهلي؛ لأن القراءة لم تكن جـزءا مـن حياة الجاهلي حتى تظهر في شعره.

وبالعودة إلى أصل المعنى الذي يجمع مشتقات هذه المادة نجدها تدل على جمع الشيء وضمه بعضه إلى بعض وقد وجدت بعض الأبيات الدالة على هذا المعنى منها قـول المرقـش الأكبر[2]:

لَـــمْ تَقْـــرَأ القَيْـــظَ جَنِينَـــاً وَلا   أَصُرُّهـــا تَحْمِـــل بَهْـــمَ الغَنَـــمْ

ومعنى لم تقرأ جنينا لم تحمل به، أي لم تجمعه في بطنها، وليس لها لبن يُصرُّ كما أنها ليست ممن يحمل ولد الغنم، بل إنها نجيبة معدة للسير.

والقارئ: الوقــت، تقـول منـه أقـرأتْ الريـح إذا دخلـت في وقتهـا. قـال مـالك بـن الحارث[3]:

كَرِهْـــتُ العَقْـــرَ عَقْـــرَ بَنِـــي شـــليل   إِذَا هَبَّـــتْ لِقَارِئِهَـــا الرِّيَـــاحُ

أي لوقتها.

---

(١) الصحاح: جـ١، ص ٦٥.

(٢) المفضليات، ص ٢٣٠.

(٣) الأصمعيات، ص ٨٦.

مالك بن الحارث الهذلي: أحد بني كاهل، مخضرم.

معجم الشعراء: ٣٦٢.

ووردت بمعنى القراءة في بيت للسموأل قال فيه[1]:

لَيْتَ شِعْرِيْ وَأشْعُرَنَّ إذا ما قِيْلَ اقْرَأْ عُنْوانَها وقَرَيْتُ

ولعل وجود هذا المعنى في الشعر الجاهلي نادر لندرة المعرفة بالقراءة والكتابة التي بدأ الحرص عليها مع نزول القرآن والدخول في الإسلام، فكانت أول آياته نزولا مخاطبة محمد ﷺ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ ﴾[2]. كما كانت معجزته ﷺ لغوية وسمى الله كتابه المنزل على رسوله قرآنا، ومن هنا ظهرت بعض الألفاظ الإسلامية التي تعتمد على هذه المادة مثل قرآن وقارئ وقراء وقراءات.

وورد لفظ قرأ في القرآن الكريم بمعنى قراءة القرآن الكريم، قال تعالى[3]: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ ﴾ لما ذكر سبحانه العمل الصالح والجزاء عليه أتبعه بذكر الاستعاذة التي تخلص بها الأعمال الصالحة عن الوساوس الشيطانية فقال: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعاذة عند إرادتها للتنبيه على أنها لسائر الأعمال الصالحة عند إرادتها أهم، لأنه إذا وقع الأمر بها عند قراءة القرآن الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كانت عند إرادة غيره أولى[4].

وورد لفظ القرآن بمعنى القراءة قال تعالى[5]: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ﴾

(إن علينا جمعه) أي في صدرك حتى لايذهب عليك منه شيء (وقرآنه) أي إثبات قراءته في لسانك، قال الفراء: القراءة والقرآن مصدران. وقال قتادة: فاتبع قرآنه: أي شرائعه وأحكامه (فإذا قرآناه) أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل (فاتبع قرآنه) أي

---

(١) الأصمعيات: ص ٨٦.

(٢) سورة العلق: الآية ١.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٨.

(٤) فتح القدير: جـ٣، ص ١٩٣.

(٥) سورة القيامة: الآيات ١٧، ١٨.

قراءته[1].

والقرآن كتاب الله المعجز الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ.[2].

وقد صار له كالعلم كما أن التوراة لما أنزل على موسى، والإنجيل على عيسى صلى الله عليهما وسلم، قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنا من كتب الله لكونه جامعا ثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم)[3].

قال تعالى[4]: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾.

وقوله: (أنزل فيه القرآن) قيل أنزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم كان جبريل ينزل به نجما نجما، والقرآن اسم لكلام الله تعالى وهو بمعنى المقروء كالمشروب سمي شرابا، والمكتوب سمي كتابا[5].

وورد لفظ القرآن بمعنى الصلاة قال تعالى[6]: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾

قال المفسرون: المراد بقرآن الفجر صلاة الصبح. قال الزجاج: وفي هذه فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لاتكون إلا بقراءة حتى سميت الصلاة قرآنا[7].

تدلنا هذه الآيات أن مادة قرأ في القرآن دلت على القراءة وعلى القرآن الذي هو كتاب الله المنزل ودلت على الصلاة لأنها جزء هام منها.

أما سياقات الحديث النبوي فتطالعنا باستعمال جديد لهذه المادة التي اشتق منها لفظ قُرّاء ليدل على حفظة كتاب ا لله، من ذلك ماروي عن أنس رضي الله عنه (أن النبي ﷺ أَتَاهُ رعل وذكوان وعُصيّةٌ وبنو لحيان فَزَعموا أَنَّهم قد أَسْلَموا واسْتَمدُّوه على

---

(١) فتح القدير، جـ٥، ص ٣٢٨.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٥٠٠.

(٣) المفردات: الأصفهاني، ص ٤٠٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٥) فتح القدير: جـ١، ص ١٨٢.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٧) فتح القدير: جـ٣، ص ٢٥٠.

قومهم، فَأَمَدَّهم النبيُّ ﷺ بسبعين من الأنصار قال أنس: كنا نُسميهم القُرَّاء يَحْطِبونَ بالنَّهار ويُصلونَ بالليل، فانْطَلقُوا بِهم حتى بلغُوا بِئرَ مَعُونَةٍ غَدَروا بِهم وقَتلُوهم فقَنَتَ شهرا يَدْعو على رِعْل وذَكْوَان وبني لحيان، قال قتادة: وحدثناأنس أنهم قرؤوا بهم قرآنا ألا بلِّغوا عَنَّا قَوْمَنا بِأَنَّا قَدْ لَقِينا رَبنا فَرضِيَ عنا وأَرْضَانا ثم رُفِع ذلك بعد)[1].

واستعمال لفظ القراء هنا في قول أنس رضي الله عنه في حال وجود النبي ﷺ فقال: كنا نسيمهم القراء وكأن هذه التسمية لم تكن موجودة أصلا، لأن ذلك ليس من عناصر البيئة الجاهلية، وهو نزول القرآن ووجود حفظة يحفظونه يقومون به الليل، وقد بين أنس رضي الله عنه صفتهم وهي أنهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وفي رواية ثابت (ويشترون به الطعام لأهل الصفة ويتدارسون القرآن بالليل ويتعلمون)[2].

وفي الحديث مايدل على مكانتهم فإن النبي ﷺ حين أتاه رعل وذكوان وعصية بنو لحيان فزعموا أنهم أسلموا واستمدوه على قومهم وقد يكون استمدادهم لهم لم يكن لقتال عدوه وإنما هو للدعاء إلى الإسلام)[3].

وقد اختارهم النبي ﷺ للدعوة والتبليغ.

ومما يدل على مكانتهم أيضا أن النبي ﷺ قنت شهرا يدعو على من قتلوهم.

ومما ذكره أنس رضي الله عنه أنهم قرءوا بهم قرآنا ألا بلغوا عنا قومنا بأنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم رفع بعد ذلك.

وقد أصبح لفظ القراء علما على حفظة القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ ثم من تبعه من الخلفاء من ذلك مارواه زيد بن ثابت رضي الله عنه بشأن جمع القرآن قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر: هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى

---

(١) صحيح البخاري: الجهاد والسير، ٥٦- باب العون بالمدد ١٨٤، حديث (٣٠٦٤).

(٢) فتح الباري: جـ٧، ص ٢٨٧.

(٣) المرجع السابق.

شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر..)[١].

قوله (قد استحر) أي اشتد القتل وكثر بالقراء (بالمواطن) أي بالأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار، وقوله (فيذهب كثير من القرآن) في هذا دليل على أن كثيرا ممن قتل في وقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن لكن يمكن أن يكون المراد أن مجموعهم جمعه لا أن كل فرد جمعه)[٢].

والقراء جمع، دَلَّ على حفظة القرآن المجودين للحفظ والتلاوة، ومفرده قارئ وإذا كان معناهما اللغوي يدل على كل من قرأ شيئا، فالقارئ اسم فاعل من قرأ والجمع قراء، فقد تخصصت في سياقات الحديث للدلالة على قارئ القرآن فمما روي عن أبي سعيد الخدري قال: جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري، وقارئ يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا فلما قام رسول الله ﷺ سكت القارئ فسلم ثم قال (**ماكنتم تصنعون**) قلنا: يارسول الله إنه كان قارئ لنا يقرأ علينا فكنا نستمع إلى كتاب الله..)[٣].

وقد تفاوت الصحابة في الحفظ والقراءة حتى كان بعضهم يفوق بعضا فقد عد أُبيُّ بن كعب سيد القراء فمما روي عن أبي عبيدة عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: (**من قَدَّم ثَلاثةً من الولدِ لم يبلغوا الحِنْثَ كانوا له حِصْنا حَصِينا من النَّار**) فقال أبو ذر: قدمت اثنين قال: واثنين، فقال أبي بن كعب سيد القراء قدمت واحداً، قال: وواحدا)[٤]. وسيد القراء وصف له بأنه من كبار قراء كتاب الله الكريم في عهد رسول الله ﷺ.

ومما يدل على مكانته في حفظ القرآن مارواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (قال النبي ﷺ لأبي: **إنَّ اللّهَ أمَرني أن أَقْرأَ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الذين كَفَروا مِنْ أَهلِ الكتاب﴾** قال: وسماني؟! قال: نعم، فبكى)[٥].

ومعنى: (قال: وسَمَّاني) أي هل نص علي باسمي، أو قال اقرأ على واحد من

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن ٦٦- باب جمع القرآن ٣، حديث (٤٩٨٦).

(٢) فتح الباري: جـ٩، ص ١٢.

(٣) سنن أبي داود: كتاب العلم ١٩- باب في القصص ١٣، حديث (٣٦٦٦).

(٤) سنن ابن ماجة: كتاب الجنائز ٦- باب ماجاء في ثواب من أصيب بولده ٥٧، حديث (١٦٠٦).

(٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار ٦٣- باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه ١٦، حديث (٣٠٨٩).

أصحابك فاخترتني أنت؟ فلما قال له (نعم) بكى إما فرحا وسرورا بذلك، وإما خشوعا وخوفا من التقصير في شكر تلك النعمة.

قال أبو عبيد المراد بالعرض على أبي ليتعلم أي منه القراءة ويتثبت فيها، وليكون عَرْضُ القرآن سنة، وللتنبيه على فضيلة أبي بن كعب وتقدمه في حفظ القرآن[1].

وقد حدد النبي ﷺ في بعض الأحاديث من يؤخذ عنهم القرآن من الصحابة الذين تقدموا في حفظه من ذلك قوله ﷺ: (**خذوا القرآن من أربعة، عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب**)[2].

والظاهر أنه ﷺ أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول ولا يلزم أن لايكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، وقد تقدم في غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا من الصحابة كان يقال لهم القراء، وكانوا سبعين رجلا[3].

وقد ذكر البخاري في كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ﷺ وشرحه بقوله: أي الذين اشتهروا بحفظ القرآن والتصدي لتعليمه، وهذا اللفظ كان في عرف السلف أيضا لمن تفقه في القرآن.

وكما أطلق لفظ القراء على حفظة القرآن فقد أطلق أيضا على الإمام الذي يصلي بالناس لأن اختياره قائم على أنه أقرأ الناس لكتاب الله، فمما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا أمَّنَ القارئُ فأمِّنوا فمن وافقَ تأمينَه تأمينُ الملائكة غُفِرَ له ماتقدَّم من ذنبه**)[4].

وقد تكرر في الحديث لفظ القراء والقارئ وقد جاء في جميع السياقات في الكتب الستة دالا على قارئ القرآن ممن حفظ القرآن وأتقنه إذا كان مفردا سواء كان نكرة أومعرفة. وفي هذا تخصيص للفظ وخروج به عن دلالته اللغوية العامة إلى دلالة إسلامية خاصة. والعامل في تكوين هذا اللفظ هو التخصيص. لأن الأصل في معنى هذه المادة الجمع

---

(١) فتح الباري، جـ٢، ص ١٢٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن ٦٦- باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٨، حديث (٤٩٩٩) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) فتح الباري، جـ٩، ص ٤٨.

(٤) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٥- باب الجهر بآمين ١٤، حديث (٨٥٢).

وكل شيء جمعته فقد قرأته ومنه سمي قرآنا لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض(١). وكذلك سموا القراء بذلك لأنهم جمعوا القرآن في صدورهم حفظا وتلاوة وتدارسا وتعليما، وهذا يبين أثر الاشتقاق في تكوين الألفاظ الإسلامية وعدم التغيير على العربي في لغته فَمِنْ قَرَأَ تكوَّن اللفظ القرآني (القرآن) واللفظ الحديثي وهو (القراء) وقد ظهر فيما بعد لفظ القراءات وهي جمع قراءة، مصدر قرأ في اللغة فدلت في الاصطلاح على مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهبا يخالف غيره، وهي ثابتة بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ.

(١) النهاية، جـ٤، ص ٣٠.

الغرباء

استعمل الشعراء الجاهليون مشتقات هذه المادة في كثير من المعاني التي جمعتها لنا معاجم اللغة، ومن هذه المعاني:

غربت الشمس غروبا أي غابت في المغرب.

قال عبيد بن الأبرص(1):

يَـاعَمْرُو مـاطَلَعَتْ شمْـسٌ وَلا غَرَبَـتْ إلاّ تُقَـرِّبُ آجَـالٌ لِميعَـادِ

والمغرِّب: المبعد الذاهب الذي يأخذ ناحية المغرب.

قال امرؤ القيس(2):

يَجـولُ بِآفـاقِ البِـلادِ مُغَرِّبـًا وَتَسْحقُه رِيحُ الصَّبَا كُـلَّ مَسْحَقِ

الغرب: حد السيف. قال تأبط شرا(3):

إِذَا طَلَعَـتْ أُولَـى العَـدِيِّ فَنَفْـرُهُ إلى سَلَّةٍ مِـنْ صَـارِمِ الغَـرْبِ بَـاتِكِ

والغَرْب الدلو، والجمع الغُرُوب.

قال بشر بن أبي خازم(4):

وَقفْـتُ بِهَـا أُسـائِلُها وَدمْعِـي عَلَـى الخَدَّيْـنِ في مِثْـلِ الغُـرُوْبِ

(١) ديوان عبيد بن الأبرص: ص ٤٨.

(٢) ديوان امرئ القيس: ص ١٧١.

(٣) ديوان تأبط شرا: ص ١٥٤.

(٤) مختارات ابن الشجري: ص ٢١.

الغوراب: الأمواج أو أعالي الأمواج. قال بشر[1]:

مَلِــــكٌ إذا نَــــزَلَ الوُفُــــوْدُ بِبَابِــــهِ　　غَرَفُــوْا غَــوَارِبَ مُزْبِــدٍ لايُــنْزَفُ

والغرب صفاء الفم وماؤه أو كثرة ريقه. قال بشر[2]:

لَيــالي تَسْــتَبيكَ بِــذِي غُــروبٍ　　يُشْــبِه ظَلْمُــهُ خضَــلَ الأقَــاحِي

أي أنها تأسرك وتذهب بعقلك بصفاء فمها ونقائه.

والغرائب: نوع من الشجر يصنع منه السهام. قال أوس[3]:

وَحَشْــوَ جَفِــيرٍ مــن فُــرُوْعِ غَرائــب　　تَنَطَّــعَ فِيهــا صَــانِعٌ وتَنَبَّــلا

يريد أن الصانع تحذق وتأنق في صناعته للسهام التي هي حشو الجفير، وهو الكنانة التي توضع فيها السهام والتي أعدها الشاعر للحرب.

والغرائب من الإبل: التي تأتي حياض الماء وهي غريبة عنه فتضرب وتطرد.

قال الحارث بن حلزة[4]:

بِضَـرْبٍ يُزِيــل الهَــامَ عَــنْ سَــكَنَاتِهَا　　كَمَـا ذِيْـدَ عَـنْ مَـاءِ الحِيَـاضِ الغَرَائِـبُ

والغَربةُ والغَرْبُ: النّوى لبعد وقد تغرب.

والغُربة والغُرْب: النزوح عن الوطن والاغتراب.

ورجل غُرُبٌ: بضم الغين والراء. وغريب: بعيد عن وطنه؛ والجمع غرباء[5].

وقد تحدث الشعراء الجاهليون عن النأي والبعد عن الوطن والاغتراب؛ لأن ذلك

(١) ديوان بشر: ص ١٥٤.

(٢) مختارات ابن الشجري: ص ٢٩.

(٣) ديوان أوس: ص ٨٩.

(٤) ديوان الشاعرين الكبيرين (عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة) ص ٦٩٩.

(٥) اللسان: مادة (غرب) جـ٥، ص ٣٢٢٥.

غلب على طبيعة حياتهم التي تعتمد على التنقل والترحال والنزوح عن الوطن.

قال سلامة بن جندل[1]:

إنَّــا إذَا غَرَبَــتْ شَــمْسٌ أَوِ ارتَفَعَــتْ   وَفِــيْ مَبَارِكِهــا بُــزْلُ المصــاعِيب
قَـدْ يَسْـعَدُ الجَـارُ وَالضَيْـفُ الغَرِيْـبُ بِنَـا   والسَّــائِلُوْنَ ونُغْلِــي مَيسِــرَ النِيَّــبِ

يقول في البيتين: إذا اشتد البرد واشتد الزمان وصارت صلاب الإبل وقوياتها باقية في مباركها لاتنشط للانتشار في مسارحها، وإن كان النهار قد تعالى، سعد منا الجار والضيف الغريب وهو البعيد الدار، ونغلي ميسر النيب: أي ضربنا بالقداح عليها لنفرقها في ذوي الحاجة.

والغربة: البعد والنأي، قال الطفيل[2]:

وَكُنْـتُ إِذَا بَـانَتْ بِهَـا غُرْبَـةُ النَّـوَى   شَـديدَ القُـوَى لَمْ تَـدْرِ مـاقوْلُ مُشْـغِبِ

والغريب: البعيد عن وطنه. قال كعب بن سعد الغنوي[3]:

لِيَبْكِـكَ عـانٍ لَمْ يجِـدْ مَـنْ يُعينُـهُ   وَطـاوِي الحَشَـا نـائِي المـزَارِ غَرِيْـبُ

والغربة: الاغتراب، تقول منه: تغرب، واغترب بمعنًى، فهو غريبٌ وغُرُب بضم الغين والراء، والجمع الغُرباء، والغُرباء أيضا: الأباعد.

والتغريب: النفي عن البلد[4].

قال عروة بن الورد يرد على قيس بن زهير[5]:

تَمَنَّــى غُرْبَــتِي قَيْــسٌ وَإِنِّــي   لأَخْشَــى إِنْ طَحَــا بِــكَ مَــاتَقُوْلُ

---

(١) ديوان سلامة بن جندل: ص ٣٢٥.

(٢) ديوان الطفيل: ص ١٨.

(٣) مختارات ابن الشجري: ص ٢٩.

(٤) الصحاح: مادة (غرب) جـ١، ص ١٩١.

(٥) ديوان عروة: ص ١٤٣.

يقول: إن اتسع عليك هذا الأمر الذي تفاءلت به وحذفتني ضاقت بك الأرض وعنيت مقامي عندك إذا نزلت بك المعضلات من الأمور.

والاغتراب البعد عن القوم والقبيلة والعيش في مكان آخر. قال الأعشى(1):

مَتَــىْ يَغــترِبْ عَــن قوْمِــه لايجِــدْ لَــهُ   عَلَــى مَــنْ لَــهُ رَهْــطٌ حَوَالَيْــهِ مُغْضَبَــا

وكان هذا الاغتراب والبعد من أشد مايعانيه الجاهليّ لذلك، فهو يدعو على من يؤذيه أو يعاديه بالغربة.

قال عروة بن الورد(2):

فَغُرِّبْــتِ إنْ لم تُخْــبريهِمْ فَــلاَ أرَى   لِــي اليَــوْمَ أَدْنَــى مِنْــكِ عِلمًــا وَأَخْــبَرا

قوله (فَغُرِّبت) يدعو عليها يقول: بوعدت في البلاد حتى تصيري غريبة.

والموت نوع من البعد والاغتراب، قال بشر(3):

ثَــوَى فِي مُلحِــدٍ لابُــدَّ مِنْــهُ   كَفَــى بِــالموْتِ نَأْيــًا واغْتِرَابَــا

نستدل من الشواهد السابقة على أن الجاهلي استعمل مادة (غَـرَبَ) كثيراً في شعره في معان حسية كما أنه فهم من معنى الغربة النأي والبعد عن الوطن، فالغريب البعيد عن قومه والذي حل دارا أخرى.

وعلى هذا يكون الغريب في الشعر الجاهلي هو البعيد عن قومه ووطنه والذي يعيش في دار غير داره، بالإضافة إلى مايحدثه الموت من نأي واغتراب.

وورد من مادة اللفظ في القرآن الكريم مادل على الجهة (الغرب) وهو أقصى ماسمي

---

(1) ديوان الأعشى الكبير: ص ١١٣.

(2) شعراء النصرانية: جـ٦ ٨٩.

(3) ديوان بشر: ص ٢٧.

إليه الشمس، ومثله المغرب للموضع والفعل منها والغراب والغرابيب، من ذلك قوله تعالى[1]: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾

ومنه أيضا قوله تعالى[2]: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

وورد منها الفعل غَرَبَتْ وتَغْربُ. قال تعالى[3]: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾

وجاء لفظ المغرب دالا على الموضع.

وورد لفظ المَغْرِبْ مفرداً ومثَّى وجمْعًا. قال تعالى[4]: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾

أي: الذي خلق السموات والأرض وجعل مشرقاً ومغرباً وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها[5].

جاء اللفظ مثنى في قوله تعالى[6]: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ . . والمراد هنا مشرقا الصيف والشتاء ومغربا الصيف والشتاء[7].

وورد لفظ الغُراب وكذلك لفظ الغرابيب بمعنى الجبال السود من ذلك قوله تعالى[8]: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ

---

(١) سورة ق آية ٣٩.

(٢) سورة النور آية ٣٥.

(٣) سورة الكهف آية ١٧.

(٤) سورة المعارج آية ٤٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ ص ٤٢٣.

(٦) سورة الرحمن آية ١٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ٤، ص ٢٧١.

(٨) سورة فاطر آية ٢٧.

بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى منبهاً على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها، وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجدد: الطرائق. وقال عكرمة: الغرابيب الجبال الطوال السود[١].

نستدل مما تقدم على أنه لم يرد لفظ الغريب والغرباء في القرآن وورد في الحديث النبوي دالا على معان كثيرة منها: الاغتراب، والبعد عن الوطن، من ذلك مارواه عبدا لله ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: **كُنْ في الدنيا كَأَنَّك غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيل**، وكان ابن عمر يقول: (إذَا أمسيتَ فلا تَنْتَظِرَ الصَباح، وإذا أَصْبحت فلا تَنْتَظر المَسَاء، وخُذْ من صِحَتك لمرضك، ومن حَياتك لموتك)[٢].

فالغريب الذي خرج من وطنه إلى أرض أخرى غير أرضه (أرض غربة). وأرض غربة: أي أرض انتقل إليها أو مر بها ليست موطنه.

فمما جاء في صحيح مسلم عن عُبيد بن عمير قال: قالت أم سلمة: (لما مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غُربة لأبكِيَنَّهُ بكاء يُتَحَدَّثُ عنه، فكنتُ قد تَهَيَّأْتُ للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة من الصعيد تريد أن تُسْعِدَنِي فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: **أتريدين أن تُدْخِلي الشيطان بَيْتا أَخرَجَهُ اللهُ منه؟** فكففتُ عن البكاء فلم أبك مرتين)[٣].

وجاء لفظ غريب بمعناه اللغوي أيضا فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **والذّي نَفْسي بِيدِهِ لأَذُوْدَنَّ رِجَالا عن حَوْضِي كما تذادُ الغَرِيبةُ من الإِبِلِ عن الحوَضِ**[٤].

وفي هذه السياقات وغيرها دل لفظ غريب على المعنى اللغوي وهو البعد والنأي، فالغريب البعيد عن أهله ووطنه، ولكنه اكتسب في بعض السياقات دلالة إسلامية جديدة

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ٣، ص ٥٧١.

(٢) صحيح البخاري، ٨١- كتاب الرقاق، ٣ - باب قول النبي ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، حديث (٦٤١٦).

(٣) صحيح مسلم: ١٢- كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، حديث (٩٢٢).

(٤) صحيح البخاري: ٤٢ كتاب باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، حديث (٢٣٦٧).

من ذلك مارواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول ا لله ﷺ: (**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء**)[1].

فمن الغرباء الذين بشرهم الرسول ﷺ هنا بالخير والجزاء الحسن.

ففي الحديث أن الإسلام بدأ غريبا أي: أنه كان في أول أمره كالغريب الوحيد الذي لاأهل له عنده، لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريبا كما كان، أي يقل المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء، فطوبى للغرباء أي: الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أول الإسلام ويكونون في آخره، وإنما خصهم بها لصبرهم على أذى الكفار أولا وآخرا ولزومهم دين الإسلام[2].

وذكر الرسول ﷺ من صفاتهم في حديث آخر أنهم يصلحون ماأفسد الناس من سنة النبي ﷺ من بعده، من ذلك مارواه عوف بن زيد بن ملحة عن أبيه عن جده أن رسول ا لله ﷺ قال: (**إنَّ الدينَ ليأْرِزُ إلى الحِجَاز كما تَـأْرِزُ الحيـة إلى حجرها، ولَيْعقِلَنَّ الدينَ من الحِجَاز مَعْقَل الأرْوِيَّةِ من رأْسِ الجبل إنَّ الدين بدأ غريبا وَيرْجِعُ غَرِيًبا فَطُوبَى للغُرَباء الذين يُصْلِحونَ ماأفسدَ الناسُ من بَعْدِي من سُنَّتِي**)[3].

ومن صفاتهم أنهم المبتعدون عن أهلهم وعشيرتهم، من ذلك مارواه أبوالأحوص عن عبدا لله قال: قال رسول ا لله ﷺ: **إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء، قال: قِيلَ ومن الغُرباء؟ قال: النُزَّاع من القَبائِل**).

ومعنى قول النبي ﷺ: (النزَّاع من القبائل): أن ا لله تعالى بعث رسوله ﷺ وأهل الأرض على أديان مختلفة منهم بين عباد أوثان، وعباد نيران، وعباد صلبان ويهود وصابئة وكان الإسلام في أول ظهوره غريبا، وكان من أسلم منهم واستجاب لدعوة الإسلام نزاعا من القبائل آحادا منهم، تفرقوا عن قبائلهم وعشائرهم ودخلوا في الإسلام، فكانوا هم الغرباء حقا، حتىظهر الإسلام وانتشرت دعوته، ودخل الناس فيه أفواجا فزالت تلك الغربة عنهم، ثم أخذ في الاغتراب حتى عاد غريبا كما بدأ. بل الإسلام الحق الذي كان

---

(١) صحيح مسلم، ٢- كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ وهو بأرز بين المسجدين، حديث (١٤٥).

(٢) النهاية: جـ٣، ص ٣٤٨.

(٣) سنن الترمذي ٣٧- كتاب الإيمان، حديث (٢٦٣٠) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

عليه رسول ا لله ﷺ وأصحابه اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جدا وأهله غرباء بين الناس. وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربتهم بين الناس والتمسك بالدين بين ظلمة أهوائهم فهو غريب في دينه لفساد أديانهم، غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدعة، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريب في صلاته لسوء صلاتهم، غريب في معاشرته لأنه يعاشرهم على مالاتهوى أنفسهم، وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لايجد له مساعدا ولا معينا(١).

وبهذا يصبح للفظ دلالة إسلامية في سياقات الأحاديث حيث دل على من يتمسكون بدين ا لله عندما يكثر الفساد، وفي هذا انتقال باللفظ عن معناه اللغوي وهو النأي والبعد عن الأهل والوطن والاغتراب، والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الإسلامي هي علاقة مشابهة، وهي الشعور بالبعد عن الناس والغربة عنهم، مع أنه يعيش بينهم أي في وطنه وبين أهله وذويه ولكنها غربة النفس والدين، فطوبى لهؤلاء الغرباء.

---

(١) البصائر: جـ٤، ص ١٢٦، ١٢٧.

الفصل الثالث

ألفاظ الفِرق

الجماعة، الخوارج، المرجئة، القدرية

الجماعة

يدل أصل هذا اللفظ على جمع الشيء عن تفرقة ومعنى جمعت الشيء أي جئت به من هاهنا وهاهنا، والجمع اسم لجماعة الناس. والجمع مصدر قولك جمعت الشيء والجمع المجتمعون. والجماعة والجميع والمجمع والمجمعة: كالجمع، وقد استعملوا ذلك في غير الناس حتى قالوا: جماعة الشجر وجماعة النبات، والجميع الحي المجتمع، وإبل جماعة مجتمعة[1].

وحول هذا المعنى دار اللفظ في الشعر الجاهلي. فالجمع الكثرة من الناس، قال عنترة[2]:

لَمَّــا رَأَيْــتُ القَــوْمَ أَقْبَــلَ جَمْعُهُــمْ   يَتذامَــرُوْنَ كَــرَرْتُ غَــيْرَ مُذَمَّــمِ

قال أوس في جمع عتاده للحروب من رمح وسيف وقوس[3]:

وَذلِــكَ مِــنْ جَمْعِــي وبِاللــهِ نِلْتُــهُ   وَإِنْ تَلْقَنِــي الأعْــداءُ لا أُلْــقَ أَعْــزَلا

والجمع جماعة الناس. قال عَبيد بن الأبرص[4]:

أَوْ جَمْــعَ غَسَّــانٍ لقِيْنَــاهُمُ   بِجَحْفَــلٍ قَسْــطَلُهُ ذَائِــلُ

والجحفل الجيش العظيم. القسطل: الغبار، الذائل: الطويل الذي لاينقطع يريد أن الغبار منتشر فوق الجيش وخلفه.

واستعمل للدلالة على الجمع أجمع وجميع ومجامع. قال تأبط شرا[5]:

---

(١) اللسان، جـ١، ص ٦٧٨، ٦٧٩.

(٢) ديوان عنترة: ص ٢١٦.

(٣) ديوان أوس، ص ٩٠.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٩٩.

(٥) ديوان تأبط شرا، ص ١١٨.

وَلَسْتُ أَبِيتُ الدَهْرَ إلاَّ عَلى فَتًى أُسَلِّبُهُ أو أَذْعَرُ السِّرْبَ أجْمَعَا

وقال عنترة[1]:

وَلَيسَ بِفَخْرٍ وَصْفُ بَأْسِي وَشِدَّتِي وَقَدْ شَاعَ ذِكْرِيْ فِي جَمِيْعِ الْمَجَامِعِ

واستعمل لفظ جموع كثيرا في الشعر الجاهلي. قال عبيد بن الأبرص[2]:

وَنَحْنُ قَتلنَا جَنْدَلاً في جُمُوعِهِ وَنَحْنُ قَتَلْنَا شَيْخَهُ قَبْلَ ذَلِكَا

أما لفظ الجماعة فقد ورد للدلالة على أي جماعة من الناس وغيرهم. قال عنترة[3]:

جَعَلْتُ بَنِي الْهُجْمِ لَهُ دَوَاراً إِذَا يَمْضِي جَمَاعَتَهُمْ يَعُودُ

وجمع الجماعة الجماعات. قال زهير بن أبي سلمى[4]:

تَجِدْهُم عَلى ماخَيَّلَتْ هُم إزاءَها وإن أفْسَدَ المالَ الجَمَاعاتُ والأَزلُ

ووردت مادة هذا اللفظ في القرآن دالة على مادلت عليه في الشعر الجاهلي من جمع المتفرق وضم بعضه إلى بعض، ومنه قوله تعالى[5]: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ أي ويقال: لهم: هذا يوم الفصل الذي يفصل فيه بين الخلائق ويتميز فيه الحق من الباطل والخطاب في جمعناكم للكفار في زمن نبينا محمد ﷺ، والمراد بالأولين كفار الأمم الماضية[6].

(١) شعراء النصرانية، جـ٦، ص ٨٤٤.
(٢) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٩٤.
(٣) شعراء النصرانية، جـ٦، ص ٨٠٤.
(٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ١٠٥.
(٥) سورة المرسلات: الآية ٣٨.
(٦) فتح القدير، جـ٥، ص ٣٦٠.

وورد من مشتقات هذه المادة لفظ (جَمْع وجامِع وجَميع) قال تعالى[1]: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾.

أي ماأغنى عنكم الذي كنتم تجمعون للصد عن سبيل الله، والاستفهام للتقريع والتوبيخ[2].

وقال تعالى[3]: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾

جامع الناس أي باعثهم ومحييهم بعد تفرقهم[4].

وقال تعالى[5]: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾.

تدل هذه الآية على أن اجتماعهم إنما هو في الظاهر مع تخالف قلوبهم في الباطن، وهذا التخالف هو البأس الذي بينهم الموصوف بالشدة.. قال قتادة تحسبهم جيعا أي مجتمعين على أمر ورأي، وقلوبهم شتى متفرقة فأهل الباطل مختلفة آراؤهم مختلفة شهادتهم مختلفة أهواؤهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق[6].

و لم يرد لفظ جماعة في القرآن الكريم وتكرر كثيراً في الأحاديث النبوية دالا على الفرقة الناجية من أمة محمد ﷺ من ذلك ماروي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ بَني إسرائيل افترَقَتْ عَلى إحدى وسبعين فِرْقَة وإنَّ أُمَتِّي سَتفْترِقُ على ثنتين وسبعين فِرْقة كلها في النَّارِ إلا واحدة وهي الجمَاعة**)[7].

والذي يفارق الجماعة أو يشذ عنها فهو في النار من ذلك ماروي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ اللَّهَ لايَجْمعُ أُمتِي أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار)[8].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٨.

(٢) فتح القدير: جـ٢، ص ٢٠٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩.

(٤) فتح القدير: جـ١، ص ٣١٨.

(٥) سورة الحشر: الآية ١٤.

(٦) فتح القدير: جـ٥، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٧) سنن ابن ماجة: كتاب الفتن ٣٦- باب افتراق الأمم ١٧، حديث (٣٩٩٣) قال البوصيري في المصباح ٣:٢٣٩(١٤٠٤) (هذا إسنادصحيح رجاله ثقات).

(٨) سنن الترمذي: كتاب الفتن ٣٤- باب ماجاء في لزوم الجماعة ٧، حديث (٢١٦٧) وقال (حديث غريب من هذا الوجه).

وقد أورد ابن العربي المراد بالجماعة في شرحه عدداً من الأحاديث الوارد فيها لفظ الجماعة ومنها قوله: عليكم بالجماعة يحتمل معنيين الأول يعني أن الأمة أجمعت على قول فلا يجوز لمن بعدهم أن يحدث قولا آخر.

الثاني: إذا اجتمعوا على إمام فلا تحل منازعته ولا خلعه، وهذا ليس على العموم بل لو عقده بعضهم لجاز و لم يحل لأحد أن يعارض..

قال أبو عيسى: وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث، قال وسمعت الجارود بن معاذ يقول سمعت علي بن الحسن يقول: سألت عبدالله بن المبارك من الجماعة فقال: أبو بكر وعمر قيل له قد مات أبو بكر وعمر قال فلان وفلان قيل له قد مات فلان وفلان فقال عبدالله بن المبارك أبو حمزة السكري جماعة (وهو محمد بن ميمون وكان شيخا صالحا)[1].

قال ابن العربي: إنما أراد عبدالله بن المبارك بالجماعة حيث يجتمع أركان الدين وذلك عند الإمام العادل أو الرجل العالم فهو الجماعة وذلك صحيح فإن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وجماعته العلم والعدالة[2].

ولزوم الجماعة يعني الطاعة لأميرهم وعدم الخروج عليه أو حل عقد بيعته فمما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**مَنْ رَأى مِنْ أميره شَيئاً يَكْرَهُهُ فليصْبِرْ عليه فإنَّه من فَارقَ الجَمَّاعةَ شِبْراً فمات إلا مات مِيتة جاهِلِية**)[3].

قوله ﷺ: (من فارق الجماعة شبرا) هي كناية عن معصية السلطان ومحاربته، قال ابن أبي جمرة: المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكنى عنها بمقدار الشبر لأن الأخذ في ذلك يئول إلى سفك الدماء بغير حق.

والمراد بالميتة الجاهلية كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع لأنهم كانوا يعرفون ذلك وليس المراد أنه يموت كافرا بل يموت عاصيا، ويحتمل أن يكون التشبيه

---

(١) عارضة الأحوذي: جـ٩، ص ١٠، ١١.

(٢) المرجع السابق: ص ١١.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الفتن ٩٢- باب قول النبي ﷺ (سترون من بعدي أمورا تنكرونها) ٢، حديث (٧٠٥٤).

على ظاهره ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهليا[1].

وفي لزوم الجماعة في حياة المسلم الخير الكثير فيد الله مع الجماعة كما أن لزوم الجماعة في الصلاة يضاعف له الأجر، روى عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (**صَلاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صلاة الفَذِّ بِسَبع وعشرين درجة**)[2].

ومن هذا العرض لدلالة لفظ (الجماعة) خلال العصرين الجاهلي والإسلامي يتبين لنا أن هذا اللفظ عاش في العصر الجاهلي دالا على الكثرة من الناس أو الأشياء ثم انتقل من هذا المعنى اللغوي إلى معنى إسلامي حيث تخصص في الدلالة على جماعة المسلمين والطاعة لأميرهم وعدم الخروج عليهم، كما أصبح علما على الفرقة الناجية من أمة محمد ﷺ، فكلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، ولم يكن هذا الاعتبار أو هذا المعنى في حياة الجاهلي التي امتلأت فرقة ونزاعا وتفرعت إلى قبائل تحتكم إلى شيخها، أما الآن فالانضمام إلى جماعة المسلمين والبيعة لأميرهم وإن كان فيه شيء يكرهونه لأن الاحتكام ليس إلى شرعه بل إلى شرع الله الذي هو ثابت عنده في الكتاب والسنة.

وقد زادت بعض سياقات الأحاديث هذا اللفظ تخصيصا فأصبح يطلق على جماعة المصلين (أي المجتمعين لأداء صلاة مكتوبة) ودلني تتبع السياقات في الكتب الستة على أن أي جماعة من المسلمين اجتمعت للغزو أو للطعام أو للسلام أو للصلاة أطلق عليها لفظ الجماعة لأنها جزء من جماعة المسلمين. ومن ذلك ماروي عن أسلم أبي عمران التجيبي قال: (كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد..)[3].

فالسياق إذن هو الذي يحدد المراد بلفظ الجماعة هل هو جماعة المسلمين عامة أو هو جماعة المصلين أو أي جماعة أخرى اجتمعت للطعام أو للغزو أو غيرهما.

---

(١) فتح الباري: جـ١٣، ص ٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان ١٠- باب فضل صلاة الجماعة ٣٠، حديث (٦٤٥).

(٣) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن ٤٨- باب ومن سورة البقرة ٣، حديث (٢٩٧٢) قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

الخوارج

الخروج نقيض الدخول، قال امرؤ القيس[1]:

وتخــــرُجُ مِنْـــــهُ لامِعَـــــاتٌ كأَنَّهَـــــا   أَكُــفٌّ تَلَقَّـــىْ الفَــوْزَ عنــد المُفِيـــضِ

الفوز هاهنا القمر، فيقول: كان هذا البرق في هذا السحاب لسرعته وانتشاره أكـف تتسابق طمعا في القمر. والمفيض الذي ضـرب بـالقداح في الميسـر فـالأكف تتلقـى إفاضتـه وتتسابق إليها.

وقال أوس[2]:

إِذاَ الحَرْبُ حَلَّتْ سَاحةَ القَـوْمِ أخْرَجَـتْ   عُيُـوْبَ رِجــالٍ يُعْجِبُونَــكَ في الأَمْــنِ

خروج: كثير الخروج، قال الأعشى الكبير[3]:

إِلى مَلِــكٍ لايقْطَـعُ اللَّيْـــلُ هَمَّـــهُ   خَـــرُوجٍ تَـــرَوكٍ لِلفِـــرَاشِ المُمَهَّــــدِ

وورد لفظ خارجي وخـوارج في الشـعر الجـاهلي دالا علـى الفـرس الجـواد إذا بـرز وأبواه ليسا كذلك، وكذلك كانوا قبل الإسلام يسمون من خرج شـجاعاً أو كريمـاً وهـو ابن جبان أو بخيل ونحو ذلك خارجياً.

ومن وروده دالا على الفرس الجواد قول أوس[4]:

وَخــارِجيٌّ يَـــزُمُّ الأَلْـــفَ مُعْتِرضَـــاً   وَهَوَنَــــةٍ ذاتِ شِـــمْراخٍ وَأحجَـــالِ

---

(١) ديوان امرئ القيس: ص ٧٢.

(٢) ديوان أوس، ص ١٣٠.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٨٩.

(٤) ديوان أوس: ص ١٠٣.

وخارجي أراد به الخيل التي فاقت جنسها وسبقتها من غير أن يكون لها عرف في الجودة، ومعنى يَزُمُّ الألف أي يتقدمها كأنه يقودها.

وقال الحصين بن حمام[1]:

مِنَ الصُّبْحِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَمْسُ لاتَرَى مِنَ الخَيْلِ إلاَّ خَارِجِيًّا مُسَوَّمَا

وجمع الخارجي خوارج. وقد جاء دالا على الخوارج من الخيل التي فاقت جنسها. قال عمرو بن كلثوم[2]:

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ جَنْبَيْ أَرِيكٍ سَوَاهِمَ يَعْتَزِمْنَ عَلَى الخَبَارِ

نَزَائِعَ لِلغُرَابِ بِنَا تُبَارِي خَوَارِجَ كالسَّمَامِ مِنَ الغُبَارِ

فلفظ خوارج يدل على الخارجي من الخيل الذي فاق جنسه ولا عرق له في الجودة، والخارجي من القوم الذي خرج شجاعا أو كريما وهو ابن جبان أو بخيل ونحو ذلك.

و لم يرد لفظ الخوارج في القرآن الكريم وورد من مادته مشتقات كثيرة منها (خروج، ومخرج، وخارج، وخارجين) إلىجانب الأفعال بصيغها المختلفة وكلها دارت حول معنى البروز. يقال: خرج من مقره يخرج خروجا برز منه، فهو خارج وهم خارجون واسم المكان مخرج[3]. قال تعالى[4]: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝﴾

يقول تعالى ذكره: فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس آية من الله له على حقيقة وعده إياه ماوعد فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه

---

(١) شعراء النصرانية: جـ٥، ص ٧٣٧، وانظر ديوان الحماسة جـ١، ص ٣٨٨.

الحصين بن حمام المرّي بن ربيعة بن مُسَاب بن حرام بن مرة: فارس شاعر شريف من شعراء الطبقة السابعة.

طبقات فحول الشعراء: ١٥٥. والشعر والشعراء: ٦٥٢. والمؤتلف والمختلف: ٤٧٢. ومعجم الشعراء: ٨٧، ٩١.

(٢) ديوان الشاعرين الكبيرين عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن الحلزة اليشكري: ص ٥٩٩.

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ١٦٩.

(٤) سورة مريم: الآية ١١.

من محرابه أشرف على قومه من المحراب مصلاه[١].

والخروج يكون من حال إلى حال، قال تعالى[٢]: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ ﴾

ذكر سبحانه أن منفعة المؤمن ليست مقتصرة على نفسه وقابل ملازمة النور له باستقرار الكافر في الظلمات وكونه لايفارقها وأكد ذلك بدخول الباء في خبر ليس[٣]. فهو مستقر فيها لايخرج منها أبدا.

وهم يتساءلون إن كان لهم خروج من النار قال تعالى[٤]: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾

يقولون فهل إلى خروج سريع أو بطيء من النار سبيل، وهذا سؤال من يئس من الخروج ولكنه تعلل وتحير[٥].

وقيل لما يخرج من الأرض ومن وكر الحيوان ونحو ذلك خرجٌ وخراج. قال تعالى[٦]: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾. وفي إضافته لله عز وجل تنبيه على أنه هو الذي ألزمه وأوجبه)[٧].

هذا بعض ماورد من مشتقات هذه المادة في القرآن الكريم، أما لفظ الخوارج فلم يرد مطلقا. وورد في أحاديث رسول الله ﷺ وفي آثار الصحابة رضوان الله عليهم، من ذلك قوله ﷺ (**الخَوَارِجُ كِلابُ النَّارِ**)[٨].

وقد وصفهم ﷺ وذكر العلامات التي بها يعرفون، من ذلك ماروي عن عبدالله بن

(١) جامع البيان، الطبري، م ٨، جـ١٦، ص ٤١.

(٢) سررة الأنعام: الآية ١٢٢.

(٣) تفسير البحر المحيط، جـ٤، ص ٢١٤.

(٤) سورة غافر: الآية ١١.

(٥) البحر المحيط: جـ٧، ص ٤٥٣.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٧٢.

(٧) المفردات: الأصفهاني، ص ١٤٥.

(٨) سنن ابن ماجة: المقدمة، باب في ذكر الخوارج ١٢- حديث (١٧٣) عن ابن أبي أوفى، وحديث (١٧٦) عن أبي أمامة، قال البوصيري في (المصباح) جـ١، ص ٨٣ حديث (٦٦) (إسناد ابن أبي أوفى رجاله ثقات إلا أنه منقطع) وسكت عن الثاني.

مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (**يَخْرُجُ في آخرِ الزمان قَـومٌ أحداث الأَسْنانِ سُفَهاءُ الأحلام يقرءون القرآن لايجاوزُ تَرَاقِيهم يقولون مِنْ قَولِ خَيرِ البَرِيَـة يَمْرُقـون مـن الديـن كما يَمْرُقُ السهم من الرمية**) قال أبو عيسى: وفي الباب عـن علـي وأبـي سـعيد وأبـي ذر وهذا حديث حسن صحيح.

وقد روي في غير هذا الحديث عن النبي ﷺ حيث وصف هؤلاء القوم الذين يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كمـا يمـرق السـهم مـن الرميـة إنمـا هـم الخـوارج الحرورية وغيرهم من الخوارج)[١].

الخوارج: جمع خارجة أي طائفة، وهـم قـوم مبتدعـون سمـوا بذلـك لخروجهـم عـن الدين وخروجهم على خيار المسلمين، وأصل بدعتهم أنهم خرجوا على علـي رضـي اللـه عنه حيث اعتقدوا أنه يعرف قتلة عثمان رضي اللـه عنـه ويقـدر عليهـم ولا يقتـص منهـم لرضاه بقتله أو مواطأته إياهم، كذا قـال، وهـو خـلاف مـاأطبق عليـه أهـل الأخبـار، فإنـه لانزاع عندهم أن الخوارج لم يطلبوا بدم عثمان، بل كانوا ينكـرون عليـه أشـياء ويتـبرءون منه، وأصل ذلك أن بعض أهل العراق أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان فطعنوا على عثمان بذلك، وكان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كـانوا يتـأولون القرآن على غير المراد منه ويستبدون برأيهم ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك[٢].

وأما قوله ﷺ: (يخرج في آخر الزمان..)، ودلالة الأحاديث والآثار الواردة في أمرهم أنهم خرجوا في خلافة علي، فقيل بأن المراد زمـان الصحابـة، وفيـه نظـر؛ لأن آخـر زمـان الصحابة كان على رأس المائة، وهم قد خرجوا قبل ذلـك بـأكثر مـن سـتين سـنة، ويمكـن الجمع بأن المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة وقد بين ﷺ أن الخلافة بعده ثلاثـون سـنة ثم تصير ملكا[٣].

وكانت قصة الخوارج وقتلهم بالنهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وعشرين بعد النبي ﷺ دون الثلاثين بنحو سنتين[٤].

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الفتن ٣٤- باب في صفة المارقة ٢٤، حديث (٢١٨٨).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: جـ١٢، ص ٢٨٣.

(٣) انظر الحديث صفحة ٣٢٣ من البحث.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جـ١٢، ص ٢٨٧.

وقد بين الرسول ﷺ لأصحابه صفات هذه الفئة ومنها مايأتي:

الصفة الأولى: أنهم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، ومعنى أحداث: جمع حَدَث، وهو صغير السن، والأسنان، جمع سِن والمراد به العمر، والمراد أنهم شباب. وسفهاء الأحلام، الأحلام: العقول، والمعنى أن عقولهم رديئة. قال النووي: يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل(١).

الصفة الثانية: أنهم يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم أي بالصعود إلى محل القبول أو النزول إلى القلوب ليؤثر في قلوبهم على كثرة قراءتهم له، ففي حديث آخر يشير ﷺ إلى ذلك بقوله: (**يخرج قَومٌ من أمتي يقرءون القُرآن ليس قِراءَتُكم إلى قراءتِهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صِيامُكم إلى صيامِهم بشيء يقرءون القرآن يحسبون أَنَّه لهم وهو عليهم**)(٢).

الصفة الثالثة: أنهم يقولون من خير قول البرية أي يتكلمون لبعض الأقوال التي هي من خيار أقوال الناس، وذلك في الظاهر مثل أن الحكم لله ونظائره كدعائهم إلى كتاب الله.

الصفة الرابعة: أنهم يمرقون من الدين أي يخرجون من الدين قيل الإسلام وقيل طاعة الإمام(٣).

وقد خرجوا بِجُملٍ من البدع منها أن لاشفاعة لمحمد ﷺ، وأن الذنوب تخلد في النار كما يخلد الكفر، وهذا أقل بدعة فيهم(٤).

الصفة الخامسة: هم شرار الخلق والخليقة، يظهر ذلك فيما رُوي عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **إنَّ بَعْدي من أُمتي أو سيكونُ بَعْدي من أُمتي قَوما يَقْرءُون القرآن لايُجاوزُ حُلوقهُمْ يَمْرقُون من الدين كما يَمْرقُ السهم من الرمية، ثم لايعودون فيه، هم**

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: جـ١٢، ص ٢٨٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الزكاة ١٢- باب التحريض على قتل الخوارج ٤٨، حديث ١٥٦ (١٠٦٦) عن علي رضي الله عنه، وللحديث تتمة، وسيأتي طرف آخر منه.

(٣) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي: جـ٧، ص ١١٩.

(٤) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: جـ١١، ص ١٢٨.

شرار الخلق والخليقة[1].

ومعنى الخلق: الناس، والخليقة: البهائم، وقيل هما بمعنى ويردي بهما جميع الخلائق.

واستدل على كفرهم بهذه الصفة وبقوله ﷺ: (**يمرقون من الدين**) وبقوله (**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود**) وعاد قتلت كفرا أما قوله ﷺ (**هم شر الخلق**) فإن ذلك لايكون إلا لكافر وهم في الأصل صنفان: أحدهما يزعم أن عثمان وعليا وأصحاب الجمل كفار،ومن رضي بالتحكيم بأجمعهم. والثاني: أن كل من أذنب ذنبا من أمة محمد ﷺ فهو في النار مخلداً فيها، فلما كفّروا أصحاب محمد ﷺ بأجمعهم وحكموا بتخليدهم في النار كانوا كفارا ثم انتهوا إلى عشرين فرقة[2].

وبين الرسول ﷺ أن من علاماتهم التحليق، والمراد بالتحليق حلق الرأس، ولا دلالة فيه على كراهة الحلق، فإن كون الشيء علامة لهم لاينافي الإباحة.

وذكر ﷺ من علاماتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة. وقد وجد هذا الرجل فيما حدث به زيد بن وهب الجهني وكان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه والذين ساروا إلى الخوارج.. وبعد أن قابلهم الناس قال علي رضي الله عنه التمسوا منهم المخْرَج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض قال: أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، قال فقام إليه عبيدة السلماني فقال: ياأمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له[3].

وقد بينت لنا نصوص الأحاديث تاريخ هذه الفرقة مثل قوله ﷺ (**إن بعدي من أمتي**) أو (**سيكون بعدي من أمتي**) ثم قوله ﷺ (**يخرج آخر الزمان**) وقد ظهر المراد به وهو آخر زمان الخلافة، وقد أشار ﷺ إلى رجل اعترض رسول الله ﷺ في مال قسمه.. فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتئ الجبين محلوق الرأس فقال: اتق

---

(١) سنن ابن ماجة: المقدمة، باب في ذكر الخوارج ١٢، حديث (١٧٠).

(٢) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: ص ٣٨، ٣٩.

(٣) أخرجه مسلم مطولا، وتقدم طرف آخر منه من ٣٦٤ من البحث.

اللــه يـامحمد.. إلى أن قـال ﷺ: **إن مـن ضِئْضِئ هـذا قومـا يقـرءون القـرآن لايُجـاوزُ حَناجرهم يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعُون أهل الأوثان يَمْرُقُون مـن الإسـلام كمـا يَمـرُق السَّهمُ من الرَّميَّةِ، لئن أدْرَكتهم لأقتُلنَّهم قَتلَ عَادٍ**[(١)].

وسيظل خروجهم حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجـال، فممـا ورد في أقوالـه ﷺ أنهم (**لايزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسَيحِ الدَّجال فإذا لَقِيتَموهُم فـاقْتلُوهم هُم شَرُّ الخَلْقِ والخَليقةِ**)[(٢)].

من هذا يتبين لنا أن لفظ الخوارج أصبح له مدلول خاص في الأحـاديث النبويـة فقـد أطلقه ﷺ على فرقة من فرق أمتـه الضالـة والـتي أمـر بقتالهـا ووصفهـا بأنهـا شـرار الخلـق والخليقة وأنهم لايزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسـيح الدجـال ومعنـى ذلـك أن اللفظ سيظل مرتبطا بهذه الدلالة.

ومما يظهر لنا من تتبع هذا اللفظ أنه لفظ ورد في سياقات الشعر الجاهلي وقد ارتبـط معناه بالخارجي من الخيل والخارجي من القوم فكلاهما يخرج عن الأصل أو الأمـر المتوقـع له، فالخيل الذي لاعرق له في الجودة يخرج متفوقـا، وابـن الجبـان أو البخيـل يخـرج سـابقا متفوقا. وهنا نلمح المشابهة بين المدلولين والتي دعت إلى إطـلاق اللفـظ علـى فئـة مـن أمـة محمد ﷺ خرجت على هديه والعلاقة بين المدلولين هــي الخـروج عـن الوضـع المـألوف أو الذي ينبغي أن يكون، فالخيل التي لاعرق لها في الجودة وتخرج سابقة خرجت عن المألوف، وكذلك الرجل يخرج كريما أو شريفا أو شجاعا وهو ابن جبان أو بخيل.

وبالمقابل فإن الفئة التي تخالف الإسلام وتخـرج علـى تعاليمـه وتبتـدع فيـه فإنهـا فئـة خارجة عليه، وفي هذا دلالة على أن الإسلام حمل الألفاظ القديمة معانيَ جديـدة و لم يـأت بألفاظ جديدة ليعبر بها عما استجد من المعاني، وبهذا يتخصص هذا اللفـظ ليصبـح علمـاً على هذه الفئة الخارجة التي حدثنا عنها ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزكاة ١٢- باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٤٧، حديث (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي اللـه عنه.

(٢) سنن النسائي: كتاب تحريم الدم ٣٧- من شهر سيفه ثم وضعه في الناس ٢٦، حديث (٤١٠٣) عن أبي برزة رضـي اللـه عنه، وله تتمة.

المرجئة

لفظ مشتق من رجا، والرجاء من الأمل نقيض اليأس، ورجا يرجو رجواً ورجاء توقّع وتأمل.

وحول هذا المعنى دارت مشتقات هذه المادة في الشعر الجاهلي، من ذلك قول عنترة[١]:

فَسِيري مَسيرَ الأمْن يَا بِنْتَ مِالِكٍ ... وَلا تَجْنَحِيْ بَعْدَ الرَّجَاءِ إلى اليَأْسِ

يرجو: يتمنى أو يريد ويطلب، قال السموأل[٢]:

إن امرأً أمنَ الحَوْادِثَ جَاهِلٌ ... يَرْجُو الخُلُودَ كَضَارِبٍ بِقِدَاحِ

وقال عبيد بن الأبرص[٣]:

لَعَلَّ الذِيْ يَرْجُو رَدَايَ وَمَوْتِيَ ... سَفاهاً وجُبْناً أنْ يَكونَ هُو الرَّدَى

فَمَا عَيْشُ مَنْ يرجو خِلافِي بضَائِري ... وَلا مَوتُ مَن قد ماتَ قبْلي بمُخْلِدِي

رَجِّي أي تَأمَّلي، قال بشر الأسدي[٤]:

فَرَجِّيْ الخَيْرَ وانْتَظِرِيْ إيَابِي ... إذَا مَاالقَارِظُ العَنْزِيُّ آبَا

(١) شعراء النصرانية: جـ٦، ص ٨٤٣.

(٢) ديوان السموأل: ص٥٠.

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٥٦.

(٤) ديوان بشر الأسدي، ص ٢٦.

قال السليك بن السلكة[1]:

فَمَـا خَـيْرُ مَـن لايَرْتَجِـي خَـيرَ أَوْبَـةٍ   وَيُخْشَـى عَلَيْـهِ سَـرْيَةٌ وَحُـرُوبُ

وأرجى الأمر أخّره لغة في أَرْجَأه، وأَرْجَأت الأمـر وأَرْجيتـه إذا أَخّرتـه، وقـد وردت هذه الدلالة في القرآن الكريـم في عـدة آيات منهـا قولـه تعـالى[2]: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾

(قالوا أرجه وأخاه) أي من حضر مناظرة موسـى مـن عقـلاء مـلأ فرعـون وأشـرافه أشاروا عليه بالإرجاء وعدم قتلهما[3]. ومعنى أرجـه وأخـاه أي أخّـر أمرهمـا حتـى تـرى رأيك، وقيل احبسهما)[4].

وورد لفظ مُرْجون بمعنى مؤَخّرون موقوف أمرهم في مثل قوله تعالى[5]: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

قال ابن عباس نزلت في الثلاثة الذين خلفوا قبل التوبة عليهم، وقال الحسن هـم قـوم من المنافقين أرجأهم رسول الله ﷺ عن حضرته. وقال الأصم يعني المنافقين أرجأهم اللـه فلم يخبر عنهم بما علم منهم[6].

وورد في القرآن أيضا الرجـاء بمعنـى التوقـع والتـأمل، فرجـاه يرجـوه رجـوا ورجـاء

(١) ديوان الصعاليك: ديوان (السليك بن السلكة) شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٨٤.

سليك بن مسلكة السعدي: منسوب إلى أمه سلكة، وكانت سوداء، وهو من بني كعب بن سعد بن مناة بن تميم، كان له بأس ونجدة، من أجود الناس عدواً على رجليه.

الشعر والشعراء: ٣٧٢. والمؤتلف والمختلف: ٤٢٥. ومعجم الشعراء: ١٣٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١١١.

(٣) البحر المحيط، م٤، ص ٣٥٩.

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٢٤٢.

(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٦.

(٦) البحر المحيط: م٥، ص ٩٧.

ورجّاه: توقعه وفيه مسرة ومنه قوله تعالى[1]: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾.

قيل نزلت في الجهاد مطلقا، وقيل في انصراف الصحابة من أحد، وكان ﷺ أمرهم باتباع أبي سفيان وأصحابه، ومعنى لاتهنوا أي لاتضعفوا أو تخوروا جبنا في طلب القوم ثم شجعهم على طلب القوم وألزمهم الحجة، فإن مافيهم من الألم مشترك وتزيدون عليهم أنكم ترجون من الله الثواب وإظهار دينه بوعده الصادق[2].

ومن معنى أرجأت الأمر وأرجَيْته أخرته. وقد ورد الإرجاء بمعنى التأخير في سياقات الأحاديث ومن ذلك ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى أن يبيع الرجل طعاما حتى يستوفيه، قلت لابن عباس: كيف ذاك، قال: ذاك دَرَاهم بدراهِم والطعام مُرْجأٌ، قال أبو عبدالله (مُرْجَئُون) مُؤَخَّرون[3].

ورد في الحديث النبوي لفظ (المرجئة) في الحديث النبوي دالا على فرقة من فرق الإسلام، وذلك فيما روي عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: (**صِنْفَانِ مِنْ أُمتِي ليس لَهما فِي الإِسْلامِ نَصِيبٌ المُرْجئةُ والقَدرِيةِ**)[4].

المرجئة هم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لايضر مع الإيمان معصية، كما أنه لاينفع مع الكفر طاعة، سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي: أي أخره عنهم. والمرجئة تهمز ولا تُهمز. وكلاهما بمعنى التأخير. يقال: أرجأت الأمر وأرجيْته إذا أخرته[5].

وقال ابن قتيبة: إنما سموا بذلك لأنهم زعموا أن الإيمان قول وأرجأوا العمل[6].

ونظرا لما اعتقده أصحابها من اعتقادات باطلة أخبر النبي ﷺ عنهم أنه ليس لهم في

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠٤.

(٢) البحر المحيط: م٣، ص ٣٤٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب البيوع ٣٤- باب مايذكر في بيع الطعام والحكرة ٥٤، حديث (٢١٣٢).

(٤) سنن الترمذي: كتاب القدر ٣٣- باب ماجاء في القدرية ١٣، حديث (٢١٤٩).

وأخرجه ابن ماجة في (سننه) المقدمة، باب في الإيمان ٩، حديث (٦٢) بلفظ (صنفان من هذه الأمة ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية) قال الترمذي: (هذا حديث غريب حسن صحيح).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: جـ٢، ص ٢٠٦.

(٦) غريب الحديث: ابن قتيبة، ص ٦١.

الإسلام نصيب، والمرجئة من الفرق التي أخبر ﷺ عن ظهورها في أمته ﷺ ولكن هذه البدعة لم تحدث إلا بعد انقراض عصر الصحابة، فتكلم فيها كبار التابعين واستفحل أمرها واستطار شرها في زمن الأئمة كالإمام أحمد(١).

وقد ورد اللفظ في حديثين فقط في الكتب الستة وهي إشارة منه ﷺ لما سيكون من أمر أمة محمد ﷺ من أنها ستفترق فرقا وسيكون من هذه الفرق من هي خارجة عن هديه ﷺ، وبهذا يمكن التأريخ لظهور هذا اللفظ بهذين الحديثين على ماتبين من عدم وجوده في الشعر الجاهلي أو في القرآن، وبهذا يظهر أثر الاشتقاق وأهميته في تكوين الألفاظ الإسلامية، فمن الفعل (أرجأ) بمعنى أخّر أخذ اسم الفاعل (المرجئة) وأصبح لفظاً وعلماً على فرقة من فرق أمة محمد ﷺ التي ضلت الطريق وخالفت هديه ﷺ.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود: م٢، جـ١٢، ص ٢٩٨.

القدرية

وأصلها الثلاثي (قدر) ولهذه المادة دلالات في الشعر الجاهلي، ومنها:

قَدَرَ من القدرة بمعنى استطاع وتمكن. قال عبيد بن الأبرص(١):

وَلَقَدْ أَبَحْنَا مَاحَمَيْتَ وَلا مُبِيحَ لما حَمَيْنَا ... هَذَا وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَيْكَ رِمَاحُ قَوْمِي ماانْتَهَيْنَا

وقال عروة بن الورد(٢):

لَيْثٌ يُلاقِي رِجَالَ الحَرْبِ مُقْتَدِراً ... وَطَعْنُهُ فِي حَشَاهَا وافَقَ القَدَرَا

القَدْر: المكانة والمنزلة، قال عنترة(٣):

وَمَا هَابَ الزَّمَانُ عَلَيَّ لَوْنِي ... وَلا حَطَّ السَّوَادُ رَفِيْعَ قَدْرِي

القَدَر: ماقضاه وكتبه الله على الإنسان، وقد كان الجاهلي يعتقد أن ماقدره الله لابد نازل ولا مفر منه. قال عنترة(٤):

إذَا كَانَ أَمْرُ اللهِ أمْراً يُقَدَّرُ ... فَكَيْفَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْهُ وَيَحْذَرُ

وَمَنْ ذَا يَرُدُّ المَوْتَ أو يدْفَعُ القَضَا ... وَضَرْبَتُه مَحْتُومَةٌ لَيْسَ تَعْبُرُ

وهو لايتضجر من القدر عندما تحدث ضائقة أو حدث مفاجئ أليم، قال لبيد بن ربيعة(٥):

---

(١) ديوان عبيد، ص ١٣٧.

(٢) شرح ديوان عروة بن الورد، ص ٢٠٢.

(٣) شعراء النصرانية، جـ٦، ص ٨٣٧.

(٤) المرجع السابق: جـ٦، ص ٨٣٨.

(٥) شرح ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٦٤.

وَلا أقُــــوْلُ إِذَا مَاأَزْمَــــةٌ أَزَمَــــتْ   يَــاويحَ نَفْسِـــي مِمَّــا أحْـــدَثَ القَـــدَرُ

والقدرية لفظ لم يرد في الشعر الجاهلي ولا في القرآن الكريم، ووردت مادة هذا اللفظ ومشتقاتها ودارت حول عدة معان منها[1]:

١ - قدر الله الرزق يقدره: جعله محدودا ضيقا، وقُدِر عليه رزقه ضيق، ومنها قوله تعالى[2]: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴾

٢ - وقَدَرَ المؤمن الله: عظمه، قال تعالى[3]: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾. أي ماعظموه أو ماأنزلوه المنزلة اللائقة بقدره الرفيع.

٣ - وقَدَر الشيء يقدُرُه إذا حدد مقداره أو زمانه أو مكانه فهو قادر، قال تعالى[4]: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾ أي دبرنا الأمور أو أردنا وقوعها بحسب تدبيرنا.

٤ - وقدر الشيء حدد مقداره أو امتداده وقدر الله الأمر قضى به أو حكم بأن يكون. قال تعالى[5]: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ أي قضينا بذلك أو حكمنا بأن يحصل.

٥ - وقدر الله: قضاؤه المحكم أو حكمه المبرم على مخلوقاته ومنه قوله تعالى[6]: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ أي قضاء محكما وحكما مبرما.

وإلى القدر نسبت فرقة أو طائفة من أمة محمد ﷺ لم يرد ذكرها في القرآن الكريم وليس في الشعر الجاهلي مايرتبط بها إلا الاعتراف بقدر الله وحتمية وقوعه وأنه لامفر منه، أما هذه الفرقة فقد أخبرنا النبي ﷺ عنها وبين لنا خطأ اعتقادها بانكارهم للقدر الذي خالفت فيه أصلا مهما من أصول الدين وركنا من أركان الإيمان الستة هو الإيمان بالقدر

(١) انظر هذه المعاني في معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ص ٤٩٥.

(٢) سورة الفجر: الآية ١٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٤) سورة المرسلات: الآية ٢٣.

(٥) سورة الحجر: الآية ٦٠.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٣٨.

خيره وشره.

(والإيمان بالقدر فرض لازم وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرها وشرها وكتبها في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم والكل بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته غير أنه يرضى الإيمان والطاعة ووعد عليهما الثواب ولا يرضى الكفر والمعصية وأوعد عليهما العقاب والقدر سر من أسرار الله تعالى لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يجب أن يعتقد أن الله تعالى خلق الخلق فجعلهم فرقتين فرقة خلقهم الله للنعيم فضلا، وفرقة للجحيم عدلا)[١].

وقد بين النبي ﷺ أن هذه الفرقة من أمته ﷺ، ولكن ليس لها في الإسلام نصيب، فمما روي عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**صِنْفَان من أُمتي لَيس لهما في الإسلام نَصِيبٌ المُرْجِئَة والقَدَرِيَّةُ**)[٢].

والقدرية منسوبون إلى القدر، وفيه لغة أخرى: القدر يقال هذا قَدَر الله وقَدْره، وقد كان فريق منهم يزعمون أن هذا الاسم لايلزمهم باللغة وإنما يلزم غيرهم، واحتجوا في ذلك أنه يدعى عليهم، أنهم يقولون: لاقدر فكيف ينسبون إلى مايجحدون، وهذا تمويه من المحتج، وإنما لزمهم لأنهم يضيفون إلى أنفسهم القدر وغيرهم يجعله لله عز وجل دون نفسه، ومدعي الشيء لنفسه أحرى بأن ينسب إلى ذلك الشيء ممن جعله لغيره[٣].

وتدلنا الأحاديث على أن هذه الفرقة لم تظهر في عهد رسول الله ﷺ، وأنها مما أخبر به ﷺ كما أخبر أن أمته ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة.

وقد أدركت بدعة القدر: آخر عصر الصحابة، فأنكرها من كان منهم حيا، كعبدالله بن عمر، وابن عباس، وأمثالهما رضي الله عنهم، وأكثر مايجيء من ذمتهم: فإنما هو موقوف على الصحابة من قولهم فيه[٤].

وقد أخبر ﷺ عن هذه الفرقة بأنه سيحدث لها خسف أو مسخ، فمما روي عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**يَكونُ فِي هَذهِ الأُمة أو في أمتي الشكُّ منه خَسْفٌ**

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود: جـ١٢، ص ٢٩٥.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجة، وتقدم ص ٢٤١، حاشية ٢.

(٣) غريب الحديث: ابن قتيبة، جـ١، ص ٦١.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود: جـ١٢، ص ٢٩٨.

أَوْ مَسْخٌ أو قَذْفٌ في أَهْلِ القَدر)[1].

يتبين من الأحاديث السابقة أن القدرية لفظ إسلامي أطلقه ﷺ على فرقة من فرق أمته الذين يقولون لاقدر، وفي هذا دليل على أن الإسلام لم يأت بألفاظ جديدة وإنما حمل الألفاظ القديمة معاني جديدة، فالقدر لفظ معروف والقدرية نسبة إلى القدر ولكنها تحمل لنا دلالة جديدة لم نجدها في الشعر الجاهلي ولا في القرآن الكريم فيكون التأريخ لظهور هذا اللفظ هو حديث رسول الله ﷺ، ففي سياقاته أصبح علما على فرقة من الفرق التي خالفت هديه ﷺ واستحقت العقاب.

(١) سنن الترمذي: كتاب القدر ٣٣- باب ١٦، حديث (٢١٥٢) وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب).

تبين من دراسة لفظ السنة والبدعة والشبهة والرخصة أن الأحاديث النبوية قد خصصت دلالاتها فبالتخصيص أصبح لفظ السنة دالا على أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته كما سمى كل ماجاء مخالفا لهديه ﷺ بدعة، فانتقل اللفظ من معناه اللغوي العام (إحداث الأمور على غير مثال سابق) إلى الدلالة على مايتعبد به لله بما يخالف هديه ﷺ.

أما الشبهات فلفظ إسلامي أضافه لنا الحديث النبوي ليدلنا على الأمور المشتبهة بين الحل والحرمة، كما خصصت الأحاديث لفظ الرخصة ليدل على مااستبيح بعذر مع قيام الدليل المحرم عليه.

وبهذا يكون التخصيص مظهرا مهما من مظاهر التغير الدلالي به انتقلت كثير من الألفاظ من معانيها اللغوية إلى معانيها الإسلامية، فالألقاب الإسلامية التي تمت دراستها في هذا الباب وهي: الخلفاء الراشدون، والصحابة، والتابعون، والقراء، والغرباء، كلها انتقلت بالتخصيص إلى معانيها الإسلامية التي أضافتها لنا الأحاديث النبوية.

كما أضافت لنا بعض أسماء الفرق وأول ماأخبرنا عنه ﷺ الجماعة بأنها الفرقة الناجية من أمة محمد ﷺ، وما عداها من الفرق والتي يبلغ عددها إحدى وسبعين فرقة كلها في النار، وقد سمى لنا الرسول ﷺ بعض هذه الفرق وهي الخوارج، والمرجئة، والقدرية، وهنا يظهر لناأن هذه الألفاظ الإسلامية التي قدمتها لنا الأحاديث النبوية ألفاظ قديمة حملها الإسلام المعاني الجديدة كما يظهر لنا أهمية الاشتقاق في تكوين هذه الألفاظ.

فالمرجئة اسم فاعل من الفعل (أرجأ) أصبح لفظا دالا على هذه الفرقة. فالإسلام لم يغير على العربي لغته وألفاظه.

الباب الرابع

أعلام إسلامية

الفصل الأول: أسماء سور القرآن.

الفصل الثاني: أسماء الرسول ﷺ وأسماء دار هجرته.

الفصل الثالث: أسماء من العالم الغيبي

اخترت في هذا الباب دراسة بعض الأعلام الإسلامية التي أضافها الحديث النبوي و لم ترد في الشعر الجاهلي، ولا في القرآن، ذلك لأنها أعلام مرتبطة بدلالات إسلامية لم تكن موجودة في الشعر الجاهلي، كأسماء بعض سور القرآن الكريم، وأسماء الرسول ﷺ وأسماء من العالم الغيبي، وكل هذا مرتبط بمجيء الإسلام، و لم ترد هذه الأعلام في القرآن الكريم، وإنما وردت في التفصيلات التي جاءت بها أحاديث رسول الله ﷺ في حديثه عن نفسه ﷺ، أو في ذكره لفضائل السور كأم الكتاب والزهراوين، أو في حديثه عن الجنة والنار وما فيها من أنهار وأودية، وقد قسمت الأعلام التي تمكنت من دراستها في هذا الباب إلى ثلاثة أنواع:

الفصل الأول: ويضم بعض أسماء سور القرآن.

الفصل الثاني: ويضم أسماء الرسول ﷺ وأسماء دار هجرته.

الفصل الثالث: ويضم أسماء من العالم الغيبي.

وفيما يلي إيضاح لمعاني هذه الألفاظ وبيان كيف اكتسبت هذه الدلالة الإسلامية في الأحاديث النبوية.

الفصل الأول

أسماء سور القرآن الكريم

أم الكتاب

كل شيء ضُمّ إليه سائر مايليه يسمى في اللغة أُمًّا، (وأُمُّ الشيء: أَصْله، والأُمُّ والأُمَّةُ: الوالدة)[1]، واستعمل الجاهليون لفظ الأم للدلالة على هذا المعنى من ذلك قول عنترة[2]:

يُقَدِّمُهُ فَتىً مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ   أَبوهُ، وأمّهُ مِنْ آلِ حَامِ

وقال عنترة أيضا[3]:

مِنهمْ أَبي حَقّاً، فَهُمْ لِي وَالِدٌ   وَالأمُّ مِنْ حَامٍ، فَهُمْ أخْوَالِي

وصدَّر الشعراء والجاهليون بعض الأسماء بلفظة (أم) للدلالة على الكنية، قال زهير[4]:

غَشِيْتُ الدِيَارَ بِالبَقِيْعِ فَثَهْمَدِ   دَوارس قَدْ أقْوَيْنَ من أُمِّ مَعْبدِ

وقال عنترة[5]:

حُييتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادمَ عهدُهُ   أَقْوى وأقفَرَ بَعْد أمِّ الهيْثَمِ

واستعمل لفظ الأم فيما لايعقل، قال زهير[6]:

كَخَنسَاءَ سَفْعَاءِ الملاطِم حُرةٍ   مُسَافِرةٍ مَزْؤودةٍ أُمِّ فرقَدِ

(١) لسان العرب: جـ١، ص ١٣٥.
(٢) ديوان عنترة: ص ٢٤٥.
(٣) المرجع السابق: ص ٣٣٦.
(٤) ديوان زهير: ص ٢١٩.
(٥) ديوان عنترة: ص ١٨٩.
(٦) ديوان زهير: ص ٢٢٥.

ومعنى خنساء بقرة وصفها بأن لونها أسود في حمرة وأنها كريمة عتيقة مسافرة تخرج من أرض إلى أرض، والفَرْقد ولدها، واستعمل هنا لفظ أم في الحيوان وهي هنا البقرة (أم فرقد)، وسميت الحرب أو المنية بأم قشعم، قال زهير[1]:

فشَدَّ وَلم يُفْزِعْ بيوتاً كثيرةً ... لَدَى حَيثُ أَلقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ

وأمُّ الطعام هي البطن، قالت امرأة من بني هزّان يقال لها أم ثواب[2]:

ربَّيتُه وهو مِثْلُ الفَرْخِ أَعْظمهُ ... أُمُّ الطَّعَام تَرَى في جِلْدِه زَغَبا

تقول: كان ابني حين ولدته في ضعفه وصغره كفَرْخ القطاة، فأقبلت أربيّه وأعظم شيء فيه بطنه، وتسمية البطن بأم الطعام كما قيل للجلدة الرقيقة المُلبسة للدماغ أم الدماغ، وكماسُمِّيت المجرّة أم النجوم، كل ذلك لما في المضاف والمضاف إليه من الانضمام والاحتواء.

وذكر الثعالبي في الإضافة للفظ أم (أم عَوْف: الجرادة وأم عامر الضبع، وأم الرأس وهي أعلى الهامة، وموضع الدماغ من الرأس وما أحاط به، وأم الخلّ هي الخمر، وأم غَيْلان وهي المفازة، إلى غير ذلك مما أضافه العرب للفظ أم مما لايدعو المقام لذكره تفصيلا)[3].

والذي يتبين من الأبيات السابقة أن الجاهلي استعمل لفظ أم دالا على الوالدة واستعمله في مالايعقل، وكنّى به عمَّا يعقل كأم معبد، وأم الهيثم.. وعمَّا لايعقل كأم قشعم للحرب أوالمنية وأم الفرقد..

وإذا انتقلنا باللفظ إلى القرآن الكريم نجده دلَّ على الأم الوالدة، ومن ذلك قوله تعالى[4]: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ

(١) ديوان زهير: ص ٢٢.

(٢) شرح ديوان الحماسة: جـ٢ ص ٧٥٦.

(٣) انظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ص ٢٥٥:٢٦٢.

(٤) سورة لقمان آية ١٤.

لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾

وورد في القرآن من تصدير الكنية بلفظ أم قوله تعالى[1]: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى أزواج النبي أمهات للمؤمنين قال تعالى[2]: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾

﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾ (أي في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لاتجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع)[3].

وكل شيء يضم إليه ماسواه مما يليه يسمى أُمّاً، وكل مدينة هي أم ماحولها من القرى، ومن هنا سمى القرآن مكة بأم القرى[4].

قال تعالى[5]: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

وأضاف القرآن الكريم لفظ أم إلى الكتاب، وورد هذا التركيب في ثلاث آيات من القرآن الكريم منها آية من سورة آل عمران هي قوله تعالى[6]: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ..﴾ الآية.

ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أن المراد أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردَّ مااشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنه فقد اهتدى[7].. (ومعنى) ﴿**هن أمن الكتاب**﴾ أي أصله الذي يرجع

---

(١) سورة القصص آية ٧.

(٢) سورة الأحزاب آية ٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٣ ص ٤٨٤.

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٢٦.

(٥) سورة الأنعام آية ٩٢.

(٦) سورة آل عمران آية ٧.

(٧) المفردات ص ٢٢.

إليه عند الاشتباه)[١].

فالمراد بأم الكتاب في الآية السابقة الآيات المحكمات من آيات الشرائع والأحكام والفرائض؛ لأنهن أصله الذي يُرجع إليه عند الاشتباه.

وورد اللفظ في سورة الرعد في قوله تعالى[٢]: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝﴾. ومعنى قوله تعالى: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ (أي أصله وهو اللوح المحفوظ، والمراد من الآية أنه يمحو مايشاء مما في اللوح المحفوظ فيكون كالعدم، ويثبت مايشاء فيه فيجري فيه قضاؤه وقدره على حسب ماتقتضيه مشيئته، وقيل: إن أم الكتاب هو علم الله تعالى بما خلق وما هوخالق)[٣].

وورد اللفظ في قوله تعالى[٤]: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝﴾

﴿وإنه﴾ أي القرآن ﴿في أم الكتاب﴾ أي اللوح المحفوظ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ﴿لدينا﴾ أي عندنا، قاله قتادة وغيره ﴿لعلي﴾ أي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، ومعنى ﴿حكيم﴾ أي محكم بريء من اللبس والزيغ[٥].

ومن هذا يتبين أن معنى أم الكتاب في القرآن آياته المحكمات أو اللوح المحفوظ.

وإذا تتبعنا اللفظ في الحديث النبويّ وجدناه دل على سورة من سور القرآن وهي الفاتحة، وقد بين ﷺ من فضلها وعظم شأنها أنه لاصلاة لمن لم يقرأ بها، ومن لم يقرأ بها فصلاته ناقصة، فعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **كُلّ صلاة لايُقرأ فيها بأمّ الكتابِ فهي خِدَاجٌ**)[٦].

وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: (**لاصلاة لمنْ لم يَقْرأ بِفَاتِحَةِ الكتاب**)[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ١، ص ٣٤٤.

(٢) سورة الرعد آية ٣٩.

(٣) فتح القدير: جـ٣ ص ٨٨.

(٤) سورة الزخرف: آية ٤.

(٥) تفسير ابن كثير: جـ٤، ص ١٢٢.

(٦) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة خلف الإمام ١١ - حديث رقم (٨٤٠).

(٧) صحيح البخاري، كتاب الأذان - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ٢:٢٣٦ حديث (٧٥٦).

وصحيح مسلم: كتاب الصلاة- باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١:٢٩٥ حديث (٣٤).

لأنه يبدأ بها في أول القرآن، وتعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السورة، ويقال لها فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بها في المصاحف، فتكتب قبل الجميع.. وقال غيره: سميت أم الكتاب لأن أم الشيء ابتداؤه وأصله، ومنه سميت مكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها(١).

وقد بينت الأحاديث أنها رقية شرعية أقرها النبي ﷺ فعن أبي سعيد الخدري قال: كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم،وإن نفرَنا غُيّب فهل منكم راق، فقام معها رجل ماكُنا نأبُنُه بُرقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي؟ قال: لا، مارقيت إلا بأم الكتاب. قلنا: لاتحدثوا شيئا حتى نأتي أو نسأل النبي ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: **وما كان يُدْرِيه أَنَّها رُقْيةٌ؟ اقسموا واضْربُوا لي بسهم)**(٢).

وورد في الحديث أيضا تسميتها بأم القرآن من ذلك مارواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ صَلَّى صَلاةً لم يَقْرَأ فِيها بِأُمِّ القرآن فَهي خِدَاجٌ خِداج فهي خِدَاجٌ غَيْرُ تَمام)**(٣).

في الحديث فرضية قراءة الفاتحة في كل صلاة، وأن الصلاة إذا لم يقرأ فيها الفاتحة فهي ناقصة نقص فساد وبطلان، لأن الخداج النقصان والفساد، ومن ذلك قولهم أخدجت الناقة وخدجت إذا ولدت قبل تمام وقتها، وقبل تمام الخلق وذلك نتاج فاسد(٤).

ومما جاء في بيان فضلها مارواه أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **(ماأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في التوراةِ ولا في الإِنْجِيلِ مِثلَ أُمِّ القُرآنِ، وهي السَبعُ المَثَانِي وهي مَقْسومَةٌ بيني وَبينَ عَبدِي ولِعَبْدِي ماسَأَلَ)**(٥).

---

(١) فتح الباري: جـ٨ ص ١٥٦.

(٢) صحيح البخاري ٦٦- كتاب فضائل القرآن ٩- باب فضل فاتحة الكتاب، حديث (٥٠٠٧).

(٣) سنن أبي داود: ٢- الصلاة، حديث (٨٢١).

والحديث أخرجه مسلم، كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة - ١١ حديث رقم ٣٨ (٣٩٥).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود جـ٢ ص ٢٧.

(٥) سنن النسائي ١١- كتاب الافتتاح باب تأويل قول الله عز وجل ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ ١٣٩:٢ حديث رقم (٩١٤).

وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن - باب (١٦) ومن سورة الحجر، حديث رقم (٣١٢٥).

وقيل سميت أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى والتعبد بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وعلى مافيها من ذكر الذات والصفات والفعل، واشتمالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش[1].

وسميت أيضا بالسبع المثاني وفي القرآن الكريم[2]: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾

وقد اختلف أهل العلم في السبع المثاني ماذا هي: فقال جمهور المفسرين: إنها الفاتحة، قال الواحدي: وأكثر المفسرين على أنها فاتحة الكتاب.. وقيل هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والسابعة الأنفال والتوبة، لأنها كسورةٍ واحدة إذ ليس بينهما تسمية، روى هذا القول عن ابن عباس، وقيل: المراد بالمثاني السبعة الأحزاب فإنها سبع صحائف[3]. وفي سياقات الأحاديث مايدل دلالة واضحة على أنها الفاتحة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالمين أُمُّ القُرآنِ، وأُمُّ الكِتَابِ، والسَّبْعُ المَثَانِي**)[4].

والمراد بالسبع الآي لأن الفاتحة سبع آيات، وهو قول سعيد بن جبير. واختلف في تسميتها (مثاني) فقيل لأنها تثنى في كل ركعة أي تعاد، وقيل لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها[5]. وقيل: لأنها تثنى بسورة أخرى أو لأنها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة تعظيماً لها واهتماماً بشأنها[6].

قال الفيروزآبادي: (اختلف العلماء في موضع نزولها. فقيل: نزلت بمكة وهو الصحيح؛ لأنه لايُعرف في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب. وقيل: نزلت بالمدينة مرة، وبمكة مرة، ولهذا قيل: لها السبع المثاني؛ لأنها ثُنيت في النزول)[7].

---

(١) فتح الباري جـ٨ ص ١٥٦.

(٢) سورة الحجر آية ٨٧.

(٣) فتح القدير جـ٣ ص ١٤١.

(٤) سنن أبي داود ٢- كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب (٣٥٠) حديث رقم (١٤٥٧) وسنن الترمذي كتاب تفسير القرآن - باب (١٦) من سورة الحجر، حديث (٣١٢٤) وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

(٥) فتح الباري جـ١ ص ١٥٨.

(٦) عون المعبود: جـ٤، ص ٢٣٢.

(٧) البصائر جـ١ ص ١٢٨.

وورد في الحديث أيضاً تسميتها بفاتحة الكتاب، فعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ: **(لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)**[1].

ووردت هذه التسمية أيضاً في أحاديث كثيرة منها الأحاديث التي تبين فضل هذه السورة، فعن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ وعنده جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضاً فَوْقَه فرفع جبريل عليه السلام بصره إلى السماء فقال: هذا باب قد فُتِحَ من السماء مافُتِحَ قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: أَبشر بنورين أُوتِيتهُمَا لم يؤتهما نبيٌّ قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفا منهما إلا أُعطِيْتَهُ)[2].

قال ابن حجر: ويقال لها فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بها في المصاحف فتكتب قبل الجميع[3].

ومن هذا يتبين أن الحديث النبوي هو الذي سَمَّى سورة الفاتحة بأم الكتاب،وأم القرآن، والسبع المثاني، وفاتحة الكتاب.

وتعد هذه الألفاظ من قبيل الترادف لأنها جميعها تدل على سورة من سور القرآن لها شأن عظيم وفضل كبير ووجود هذا التركيب في اللغة واكتسابه هذه الدلالة الإسلامية هو مما قدمه لنا الحديث النبوي، فتركيب لفظين عن طريق الوصف أو الإضافة من الطرائق التي حُملت بها الألفاظ القديمة المعاني الجديدة بوضع تركيب جديد للفظ القديم كالجمع بين لفظ أم الذي يدل على أصل الشيء، والكتاب وهو القرآن الكريم لتسمى السورة بأمِّ الكتاب أو أمِّ القرآن.

(١) تقدم تخريجه ص ٣٨٢ حاشية (٦).

(٢) سنن السنائي كتاب الافتتاح – فضل فاتحة الكتاب (٢٥) حديث (٩١٢).

(٣) فتح الباري، جـ٨، ص ١٠٦.

الزهراوان

ورد من مادة هذه اللفظ في الشعر الجاهلي الزَّهر دالا على النّور، قال ابن فارس: (والزهر نور كل نبات)[(١)]. قال لبيد[(٢)]:

نُعطِي حُقوقاً على الأحْسَابِ ضامنةً حتّى يُنَوِّرَ في قُرْيانِه الزَّهَر

يقول: نعطي حقوقا في الجدب تضمن وفاءنا بها على أحسابنا لكرمنا حتى يُغاث الناس، ويحيوا، وينبت الزهر في مجاري الرياض.

والزُّهرة الكوكب. قال خالد بن عبدالعُزَّى يفخر بعمرو بن طلّة[(٣)]:

إنَّهَا حَرْبٌ رَبَاعِيَّةٌ مِثْلِها أَتَى الفَتَى عِبَره
فَاسْأَلا عِمَرانَ أَوْ أَسداً إذ أتتْ عَدْواً مِن الزُّهرة

أي صبحهم بغلس قبل مغيب الزهرة الكوكب المعروف.

والأزهر: النَيِّر، ويسمى الثوْرُ الوحشي أزْهر، والبقرة زَهْراء[(٤)]؛ قال قيس بن الخطيم[(٥)]:

تَمْشِي كَمَشْيِ الزَّهْراءِ في دَمثِ الـ ـرَّوْضِ إلى الحَزْنِ دُونَها الجُرُفُ

والأزهر الأبيض البراق من كل شيء، ومنه الإبريق الأبيض البرّاق، قال عنترة[(٦)]:

---

(١) مجمل اللغة مادة (زهر) جـ٢ ص ٤٤٢.

(٢) شرح ديوان لبيد، ص ٦٦.

(٣) الصحاح مادة (زهر) جـ٢ ص ٦٧٤،

(٤) السيرة النبوية: ابن هشام، جـ١، ص ٢٣.

(٥) اللسان مادة (زهر) جـ٣ ص ١٨٧٨.

(٦) ديوان عنترة ص ٢٠٦.

بزُجاجَـــةٍ صفـــــراءَ ذاتِ أسِــــرَّةٍ   قُرِنَــتْ بــأزْهَرَ في الشِّـمالِ مُفــدِمِ
فــإذا شَــربتُ فــإنني مُسْــتهلِكٌ   مَــالِي، وعِرْضِــي وافــرٌ لمْ يُكْلَــمِ

والأزهر من الرجال الأبيض النير الحسن، وهو أحسن البياض، كأن له بريقا ونورا.

وقال عُروة بن الورد[1]:

فَغرّبــتِ إنْ لم تُخــبرِيْهِمْ فَــلا أَرَى   بــيَ اليَــوم أدْنَــى مِنْــكِ عِلمــاً وَأخْــبَرا
قَعيــدَكِ عَمْــرَ الله هَــلْ تَعْلَمينــني   كَريمــاً إذا اسْــودّ الأنَــامِلُ أزهَــرَا

يتبين من هذه الأبيات وغيرها مما ورد في الشعر الجاهلي أن هـذه المادة تـدل بجميع مشتقاتها على الأبيض النير المشرق من كل شيء وتشير إلى أحسن البياض الذي يكون لـه بريق ونور ويزهر كما يزهر النجم والسراج.

وورد من هذه المادة في القرآن الكريم لفظ (زَهرة) في آية واحدة هي قوله تعـالى[2]:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

((يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم لاتنظر إلى ماهؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور.. وما ادخره الله تعالى لرسوله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم في الآخـر أمـر عظيـم لايحد ولا يوصف))[3].

---

(١) ديوان عروة بن الورد: ص ٦٠.

(٢) سورة طه آية ١٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٣ ص ١٧٥.

وهذا الاستعمال للفظ في القرآن لأيُراد منه المعنى الحسي للزهرة، وإنما المراد بهجة الحياة الدنيا وزينتها.

وورد من مشتقات هذه المادة في الحديث النبوي لفظ أزهر بمعنى البياض النير وذلك في وصفه عليه الصلاة والسلام، فعن ربيعة بن أبي عبدالرحمن قال: (سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال: كان رَبْعةً من القوم لَيْس بالطويل ولا بالقصير أزْهَرَ اللون ليس بأبيض أَمْهقَ ولا آدم، ليس بِجَعْدٍ قططٍ ولا سَبْطٍ رَجِلٍ..) الحديث[1].

وجاء لفظ زهرة بمعنى بهجة الدنيا وزينتها، فعن سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **أَخْوفُ ماأخَافُ عَليكم مايُخْرِجُ الله لكم من زَهْرَةِ الدُّنْيَا**، قالوا: وما زَهْرَةُ الدنيا يارسول الله؟ قال: **بَركَاتُ الأرض..**)[2] الحديث.

وورد لفظ (زهراوين) مثنى زهراء بمعنى اللون الأبيض فيما رواه عُقبة بن عامر الجهني قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال:**(أيُّكُمْ يُحِبُّ أن يغدو إلى بُطْحَان أو العقيق فيأخذ ناقتين كَوْمَاوِيْن زهْرَاوَين بِغَيْر إِثْم بالله عَزَّ وجل ولا قطع رَحِم..)**) الحديث[3].

فاستعمال لفظ (الزهراوين) في الحديث السابق بمعناه اللغوي المعروف فالناقتان الكوماوان الزهراوان أي العظيمتا السنام اللتان يميل لونهما إلى البياض ولكن اللفظ اكتسب دلالة إسلامية حيث جاء في بعض السياقات دالا على سورتي البقرة وآل عمران، من ذلك مارواه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**اقرءُوا القرآن فإنّه يَأْتِي يومَ القيامة شَفِيعاً لأصْحَابه، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوين البقرة وسُورةَ آل عِمْران فإنَّهما تَأْتيان يَوْمَ القيامة كأنَّهما غَمَامتانِ أو كأنَّهما غَيَايتان أو كَأَنَّهما فِرْقان مِنْ طير صَوافّ تُحاجَّان عن أصْحَابهما،اقْرَءُوا سُورَة البقرة فإن أَخْذَهَا**

---

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب – باب صفة النبي ﷺ (٢٣)، حديث (٣٥٤٧).

(٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة- باب تخوف مايخرج من زهرة الدنيا (٤١) ٢:٧٢٨ حديث ١٢٢ (١٠٥٢).

(٣) سنن أبي داود ٢كتاب الصلاة – باب في ثواب قراءة القرآن (٣٤٩)، حديث رقم (١٤٥٦).

وأخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه (٤١)، ١:٥٥٢ حديث ٢٥١ (٨٠٣) وليس في روايته (زهراوين).

بَرَكةٌ وتَرْكَها حَسْرَةٌ ولا تستطيعها البَطَلَةُ. قال معاوية: البطلة: السحرة[1].

والزهراوان كما بين الحديث هما سورة البقرة وآل عمران، ومعنى الزهراوان (أي المنيرتان واحدتها زهراء)[2]. (قالوا: سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما.. وقوله ﷺ: (**فَإِنَّهما تَأْتِيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان**) قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما. قال العلماء: المراد: أن ثوابهما يأتي كغمامتين، وقوله ﷺ: (**أو كأنهما فرقان من طير صواف**) الفِرقان بكسر الفاء وإسكان الراء هما قطيعان أو جماعتان))[3]. تأتي هذا الطيور صافات أجنحتها تدفعان عن صاحبهما.

وقد أوصى ﷺ بقراءة سورة البقرة لأن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها السحرة.

وهكذا يضيف لنا الحديث النبوي لفظ (الزهراوين) في استعمال جديد حيث يطلقه مجازا على سورتين من سور القرآن، وذلك لفضلهما، وعظيم ثوابهما فكأنهما النيرتان المضيئتان للمسلم لما يناله بتعلمها وقراءتهما من الأجر العظيم.

---

(١) صحيح مسلم ٧- صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٤٢) ١:٥٥٣ حديث ٢٥٢ (٨٠٤).

(٢) انظر غريب الحديث: ابن الجوزي جـ١ ص ٤٤٨، والنهاية جـ٢ ص ٣٢١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ٦ ص ٣٣٠.

المعوذتان

المعوذتان لفظ مأخوذ من مادة عوذ ومعناها لاذ واعتصم فنقول: (عاذ به يَعُوذُ عَـوْذاً وعِياذاً ومعاذاً:لاذَ به ولجأ إليه واعتصم)[1]. واستخدمت هذه المـادة في الشـعر الجـاهلي في بعض المعاني الحسية فجاء استخدام لفظ العُوذ للدلالة علـى الإبـل أو البقـرة أو الغنـم الـتي نتجت حديثا وذلك لأنها تعوذ بأمها. قال لبيد بن ربيعة[2]:

وَالعِـــينُ سَـــاكِنةٌ عَلـــى أَطْلائِهـــا   عُـــوذاً تَـــأَجَّلُ بالفضـــاءِ بِهَامُهـــا

والعِين: البقر سميت بذلك لكبر عيونها، يقول: إن البقر ساكنة مطمئنة على أولادهـا الصغار حديثي النتاج، وهي تسير وتتجمع قطيعا قطيعا.

وقال أوس[3]:

والحـــافِظَ النَّـــاسَ في تَحـــوطَ إذا   لم يُرْسِـــلوا تَحْـــتَ عـــائِذٍ رُبَعَـــا

والحافظ الناس في السنة الجدبة التي ينحرون فيها الفصال لئلا ترضع فَتَضُرّ بالأمهـات وأراد بالعائد الحديثة النتاج والربع الذي ينتج في الربيع.

عاذ: لاذ ولجأ. قال تأبط شراً[4]:

فَعَـاذَ بِحَـدِّ السَّـيفِ صَـاحِبُ أمْرِهِـمْ   وَخَلّوا عـن الشَّـيءِ الـذي لَـمْ يُحَـاوِلُوا

والاستعاذة با لله اللجوء إليه والاعتصام به في الشدائد، قال أوس[5]:

---

(١) لسان العرب جـ٤ ص ٣١٦٢.

(٢) شرح ديوان لبيد: ص ٢٩٩.

(٣) ديوان أوس ص ٥٤.

(٤) ديوان تأبط شرا ص ١٥٨.

(٥) ديوان أوس ص ٢٨.

وَتَعَــوّذوا بــا لله مـــن أقْلامِــهِ   إنَّ السُـيُوفَ لَهــا مِـــنْ الحُسَّـــادِ

وقال عمرو بن كلثوم وقد طلبت منه زوجته الرجوع عن يمين حلفها[1]:

مَعَـــاذَ ا للهِ تَدْعونُــي لِحِنْــثٍ   وَلَـــو أقْفَــرْتُ أيَّامَــا قُتَــارْ

وقال ابن إسحاق: (وحُدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيـل: أن زيـدا كـان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال: لبيك حقاً حقاً، تعبداً ورقا.

عُــذْتُ بِمــا عَــاذَ بِــه إبراهـــمُ   مُسْــتقبلَ القِبْلَـــةِ وَهْــوَ قَــائِمُ[2]

فالجاهلي إذن استعاذ بما استعاذ به إبراهيم عليه السلام واستعاذ با لله معتصما به لاجئا إليه طالبا العون منه. وقد جعل ا لله ملاذه عند كل كرب وشدة. وإن كان لايعترف بالوحدانية ويشرك مع ا لله آلهة أخرى.

وورد من مشتقات هذه المادة في القرآن الكريم (مَعَاذ، عُذتُ، أعُوذُ، يعُوذُون، أعيذُها، فاستَعذْ).

والاستعاذة في القرآن با لله العظيم. قال تعالى[3]: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾

((يعني جل ثناؤه بقوله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم فاستعذ با لله، يقول: فاستجر با لله من نزغه إنه سميع عليم، يقول: إن ا لله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ولاستعاذتك به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لايخفى عليه منه شيء، عليم بما يذهب عنك نزغْ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه))[4].

---

(١) ديوان الشاعرين الكبيرين عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة (شعر عمرو) ص ٦٠٣.

(٢) السيرة النبوية: ابن هشام جـ١ ، ص ٢٤٥.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٠٠.

(٤) تفسير الطبري: جـ٩ ص ١٠٦.

والاستعاذة با لله من الأمور غير الجائزة أو التي يُحتمل فيهـا الظلـم، مـن ذلـك قولـه تعالى[1]: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ۝ ﴾

وقول يوسف معاذ ا لله وكانوا قد استعطفوه ((تعوذ من غير جائز ويحتمل أن يكـون قولهم حقيقة وبعيد عليهم وهم أنبياء أن يريدوا استرقاق حر فلم يبـق إلا أن يريـدوا بذلـك طريق الجمالة أي خـذ أحدنـا حتىينصـرف إليـك صـاحبك، ومقصدهـم بذلـك أن يصـل بنيامين إلى أبيه ويعرف يعقوب جلية الأمر))[2].

وقد حرم القرآن الاستعاذة بغير ا لله سبحانه، قال تعالى[3]: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ ﴾

((يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في أسفارهم إذا نزلوا منـازلهم.. وعـن ابـن عبـاس قـال: كـان رجـال مـن الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهليـة فيقـول أعـوذ بعزيـز هـذا الـوادي فزادهـم ذلـك إثما))[4].

وقد جاء القرآن ليحرم الالتجاء لغير ا لله والتعلق به وجعل اللجـوء إلى ا لله لأنـه هـو رب الخلق وعلى الإنسان أن يستعيذ به من كل شر يخافه، قال تعالى[5]: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾

وفي السورة أمر من ا لله لرسوله ﷺ بالاستعاذة برب الفلق، وقد كان ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ماسواهما، والفلـق الصبح وقيل الخلق وقيل:جـب في قعر جهنـم عليـه غطـاؤه وقيـل مـن أسمـاء جهنـم، والأمـر هنـا بالاستعاذة برب الفلق من شر جميع المخلوقـات ومـن شـر الليـل إذا ذهـب، والشـمس إذا

---

(١) سورة يوسف آية ٧٨، ٧٩.

(٢) البحر المحيط جـ٥ ص ٣٣٤.

(٣) سورة الجن آية ٦.

(٤) تفسير الطبري جـ ص ٢٩.

(٥) سورة الفلق ١:٥.

غربت ومن شر الكوكب، وكانت العرب تقول الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، كما أمره سبحانه وتعالى بالاستعاذة من السواحر. قال مجاهد: إذا رفين ونفثن في العقد[١].

وهذا يعني أن على المسلم أن يتعوذ با لله من كل شر يخافه كما أمره أن يتعوذ خاصة نم شر أعدائه وهو الشيطان قال تعالى[٢]: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝

وفي السورة ((ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل الربوبية والملك والإلهية، فهو رب كل شيء ومليكه، وإلهه فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالإنسان وقوله تعالى ﴿**الذي يوسوس في صدور الناس**﴾ هل يختص هذا ببني آدم كما هو الظاهر أو يعم آدم والجن؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا.. وقوله تعالى ﴿**من الجنة والناس**﴾ هو تفصيل لقوله ﴿**الذي يوسوس في صدور الناس**﴾ ثم بينهم فقال ﴿**من الجنة والناس**﴾ وقيل (بل) هو تفسير الذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن)[٣].

نزلت هاتان السورتان على رسول ا لله ﷺ فأخذ بهما وترك ماسواهما، وهما سورتان جامعتان مانعتان فيهما استعاذة من جميع أنواع الشر وهن ألد أعداء الإنسان وهو الشيطان أو من شياطين الإنس والجن، فهي استعاذة شاملة وتوجه إلى ا لله واعتصام به، فهو رب الناس ومالكهم وإلههم فلا يجوز لهم الاستعاذة بغيره، وقررت الأحاديث أيضا ماقرره القرآن ودعا ﷺ إلى التعوذ بالسورتين ﴿**قل أعوذ رب الفلق**﴾ ﴿**وقل أعوذ برب الناس**﴾ وسماهما ﷺ بالمعوذتين، فعن عقبة بن عامر قال، قال لي رسول ا لله ﷺ: (أنزل أو أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط: المعوذتين)[٤].

وفي رواية أخرى عن عقبة بن عامر أيضا قال لي رسول ا لله ﷺ: (ألم تر آيات

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٤ ص ٥٧٣.

(٢) سورة الناس الآيات ١-٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٤ ص ٥٧٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة المعوذتين (٤٦) ٢:٥٥٨ حديث ٢٦٥ (٨١٤).

أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط؟ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس﴾(1).

وفي الحديثين بيان عظم فضل هاتين السورتين وتسمية الرسول ﷺ لهما بـالمُعَوِّذَتين ومفردها (مُعَوِّذ) وهو مشتق (اسم فاعل) من الفعل عوّذ وتثنيته للدلالة على السورتين، حيث إن كُلاً منهما تبدأ بـ ﴿قل أعوذ﴾ فسماهما ﷺ بـالمعوذتين ولما يحصل بهما من تعويذ المسلم وتحصينه من كل شر، وقد كان ﷺ يتعوذ بهما عند النوم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ ((قل هو الله أحد﴾وبالمعوِّذتين جميعا،ثم يَمْسَحُ بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده..) الحديث(2). وعلّم صحابته ﷺ أن يتعوذوا بقل هو الله أحد وبالمعوذتين حين يمسون وحين يصبحون ثلاث مرات فعن معاذ بن عبدالله عن أبيه قال: أصابنا طَشٌّ وظُلْمة فانْتظرنا رسول الله ﷺ ليصلي بنا ثم ذكر كلاما معناه فخرج رسول الله ﷺ ليصلي بنا فقال: قُلْ فَقُلتُ ماأقول قال: **قُلْ هُو الله أحد، والمُعَوّذتين حين تُمْسِي، وحِيْنَ تُصْبح ثلاثاً يكفيك كُلَّ شيء)**(3).

ورقى بهما ﷺ مريضا به لمم فعن أبي ليلى قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ جاءه أعرابيٌّ فقال: إن لي أخاً وجعا، قال: **ماوَجَعُ أخيك؟** قال: به لمم، قال: **اذهب فائتني به**، قال: فذهب فجاء به فأجلسه بين يديه فسمعته عوَّذه بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول البقرة.... وقل هو الله أحد والمعوذتين، فقام الأعرابي قَدْ بَرَأ ليس به بَأْس)(4).

وجاء لفظ (المعوِّذتين) في بعض الأحاديث جمعا من ذلك ماأخبرت به عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بـالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وَجَعَهُ الذي تُوفي فيه طَفِقْتُ أنفثُ على نفسه بالمعوِّذات التي كان ينفثُ وأمسحُ بيد النبي ﷺ عنه)(5).

---

(1) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضل قراءة المعوذتين (46) 2:558، حديث رقم 64، (814).

(2) صحيح البخاري: كتاب الطب – باب النفث في الرقية (39)، حديث رقم (5748).

(3) سنن النسائي كتاب الاستعاذة (50) باب (1) 8:250 حديث (5428).

(4) سنن ابن ماجة كتاب الطب (31) – باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه (46) حديث رقم (3549(قال البوصيري في مصباح الزجاجة 3:144 حديث (1239): (هذا إسناد فيه أبو جناب الكلبي وهو ضعيف مدلس، واسمه يحيى بن أبي يحيى. ورواه الحاكم في المستدرك من طريق أبي جناب.. وقال: (هذا الحديث محفوظ صحيح).

(5) صحيح البخاري 64- كتاب المغازي، 83 باب مرض النبي ﷺ ووفاته (83) حديث (4429).

((والمراد بالمعوذات سورة قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، وجمع إما باعتبار أن أقل الجمع اثنان أو باعتبار أن المراد الكلمات التي يقع التعوذ بها من السورتين، ويحتمل أن المراد بالمعوذات هاتان السورتان مع سورة الإخلاص، وأطلق ذلك تغليبا، وهذا هو المعتمد))[1].

وبهذا يتبين لنا أن الاشتقاق عامل مهم من عوامل تكوين الألفاظ الإسلامية التي أضافها الحديث النبوي، فاسم الفاعل للفعل (عوّذ) أصبح بعد تثنيته اسما لسورتين من سور القرآن وهما المعوذتان، وسميتا بذلك لأن الإنسان إذا تعوذ بهما صباحا ومساء كفتاه وتحقق له بهما التعوذ من كل شر وأطلقت عليهما بعض الروايات لفظ المعوذات على اعتبار أن أقل الجمع اثنان أو لإضافة سورة الإخلاص لهما وإطلاق لفظ المعوذات على التغليب.

---

(١) فتح الباري جـ٨ ص ١٣١، ١٣٢.

الحزب

ورد هذا اللفظ في الشعر الجاهلي دالا على جَماعة الناس، والجمع أحزاب، ومنه قول امرئ القيس[١]:

بَـانَ الْمُلُـوكُ فَأمْسَـى القَلْـبُ مُرْتابـاً   مِنْ هـؤُلاءِ النَّاس عَاشُـوا بَعْـدُ أَحزَابَـا

وتَحزَّب القوم صاروا أحزابا، ومصدره تحزُّب، قال الأعشى[٢]:

ثَنَـائِي عَلَيْكُـمْ بِـالمغِيبِ وإنَّنِـي   أَرَانِـي إِذا صَـارَ الـوَلاءُ تَحَزُّبَـا

فالحزب يطلق على الجماعة من الناس التي يجمعها وصف واحد أو يطلق على جماعة الأصحاب.

ودل اللفظ في القرآن الكريم على كل طائفة جمعهم الاتجاه إلى غرض واحد، وجمعه أحزاب. فحزب الله، وحزب الشيطان، ((والأحزاب أي الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام)).

ومن الآيات التي ورد فيها لفظ (حزب) قوله تعالى[٣]: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝﴾

وعد سبحانه وتعالى في هذه الآية من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا بأنهم الغالبون لعدوهم، ووضع حزب الله موضع ضمير الموالين لله ولرسوله وللمؤمنين))[٤] فهؤلاء هم حزب الله. أما حزب الشيطان فقد ورد في قوله تعالى[٥]: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٧٩.

(٢) ديوان الأعشى ص ١١٧.

(٣) سورة المائدة، آية ٥٦.

(٤) فتح القدير جـ٢ ص ٥١.

(٥) سورة فاطر آية ٦ .

﴿عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾

بين الله سبحانه وتعالى لعباده كيفية عداوة الشيطان لهم فقال ﴿**إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾ أي إنما يدعو أشياعه وأتباعه والمطيعين له إلى معاصي الله سبحانه لأجل أن يكونوا من أهل النار))[1].

وورد لفظ الأحزاب جمعا في قوله تعالى[2]: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾

والأحزاب هنا ((عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبي ﷺ))[3]. فلما رآهم المؤمنون قالوا ((هذا ماوعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب.. وما زادهم هذا الحال من الضيق والشدة إلا انقيادا لأوامر الله وطاعةً لرسوله ﷺ))[4].

من هذا يتبين أن لفظ حزب في القرآن الكريم جاء بمعناه اللغوي وهو الطائفة أو الجماعة من الناس الذين يجمعهم وصف واحد أو اتجاه واحد، ولكنه ارتبط بدلالات إسلامية فحزب الله وهم المؤمنون وحزب الشيطان أتباعه وأشياعه ويوم الأحزاب دل على يوم الخندق والجماعات التي تجمعت لقتال النبي ﷺ.

أما في الحديث النبوي فقد جاء الفعل حَزَبَهُ بمعنى اشتدّ عليه وأهمَّه من ذلك مارواه حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى[5]. ومعنى حزبه (أي إذا نزل به مهم أو أصابه غَمٌّ)[6]. وورد لفظ (حزب) بمعناه اللغوي في مثل قول عائشة رضي الله عنها: (أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين فحِزبٌ فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ..)[7].

وورد اللفظ مجموعا دالا على يوم الأحزاب (غزوة الخندق) في قول عبدالله بن أبي

---

(١) فتح القدير جـ٤ ص ٢٢٩.

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٢

(٣) المفردات: ص ١١٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٣ ص ٤٩١.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة (٢) - باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل (٣١٢) حديث رقم (١٣١٩).

(٦) النهاية جـ١ ص ٣٧٧.

(٧) صحيح البخاري: كتاب الهبة (٥١) - باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض (٨) حديث رقم (٢٥٨١).

أوفى رضي ا لله عنهما: ((دعا رسول ا لله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين فقال: **اللهم مُنْزِل الكتاب سريع الحساب اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**))(١). ولكن دلالة اللفظ لم تقف عند ماوقفت عليه في القرآن الكريم بل طالعتنا في سياقات الأحاديث بدلالة جديدة ظهرت في أقواله ﷺ من ذلك ماروواه عمر بن الخطاب قال: قال رسول ا لله ﷺ: **من نَامَ عن حِزْبِهِ أو عن شَيء مِنْه فقرأه فِيما بينَ صَلاةِ الفَجر وصلاةَ الظهر كُتِبَ له كأنَّما قَرأَه من الليل**(٢).

ومعنى الحزب هنا (مايجعله الإنسان على نفسه من قراءة وصلاة)(٣). وفسره ﷺ في حديث آخر على أنه الحزب من القرآن، فعن أوس بن حذيفة رضي ا لله عنه قال: (قدمنا على رسول ا لله ﷺ في وفد ثقيف قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة وأنزل رسول ا لله ﷺ بني مالك في قبة له. قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول ا لله ﷺ من ثقيف قال: كان يأتينا بعد العشاء يحدثنا.. فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلت يارسول ا لله لقد أبطأت علينا الليلة قال: **إنَّه طَرأ عَلَيَّ جُزْئِي [حِزْبِي] من القرآن فكرهت أن أَخْرج حتى أُتِمَّهُ**)(٤). قال الخطابي: يريد كأنه أغفله عن وقته ثم ذكره فقرأه. وأصله من قولك طرأ عليك الرجل إذا خرج عليك فجأة طُرَّوا فهو طارٍ. وفي السياق قرينة من قوله ﷺ تدل على أن المراد بالحزب الجزء من القرآن. وقد كان الصحابة رضوان ا لله عليهم يحزبون القرآن اقتداء به ﷺ. قال أوس: سألت أصحاب رسول ا لله ﷺ: كيف تحزبون القرآن؟ قال:، ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاثة عشرة وحزب المفصل وحده)(٥).

وعن ابن الهاد قال: سألني نافع بن جبير بن مطعم فقال لي: في كم تَقْرَأُ القرآن؟ فقلت: ماأُحزِّبه، فقال لي نَافِع: لاتَقُلْ ماأحزِّبه فإن رسول ا لله ﷺ قال: **قرأت جُزْءا من**

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير (٥٦) - باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة (٩٨) حديث رقم (٢٩٣٣).

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٦- باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (١٨) ١:٥١٥ حديث رقم ١٤٢ (٧٤٧).

(٣) غريب الحديث: ابن الجوزي جـ١ ص ٢٠٩.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب تحزيب القرآن ٣٢٦، حديث رقم (١٣٩٣).

(٥) المرجع السابق (تتمة للرواية السابقة).

القرآن)[1].

وسؤال أوس رضي ا لله عنه (كيف تحزّبون القرآن؟ وكيف تجعلونه المنازل. والحزب هو مايجعله الرجل على نفسه من قراءة (قالوا ثلاث) أي البقرة وآل عمران والنساء فهذه السور الثلاثة منزل واحد من سبع منازل القرآن (وخمس) من المائدة إلى البراءة وسبع من يونس إلى النحل (وتسع) من بني إسرائيل إلى الفرقان (وإحدى عشرة) من الشعراء إلى يس (وثلاث عشرة) من الصافات إلى الحجرات (وحزب المفصل وحده) من قاف إلى آخر القرآن، فعلم من هذا أن في عصر الصحابة كان ترتيب القرآن مشهورا على هذا النمط المعروف الآن.

فالمراد من (تحزيب القرآن تجزئته واتخاذ كل جزء حزبا له)[2]. وأما قول نافع رضي ا لله عنه: (لاتقل ماأحزبه) ((أي لاتنكر من التحزيب واتخاذ كل جزء حزبا له)) وقوله (**قرأت جزءا**) وهو المعني من الحزب[3].

من هذا تتبين لنا الدلالة الإسلامية التي أضافها الحديث النبوي حيث تخصص لفظ (حزب) في الدلالة على عدد من أجزاء القرآن الكريم أو جزء منه يحدده المسلم ليقرأه في يوم أو في عدد من الأيام وانتقل إلى هذه الدلالة بالتخصيص فإذا كان (الحزب) في اللغة يدل على الجماعة أو الطائفة أو المجموعة من الناس، فقد تخصص في الأحاديث ليدل على عدد من آيات القرآن تمثل جزءا أو أكثر منه.

قال الزمخشري: (الحزب هو الوِردُ الذي فرضه على نفسه أن يقرأه كل يوم، والحِزبُ في الأصل: الطائفة من الناس، فسمي الوِردُ به لأنه طائفة من القرآن)[4].

وبهذا يترجح لدي من قرائن السياقات أن المراد بالحزب لايدخل فيه الأدعية والصلاة وغيرها وإنما هو شيء خاص بالقرآن فعبارته مقيدة (طرأ علي حزبي من القرآن)[5] وسؤال أوس رضي ا لله عنه للصحابة رضي ا لله عليهم (كيف تحزبون

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ٢- باب تحزيب القرآن (٣٢٦)، حديث (١٣٩٢).

(٢) عون المعبود جـ٢ ص ١١٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الفائق في غريب الحديث: الزمخشري جـ٢، ص ٣٥٨.

(٥) انظر ص ٣٩٨ من البحث.

القرآن)[1] وجاء الفعل (ماأحزّبه) إجابة عن سؤال نافع لابن الهاد (في كم تقرأ القرآن؟) فيكون الحزب بذلك مايجعله الرجل على نفسه من قراءة وتكون الأفعال حزّب ويحزّب دالة على تجزئة القرآن واتخاذ كل جزء حزبا له.

(١) انظر ص ٣٩٨ من البحث.

الفصل الثاني

أسماء الرسول ﷺ

وأسماء دار هجرته

من الألفاظ الإسلامية التي جدت في الحديث النبوي أسماء الرسول ﷺ، فقد أخبرنا القرآن الكريم أن من أسمائه ﷺ أحمد، وقد ورد في آية واحدة في قوله تعالى[1]: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

وأحمد: علم منقول من أفعل التفضيل بمعنى الأكثر حمدا.

وتدل الآية على أن التوراة قد بشرت بعيسى عليه السلام، وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي لارسالة بعده ولا نبوة، وقد قال الله تعالى[2]: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

قال ابن عباس: مابعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد لئن بُعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه[3].

وورد من أسمائه ﷺ في القرآن أيضا (محمد) وذلك في أربع آيات منها قوله تعالى[4]: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾

وفي هذا الاسم دليل على كثرة خصاله المحمودة ﷺ، يقال رجل محمد ومحمود إذا كثرت خصاله المحمودة.

ومعنى قوله تعالى: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ أي آمنت قلوبهم وسرائرهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم ﴿**وآمنوا بما نزل على محمد**﴾ عطف خاص على عام وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته

---

(١) سورة الصف: الآية ٦.

(٢) سورة آل عمران آية ٨١.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير جـ٤، ص ٣٦٠.

(٤) سورة محمد آية ٢. وانظر كذلك سورة آل عمران آية ١٤٤، سورة الأحزاب آية ٤٠. سورة الفتح آية ٢٩.

ﷺ.[1]

وأضاف الحديث النبوي أسماء أخرى للنبي ﷺ وهي الماحي، والحاشر، والعاقب، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة، ودلتنا سياقات الأحاديث على أسماء فرسه ﷺ، وأسماء دار هجرته، والتي نهى ﷺ عن تسميتها بيثرب.

أما ماوقع في القرآن من تسميتها بيثرب إنما هو حكاية عن قول غير المؤمنين في آية واحدة في قوله تعالى[2]: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾

وذلك لأن يثرب من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة، أو من الثرب وهو الفساد[3]، وسماها ﷺ بطيبة وطابة، وورد في أقوال الصحابة تسميتها بدار الهجرة، والسنة والسلامة.

وفي هذا الفصل بيان لهذه الأعلام ومعانيها والشواهد التي تدل عليها من الكتب الستة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ٤، ص ١٧٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ١٣.

(٣) فتح الباري: جـ٤، ص ٨٧.

أولا: أسماء الرسول ﷺ

الماحي

الماحي: اسم فاعل مشتق من (محا) الشيء يَمْحُوه ومَحَاهُ محوْا ومحْياً: أذهب أثره، والمَحْو السواد الذي في القمر كأن ذلك كان نَيِّرًا فمُحِي، والمَحْوَةُ: المطرةُ تَمْحُـو الجَدْب، وأصبحت الأرض مَحْوَةً واحِدَة إذا تغطى وجهها بالماء حتى كأنها مُحِيَتْ[1]. ومحوة ريح الشمال لأنها تذهب بالسحاب[2].

قال أمية بن أبي الصلت[3]:

فَمَحَاهُ الإلَهُ مِنْ دَرجَاتٍ   نَامِياتٍ ولم يَكُنْ مَقْهُورَا

وعلى هذا يكون الأصل في معنى هذه المادة هو المحو والإزالة.

وورد من هذه المادة في القرآن الكريم الأفعال (مَحَونا، يَمْحُ، يمْحُو) وكلها تدل على معنى الإزالة والإبطال والطمس، قال تعالى[4]: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ۝﴾

ومحو الليل: إزالته بإشراق الشمس، أو خَلْقه مظلمًا كاللوح المَمْحُوّ، أو محوه أنه مظلم في نفسه، وإنما سكب نُوره من الشمس[5].

قال تعالى[6]: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝﴾

---

(١) اللسان: مادة (محا) جـ٦، ص ٤١٥٠.

(٢) الصحاح: مادة (محا) جـ٦، ص ٢٤٨٩.

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت: ص ٣٤.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، ص ٦١٣.

(٦) سورة الرعد: الآية ٣٩.

ورد في تفسير معنى يمحو الله مايشاء أقوال كثيرة منها (أن المحو هنا عبارة عن النسخ من الشرائع والأحكام، والإثبات عبارة عن دوامها وتقررها وبقائها أي يمحو مايشاء محوه ويثبت مايشاء إثباته، وقيل هذا عام في الرزق والأجل والسعادة والشقاوة...، وقال ابن عباس: يمحو الله مايشاء من أمور عباده إلا السعادة والشقاوة والآجال فإنه لامحو فيها... وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة، ويثبت إيمانهم وطاعتهم)(١).

وورد لفظ (الحاشر) في الحديث النبوي دالا على اسم من أسمائه ﷺ، فعن جُبير بن مُطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لِي خمسة أسماء، أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)(٢).

بين الحديث أن من أسمائه ﷺ (الماحي) أي الذي (يمحو الكفر ويعفّي آثاره) (٣). وبذلك فسره ﷺ في الحديث.

قال العلماء: المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب، وما زوي له ﷺ من الأرض ووعد أن يبلغه ملك أمته قالوا: ويحتمل أن المراد المحو العام بمعنى الظهور بالحجة والغلبة(٤)، كما قال تعالى(٥): ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾.

ومن هذا الحديث يتبين أن لفظ (الماحي) اسم الفاعل من الفعل (محا) نقل إلى العلمية وأصبح اسما للنبي ﷺ وفي هذا دلالة على دور الاشتقاق في تكوين الألفاظ الإسلامية.

---

(١) تفسير البحر المحيط: جـ٥ ص ٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) صحيح البخاري: ٤٣ كتاب المناقب - ١٧ باب ماجاء في أسماء رسول الله ﷺ حديث (٣٥٣٢).

ومسلم: ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٤ باب في أسمائه ﷺ ٤: ١٨٢٨ حديث ١٢٤، ١٢٥ (٢٣٥٤) واللفظ للبخاري.

(٣) غريب الحديث: ابن الجوزي جـ٢، ص ٣٤٦. النهاية: جـ٤، ص ٣٠٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٥، ص ١٠٤.

(٥) سورة التوبة: الآية ٣٣.

الحاشر

أهل اللغة يقولون: الحشر الجمع من سَوْقٍ، وكل جمع حشر والعرب تقول حشَرْت مال بني فلان السنةُ كأنها جمعته، ذهب به وأَتَتْ عليه[1].

والحاشر اسم فاعل من الفعل حشر، ومعنى حشرت الناس أحشرُهم حشرا، جمعتهم. وحشر الإبل أي: جمعها، والحشر أيضا الجلاء، وحشر القوم جلبهم على قوم آخرين[2].

قال أبو المثلم في مهاجاة صخر الغي[3]:

فَأنبُل بِقومكَ إمَّا كنتَ حَاشِرَهُم   وكلُّ جَامِعِ محشورٍ له نَبَل

يقول: ارفق بقومك، إن كنت حاشرهم أي جامعهم على قوم آخرين، إن كانوا يطيعون: وهو يهزأ به، وأراد بقوله: انبل بقومك أي كن حاذقاً بما تصنع من أمر قومك.

وورد الحشر في القرآن بمعنى جمع الله للخلائق وانتهاء أمرهم إليه، ومن ذلك قوله تعالى[4]: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

لما ذكر الله تعالى رفع الإثم وأن ذلك يكون لمن اتقى الله؛ أمر بالتقوى عموما ونبه على مايحمل على اتقاء الله وفي ذكر الحشر تخويف من المعاصي وذكر الأمر بالعلم دليل على أنه لايكفي في اعتقاد الحشر إلا الجزم الذي لايجامعه شيء من الظن[5]. والحشر في

(١) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٨٩: ١٩٦٩م. مادة (حشر) جـ١، ص .

(٢) اللسان: مادة (حشر) جـ٢ ص ٨٨٢، ٨٨٣.

(٣) ديوان الهذليين: القسم الثاني، ص ٢٣٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠٣.

(٥) تفسير البحر المحيط: جـ٢، ص ١١٣.

هذه الآية هو حشر الخلائق للملك الديان[١]. وقد يكون الحشر لأهل الظلم والعدوان لعقوبتهم بالنيران[٢] قال تعالى[٣]: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾.

والحشر للمتقين إلى نعيم الجنات والرضوان[٤] ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ۝ ﴾

وورد لفظ الحشر بمعنى الجلاء في قوله تعالى[٥]: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾.

أما الذين كفروا من أهل الكتاب فهم بنو النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظارا منهم لمحمد ﷺ فغدروا بالنبي ﷺ بعد أن عاهدوه وصاروا عليهم مع المشركين، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجلاء، فكان جلاؤهم أول حشر من المدينة، وآخر حشر إجلاء عمر لهم، وقيل إن أول الحشر إخراجهم من حصونهم إلى خيبر، وآخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام، وقيل آخر الحشر: هو حشر جميع الناس إلى أرض المحشر، قال ابن العربي: الحشر أول وأوسط وآخر، فالأول إجلاء بني النضير، والأوسط إجلاء أهل خيبر، والآخر يوم القيامة[٦].

وجاء لفظ (حاشرين) في قوله تعالى[٧]: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝ ﴾

ومعنى حاشرين: أي من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم وقد كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهرا، واعتقد من اعتقد منهم وأوهم من أوهم منهم أن ماجاء موسى به عليه السلام من قبيل ماتشعبذه سحرتهم، فلهذا أجمعوا له السحرة. ليعارضوه بنظير ماأراهم من البينات[٨].

---

(١) البصائر: الفيروزآبادي، جـ٢، ص ٤٦٩..

(٢) المرجع السابق: جـ٢، ص ٤٦٩.

(٣) سورة الصافات آية ٢٢.

(٤) سورة مريم: الآية ٨٥.

(٥) سورة الحشر: الآية ٢.

(٦) فتح القدير: جـ٥، ص ١٩٥.

(٧) سورة الأعراف: الآية ١١١.

(٨) تفسير القرآن العظيم: جـ٢، ص٢٤٢.

دلت الآيات السابقة على أن معنى الحشر في القرآن الجمع وارتبط بجمع الخلائق يوم المحشر

وبهذا المعنى ورد في الحديث النبوي فيما روته عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُـرْلاً**، قلت: يارسول الله: النِّساءُ والرِّجالُ جميعا يَنْظر بَعْضُهُم إلى بعض؟ قال ﷺ: **ياعَائِشةُ الأَمرُ أشَدُّ مِنْ أنْ ينظرَ بعضُهَم إلى بِعْض**)[1].

ويأتي لفظ الحاشر دالا على معنى لم يرد في الشعر الجاهلي ولا في القرآن الكريم، ورد فيما رواه محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنَّ لي أسماء،أنا مُحَمَّد،وأنا أحمدُ،وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحَاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ على قَدمي وأنا العَاقِبُ**)[2].

وفي رواية مسلم (**وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي**)[3].

ومعنى (الحاشر) الذي يقدُمُهم وهم خلفه[4].

أو الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره.

وقوله ﷺ: (**إن لي أسماء أراد أن هذه الأسماء التي عدها مذكورة في كتب الله تعالى المنزلة على الأمم التي كذبت بنبوته حجة عليهم**)[5].

ومعنى يحشر الناس على قدمي أو على عقبي قال العلماء: معناهما يحشرون على أثري، وزمان نبوتي ورسالتي، وليس بعدي نبي وقيل يتبعوني[6].

ومن هنا يتبين أن الحاشر اسم من أسماء الرسول ﷺ، ولم يخرج في الشعر الجاهلي

---

(١) البخاري: ٨١ كتاب الرقاق - ٤٥ باب الحشر، حديث (٦٥٢٧).

ومسلم: ٥١ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - ١٤ باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامةك ٤:٢١٩٤ حديث ٥٦ (٢٨٥٩) واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه صفحة ٤٠٥.

(٣) تقدم تخريجه صفحة ٤٠٥.

(٤) المجموع المغيث، جـ١، ص ٤٥٢.

(٥) النهاية: ابن الأثير جـ١، ص ٣٨٨.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٥، ص ١٠٥.

ولا في القرآن عن معنى الجمع الذي أريد به في معظم الآيات جمع الخلائـق للملـك الديـان من مؤمن وكافر ومشرك ومنافق، وأصبح اللفظ في الحديث النبوي دالا على اسم من أسماء الرسول ﷺ، لأن الناس يحشرون على إثره وزمان نبوته ورسالته، أو يحشرون خلفه وعلـى ملته. وينتقل لفظ الحاشر بالتخصيص إلى الدلالة على النبي ﷺ، ويصبح علما عليه ﷺ.

العاقب

العاقب: اسم فاعل من (عقب) وعَقِبُ كُلِّ شيءٍ، وعَقْبُه، وعاقِبَتُه وعاقِبُهُ: آخره، والجمع العَواقِبُ، والعُقْبُ والعُقُب: العاقبة والجزاء، وأعقبه بطاعته أي: جازاه، والعُقْبى جزاء الأمر، وقالوا العقبى لك في الخير أي العاقبة(١).

قال الطفيل الغنوي(٢):

وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ فَمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا ... وَيَعْرِفْ لَهَا أَيَّامَهَا الخَيْرَ تُعْقِبِ

وقال سلامة بن جندل(٣):

أَودَى الشَّبابُ الذِيْ مَجْدٌ عَواقِبُهُ ... فيهِ نَلَذُّ وَلا لَذَّاتِ للشَّيبِ

يقول: إذا تُعقَّبت أمور الشباب وُجد في عواقبه العز وإدراك الثأر والرحلة في المكارم، وليس في الشيب مايُنتفع به إنما فيه الهرم والعلل.

وقال عدي بن زيد(٤):

لَمْ أَرَ مِثْلَ الفِتْيَانِ في غَبَنِ الأَ ... يَّامِ يَنْسَوْنَ مَاعَوَاقِبُهَا

والمُعَقِّب: الذي غزا غزوة بعد غزوة، قال الطفيل الغنوي(٥):

وَأَطنابُهُ أرْسَانُ جُرْدٍ كَأَنَّهَا ... صُدُور القَنَا مِنْ بَادئ ومُعَقِّبِ

---

(١) اللسان: مادة (عقب) جـ٤، ص ٣٠٢٢.

(٢) ديوان الطفيل الغنوي: ص ٣٥.

(٣) ديوان سلامة بن جندل، ص ٩١.

(٤) شعراء النصرانية: جـ٤، ص ٤٥٧.

(٥) ديوان الطفيل الغنوي: ص ١٩.

وقال الممزَّق العبدي[1]:

صَبَّحَتْنَـــــا فَيْلَـــــقٌ مَلْمُومَـــــةٌ   تَمْنَـــعُ الأعْقَـــابُ مِنهــــنَّ الأُخَـــرْ

وعقب بمعنى بعد وعقب الصبوح: أي بعد الصبوح، قال الحادرة[2]:

مُحْمَـــرَّةٍ عَقِـــبَ الصَّبُـــوحِ عُيونُهُـــم   بِمَـــرًى هُنَـــاكَ مِـــنَ الحيـــاةِ وَمَســـمَعِ

يعقبه: يكون خلفا له، أو يأتي بعده، قال الأسود بن يعفر[3]:

فَـــإِذَا وَذَلِـــكَ لامَهَـــاةَ لِذِكـــرِهِ   والدَهْـــرُ يُعقِـــبُ صَالِحَـــاً بِفَسَـــادِ

وأَعْقَب الرجل: إذا مات وترك عقبا، أي: ولدا، والعُقْب: والعَقْب، والعَاقِبة ولد الرجل، وَوَلَدُ وَلَدِهِ البَاقُون بعْدَه. يقال: كان له ثلاثة أولاد، فأعْقَب منهم رجلان أي: تركا عَقِبا[4]. قال الطفيل الغنوي[5]:

كَرِيمَـةُ حُـرِّ الوُجْـهِ لَمْ تَـدَعُ هَالِكَـاً   مِـنَ القَـوْمِ هُلْكًا فِـي غَـدٍ غَـيْرِ مُعْقِـبِ

يتبين من الشواهد السابقة أن مادة عقب دارت في الشعر الجاهلي حول الدلالة على آخر كل شيء ونهايته، كما دلت على من يخلف من قبله فعقب الرجل ولده الباقون بعده، وعقب الشيء أي جاء بعده، كما دلَّ لفظ العقبى والعاقبة على جزاء الأمر من خير أو شر.

ووردت مادة (عقب) في القرآن الكريم باشتقاقات مختلفة ودلَّت على عدَّةِ معانٍ منها

---

(١) ديوان الممزق العبدي: ص ١٧.

(٢) ديوان الحادرة، ص ٥٦.

(٣) شعراء النصرانية، جـ٤، ص ٤٨٣.

(٤) اللسان: مادة (عقب) جـ٤، ص ٣٠٢٣، ٣٠٢٤.

(٥) ديوان الطفيل الغنوي: ص ١٨.

رجع على عقبه: ارتدّ، وانقلب أي:انثنى راجعا[1]. ومنه قوله تعالى[2]: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾.

أي ونرد إلى الشرك على أعقابنا أي رد القهقري إلى وراء وهي المشية الدنية بعد هداية الله إيانا إلى طريق الحق. قال الطبري وغيره: الرد على العقب يستعمل فيمن أمل أمرا فخاب[3].

والمعَقّب: اسم فاعل من الفعل (عَقّب)، ومعناه الذي يكر على الشيء ويعود إلى النظر فيه، ولا يكر أحد على حكم الله وأمره[4].

قال تعالى[5]: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ أي لاأحد يتعقبه ويبحث عن فعله، ويجوز أن يكون ذلك نهيا للناس أن يخوضوا في البحث عن حكمه وحكمته إذا خفيت عليهم ويكون ذلك من نحو النهي عن الخوض في سر القدر[6].

والعُقب خاتمة الشيء والمصير الأخير فيه، قالوا: العُقبى لك في الخير. وأعقب الأمر كذا أي كانت خاتمته ومرجعه. والعاقبة والعُقب والعُقبى دون إضافة يختصّان بالثواب[7]. قال تعالى[8]﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى: والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه فخافه باجتناب معاصيه وأدى فرائضه[9].

وعقب الرجل ولده الذين يتلونه ويعقبونه،قال تعالى[10]: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

قرئ في عقْبه بسكون القاف أيْ:في ذريته، وقرئ في عاقبته أي من عقبه أيْ:خلفه،

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٤٣٠.

(٢) سورة الأنعام: آية ٧١.

(٣) البحر المحيط: جـ٤، ص ١٥٦.

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، ص ٤٣٠.

(٥) سورة الرعد: الآية ٤١.

(٦) المفردات: الأصفهاني، ص ٣٤٠.

(٧) معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، ص ٤٣٠.

(٨) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

(٩) تفسير الطبري: جـ٩، ص ١٩.

(١٠) سورة الزخرف: الآية ٢٨.

فلا يزال فيهم من يوحد ا لله ويدعو إلى توحيده لعلهم أي لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم[١].

ووردت مادة (عقب) في الحديث النبوي ودلت على المعاني التي دلت عليها في القرآن، من ذلك مارواه أبو هريرة أن رسول ا لله ﷺ قال: **يَتَعاقَبُونَ فيكم مَلائِكَةٌ بالليل وَملائكةٌ بالنَّهارِ، ويجتمعون في صَلاةِ الفَجرِ وصَلاةَ العَصْرِ..)**[٢].

ومعنى يتعاقبون أي يتناوبون فتأتي ملائكة النهار ثم تصعد وتأتي ملائكة الليل.. وهكذا.

وعاقبة كل أمر خاتمته ونهايته ونتيجته، وفي دعاء الاستخارة (..اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله)[٣].

وورد من (عَقَب) اسم الفاعل العاقب في حديث نصارى نجران، فعن حذيفة قال: (جاءَ العاقِبُ والسيِّدُ صَاحِبَا نَجْران إلى رسول ا لله ﷺ يريدان أن يُلاعِنَاه، فقال لصاحبه: لاتفعل فوا لله لئن كان نبيًّا فَلاعنَّا لانُفْلِحُ نحن ولا عَقِبُنا من بَعْدنا..)[٤].

السيِّد والعاقِب في النصارى: هم من رؤسائهم وأصحاب مراتبهم. والعاقب يتلو السيد[٥].

وقد ورد لفظ (العاقب) بهذا المعنى في موضعين من الكتب الستة: الموضع الأول: الحديث السابق. والموضع الثاني: أورده الترمذي في سننه عن حذيفة بن اليمان،قال: (جاء العاقب والسيد إلى النبي ﷺ فقالا: ابعث معنا أمينا فقال: **فَإنِّي سَأبعثُ مَعكم أَميناً حَقَّ أمين..)**[٦].

وورد العاقب في بقية الأحاديث اسما من أَسماءِ الرسول ﷺ، ورد فيما رواه محمد بن

---

(١) تفسير البحر المحيط: الفيروزابادي، جـ٨، ص ١٢.

(٢) صحيح البخاري: ٩- كتاب مواقيت الصلاة، ١٦- باب فضل صلاة العصر حديث (٥٥٥).

ومسلم: ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٣٧ باب فضل صلاة الصبح والعصر ١:٤٣٩ حديث ٢١٠ (٦٣٢).

(٣) صحيح البخاري، ١٩ كتاب التهجد - ٢٨ باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى، حديث (١١٦٦) عن جابر رضي ا لله عنه.

(٤) صحيح البخاري ٦٤- كتاب المغازي - ٧٢ باب قصة أهل نجران حديث (٤٣٨٠).

(٥) النهاية جـ٣، ص ٢٦٨.

(٦) سنن الترمذي: كتاب المناقب - باب (٣٣) حديث (٣٧٩٦) وقال: (حديث حسن صحيح).

جبير بن مطعم عن أبيه أن النبي ﷺ قال: **إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد**[١].

قال ابن الجوزي: (العاقب) وهو آخر الأنبياء، فإنه خَلَف من قبله وجاء بعدهم[٢]. والعاقب والعقوب: الذي يخلف من كان قبله في الخير[٣].

فالحديث النبوي هو الذي نقل المشتق (العاقب) إلى العلمية، وأصبح (العاقب) كما أخبرنا بذلك ﷺ اسما من أسمائه، وعلما عليه بعد أن عَلِمْنا من كتاب الله الكريم أنّ من أسمائه ﷺ أحمد ومحمد، وأخبرنا ﷺ أن له خمسة أسماء، وأضاف الماحي والحاشر والعاقب، فأصبحت أعلامًا منقولة دالة عليه ﷺ.

وورد في حديث واحد في صحيح مسلم أنه ﷺ سمى نفسه بالمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة، والحديث رواه أبو موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال: **أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**[٤].

أما المقفي فقال شمر: هو بمعنى العاقب، وقال ابن الأعرابي: هو المتبع للأنبياء. يقال قفوته أقفوه وقفيته أقفيه إذا اتبعته. وقافية كل شيء آخره.

وأما نبي التوبة ونبي الرحمة ونبي المرحمة، فمعناها متقارب، ومقصودها: أنه ﷺ جاء بالتوبة وبالتراحم[٥]. قال الله تعالى[٦]: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ وقال سبحانه[٧]: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝﴾

قال العلماء: وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أنه له ﷺ أسماء غيرها، لأنها موجودة في الكتب المتقدمة وموجودة للأمم السالفة من ذلك تسميته ﷺ في التوراة بالمتوكل، فعن

(١) تقدم تخريجه ص ٤٠٥ حاشية (٢).

(٢) غريب الحديث: ابن الجوزي، جـ٢، ص ١١١.

(٣) النهاية: ابن الأثير، جـ٣، ص ٢٦٨.

(٤) صحيح مسلم ٤٣ كتاب الفضائل – ٣٤ باب في أسمائه ﷺ ٤:١٨٢٨ حديث ١٢٦ (٢٣٥٥).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٥، ص ١٠٥.

(٦) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٧) سورة البلد: الآية ١٧.

عطاء بن يسار قال: لقيت عبدا لله بن عمرو بن العاص رضي ا لله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول ا لله ﷺ في التوراة، قال: أجل وا لله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن[1]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر..)[2].

ومن خلال الأحاديث السابقة يتبين لنا أن الحديث النبوي قد أضاف لنا من أسمائه ﷺ الماحي، الحاشر، العاقب، والمقفي، ونبي التوبة، ونبي الرحمة، و لم تستعمل هذه الأسماء في العلمية لافي الشعر الجاهلي ولا في القرآن الكريم، وإنما نقلتها سياقات الأحاديث إلى العلمية فاسم الفاعل (الحاشر) و (الماحي) و (العاقب) و (المقفي) أصبحت أسماء لرسول ا لله ﷺ جمع السياق بينها وبين مانعرفه من أسماء الرسول ﷺ من القرآن الكريم (أحمد ومحمد) وأضافت لنا سياقات الأحاديث من صفاته ﷺ نبي التوبة، ونبي الرحمة، وهي من إضافة الموصوف إلى صفته.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.

(٢) صحيح البخاري، ١٨٢٤ كتاب البيوع - ٥٠ باب كراهية السخب في الأسواق، حديث (٢١٢٥).

ثانيا: أسماء دار هجرة الرسول ﷺ

طيبة، وطابة

الطَّيِّب: خِلاف الخبيث، وطَاب الشيء يَطِيب طيبَةَ وتطيابا(١).

والطيب من كل شيء أفضله، وقد ورد من مشتقات هذه المادة في الشعر الجاهلي مايدل على طِيب الشيء وعدم خبثه، وما يدل على أن النفس تَطيبُ به، أي تخرجه عن رضا ورغبة، والطَّيب صفة للحسي والمعنوي، فالطعام والشراب طيب والمال طيب، قال كعب بن سعد الغنوي(٢):

أَخُو شَتَواتٍ يَعْلَمُ الحيُّ أنَّهُ ... سَيكثُرُ مَافي قِدْرِهِ ويَطِيبُ

والرزق طيب، قال السموأل(٣):

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ القَلِيْلُ مِنَ الرزْ ... قِ وَلا يَنْفَعُ الكَثيرُ الخَبِيْثُ

والأرض طيبة خصبة، والأرض طيبة لطيب أهلها وشرف نسبهم، قال الأسود بن يعفر(٤):

أَرْضٌ تَوَارَثَهَا لِطيبِ مقِيلِهَا ... كَعْبُ ابْنُ مَامَةَ وابْنُ أُمِّ دُؤَادِ

والعطاء طيب قال عدي بن زيد(٥):

قَتَّلَتْهُ بِسَيْب أبْيَضَ صَافٍ ... طَيِّبٍ زانَ مَزْجَهُ التَّصْفِيْقُ

---

(١) الصحاح: مادة (طيب) جـ١، ص ١٧٣.

(٢) مختارات ابن الشجري، القسم الأول، ص ٢٦.

(٣) ديوان السموأل ص ٢٤.

(٤) شعراء النصرانية: جـ٤، ص ٤٨١.

(٥) ديوان عدي بن زيد، ص ٧٨.

والنفوس تطيب، ومعنى طابت نفسه بالشيء إذا سمحت به من غير كراهة ولا غضب.

قال كعب بن سعد الغنوي(١):

فَلَوْ كَانَ مَيْتٌ يُفْتَدى لَفَدْيْتُهُ ... بِما لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النُّفُوْسُ تَطِيبُ

وطاب النسب الشريف، قال زهير بن أبي سلمى(٢):

قَوْمٌ أَبُوهُم سِنانٌ حيَن تَنْسِبُهُمْ ... طَابَوا وطَابَ مِن الأولادِ ماوَلَدُوا

والأخبار طيبة والمجالس طيبة، قال المهلهل يرثي أخاه كليباً(٣):

أَكُلَيْبُ إنَّ النَّارَ بَعدَكَ أُخْمِدَتْ ... وَنَسِيْتُ بَعْدَكَ طَيِّبَاتُ المجْلِسِ

وفلان طيب الإزار إذا كان عفيفا، قال النابغة(٤):

رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ ... يُحَيَّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ

ومعنى (طيب حجزاتهم) أي أنهم أعفاء محصنون، واصل الحجزة الوسط، أي يشدون أزرهم على عفة.

والطيب: مايُتَطَّيبُ بِهِ ومَداك الطِّيب الصلاية التي يُسحق عليها الطيب، قال سلامة بن جندل(٥):

تَمَّ الدَّسِيعُ إلى هادٍ لَهُ بَتِعٍ ... في جُؤْجُؤٍ كَمَدَاكِ الطِّيبِ مَخْضُوبِ

(١) مختارات ابن الشجري، ص ٢٦.

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٢٨٢.

(٣) شعراء النصرانية: جـ٢، ص ١٧١.

(٤) المرجع السابق: جـ٥، ص ٦٤٨.

(٥) ديوان سلامة بن جندل، ص ٥٤.

وقال عبيد بن الأبرص في بكاء قومه[1]:

تَذَكَّرْتُ أهلَ الخيْرِ والبَاعِ والنَّدَى   وَأهلَ عِتَاقِ الجُوْدِ والبِّرِ والطِّيبِ

وقال الطفيل الغنوي[2]:

وَأصْفَرَ مشْهُوْمِ الفُؤَادِ كأنَّه   غَدَاةَ النَدىْ بِالزَّعفَرَانِ مُطَيَّبُ

وقد تبين من تتبع أشعار الجاهليين التي وردت فيها هذه المادة أنها دلت على أن الطيب من كل شيء أفضله، ودلت على الطيب وهو كل مايتطَّيبُ به، وأن مشتقات هذه المادة لم تستعمل في العلمية و لم يرد فيها لفظ طيبة وطابة.

وورد من مشتقات هذه المادة في القرآن الكريم (طَاب، طِبْتُم، طِبْنَ، طَيِّبًا، الطَّيِّبُ، طَّيِّبِينَ، الطَيِّبُوْنَ، طيِّبَةً، طَّيِّبَات، الطَيِّبَات، طَيِّبَاتُكُم).

وورد لفظ (الطِّيب) بمعنى ماتستلذه الحواس من الأطعمة والأشربة وغيرها، قال تعالى[3]: ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ والطعام الطيب في القرآن ماكان حلالا.

قال الراغب: ماكان متناولا من حيث مايجوز وبعدد مايجوز ومن المكان الذي يجوز[4].

والأعمال الطيبة هي الأعمال الصالحة، قال تعالى[5]: ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ﴾. أي الأعمال السيئة بالأعمال الصالحة[6].

(١) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٢٤.

(٢) ديوان الطفيل الغنوي: ص ٥٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٨.

(٤) المفردات: الأصفهاني، ص ٣٠٨.

(٥) سورة النساء: الآية ٢.

(٦) البصائر: الفيروزابادي، جـ٣، ص ٥٣١.

والطّيب من الإنسان من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال[1]. قال تعالى[2]: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ وقال تعالى[3]: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾

ومعنى طيّبة: بأن تكون سليمة في الخلق وفي الدين نقية، وقال الراغب: صالحة. وقيل: أراد بطيبة: أنها تبلغ في الدين رتبة النبوة[4].

وورد الطيب بمعنى الطاهر الذي لانجاسة فيه، قال تعالى[5]: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

وورد في القرآن لفظ طيبة إشارة إلى الجنة وإلى جوار رب العالمين في قوله تعالى[6]: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ كما ورد لفظ طوبى في قوله تعالى[7]: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ ودل على اسم شجرة في الجنة، وقيل بل إشارة إلى كل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقر[8].

وبتتبع آيات القرآن نجد أن مشتقات مادة (طيب) دلت على الحلال والطاهر والصالح من كل شيء، وهذا يدل على ارتباط الطيب بدلالة شرعية وهي الحلال الذي أحله الله سبحانه، والطاهر الذي حكم الشرع بطهره وعدم نجاسته، والصالح الذي يرضى الله عنه من الأقوال والأعمال، فقد يكون الطيب عند الجاهلي خبيثا عند المسلم بعد الاسلام ونزول القرآن، فقد يكون الطعام الطيب عند الجاهلي خبيثاً محرماً عند المسلم، وقد يكون الشراب الطيب في شعر الجاهلي خمراً محرماً في القرآن، وهكذا فالطيب ماحكم القرآن بحله أو طهره أو صلاحه، والخبيث ماحكم القرآن بخبثه ونجاسته.

---

(١) المفردات: الأصفهاني، ص ٣٠٩.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٨.

(٤) البحر المحيط: الفيروزابادي، جـ٢، ص ٤٤٥.

(٥) سورة المائدة: الآية ٦.

(٦) سورة سبأ: الآية ١٥.

(٧) سورة الرعد: الآية ٢٩.

(٨) البصائر: الفيروزابادي، جـ٣، ص ٥٣٢.

وقد تكرر في الحديث ذكر الطيب والطيبات وغيرها من مشتقات هذه المادة، وأكثر ماترد بمعنى الحلال كما أن الخبيث كناية عن الحرام والطَّيِّبُ معناه الصالح من الأعمال والأنفس والأشياء، فالعمل طيب والمؤمن طيب والنَّفس طيبة من ذلك مارواه أبو بردة عن أبيه أبي موسى الأشعري رضي ا لله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**الخَازِنُ الأَمِيْنُ الذي يُؤَدِّيْ ماأُمِرَ به طَيِّبة نفسه أحدُ المَتصدِّقِين**)[1].

والأعمال الطيبة هي الأعمال الصالحة، فعن أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: (قال رسول ا لله ﷺ: **كُلُّ سُلَامى من الناس عليه صَدَقةٌ، كل يوم تَطْلُعُ فيه الشمس يَعْدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فَيحْمِل عليها أو يَرْفعُ عليها مَتاعهُ صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكُلُّ خَطوةٍ يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويُمِيطُ الأذى عن الطريق صدقة**)[2].

والأرض طيبة طهور، فعن جابر بن عبدا لله الأنصاري قال: قال رسول ا لله ﷺ: (**أُعْطِيْتُ خمسا لم يُعطهنَّ أَحدٌ قبلي كان كل نبي يُبعثُ إلى قومه خاصة وبُعثتُ إلى كلِّ أحمر وأسود، وأُحلَّتْ لي الغنائم ولم تحل لأَحدٍ قَبلي، وجُعِلت لي الأرض طَيِّبةً طهورا ومَسْجدا، فأَيُّما رجل أَدْركتهُ الصلاة صلَّى حيث كان**)[3].

ومعنى طيبة طهورا أَيْ: نظيفة غير خبيثة[4].

(والطيبات في التحيات) أي الطيبات من الصلاة والدعاء والكلام مصروفات إلى ا لله تعالى[5].

ويطالعنا الحديث النبوي بلفظين من مادة (طيب) لم يردا في الشعر الجاهلي ولا في

---

(١) صحيح البخاري: ٣٧- كتاب الإجارة – باب استئجار الرجل الصالح، حديث (٢٢٦٠).
ومسلم ١٢ كتاب الزكاة – ٢٥ باب أجر الخازن الأمين ٢: ٧١٠ حديث ٧٩ (١٠٢٣) واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح البخاري، ٥٦- كتاب الجهاد والسير – ١٢٨، باب من أخذ بالركاب ونحوه، حديث (٢٩٨٩).
ومسلم: ١٢ كتاب الزكاة – ١٦ باب بيان أم اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢: ٦٩٩، حديث ٥٦ (١٠٠٩).

(٣) صحيح مسلم، ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١: ٣٧٠ حديث ٣ (٥٢١) وفي البخاري (دون لفظة (طيبة) في ٧ كتاب التيمم – باب (١) حديث (٣٣٥).

(٤) النهاية: ابن الأثير، جـ٣، ص ١٤٩.

(٥) المرجع السابق: جـ٣، ص ١٤٨.

القرآن الكريم، وينقلهما إلى العلمية ليدلا على دار هجرته ﷺ وهـي المدينـة، وقـد كـان اسمها يثرب، فجاء النهي في الحديث عن تسميتها بهذا الاسم، فعن أبـي هريـرة رضـي ا لله عنه قال: (**قال رسول ا لله ﷺ: أُمِرتُ بقريةٍ تأكُلُ القُـرى يقولـون: يَـثْرِبُ وهـي المدينـة تَنْفِي النَّاسَ كَمَا ينْفِي الكِيْرُ خَبَثَ الحَدَيد**)[1].

وقوله ﷺ: (يقولون يثرب وهي المدينة) أي أن بعض المنافقين يسميها يثرب، واسمها الذي يليق بها المدينة وفهم بعض العلماء من هذا كراهة تسمية المدينة يثرب، وقالوا: ماوقع في القرآن إنما هو حكاية عن قول غير المؤمنين[2].

قال عيسى بن دينار من المالكية: من سمى المدينـة يـثرب كتبـت عليـه خطيئـة. قـال: وسبب هذه الكراهة لأن يثرب إما من التثريب الـذي هـو التوبيـخ والملامـة، أومـن الـثرب وهو الفساد، وكلاهما مستقبح. وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح[3].

ولما نهى ﷺ عن تسميتها يثرب أخبرنا عليه السلام أن ا لله تعالى سماهـا طابـة، روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قـال: سمعـت رسـول ا لله ﷺ يقـول: (**إِنَّ ا للهَ تعـالى سَمَّى المَدِينةَ طابة**)[4].

وروى البخاري في صحيحه قول أبي حميد رضي ا لله عنه: (أَقْبَلنا مَع النَّبِي ﷺ مـن تَبوك حتى أَشْرَفنا على المدينة فقال **هَذِه طَابَة**)[5].

ذكر ابن حجر في شرح معنى طابة أن الطاب والطيب لغتان بمعنى واشـتقاقهما مـن الشيء الطيب، وقيل لطهارة تربتها، وقيل لطيبها لسـاكنها، وقيـل مـن طيـب العيـش بهـا، وقال بعض أهل العلم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هـذه التسـمية لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لاتكاد توجد في غيرهـا.. وقـال الحـافظ: أمر المدينة في طيب ترابها وهوائها يجده من أقام بها، ويجد لطيبها أقوى رائحة، ويتضـاعف

---

(١) صحيح البخاري، ٢٩ باب فضل المدينة وأنها تنفي ؟؟؟؟، حديث (١٨٧١).

ومسلم: ١٥ كتاب الحج – ٨٨ باب المدينة تنفي شرارها ٢:١٠٠٦ حديث ٤٨٨(١٣٨٢).

(٢) فتح الباري، جـ٤، ص ٨٧.

(٣) المرجع السابق: جـ٤، ص ٨٧، ٨٨.

(٤) صحيح مسلم: ١٥ كتاب الحج – ٨٨ باب المدينة تنفيي شرارها ٢:١٠٠٧ حديث ٤٩١/١٣٨٥).

(٥) صحيح البخاري، ٢٩- كتاب فضائل المدينة، ٣- باب المدينة طابة حديث ١٨٧٢.

طيبها فيها عن غيرها من البلاد، وكذلك العود وسائر أنواع الطيب[1].

وطَيْبَة وطَابَة هما تَأنيثُ طَيْبٍ وطَابٍ، بمعنى الطّيب. وقيل: هو من الطّيب بمعنى الطاهر، لخُلوصها من الشرك وتطهيرها منه[2].

وسماها الرسول ﷺ بطَيبة، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (لمّا خرج النبي ﷺ إلى أُحد رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فِرقَتين فرقة تقول نُقاتلهم وفِرقة تقول لانُقاتلهم، فنزلت[3]: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ وقال: إنّها طيبة تَنفِي الذنوب كما تنفي النار خبث الفِضّة[4].

وورد في حديثه ﷺ عن الفتن وفي خبر أبي رقية أن الجَسّاسَة لن تدخل طيبة، قال ﷺ: (إلى هذا يَنتهِي فرحي هذه طَيْبَةَ والذي نفسي بيده مافيها طريقٌ ضَيِّقٌ ولا واسعٌ ولا سهل ولا جَبَل إلا وعليه ملك شَاهِرٌ سيفه إلى يوم القيامة)[5].

وبهذا يكون الحديث النبوي هو الذي سمى المدينة طيبة وطابة ونقل هذين اللفظين إلى العلمية فتكون بذلك من الأعلام المشتقة المنقولة التي نقلت بالاستعمال إلى العلمية، وتخصصت في دلالتها العامة على الطيب لتصبح دالة على طيبة الطيبة التي تنفي الخبث عنها.

وورد تسميتها أو وصفها بأنها دار الهجرة والسنة والسلامة في قول عبدالرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: (..ياأمير المؤمنين إنَّ الموسِمَ يَجمَعُ رِعَاعَ الناس وغَوغَاءَهُم وإنّي أرى أن تُمهِل حتى تَقْدَمَ للمدينة فإنّها دارُ الهِجْرة والسُّنّة والسَّلامة، وتَخْلصُ لأهل الفِقْهِ وأشرافِ الناس، وذوي رأيهم، قال عمر لأَقُومَنَّ في أوّلِ مقامٍ أقومُهُ بالمدينة)[6].

ومما تجدر الإشارة إليه أنني لم أعثر على أسماء للمدينة في سياقات الحديث النبوي في

---

(١) فتح الباري: جـ٤، ص ٨٩.

(٢) النهاية: ابن الأثير: جـ٣، ص ١٤٩.

(٣) سورة النساء: آية ٨٨.

(٤) صحيح البخاري، ٦٤ كتاب المغازي ١٧ باب غزوة أحد، حديث (٤٠٥٠).

(٥) سنن ابن ماجة: ٣٦ كتاب الفتن – ٣٣ باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم، حديث (٤٠٧٤).

(٦) صحيح البخاري: ٦٣ كتاب مناقب الأنصار – ٤٦ باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، حديث (٣٩٢٨).

الكتب الستة غير هذين الاسمين، وقد أورد عمر بن أبي شبة في (تاريخ المدينة)[1] من رواية زيد بن أسلم وطريق محمد بن يحيى (أن للمدينة عشرة أسماء) إلا أن الرفاعي[2] ضعف الأحاديث الواردة من هذه الطرق.

---

(١) انظر: تاريخ المدينة المنورة: أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جـ١، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) انظر الأحاديث الواردة في فضائل المدينة: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، مركز خدمة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ص ٣٠١ إلى ٣٠٦.

الفصل الثالث

أسماء من العالم الغيبي

الحوض

الحـوض الهَـزْم في الأرض، والحـوض: حَـوْض المـاء. واسـتحوض المـاء اتخـذ لنفسـه حوضا[1].

وقد ورد لفظ الحوض كثيرا في الشعر الجاهلي ودل في جميع الأبيات على حـوض الماء، قال حاتم الطائي[2]:

وَمَـا أَنَـا بِالسَّـاعِي بفَضْـلِ زِمامِهـا   لِتَشـرَبَ مَـافي الحَـوْضِ قَبْـلَ الرَّكَـائِبِ

وقال امرؤ القيس[3]:

وابـنِ عـمٍّ قَـدْ تركْـتُ لَـهُ   صَفْـوَ مَـاءَ الحـوضِ عَـنْ كَـدَرْه

وجمع الحوض أحواض. قال عنترة[4]:

كُنَّـا إِذَا نَفَـرَ المَطِـيُّ بِنَـا   وَبَـدَا لَنَـا أَحْـواضُ ذي الرَّضْـمِ
نُغْـدِي فَنَطْعَـنُ في أُنوفِهِـمُ   نَخْتَـارُ بَيْـنَ القَتْـلِ والغُنْـمِ

وحَوْضى اسم موضع، قال بشر بن أبي خازم[5]:

هَـلَ انْـتَ عَلَـى أَطْـلالِ مَيَّـةَ رابِـعُ   بِحَوْضَـى تُسَـائِلْ رَبْعَهَـا وتُطَـالِعُ

وحوضى اسم ماء لبني طهمان بن عمرو الكلابي.

---

(١) المقاييس: ابن فارس، مادة (حوض) جـ٢، ص ١٢٠. والمجمل، مادة (حوض) جـ١، ص ٢٥٨.

(٢) ديوان حاتم الطائي، ص ٢٠٥، وفي شرح ديوان الحماسة القسم الثالث (ماء الحوض).

(٣) ديوان امرئ القيس: ص ١٢٦.

(٤) ديوان عنترة، ص ٢٧٦.

(٥) ديوان بشر بن أبي خازم، ص ١١٣.

فلفظ الحوض جاء في الشعر الجاهلي دالا على حوض الماء سواء كان نكرة أو معرفا بأل أو مضافا أو جمعا، أو مفردا، و لم يرد اللفظ ولا مادته في القرآن الكريم.

وورد لفظ الحوض في الحديث النبوي دالا على غير مادل عليه في الشعر الجاهلي، فهو مما أخبرنا به ﷺ عن العالم الغيبي، وهو حوضه ﷺ، وقد وصفه لنا وبين لنا أن من يرده عليه من أمته فيسقيه منه، فعن عقبة بن عامر قال صلى رسول ا لله ﷺ على قَتلَى أُحُدٍ ثمَّ صَعِدَ المنبر كالمودِّعِ للأحياء والأَمْوَات، فقال: **إنِّي فَرَطُكمْ عَلى الحوض، وإن عرضه كما بين أَيْلَةَ إلى الجُحْفَة إني لَستُ أخشى عليكم أن تُشْركوا بَعْدِي ولكني أَخْشَى عليكم الدُّنْيَا أن تنافسوا فيها وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كما هلك مَنْ كَاْنَ قَبْلَكُمْ**)[1].

ومعنى قوله ﷺ: (**إنِّي فَرَطُكُمْ**) الفرط هو الذي يتقدم ويسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والأرشية.

ومعنى (إني فرطكم) أي أتقدمكم لأهيىء لكم، وفيه أن هذا توديع لهم[2].

والحوض هو حوض النبي ﷺ، وهو مجمع الماء، ونهر الكوثر الذي أعطاه ا لله لرسوله ﷺ هو النهر الذي يصب في الحوض، فهو مادة الحوض[3].

وقد وصف ﷺ الحوض، فعن عبدا لله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: (**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحهُ أطيبُ من المِسك، وكِيزَانهِ كنجوم السَّماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا**)[4].

وسأل أبو ذر النبي ﷺ عن آنية الحوض قال: قلت يارسول ا لله: ماآنية الحوض، قال **والذي نفس محمد بيده لآنيتُه أكثرُ من عدد نجوم السماء وكَوَاكبها في ليلة مُظلِمةٍ مُصْحِيَةٍ من آنية الجنة من شَرِبَ منهاشربةً لم يظمأ آخِر ماعَلَيْه، عَرْضُه مِثْلُ طُوْلِه، مابَيْنَ**

---

(١) صحيح البخاري: ٢٣ كتاب الجنائز - ٧٢ باب الصلاة على الشهيد، حديث (١٣٤٤).
ومسلم: ٤٣ كتاب الفضائل - ٩ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ٤:١٧٩٥ حديث ٣٠ (٢٢٩٦) واللفظ له.

(٢) سنن النسائي بشرح السيوطي، جـ٤، ص ٦٢.

(٣) فتح الباري: جـ١١، ص ٤٦٧.

(٤) صحيح البخاري ٨١ كتاب الرقاق - ٥٣ باب في الحوض، حديث (١٥٧٩).
ومسلم: ٤٣ كتاب الفضائل - ٩ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ٤:١٧٩٣-١٩٨٤، حديث ٢٧(٢٢٩٢)
وهذا لفظ البخاري.

عُمَانَ إلى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أشدُّ بياضًا من اللبن وأَحْلَى من العسل)[1].

فالحوض كما تبين من أقواله ﷺ أن ماءه يرد من نهر من أنهار الجنة، وهو نهر الكوثر يصب فيه ميزابان من الجنة، والميزاب قناة يجري فيها الماء، وهذا يعني أن الحوض الذي هو خارج الجنة يُمدُّ من النهر الذي هو داخل الجنة، أما ماؤه فهو أشد بياضا من اللبن، وفي الحديث الذي رواه عبدا لله بن عمرو ماؤه أبيض من اللبن، ومقتضى كلام النحاة أن يقال أشد بياضا، ولا يقال أبيض من كذا، ومنهم من أجازه في الشعر، ومنهم من أجازه بقلة ويشهد له هذا الحديث وغيره... ويحتمل أن يكون ذلك من تصرف الرواة[2].

وريحه أطيب من المسك، فقد جمع بين بياض الماء وصفائه وطيب رائحته فهي كالمسك، أما آنيته فهي آنية الجنة، كما أنها أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة.

من شرب منها: أي من الكيزان أو الآنية، أو شرب منه أي من الحوض أي من مَرَّ به فَمُكِّنَ من شُرْبِهِ فَشَرِبَ لم يَظْمَأ بعدها أبدا[3].

وقد أخبرنا ﷺ عمن يرد هذا الحوض وهم أمة محمد ﷺ ممن لم يحدثوا بعده ﷺ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول ا لله ﷺ **تَرِد عَليَّ أمتي الحوض وأنا أذُوُد النَّاسَ عنه كما يَزُودُ الرجلُ إبلَ الرجل عن إبله، قالوا: يانبي ا لله أتعرفنا؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأَحد غَيْرِكُم، تَردُونَ عَليَّ غُرًّا محجلين من آثار الوُضوء وليُصدَنَّ عني طائفةٌ منكم فلا يَصِلُونَ فأقولُ يارب هؤلاء مِنْ أصحابي** فيُجيبني مَلكٌ فيقول: وهل تَدْرِي ماأحدثوا بعدك)[4].

---

(١) سنن الترمذي: ٣٤ – صفة القيامة والرقائق والورع، حديث: ٢٤٤٥.

(٢) فتح الباري، جـ١١، ص ٤٧٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) البخاري: ٨١ كتاب الرقاق – ٥٣ باب في الحوض، حديث (٦٥٨٥).

ومسلم: ٢ كتاب الطهارة – ١٢ باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ١:٢١٧ حديث ٣٧(٢٤٧) واللفظ له.

بين الحديث أنه يـرد مـن أمـة محمـد ﷺ المتبعـون لـه غـير المحدثـين بعـده، ويعرفهـم بالعلامة المميزة لهم وهي النور الذي يسطع من أيديهم وأرجلهم من أثر الوضوء.

أما عن الذود المذكور فإنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه فإن لكل نـبي حوضا وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم فيكون ذلك من جملة إنصافـه ورعايـة إخوانـه مـن النبيين لا أن يطردهـم بخـلا عليهـم بالمـاء، ويحتمـل أنـه يطـرد مـن لايسـتحق الشـرب مـن الحوض، والعلم عند ا لله تعالى(١).

وبهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث يتسامى لفظ (الحوض) الذي كان دالا علـى حوض الماء، ليدل على عَلم من أعلام العالم الغيبي وهو حوض النـبي ﷺ، فيبقـى اللفـظ أو الدال ويتغير المدلول، لتصبح الكلمة علما على حوضه ﷺ الذي يَـرده قبـل أمتـه ليسـقيهم منه.

---

(١) فتح الباري: جـ١١، ص ٤٧٤.

الريان

قال ابن فارس: (الراء والواو والياء) أصل واحد، ثم يشتق منه، فالأصل ماكان خلاف العطش، ثم يصرَّف في الكلام لحامل مايُرْوَى منه.

فالأصل رَويتُ من الماء ريًّا، وهو راوٍ من قوم رُواةٍ وهم الذين يأتونهم بالماء[1].

والرَاويةُ الجَمَلُ الذي يستقي الماء، وبه سُمِّيَتْ المزادة راوية[2]. قال عمرو بن ملقط[3]:

ذَاكَ سِنانٌ مُحْلِبُ نَصْرُهُ   كَالجَمَلِ الأَوْطَفِ بالرَّاوِيَةْ

والروايا جمع راوية للإبل التي يُحمل عليها المتاع، من ذلك قول زهير بن أبي سلمى[4]:

يَسِيرُونَ حَتَّى حَبَّسُوا عند بابِه   ثِقالَ الرَّوايَا والهِجَان المَتَالِيَا

والرَّوايا جمع رَاوِية، وهو السيد الذي تحمَّل الدِّيات عن الحي. قال حاتم الطائي[5]:

اغْزُوا بني ثُعلٍ والغَزْوُ جَدُّكُمُ   جَدُّ الرَّوَايا ولا تَبْكُوا الَّذي قُتِلاَ

ورُوِي النَّبْتُ وتَروَّى تنعَّم، ونبت ريَّان، وفرس ريَّان، الظهر إذا سمن متناه. والريَّان

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، مادة (روى) جـ٢، ص ٤٥٣.

(٢) المجمل: ابن فارس، مادة (روى) جـ٣ ، ص ٤٠٤.

(٣) اللسان، مادة (روى) جـ٣، ص ١٧٨٥.

عمرو بن مِلْقطٍ الطائي: شاعر جاهلي، ومِلقط بكسر الميم وسكون اللام وفتح القاف، كان عمرو وفَّادا إلى الملوك وهو الذي أصاب بني تميم مع عمرو بن هند يوم أوْارة.

الخزانة: جـ٩ ص ٢٥، ٤٩٩.

(٤) شرح ديوان زهير ص ٢٩١.

(٥) اللسان مادة (روي) جـ٣، ص ١٧٨٥.

الممتلئ. قال امرؤ القيس(١):

وَأَسْحَمُ رَيَّانُ العَسِيب كأَنَّهُ ... عَثَاكِيلُ قِنْوٍ من سُمَيْحةَ مُرْطِبِ

وأسحم يعني ذيلا أسود، والريان: الممتلئ والناعم، والعسيب: عظم الذنب. يريد أن ذيل هذه الفرس كامل غزير كشماريخ نخل مرجل، من نخل هذا الموضع المجاور لبئر سُمَيحة.

والريان اسم موضع. قال حاتم الطائي(٢):

لَشِعْبٌ مِن الرَّيَّانِ أمْلِكُ بابَهُ ... أُنَادِيْ بِه آل الكَبِيْر وجَعْفَرا

أَحَبُّ إليَّ مِنْ خَطِيْبٍ رَأَيْتُهُ ... إذا قلتُ مَعْروفاً تَبَدَّل مُنْكَرا

وقال حاتم أيضا(٣):

أَتَانِي مِن الرَّيَّانِ أَمْسِ رِسالةٌ ... وَعَدْوَى وغَيٌّ مايَقُولُ مُواسِلُ

والريَّان: ضد العطشان، ورجل ريَّان وامرأة ريًّا من قوم رواءٍ.

قال لقيط بن يعمر(٤):

---

(١) ديوان امرىء القيس:ص ٤٨.

(٢) ديوان حاتم، ص ٢٦٧.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٨٤.

(٤) ديوان لقيط بن يعمر الأيادي، رواية أبي المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي، تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطيه، ص٤١.

لقيط بن مَعْمر من إياد، وكانت إيادُ أكثر نزار عددا وأحسنهم وجوها وكان لقيط شاعرا وسيدا من سادات إياد وله أبيات يحرض فيها قومه على الفرس وينذرهم عندما كان يغزوهم أنو شروان، كما كان يحذر قومه في أشعاره ويدعوهم للاستعداد لحرب كسرى الذي وجه إليهم ستين ألفا وكان لقيط متخلفا عنهم بالحيرة ومما قاله:

أتاكم منهُم ستُّون ألفا ... يَزُجُّون الكَتائِبَ كالجراد

فاستعدت إياد لمحاربة جنود كسرى واقتتل الفريقان قتالا شديدا اختلفوا بعده فلحقت فرقة بالشام وفرقة رجعت إلى السواد وفرقة أقامت بالجزيرة.

الشعر والشعراء: جـ١ ص ٢٠٥، ٢٠٦. المؤتلف والمختلف: ص ١٧٥.

فَاشْـفُوا غَلِيلِـي بَـرأْيٍ مِنْكُـمُ حَسَـنٍ   يُضْحِـي فُـؤَادِي لَـهُ رَيَّـانَ قَـدْ نَقَعَـا

من هذه الأبيات وغيرها يتبين أن لفظ ريَّان استعمل في الشعر الجاهلي بمعنى الامتلاء كفرس ريَّان كما دل على الرواء الذي هو ضد العطش، كما استخدم في معان معنوية، فالقلب الريان الذي شُفي غليله.

أما في القرآن الكريم فلم يرد اللفظ ولا مادته، وإذا تتبعنا سياقات الحديث النبوي نجده دالا على المعنى اللغوي الذي دل عليه في الشعر الجاهلي، وهو الري الذي هو ضد العطش، فعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: **بَيْنَا أنَا نائمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فشرِبتُ حَتى إنِّي لأرَى الرِّي يخرجُ في أظْفَارِي ثم أُعْطَيتُ فَضْلي عُمَرَ بن الخطاب،** قالوا: فما أَوَّلْتَهُ يارسولَ الله؟ قَال: **العِلْم**(١).

وجاء لفظ (الريان) في الحديث النبوي معرفا بأل دالا على باب من أبواب الجنة، من ذلك ماراه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(في الجنَّة ثَمانِيَةُ أبْوابٍ فِيهَا بَابٌ يُسمَّى الريَّان لايَدخُلُهُ إلاَّ الصَائِمُوْنَ)**(٢).

وفي رواية مسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن في الجنةِ باباً يُقال له الرَّيانُ يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لايدخل معهم أحدٌ غيرهم** يقال: أين الصائمون فيدخلون منه، فإذا دخل آخِرُهُم أُغلق فلم يدخُلْ منه أَحَدٌ)(٣).

الرَّيَّان بفتح الراء وتشديد التحتانية وزن فعلان من الري، اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه، وهو مما وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه؛ لأنه مشتق من الري وهو مناسب لحال الصائمين، .. من دخله لم يظمأ وقد.. اكتفى بذكر الريّ عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه.. أو لكونه أشق على الصائم من

---

(١) البخاري: ٣ كتاب العلم- ٢٢ باب فضل العلم، حديث (٨٢).

ومسلم: ٤٤ كتاب فضائل الصحابة - ٢ باب من فضائل عمر رضي الله عنه قال: ٤:١٨٥٩، حديث ١٦ (٢٣٩١).

(٢) صحيح البخاري: ٥٩ كتاب بدء الخلق - ٩ باب صفة أبواب الجنة، حديث (٣٢٥٧).

(٣) مسلم: ١٣ كتاب الصيام - ٣٠ باب فضل الصيام ٢:٨٠٨ حديث ١٦٦ (١١٥٢).

الجوع[1].

وقال الحربي: إن كان هذا اسما للباب وإلا فهو من الرواء، وهو الماء الـذي يُـروِي. يقال: رَوِي يَرْوى فهو ريَّان، وامرأة ريَّا، فالريَّان فعلان من الرَّيّ، والألف والنون زائدتان، مثلهما في عطْشان، فيكون من باب ريا لا رين، والمعنى أن الصُيَّام بتعطيشهم أنْفُسَهم في الدنيا يدخلون من باب الريان ليأمنوا من العطش قبل تمكنهم في الجنة[2].

وفي رواية النسائي: (**من دخل فيه شرب ومن شرب لم يظمأ أبـدا**)[3]. دل السياق دلالة صريحة على المعنى المراد من اللفظ.

يتبين مما سبق أن الريان لفظ استعمله الجاهلي منكرًّا أو مضافا دالا على عدة معان منها الامتلاء، والرواء، و لم يرد اللفظ في القرآن الكريم وجاء في الحديث النبوي معرفا بأل دالا على باب من أبواب الجنة الثمانية التي أخبرنا بها ﷺ، فكان هذا التخصيص للفظ ونقله للعلمية ودلالته على هذا الاسم هو مما أضافه الحديث النبوي في مجال التطور الدلالي للألفاظ.

(١) فتح الباري، جـ٤، ص ١١١.

(٢) النهاية، جـ٢، ص ٢٩١.

(٣) سنن النسائي: فضل الصيام - باب (٤٣) ، ٤:١٦٨، حديث (٢٢٣٦).

الوسيلة

ورد لفظ (الوسيلة) في الشعر الجاهلي ودل على مايُتقرب به إلى الغير، فالوسيلة الوُصلةُ والقُربى. قال تأبط شرا[1]:

مــنَّ الإلَـــهُ عَليـــكَ فَـــاحمِلْ مَنَّـــهُ وَوَسِـــيلةٌ لَـــكَ في جَدِيلَـــةَ فـــاذْهَب

والوسيلة: التوسل إلى الشيء برغبة. قال عنترة[2]:

إنَّ الرجَـــالَ لهـــم إليـــكِ وســـيلةٌ إنْ يَـــأخُذُوكَ تكَحَّلِـــي وَتَخَضَّبِـــيْ

قال الطفيل الغنوي مفتخرا بأنهم لم يطلبوا منهم قربة أو وصلة[3]:

إلى اليَـــوْمِ لم نُحْـــدِثْ إلَيْكُـــمْ وَسِـــيلَةً وَلَـــمْ تَجدوهَـــا عِنْدَنَـــا في التَنَسُّـــبِ

وجمع وسيلة وسائل، وجاءت بمعنى القرب والأسباب الجالبة للمودة. قال أبو طالب مخاطبا قريشا ومخبرهم بأنه غير مُسلِمٍ رسول الله ﷺ حتى يَهْلك دونه[4]:

وَلَمَّـــا رَأَيْـــتُ القَـــوْمَ لا وُدَّ فِيْهِـــمُ وَقَـــدْ قَطَعُـــوا كُـــلّ العُـــرَى والوَسَـــائِل
وَقَـــدْ صَارحُونَـــا بِـــالعَدَاوَةِ وَالأذَى وَقَـــدْ طَـــاوَعُوا أَمْـــرَ العَـــدُوِّ المزَايِـــل

(١) ديوان تأبط شرا: ص ٧٣.

(٢) ديوان عنترة، ص ٢٧٣.

(٣) ديوان الطفيل الغنوي: ص ٣٥.

(٤) السيرة النبوية: ابن هشام، جـ١، ص ٢٩١.

أبو طالب بن هاشم بن عبد مناف: وهو عم النبي ﷺ وناصره، ولد قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة، كفل النبي ﷺ بعد وفاة جده وأحسن تربيته، ولما بعث ﷺ قام بنصرته، وذب عنه من عاداه وكان من حكام قريش وساداتها. توفي في السنة العاشرة من النبوة واختلف في إسلامه والصحيح أنه مات كافراً. وكان أبو طالب شاعرا جيد الكلام.

بلوغ الأرب: جـ١ ص ٣٢٤. طبقات فحول الشعراء: ص ٢٤٤.

وقال النابغة الذبياني[1]:

لَقَـــدْ عَـــالَنِيْ مَاســـرَّهَا وَتَقَطَّعَـــتْ   لِرَوْعَاتِهَـــا مِنِّـــيْ القُـــوَى والوَسَـــائِلُ

وبهذا يكون لفظ وسيلة وجمعه وسائل قد دل في الشعر الجاهلي على مايُتقرب به إلى الغير أما في القرآن الكريم فقد ورد اللفظ في آيتين:

الآية الأولى هي قوله تعالى[2]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

والآية الثانية هي قوله تعالى[3]: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾

ودلّ اللفظ في الآيتين على القربة لله بالطاعة والعبادة: أي يتضرعون إلى الله في طلب مايقربهم إلى ربهم[4].

فالوسيلة إلى الله سبحانه مايوصل إلى ثوابه، والزلفى لديه وذلك بفعل الطاعات وترك المعاصي[5].

قال الفيروزآبادي في تفسير معناها: (إن حقيقة الوسيلة إلى الله مُراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة)[6].

يتبين من الآيتين السابقتين أن لفظ (وسيلة) في القرآن الكريم دلّ على كل مايُوصل إلى ثواب الله، والقرب منه سبحانه وتعالى، وذلك بفعل الطاعات وترك المعاصي، ولكنه يتخصص في الحديث النبوي ويدل على منزلة من منازل الجنة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**من قال حين يَسْمعُ النداء اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدَّعوةِ التامَةِ والصَّلاة القَائمةِ آت مُحمَّدا الوسَيلَةَ والفَضِيلةَ وابْعَثهُ مَقَامَا مَحْمودَا الذي وعدته**

(١) شعراء النصرانية: جـ٥، ص ٧٠٠.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٥٧.

(٤) فتح القدير: جـ٣، ص ٢٣٧.

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٢٣.

(٦) البصائر: الفيروزابادي، جـ٥، ص ٢١٧؟

حَلَّتْ له شَفَاعتي يوم القيامة)[1].

وقد فسر ﷺ الوسيلة بأنها منزلة في الجنة، فعن عبدا لله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: **(إذا سَمِعْتُم المؤَذِّن فَقوُلُوا مِّثل مايقُولُ ثم صَلُّوا عليَّ فإنه مَنْ صلَّى علـيَّ صلاة صلَّى ا لله عليه بها عَشْرا، ثم سَلُوا ا للهَ لِي الوَسِيلَةَ فإنَّها منزلة في الجَنَّةِ لاتَنْبَغِي إلاَّ لعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ ا لله، وأرجو أنْ أكُوْنَ أنا هُوَ، فمن سأل لي الوسيلة حَلَّتْ له الشَّفاعة)**[2].

فالوسيلة كما بينها ﷺ منزلة في الجنة لاتكون إلا لعبـد واحـد مـن عبـاد ا لله، فهـي مكانة ومنزلة عظيمة،والواصل إلى تلـك المنزلـة قريـب مـن ا لله، فتكـون هـذه المنزلـة ثمـرة القرب[3].

أما الفضيلة فهي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق، ويحتمل أن تكون منزلة أخـرى أو تفسيرا للوسيلة[4]. والذي يسأل لنبينا محمد ﷺ الوسيلة بعـد كـل نـداء للصـلاة يسـتحق شفاعته ﷺ يوم القيامة.

وبهذا يكون لفظ (الوسيلة) قد تخصص في الحديث النبوي فبعـد أن كـان في الشـعر الجاهلي دالا على مايُتقرب به إلى الغير أصبح يدل في القرآن على القرب مـن ا لله سـبحانه بفعل الطاعات وترك المعاصي، فهي القربة بالطاعة والعبادة، ثم تخصص اللفـظ في الحديـث النبوي وأصبح علما على منزلة عاليـة ودرجـة عنـد ا لله ليـس فوقهـا درجـة، فهـي أقـرب الدرجات إلى عرش الرحمن، كما أنها أقرب الدرجات إلى ا لله، ولهذا كـانت أفضـل الجنـة وأشرفها وأعظمها نورا[5] ولن تكون إلا لعبد واحد من عباد ا لله.

---

(١) صحيح البخاري: ٦٥ كتاب التفسير – ١٧ سورة بني إسرائيل – ١١ باب ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمـودا﴾ ٢٤، حديث (٤٧١٩).

(٢) صحيح مسلم، ٤ كتاب الصلاة – ٧ باب استحباب التحول مثل قول المؤذنلمن سمعه ١:٢٨٨، حديث ١١ (٣٨٤).

(٣) غريب الحديث: ابن الجوزي، جـ٢، ص ٤٦٧.

(٤) فتح الباري: جـ٢، ص ٩٥.

(٥) معجم ألفاظ العقيدة، فالح.. ص ٤٤٢.

نهر الحياة

قال ابن فارس: (النون والهاء والراء) أصل صحيح يدل على تَفتُّح شيء أو فتحه. وأنْهرْت الدم:ـ فتحته وأرسلته. وسمي النَّهر لأنه يَنْهَر الأرض أي يشقُّها[١].

والنَّهرُ السَّعة. وأنهر الطعنة وسَّعها. قال قيس بن الخطيم يصف طعنة[٢]:

مَلكْتُ بِهَا كَفِّي فَأنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قائِمٌ مِن دُونِها ماوَرَاءَها

ومعنى ملكت: أي شددت وقويت. ويقال طعن طَعْنةً أنهر فتقها أي وَسَّعَهُ، وأنْهرت الدم أي أسَلْتُهُ، والإنهار الإسالة والصب بكثرة.

والنَّهْرُ والنَّهَرُ من مجاري المياه، والجمع أَنْهَار ونُهُر ونُهُورٌ، ونَهَرَ الماء إذا جرى في الأرض وجعل لنفسه نَهَرا[٣].

فلفظ النهر يدل على السعة كما يدل على مجرى المياه، أما الإنهار فهو الإسالة والصب.

وورد لفظ (النهر) في القرآن الكريم بالمعنى المعروف، فالنهر هو الأخدود الواسع المستطيل في الأرض يجري فيه الماء، وهو أيضا: الماء الجاري فيه وهما مقترنان فأحدهما يذكر بالآخر[٤]..

فالنهر آية من آيات الله في الكون، قال تعالى[٥]: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗا ﴾.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، مادة (نهر) جـ٥، ص ٣٦٢.

(٢) لسان العرب: مادة (نهر) جـ٦، ص ٤٥٥٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٦٨٤.

(٥) سورة الرعد: الآية ٣.

وجعل الله الأنهار مثلا لما يَدِرُّ من فيضه وفضله في الجنة على الناس قال تعالى[١]: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾

أي تجري تحت غُرفِها وعلاليها الأنهار[٢].

والنَهَر السَّعة. قال تعالى[٣]: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾

أي في سعة من الرزق والمُقام والمكان، أو في ضياء، وذلك أن الجنة ضياء لاظلمة فيها، وفسر المراد بالنَّهر الأنهار، فهو اسم جنس أو هو من وضع الواحد موضع الجمع[٤].

وقد يقال لما يجري في الأخدود من غير الماء نهر على التشبيه بنهر الماء، فيقال: نهر من لبن ونهر من خمر وهذا لايكون إلا حيثُ يُقيَّد النهر، فأما عند الإطلاق فهو للماء وعليه جميع ماورد في آيات القرآن الكريم مفردا وجمعا منكرا ومعرفا بأل.

وورد لفظ (النهر) مقيَّدا في آية واحدة هي قوله تعالى:[٥] ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾.

قال تعالى في وصف الجنة أنَّ فيها أنهاراً من ماء صاف لاكدر فيه وأنهاراً من لبن في غاية البياض والحلاوة والدسومة، وأنهاراً من خمر حسنة المنظر والطعم والرائحة لايصدعون عنها ولا ينزفون وأنهاراً من عسل هو في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح[٦].

ومن هذا يتبين أن جميع ماورد في القرآن الكريم من الأنهار هي أنهار الماء التي نعرفها، ثم ذكر سبحانه في آية أنواعاً من الأنهار في الجنة فهناك أنهار من لبن وأنهار من خمر وأنهار من عسل مصفى.

ويأتينا الحديث النبوي بنوع جديد من الأنهار التي هي من العالم الغيبي، وقد سماه

---

(١) سورة البينة: الآية ٨.

(٢) البصائر: جـ٥، ص ١٢٩.

(٣) سورة القمر: الآية ٥٤، ٥٥.

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ٦٨٤.

(٥) سورة محمد: الآية ١٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، جـ٤، ص ١٧٦.

ﷺ بنهر الحياة.

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**يَدخُل أهل الجنَّة الجنة وأهل النار النَّار ثم يَقولُ الله تعالى: أخْرجُوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خَرْدل من إيمان، فَيُخْرجُون منها قد اسودوا فيُلْقَون في نهر الحَيَا أو الحياةِ** -شَكَّ مَالكٌ- **فينْبِتُون كما تَنْبُتُ الحبَّة في جانب السيل، ألم تَرَ أنَّها تخرجُ صَفْراءَ مُلْتوية** قال وَهَيبٌ حدَّثنا عمرو الحياة وقال خرْدل من خير)[1].

نهر الحيا أو الحياة، والمراد كل مابه تحصل الحياة، والحيا بالقصر هو المطر، وبه تحصل حياة النبات، فهو أليق بمعنى الحياة من الحياء الممدود الذي هو بمعنى الخجل.

ولعله سمي بنهر الحياة، لأنهم بعد أن يلقوا في هذا النهر تعود لهم الحياة من جديد، بعد أن اسودوا في النار وصاروا حمما فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل[2].

وفي مسلم من رواية أبي سعيد الخدري حديث طويل، وفيه وصف لهؤلاء الذين يلقون في نهر الحياة وفيه يقول عز وجل: (**شَفعت الملائكة وشَفَعَ النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أَرْحُم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيَخْرجُ منها قوما لم يَعْملوا خيرا قَطُّ قد عادُوا حُمَمًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبَّةُ في حِمِيل السَّيل ألا تَرَوْنَها تكون إلى الحَجَر أو إلى الشجر مايكُونُ منها إلى الشمس أُصَيفر وأُخَيْضِر وما يكون منها إلى الظلِّ يكون أبْيض**، فقالوا: يارسول الله كأنَّك كنت ترعى بالبادية، قال: **فيخرجُون كاللؤلؤ في رقابِهمُ الخَوَاتم يعرفُهُم أهل الجنَّة هؤلاء عُتَقاء الله الذين أَدْخَلهُمُ الله الجنَّة بغير عمل عملوا ولا خَيْر قدَّمُوهُ ثم يقول: ادْخُلوا الجنة فمارأيتموه فهو لكمْ، فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تُعْطِ أحدا من العالمين، فيقول لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون ياربنا: أيُّ شيء أفْضلُ من هذا، فيقول: رضاي فلا أَسْخَط عليكم بَعْدَه أبدا**)[3].

تبين لنا من خلال هذا الحديث أن الذين يلقون في نهر الحياة هم قوم من أهل النار

---

(١) صحيح البخاري، ٢- كتاب الإيمان - ١٥ باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، حديث (٢٢).

(٢) فتح الباري: جـ١، ص ٧٣.

(٣) مسلم: ١ كتاب الإيمان - ٨١ باب معرفة طريق الرواية ١: ١٧٠-١٧١، حديث ٣٠٢(١٨٣).

لم يعملوا خيرا قط، وقد أتت عليهم النار حتى أصبحوا حمما وهم يدخلون برحمة ا لله لهم، وأن هذا النهر موجود في أفواه الجنة، وأنهم يخرجون منه كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة بأنهم عتقاء ا لله الذين أدخلهم ا لله الجنة بغير عمل عملوا ولا خير قدموه، وهذه هي رحمة ا لله بعباده وهو أرحم الراحمين.

وبهذا يكون (نهر الحياة) علماً على نهر في أفواه الجنة، وهو من الأسماء التي أضافها الحديث النبوي، وإذا كنا نعرف النهر ومعناه، فإن النبي ﷺ عرفنا بهذا العلم المركب تركيبا إضافيا حيث أضيف لفظ (نهر) إلى لفظ (الحياة)؛ لأن من يدخله تعود له الحياة من جديد بأمر ا لله سبحانه.

نهر الخبال أو طينة الخبال

نهر آخر نجده في أحاديث الرسول ﷺ دالا على علم من أعلام العالم الغيبي الذي أخبرنا به ﷺ في عدة أحاديث منها مارواه الترمذي عن عبدا لله بن عمر قال رسول ا لله ﷺ: (**مَنْ شَرِب الخَمْرَ لم يَقْبل ا للهُ له صلاةً أربعين صَبَاحا، فإنْ تاب تاب ا لله عليه، فإنْ عاد لم يقبل ا لله له صلاةً أربعين صباحا، فإن تاب تاب ا لله عليه، فإن عَادَ الرَابعةَ لم يَقْبل ا للهُ له صَلاةً أربعين صباحا فإن تاب لم يَتُب ا للهُ عليه وسَقاهُ من نهر الخبال**، قيل ياأبا عبدالرحمن وما نَهْرُ الخبال؟ قال: **نَهْرٌ من صديد أهلِ النَّار**)[١].

وقد تبين من الحديث المراد بنهر الخبال وهو نهر من صديد أهل النار.

والخَبال في الأصل: الفساد، ويكون في الأفعال والأبدان والعُقول[٢].

وجاء في رواية أخرى بلفظ طينة الخبال، فعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: (**كل مُخَمِّر خَمْرٌ وكل مُسْكِرٍ حرامٌ، ومن شَرِبَ مُسْكرا بُخست صَلاتُهُ أربعين صَبَاحا فإن تاب تاب ا لله عليه فإن عاد الرابعة كان حَقًّا على ا لله أن يَسْقِيَهُ من طينةِ الخَبَال**، قيل وما طِينَةُ الخبال يارسول ا لله؟ قال: **صديد أهل النار، ومن سقاهُ صغيرا لايَعْرفُ حلالهُ من حَرَامِهِ كان حقا على ا لله أن يَسْقِيَهُ من طِينةِ الخَبَال**)[٣].

وفُسِّرت طينة الخبال في رواية أخرى بأنها عرق أهل النار أو عصارة أهل النار، وذلك فيما رواه النسائي في السنن عن جابر رضي ا لله عنه وفيه قوله ﷺ (**كل مُسْكِر حرام إن ا لله عز وجل عهد لمن شرب المُسْكر أن يَسْقيهُ من طينة الخَبَال**، قالوا: يَارسول ا لله، وما طِينَةُ الخبالِ؟ قال: **عَرَقُ أَهْلِ النَّار أو قال عُصَارةُ أَهْلِ النَّار**)[٤].

---

(١) الترمذي: ٢٧ كتاب الأشربة - ١٠ باب ماجاء في شارب الخمر، حديث (١٦٨٢) وقال: (هذا حديث حسن).

(٢) النهاية: ابن الأثير جـ٢، ص ٨.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الأربة - ٥ باب النهي عن المسكر، حديث (٣٦٨٠).

(٤) النسائي: ٥١ كتاب الأشربة - ٤٦ ذكر ماأعد ا لله عز وجل لشارب المسكر من الذل والهوان وأليم العذاب ٨:٣٢٧ حديث (٥٧٠٩).

وبالنظر إلى الحديث السابق الذي رواه الترمذي وورد فيه لفظ (نهر الخبال)[1] يتبين لنا أن المراد منهما (نهر الخبال، طينة الخبال) شيء واحد، فقد ذكر كل منهما في عقوبة من شرب الخمر، كما أن الألفاظ عرق، وصديد أهل النار الأقرب للذهن أن تكون عصارة مختلطة فيها العرق والصديد.

ويراد بهذه العصارة مايسيل من القيح والدم من أجساد أهل النار -أعاذنا الله منها- فلعل نهر الخبال وطينة الخبال شيء واحد، ولعل اختلاف اللفظ ناتج عن اختلاف الرواية، لأن طينة الخبال ونهر الخبال هما عقوبة لشارب الخمر، كما أن السياقين ورد فيهما لفظ (يسقيه) كأنهما شيء واحد، وإذا نظرنا إلى الفرق بين معنى نهر وطينة من الناحية اللغوية فنقول إن النهر هو السائل الذي يجري كما يجري الماء، وأن طينة الخبال ربما تكون شيئا كثيفا متجمعا في النهر أو حوله. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر ص ٤٤٠ من البحث حاشية (٣)، (٤).

بولس

علم من أعلام العالم الغيبي، ورد في الحديث النبوي و لم يرد اللفظ فيما اطلعت عليه من الشعر الجاهلي، ولا في القرآن الكريم، فيكون اللفظ مما أضافه الحديث النبوي ورد فيما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: (**يُحْشَرُ المتكبِّرونَ يَوْمَ القيامة أَمْثَال الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجَال يَغْشَاهُمْ الذُلُّ من كُلِّ مكان فَيُساقُونَ إلى سِجْن في جَهنَّم يُسمى بُولَسَ تَعْلوهُمْ نَار الأنْيَار يُسْقونَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طينةَ الخَبَالِ**)[1].

يتبين من الحديث السابق أن (بولس) اسم سجن في جهنم، هذا ماأخبرنا به ﷺ و لم نعرف شيئا عن هذا السجن غير أنه تعلوه النيران، وأن أهل هذا السجن هم المتكبرون وأنهم يسقون من عصارة أهل النار، و لم نعرف عن هذا السجن غير ماورد في هذا الحديث حيث إنه لم يرد إلا في هذا الموضع من الكتب الستة[2].

و لم تذكر عنه معاجم اللغة وكتب الغريب غير ماذكر في الحديث النبوي عنه، فهو اسم علم جامد لسجن في جهنم أعد للمتكبرين من أمة محمد ﷺ.

---

(١) سنن الترمذي: ٣٨ كتاب صفة القيامة – ٤٧ حديث (٢٤٩٢) وقال: (حديث حسن صحيح).

(٢) ورد الحديث أيضا في مسند أحمد ٥– مسند المكثرين من الصحابة، حديث (٦٦٣٩) مع اختلاف في الرواية.

جُب الحزن

الجَبُّ القطع، والجَبُوب الأرض الغليظة، ويقال: وجه الأرض. والجب البئر التي لم تطو وجمعها جباب"(1).

وسميت البِئْرُ جُباً لأنها قُطِعتْ قَطعاً و لم يُحْدَثْ فيها غَيْرُ القَطْعِ مِنْ طَيٍّ وما أشبهه، وقيل: هي البِئْرُ الجَيِّدَةُ الموضِعِ مِن الكَلأ. وقيل: هِيَ البِئْرُ الكَثِيْرَةُ الماءِ البَعِيْدَةُ القَعْرِ(2).

وحَزِن الرجل بالكسر فهو حَزِن وحَزين. والحُزْن والحَزَن خلاف السرور. والحَزْنُ: ماغلُظ من الأرض. وفيها حُزُونةٌ"(3).

قال ابن فارس: (الحاء والزاي والنون) أصل واحد، وهو خشونة الشيء وشدة فيه(4)، فسواء دلت على ماغلظ من الأرض أو على الحُزْن الذي هو خلاف السرور فكلا المعنيين يدل على الشدة والغلظة، قال الفيروزابادي: الحَزْن والحُزْن خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح(5).

وقد ورد هذا التركيب الإضافي (جُب الحُزن) في الحديث النبوي و لم يرد في الشعر الجاهلي ولا في القرآن الكريم.

وورد لفظ الجب معرفا بأل في القرآن دالا على البئر في آيتين من سورة يوسف، الآية الأولى هي قوله تعالى(6): ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾. والآية الثانية هي قوله تعالى(7): ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾.

﴿**وألقوه في غيابة الجب**﴾ أي بئر لم تطو، وتسميته بذلك لكونه محفورا في جبوب

(1) الصحاح مادة (جبب) جـ1 ص 96.

(2) اللسان، مادة (جبب) جـ1، ص 532.

(3) الصحاح مادة (حزن) جـ5 ص 2098.

(4) المقاييس: ابن فارس جـ2، ص 54.

(5) البصائر: الفيروزابادي جـ2، ص 458.

(6) سورة يوسف: الآية 10.

(7) سورة يوسف: الآية 15.

أي في أرض غليظة وإما لأنه قد جب، والجبُّ قطع الشيء من أصله كجَبِّ النخل[1].

وورد لفظ الجب في الحديث النبوي مضافا دالا على اسم واد في جهنم فقد روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول ا لله ﷺ: (**تعوذوا با لله من جُبِّ الحَزَن، قالوا: يارسول ا لله، وما جُبُّ الحَزَن؟ قال: وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مِائة مَرَّة، قلنا: يارسول ا لله ومن يَدْخله؟ قال: القُرَّاءُ المراؤون بأعمالهم**[2].

وورد الحديث أيضا في سنن ابن ماجة من رواية أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: (**تَعوَّذوا با لله مِنْ جُبِّ الحُزْن**، قالوا: يارسول ا لله وما جُبُّ الحُزْن؟ قال: **وادٍ في جَهنَّم تتعوذُ منه جهَّنم كُلَّ يوم أرْبَعَمائة مَرَّة**، قيل: يارسول ا لله: مَنْ يَدْخُلُه؟ قال: **أُعِدَّ للقُرَّاء المرائِيْن بأعْمالهم وإنَّ من أَبْغَض القُرَّاءِ إلى ا لله الذين يَزُورون الأمراء**)[3].

وقد بين ﷺ المراد بجب الحزن فهو واد في جهنم تتعوذ منه جهنم مائة مرة –على الرواية الأولى– أو أربعمائة مرة –على الرواية الثانية– و لم يبين ﷺ المراد من كل لفظ على حده والذي تبين من الحديث أن هذا الاسم المركب هو اسم للوادي و لم تذكر كتب الغريب ولا كتب الشروح شيئا عن هذا الوادي، وقد اختلف ضبط لفظ الحزن في الروايتين فهو على الرواية الأولى الحَزْن وهو المكان الغليظ الخشن، والحُزُونة الخشونة، وهذا المعنى مناسب لوصف واد في جهنم يتوقع فيه الغلظة والشدة والخشونة، لعظم ذنب من ألقي فيه، أما الرواية الثانية فالضبط فيه بالضم الحُزن وهو خلاف السرور، لأنَّ من أُعِدَّ لهم سيكونون في حالة حُزْن وكَرْب وألم. هذا مايشير إليه المعنى اللغوي للفظ، والصورة التي جاء عليها من إضافة لفظ الجب إلى لفظ الحَزْن أو الحُزْن.

أما ماأضافه لنا الحديث النبوي في جانب التغير الدلالي هو وجود هذا التركيب في اللغة ودلالته على العلمية حيث أصبح علما على واد في جهنم تستعيذ منه جهنم في اليوم مائة مرة أو أربعمائة مرة وفي هذا دلالة على شدة حره وعظم ذنب من أعد لهم عند ا لله تعالى وهم القراء المراؤون بأعمالهم.

---

(١) المفردات: الأصفهاني: ص ٨٥.

(٢) سبق تخريجه صفحة ٣٤٥ هامش (١).

(٣) سنن ابن ماجة ١ المقدمة – ٢٣ باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حديث (٢٥٦).

يتبين لي مما عرضته من الأعلام الإسلامية في هذا الباب ماأضافه الحديث النبوي من أعلام لم ترد في الشعر الجاهلي، و لم تظهر في آيات القرآن الكريم، فكانت نوعا من الألفاظ الإسلامية الجديدة التي عرفناها من أحاديث رسول ا لله ﷺ، ومن هذه الأعلام ماكان سببه حرصه ﷺ على تغيير الأسماء التي تدل على معان سيئة، ومنها تغيير اسم المدينة التي كانت تسمى بيثرب من الثرب وهو الفساد، فسماها ﷺ بطيبة وطابة.. وهكذا كان شأنه ﷺ في تغيير مثل هذه الأسماء سواء تسمى بها شخص أو مكان.

وإذا تتبعنا الأعلام التي تمت دراستها في هذا الباب سنجد أنها مشتقات لألفاظ معروفة، فالماحي والعاقب والحاشر كل منهما اسم فاعل نقلته نصوص الأحاديث إلى العلمية فأصبح اسما من أسمائه ﷺ، وطيبة وطابة مصدران للفعل (طاب) نقلته الأحاديث النبوية إلى العلمية فأصبحا اسمين من أسماء المدينة، والريّان صيغة مبالغة أصبحت في نصوص الأحاديث علما على باب من أبواب الجنة. والمعوذتان اسم فاعل من الفعل عوّذ، فالاشتقاق عامل هام من عوامل تكوين الألفاظ الإسلامية.

كما أن الدلالة بالتركيب الإضافي أو الوصفي من عوامل تكوين هذه الألفاظ الإسلامية فأم الكتاب وأم القرآن أصبحت علما على سورة من القرآن، ونشأ عن ذلك أيضا وجود ترادف تام بين اللفظين.

وجُبُّ الحَزْن ونَهر الخَبال وطِينة الخَبال ونَهْر الحياة، كلها نقلتها الأحاديث النبوية إلى العلمية حيث نشأت دلالة جديدة عن تركيب لفظين معروفين. ليدلا على علم من أعلام العالم الغيبي.

وقد انتقل بعض هذه الألفاظ إلى العلمية بالتخصيص، فالحوض يعرفه العربي بأنه حوض الماء، والنهر نهر الماء، وبالتخصيص يصبح الحوض علما على حوضه ﷺ والذي سيلقى عنده أمته يوم القيامة، فيتسامى اللفظ بتسامي دلالته في نفس المؤمن الذي يتمنى أن يكون ممن يردون حوضه ﷺ ويسقيهم منه.

ومن هذا يتبين أن ماجاءنا به الحديث النبوي من أعلام إسلامية هي في حقيقتها ألفاظ معروفة نقلتها سياقات الأحاديث إلى العلمية وأكسبتها دلالات إسلامية جديدة لم تكن لها قبل ذلك.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر على توفيقه بأن جعل مادة هذا البحث قائمة على أشرف الكلام وأحسنه كتاب الله الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ التي أردت من خلال هذا البحث معرفة الألفاظ الإسلامية التي تضمنتها مما لم يرد في القرآن الكريم. وقد أسفر هذا البحث عما يأتي:

١ - وجود ألفاظ كثيرة اكسبها الحديث النبوي دلالاتها الإسلامية وألفاظ أخرى أضاف لها الحديث دلالات إسلامية أخرى أتمت دائرة المعنى الإسلامي الذي جاء في القرآن الكريم.

٢ - أبرز البحث الدور الهام للسياقات في تحديد دلالات الألفاظ ولما كانت لغة الحديث لغة مكتوبة، وكذلك لغة الشعر الجاهلي، فقد اعتمدت على السياق اللغوي بما يحويه من قرائن لفظية تحدد المعنى، وقرائن أخرى تعد بدائل للسياق غير اللغوي كالاستفهام والتعجب أو مايصفه الراوي من تبسمه ﷺ أو السكوت دلالة على الرضا، أو فيما يظهر من حوار يدور بين الصحابي ورسول الله ﷺ، وغير ذلك مما يشير إليه سياق الحديث أو مايضيفه راوي الحديث بما يعين على تمثيل المعنى والموقف فتتكامل عناصر السياق التي تعين على تحديد الدلالات.

٣ - أظهر البحث حقيقة هذه الألفاظ فهي ألفاظ قديمة حمّلها الإسلام معاني جديدة أو هي مشتقات لألفاظ معروفة لها دلالتها في الشعر الجاهلي أو أنها ألفاظ اكتسبت دلالتها الإسلامية بالتركيب وقد يكون هذا التركيب إضافيا مثل أم الكتاب، جب الحزن، طينة الخبال، أو وصفيا مثل اليد العليا واليد السفلى والشجاع الأقرع.

٤ - أثبت البحث أن الألفاظ الإسلامية خضعت في انتقالها من معانيها اللغوية إلى معانيها الإسلامية لمظاهر التغير الدلالي، فبعض الألفاظ اكتسب الدلالة الإسلامية بالتخصيص وهو المظهر الرئيس الذي خضعت له كثير من ألفاظ هذه الدراسة كالأذان والإمام والتهجير وفريضة ومكتوبة والسبحة والإفطار والحزب والسعي والصحابة والتابعين،

وبالتعميم -الذي يعد أقل هذه المظاهر وضوحا- انتقل لفظ الصدقة إلى معانيه الإسلامية حيث اتسع مدلوله عما كان عليه في القرآن من الدلالة على إخراج المال على وجه القربة لله تعالى وأصبح الأمر بالمعروف صدقة والنهي عن المنكر صدقة والتبسم في وجه المسلم صدقة. ولفظ أحرم الذي خصصته السياقات في الدلالة على الإحرام بالحج والعمرة بينما اتسع مدلوله في بعضها ليدل على الدخول في حرمة شرعية.

٥ - المجاز أحد العوامل التي نقلت هذه الألفاظ من معانيها اللغوية إلى معانيها الإسلامية مثل الاستجمار، والبيض، والزهراوين، والسحور، والغرة، والتحجيل، والوضوء، ولثبات هذه الألفاظ على هذه الدلالة وكثرة استعمالها بهذه المعاني أصبحت هذه المعاني الإسلامية هي المعاني الحقيقية لها.

٦ - للاشتقاق والتصريف دور هام في وجود هذه الألفاظ وحملها للدلالات الجديدة، فمكتوبة اسم مفعول دلّ على الصلاة المفروضة، والمُهَلّ مكان الإهلال، والرَّيان صيغة مبالغة أصبحت علما على باب من أبواب الجنة، والمرجئة اسم فرقة من الفرق التي خالفت هدي المصطفى ﷺ، والحاشر والماحي والعاقب أسماء فاعلين أصبحت من أسماء الرسول ﷺ، والمعوذتان اسم فاعل دل على اسم سورتين من سور القرآن.

وبإضافة بعض السوابق (الهمزة والسين والتاء) تكونت ألفاظ مثل الاستنجاء والاستجمار والاستطابة من ألفاظ عرفها الجاهلي وهي النجاء والجمار وطاب، وحملت الدلالة الإسلامية التي وردت بها في سياقات الأحاديث.

٧ - من هذه الألفاظ مااكتسب دلالته بالتركيب حيث أصبحت له هذه الدلالة الإسلامية من تركيب لفظين معروفين، ومن هذه الألفاظ: نهر الحياة، ونهر الخبال، وطينة الخبال، واليد العليا، واليد السفلى، وأم الكتاب، وأم القرآن.

٨ - ترتب على هذا التغير الدلالي نشوء بعض العلاقات الدلالية بين الألفاظ الإسلامية ومنها الترادف بين لفظي الاستنجاء والاستطابة، وبين لفظي فريضة ومكتوبة، ودل لفظ فريضة على الصلوات المفروضة، كما دل على مافرضه الله علىعباده من فريضة الحج والصدقة، ويعد هذا من المشترك اللفظي.

٩ - وقد أظهر البحث أثر الإسلام في اللغة العربية، والذي تمثل بصورة واضحة في تغيير دلالتها ونقل الألفاظ من معانيها اللغوية إلى معان إسلامية عبرت عن الأحكام والشرائع التي جاء بها الإسلام. ولكن هذه الدراسة بالضوابط التي وضعت لها والوقت المقرر لها -على تجاوزه- لم تتمكن من دراسة جميع الألفاظ الإسلامية الواردة في الأحاديث النبوية، لذا أقترح مايأتي:

١ - أن تتابع البحوث التي تجعل الألفاظ الإسلامية قاعدة لها لنتمكن من مجموع هذه البحوث من تكوين معجم تاريخي للألفاظ الإسلامية التي لم تتوقف عند حددراستها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بل إن هناك الكثير مما ورد على ألسنة الفقهاء والمحدثين وغيرهم مما اصطلحوا عليه من ألفاظ ومصطلحات فقهية وحديثية تدخل في إطار الألفاظ الإسلامية ومعاجم المصطلحات الفقهية، أو مانسميه بمعجم لغة الفقهاء زاخر بهذا النوع من الألفاظ، وكما أنه يمكن للمجامع اللغوية تبني هذا النوع من المعاجم التاريخية والتي تعد جزءا من الأمل المنشود في تكوين معجم تاريخي للغة العربية.

٢ - أن يتنوع الهدف من هذه البحوث فيقوم بعضها على جمع الشواهد وتحديد الدلالات ويتناول بعضها دراسة التراكيب ويقوم بعضها الآخر على دراسة اللفظة في جميع مستويات التحليل اللغوي الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية والمعجمية.

٣ - أن ينصرف بعض هذه إلى حصر جميع الألفاظ الإسلامية الواردة في القرآن والحديث لتكون النواة لتكوين المعجم التاريخي للألفاظ الإسلامية.

٤ - والذي تبين لي من خلال هذا البحث أن مثل هذا النوع من البحوث يحتاج إلى فريق عمل ليتمكن من التتبع الدقيق لجميع المصادر المتصلة بالمرحلة أو المراحل المراد دراستها، فجمع الشواهد، وفهمها، والوصول إلى دلالة اللفظ في الشاهد الواحد عملية تتطلب الكثير من الوقت والجهد، يظهر هذا واضحا في التعامل مع مصادر الشعر الجاهلي، والتي يترتب فهم البيت الواحد منها على فهم القصيدة ومعرفة مناسبتها، وإذا كانت شروح الدواوين تيسر هذا الأمر أحيانا ولكن يظل الباحث بحاجة إلى إنفاق كثير من الوقت والجهد للوصول إلى دلالات الألفاظ في الشعر

الجاهلي، ويظل الشعر متناثرا بين الدواوين والمجموعات الشعرية ومعاجم اللغة.

٥ - القيام بدراسات جماعية جادة تقوم عليها أقسام الدراسات العليا بالجامعات أو المجامع اللغوية لوضع معجم للغة العصر الجاهلي شعره ونثره؛ ليكون الخطوة الأولى لتكوين معجم تاريخي للألفاظ، كما أن ذلك مما يشجع الباحثين على دراسة الألفاظ في العصر الإسلامي، حيث يجدون الأساس الذي يعتمدون عليه في دراساتهم التاريخية جاهزا ييسر الطريق أمامهم فكم أنفقت من الوقت والجهد لجمع الشواهد الشعرية الخاصة بكل لفظ من ألفاظ هذه الدراسة، ثم فهم هذه الشواهد وحصر دلالات اللفظ، وكل هذا تمهيدا لدراسة دلالات الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية.

٦ - استغلال الحاسب الآلي في عرض مثل هذا النوع من المعاجم وغيرها من المعاجم التي لايستغني الباحث عنها، فكم يسرت لي برامج الحديث النبوي تتبع السياقات الخاصة باللفظ الواحد مما لايمكن حصره من خلال العودة إلى كتب الحديث، وكم أطمح أن تحظى هذه البرامج بأنواع من البرمجة لألفاظها ومعانيها ونصوصها وفقا لموضوعاتها ومعانيها والأحكام الشرعية الواردة فيها، والألفاظ الفقهية المتضمنة لها بما يفيد جميع الباحثين على اختلاف تخصصاتهم وأهدافهم.

وإنني إذ أضع القلم لإنهاء هذه الرحلة مع الألفاظ الإسلامية في الأحاديث النبوية لأرجو الله سبحانه أن ييسر لي إتمام دراسة مابقي منها وتكوين معجم تاريخي لها وأن يقيد لمثل هذه الدراسة من الغيورين على دينهم ولغتهم فينشطوا لخدمتها والكشف عن أسرارها ومكنوناتها.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به، فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ويعلم النية التي دفعتني لاختياره والرغبة في تجويده مااستطعت إلى ذلك سبيلا، فإن خانني العزم وزلت بي القدم وانحرفت عن جادة الصواب فعزائي أمام الله سبحانه النية والقصد فبها أسأله أن يجعل هذا العمل صدقة جارية وحجة لي لا علي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفهارس

فهرس
الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	٣٠	٣٢٢
البقرة	٤٣	١٢٤، ١٤٠، ٢١٢
البقرة	٦٨	١٤٩
البقرة	٧٩	١٥٢
البقرة	١١٧	٣٠٦
البقرة	١١٨	٣١٢
البقرة	١٢٥	١١٩
البقرة	١٤٥	٣٣٦
البقرة	١٥٧	١٣٩
البقرة	١٥٨	٢٥٠، ٢٨٣
البقرة	١٦٨	١٠٠، ٤١٨
البقرة	١٧٣	٢٦٠، ٢٦٨
البقرة	١٨٣	١٥٢
البقرة	١٨٥	١٧٧، ١٧١، ٣٤١
البقرة	١٨٧	١٩٢، ٢٠٢
البقرة	١٨٩	٢٦٨
البقرة	١٩٦	٢٢٤، ٢٨٦
البقرة	١٩٧	١٤٩، ٢٥٠
البقرة	٢٠٣	٤٠٦
البقرة	٢٢٩	١٢٥
البقرة	٢٣٠	١٢٩
البقرة	٢٧٧	١٢٤
البقرة	٢٨٠	٢٢٥
آل عمران	٧	٣١٢، ٣٨١
آل عمران	٩	٣٥٧
آل عمران	١٧	١٩٠
آل عمران	٣١	٣٣٦
آل عمران	٣٨	٤١٩
آل عمران	٨١	٤٠٢
آل عمران	٨٦	١٧٨
آل عمران	٩٧	٧٦، ٢٤٩
آل عمران	١٠٦	٢٠٣
آل عمران	١٣٧	٢٩٧
آل عمران	١٤٤	٤٠٢
آل عمران	١٥٣	١٤٠
النساء	٢	١٠٠، ٤١٨
النساء	٤٢	٨٥
النساء	٤٩	٢١١
النساء	٦٩	٢٢٣

النساء	٨٧	٨٥
النساء	٨٨	٤٢٢
النساء	٩٢	٢٢٥
النساء	١٠٣	٧٥، ١٣٩
النساء	١٠٤	٣٦٩
النساء	١٢٠	١٠٦
النساء	١٥٧	٣١٢
النساء	١٦٢	١٤٠
المائدة	٦	١٠٠، ١٠٤، ٢٣٥، ٤١٩
المائدة	٣٣	٢٨٢
المائدة	٣٥	٤٣٤
المائدة	٥٦	٣٩٦
المائدة	٥٨	١١٣
المائدة	٨٥	١٢٠
المائدة	٨٧	٢٦٠
المائدة	٩٦	٢٦٠
المائدة	١٠٣	٢٠٦
الأنعام	٧١	٤١٢
الأنعام	٨٢	٧٥
الأنعام	٩١	٣٧٢
الأنعام	٩٢	٣٨١

الأنعام	٩٤	٢٨٧
الأنعام	١٢٢	٣٦٢
الأنعام	١٤٠	٢٥٩
الأعراف	٤٤	١١١
الأعراف	٤٨	٣٥٧
الأعراف	٦٩	٣٢٢
الأعراف	١١١	٣٦٨، ٤٠٧
الأعراف	١٢٨	٤١٢
الأعراف	١٥٠	٣٢٢
الأعراف	١٥٧	١٥٢
الأعراف	٢٠٠	٣٩١
الأنفال	٣٨	٢٩٧، ٤٠٥
التوبة	١٩	٢٤٩
التوبة	٢٩	٢٣٦
التوبة	٣٣	٤٠٥
التوبة	٣٦	٢٦٠
التوبة	٣٧	٢٥٩
التوبة	٤٠	٢٣٦، ٣٢٨
التوبة	٥٤	١٢٥، ١٤٠
التوبة	٦٠	٢٢٥
التوبة	١٠٣	١٣٩، ٢١١، ٢٢٤
التوبة	١٠٦	٣٦٨

يونس	٢	٢٢٢
يونس	٩٠	٣٣٦
هود	٥٨	٩٣
هود	٧٠	٢٠٦
هود	٨٥	٩٣
هود	٨٧	١٤٠
يوسف	١٠	٤٤٣
يوسف	١٥	٤٤٣
يوسف	٧٠	١١١
يوسف	٧٨، ٧٩	٣٩٢
يوسف	١٠٠	١٨٢
يوسف	١٠١	٨٥
الرعد	٣	٤٣٦
الرعد	٢١	٢٠٥
الرعد	٢٩	٤١٩
الرعد	٣٩	٣٨٢، ٤٠٤
الرعد	٤١	٤١٢
إبراهيم	٤٠	١٢٤
إبراهيم	٤٩	٢٨٨
الحجر	٦٠	٣٧٢
الحجر	٨٧	٣٨٤
النحل	٣٢	٤١٩
النحل	٩٨	٣٤٠
الإسراء	١٢	٤٠٤
الإسراء	١٩	٢٨٢
الإسراء	٢٩	٢٣٦
الإسراء	٥٧	٤٣٤
الإسراء	٧١	١٣٢
الإسراء	٧٧	٢٩٧
الإسراء	٧٨	٣٤١
الإسراء	٨٠	٢٢٢
الإسراء	١١١	١٧١
الكهف	١٧	٣٥٠
الكهف	١٩	٢١١
الكهف	٣٤	٣٢٨
الكهف	٧٧	١٢٥
الكهف	٨٠، ٨١	٢١٣
مريم	٣	١١٤
مريم	١١	٣٦١
مريم	١٣	٢١٢
مريم	٢٦	١٨٧
مريم	٣١	٢١٢
مريم	٤١	٢٢٤
مريم	٨٥	٤٠٧

مريم	٨٩	٢٨٩
طه	٧٢	١٩٦
طه	١٣١	٣٨٧
الأنبياء	٧٣	١٣١
الأنبياء	٨٩	٢٨٧
الأنبياء	٩٤	٣٨٢
الحج	١٠	٢٣٦
الحج	٢٦، ٢٧	٢٤٩
الحج	٣٠	٢٦١
الحج	٤٠	١٤٠
المؤمنون	٧٢	٣٦٢
النور	٦	١٧٨
النور	٣١	٣٣٦
النور	٣٥	٣٥٠
النور	٤١	١٦٨
النور	٥٨	١٤٥
الفرقان	٧٢	١٧٨
الشعراء	٢٨	١٤٦
النمل	٤٤	٧٤
القصص	٧	٣٨١
القصص	٤١	١٣٢
القصص	٥١	٢٠٦

الروم	١٨	١٤٥
الروم	٣٠	١٩٧
لقمان	١٥	٣٢٨
لقمان	١٤	٣٨٠
السجدة	١٥	١٦٧
الأحزاب	٦	٣٨١
الأحزاب	١٣	٤٠٣
الأحزاب	٢٢	١٧٥، ٣٩٧
الأحزاب	٢٣	٢٢٣
الأحزاب	٣٥	٢٣١
الأحزاب	٣٨	١٤٩، ٣٧٢
الأحزاب	٤٠	٤٠٢
الأحزاب	٤٥	٤١٥
الأحزاب	٥٦	١٤١، ١٧٥
سبأ	١٥	٤١٩
سبأ	٣٨	٢٨١
سبأ	٤٦	٣٢٨
فاطر	١٦	٣٩٦
فاطر	٢٧	٢٠٣، ٣٥٠
فاطر	٤٣	٢٩٧
يس	١٢	١٣٢
الصافات	٢٢	٤٠٧

الصافات	٥١	٢٨٨
الزمر	١٣	٨٥
غافر	١١	٣٦٢
فصلت	٤٤	١١٤
الشورى	١٣	١٢٥
الشورى	٢١	٣٠٧
الزخرف	٢٨	٤١٢
الزخرف	٥٣	٢٨٨
الأحقاف	٩	٣٠٦
محمد	٢	٤٠٢
محمد	١٥	٤٣٧
محمد	٣٥	١٦١
الفتح	٢٩	٤٠٢، ٤١٣، ٤١٤
ق	٣	١٢٩
ق	٣٩	١٤٤، ٣٥٠
ق	٤٠	١٤٤، ١٦٨
الطور	٢٤	٨٥
النجم	٦٢	١٨٢
القمر	٣٤	١٩٠
القمر	٥٤، ٥٥	٢٢٢، ٤٣٧
الرحمن	١٧	١٤٦
الحديد	١٨	٢٣١
الحديد	٢٠	١٠٦
الحديد	٢٧	٣٠٥
المجادلة	٩	٩٤
المجادلة	٢٢	١٥٢
الحشر	٢	٤٠٧
الحشر	٧	٧٧
الحشر	١٤	٣٥٧
الصف	٦	٤٠٢
الجمعة	٩	١١٣، ٢٨١، ٢٨٢
التحريم	١	٢٦٠
التحريم	٣	٨٥
الملك	٣	١٩٧
المعارج	٤٠	١٤٦، ٣٥٠
الجن	٦	٣٩٢
المزمل	١٨	١٩٧
القيامة	١٧-١٨	٣٤٠
المرسلات	٢٣	٣٧٢
المرسلات	٣٨	٣٥٦
المطففين	٣٦	١٢٠
الانشقاق	١	١٨٢
الطارق	١١	١٢٩

فهرس

الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة

حرف الألف

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الصاد

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس القوافي

فهرس

المصادر والمراجع

حرف الألف

- الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعاً ودراسة: صالح بن حامد بن سـيد الرفـاعي، مركـز خدمـة السـنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الأزمنة وتلبية الجاهلية: أبوعلي محمد بن المستنير قطرب، تحقيـق وتقديـم حنـا جميـل حـداد، مكتبـة المنـار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الأصمعيات: أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك، تحقيـق وشـرح أحمـد محمـد شـاكر وعبدالسـلام محمد هارون، دار المعارف، الطبعة الخامسة.
- الأصنام: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق أحمدزكي باشا، مطبعة دار الكتب المصريـة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٤٣هـ، ١٩٢٤م .
- الأضداد: محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.
- إختلاف الحديث: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسـة الكتـب الثقافيـة، بـيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق شـعبان محمـد إسمـاعيل، دار الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبـي بكـر الملقـب بشـمس الديـن والمعـروف بـابن القيـم، تحقيـق وضبط عبدالرحمن الوكيل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- أُسس علم اللغة: ماريوباي، ترجمة وتعليق أحمدمختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- أُصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الأمل، تحقيق حسين أحمـد السـباعي وحسـن محمـد الأهـدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٠٨هـ، ١٩٨٨م.

حرف الباء

- البحر المحيط: أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمـد علـي النجار، المكتبة العالمية، بيروت.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: السيد محمود شكري الألوسـي البغـدادي، شـرح وتصحيـح وضبـط محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حرف التاء

- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، نقله إلى العربية عبدالحليم النجار وآخرون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- تاريخ المدينة المنورة: أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري، تحقيق فهيم محمد شلتوت.
- الترادف في اللغة: حاكم مالك لعيبي الزيادي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م.
- التصور اللغوي عند الأصوليين: السيد أحمد عبدالغفار، شركة مكتبات عكاظ، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ـ١٩٨١م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم: عودة خليل أبوعودة، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- التطور اللغوي التاريخي: إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي ، الرياض.
- التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مركز الحرمين، دار الغد العربي، القاهرة.
- تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق هدى الطويل المرعشلي، دار النور الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر، تحقيق محمد عوامة، الناشر دار الرشيدي بحلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حرف الجيم

- الجامع لأحكام القرآن الكريم: محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
- جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، لبنان
- جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين بن أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق

وتخريج وتعليق عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، وطبعة الملاح، ومكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

- جمهرة أشعار العرب في الجاهليةوالإسلام: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر.

حرف الحاء

- الحديث النبوي: مصطلحه، بلاغته، كتبه: محمدبن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة السادسة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية: محمد ضاوي حمادي، الجمهورية العراقية، اللجنة الوطنية للإحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- الحديث النبوي في النحو العربي: محمود فجال، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

حرف الخاء

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

حرف الدال

- دراسات في العربية وتاريخها: محمد الخضر حسين، المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- دراسات في الحديث النبوي: عباس بيومي عجلان، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤م.
- دراسات في علم اللغة: د.كمال بشر، دار المعارف بمصر، الطبعة التاسعة، ١٩٨٦م.
- دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حموده، الدار الجامعية، الاسكندرية.
- دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلوالمصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- الدلالة اللغوية عند العرب: عبدالكريم مجاهد، دار الضياء، عمان، الأردن.

- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ١٩٩٠م.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق م.محمد خسين، مكتبة الآداب بالجماميز.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح محمديوسف نجم، دارصادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق عزة حسن، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، دمشق١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.
- ديوان تأبط شراًوأخباره، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- ديوان حاتم بن عبدا لله الطائي وأخباره: صنعة يحي بن مدرك الطائي، رواية هشام ابن محمد الكلبي، دراسة تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة.
- ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م.
- ديوان سلامة بن جندل: صنعة محمد بن الحسن الأحول، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ديوان السموأل: صنعة أبي عبدا لله بن نفطويه، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- ديوان شعر الحادرة: إملاء أبي عبدا لله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي، تحقيق ناصرالدين الأسد، دار صادر، بيروت.
- ديوان الصعاليك: (ديوان السليك بن السلكة) شرح يوسف شكري وفرحان، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- ديوان طرفة بن العبد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- ديوان الطفيل الغنوي، تحقيق محمدعبدا لله أحمد، دارالكتاب الجديد، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
- ديوان عامر بن الطفيل: رواية أبي بكر محمد بن قاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.

- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م.
- ديوان عنترة، دراسة وتحقيق محمد سعيدمولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- ديوان قيس بن الخطيم: عن ابن السكيت وغيره، تحقيق وتعليق ناصر الدين الأسد، مكتبة دار العروبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م.
- ديوان لقيط بن يعمر الأيادي: رواية أبي المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي، تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر
- ديوان الهذليين نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

حرف الذال

- الذيل على النهاية في غريب الحديث والأثر: أبوعبدالله عبدالسلام بن محمد بن عمر علوش، دار ابن حزم، الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

حرف الراء

- رسائل في الفقه واللغة، تحقيق عبدالله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبغة الأولى، ١٩٨٢م.
- الرسالة المستطرقة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: كتب مقدماتها ووضع فهارسها محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

حرف الزاء

- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: تصنيف أبو منصور الأزهري، تحقيق محمدجبر الألفي، مراجعة محمد بشير الأدلبي وعبدالستار أبوغدة، ادارة الشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية: أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مطبعة الرسالة.

حرف السين

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، نشره محمد علي السيد بحمص، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد محمد، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية السندي: أحمد بن شعيب النسائي، اعتناء عبدالفتاح أبوغدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية المفهرسة ١٤٠٩هـ.
- السيرة النبوية: أبو محمد عبدالملك بن هشام، تحقيق مصطفى السيد إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار الكنوز الأدبية.

حرف الشين

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: صنعة أبي العباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب، نسخة مصورة عن الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- شرح ديوان الحماسة: أبو علي أحمد بن محمد الحسن المرزوقي، نشره أحمدأمين، عبدالسلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.
- شرح ديوان عروة بن الورد العبسي: أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت، صححه ابن أبي شنب، خزانة الكتب العربية.
- شرح ديوان علقمة بن عبدة التميمي: أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري، اعتنى بتصحيحه الشيخ ابن ابي شنب، خزانة الكتب العربية.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: تحقيق وتقديم إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية١٩٨٤هـ.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعةالرابعة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- شعر المثقب العبدي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.
- شعراء النصرانية في الجاهلية: جمعه ووقف على تصحيح الطبعة الأولى الأب لويس شيخو، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز.

حرف الصاد

- الصاحبي: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، المطبوع مع شرحه فتح الباري، تصحيح وإخراج محب الدين الخطيب، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي المسمى (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) تحقيق الشيخ خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ألطبعةالأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

حرف الطاء

- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلاّم الجُمَحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- طبقات الشعراء: محمد بن سلاّم الجُمَحي، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت.
- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

حرف العين

- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، اعداد هشام البخاري، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- علم اللغة: علي عبدالواحد وافي، الطبعة السابعة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.
- علم اللغة بين القديم والحديث: عبدالغفار حامد هلال، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- علم اللغة العام: توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- علم اللغة العربية: محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، القاهرة.

● علم الدلالة: أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

● علم الدلالة: ف. بالمر، ترجمةصبري إبراهيم السيد، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م

● علم الدلالة والمعجم العربي: عبدالقادرأبو شريفة وآخرون، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

● عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

حرف الغين

● غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

● غريب الحديث: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، وثقه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

● غريب الحديث: أبو محمد عبدا لله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وضع فهارسه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

● غريب القرآن: أبو محمد عبدا لله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيدأحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

حرف الفاء

● الفائق في غريب الحديث: جارا لله محمودبن عمر الزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.

● فتح الباري بشرح صحيح الإمام عبدا لله بن محمد إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

● فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م.

● فقه اللغة العربية وخصائصها: إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

● فقه اللغة: محمد خضر، توزيع دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة خاصة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

● فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

● في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة.

حرف القاف

● القاموس الفقهي: سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

● القاموس المحيط: مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسةالعربية للطباعة والنشر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

● قصائد جاهلية نادرة: يحي الجبوري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢.

● القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي: إسماعيل مظهر، مقالة بمجلة المقتطف، نوفمبر١٩٤٥م.

حرف الكاف

● الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تحقيق محمد عوامة وأحمد الخطيب، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

● كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق لطفي عبدالبديع، المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٢هـ، ١٩٨٣م,

● كلام العرب من قضايا اللغة العربية: حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م.

● الكلمة (دراسة لغوية معجمية): حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية،

● الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

حرف اللام

● لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور، تحقيق عبدا لله علي الكبير ومحمد أحمد حسب ا لله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

● اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

● اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغوي تاريخي، إسماعيل مظهر، مقالة بمجلة المجمع اللغوي، القاهرة، السنة الرابعة، ابريل، ١٩٦٠م.

حرف الميم

● مجمل اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، دراسة وتحقيق زهيرعبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

● المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث: أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني، تحقيق عبدالكريم العزباوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

● المحبر: أبو جعفر محمد بن حبيب، رواية أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

● مختارات ابن الشجري: أبو السعادات هبة الله بن الشجري، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

● المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م.

● المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد علي البجاوي، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة.

● المستصفى من علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

● المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: توفيق محمد شاهين، مطبعة الدعوة الإسلامية، مكتبة وهبة.

● مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة: أحمد بن بكر البوصيري، تحقيق موسى محمد علي وعزت علي عطية، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

● معجم ألفاظ العقيدة: أبي عبدا لله عامر عبدا لله فالح، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

● معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق.

● معجم الشعراء: أبو عبيد ا لله محمد بن عمران المرزباني ومعه المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكنابهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

● المعجم العربي: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

● المعجم العربي نشأته وتطوره: حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

● معجم علم اللغة النظري: محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

● معجم غريب القرآن: محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

● معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

● المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

● المفضليات: المفضل بن محمد بن يَعْلَى الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، الطبعة السابعة.

● مقدمة لدراسة اللغة: حلمي خليل، دار القلم، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

● مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ، ١٩٧٩م.

● من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس

● الموافقات في أصول الشريعة: أبو اسحاق الشاطبي، شرحه وكشف مراجعه وخرّج أحاديثه عبدالله دراز، ضَبْطُ الآيات وتخريج الأحاديث ابراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

● ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر.

حرف النون

● نصب الراية بتخريج أحاديث الهداية: عبدالله بن يوسف الزيلعي، دار المأمون بمصر، سنة ١٣٥٧هـ.

● النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير، تحقيق محمود أحمد الطناحي، وطاهر أحمد الزواوي، نشر أنصار السنة المحمدية.

الدوريات

● الحقيقة الشرعية وتنمية اللغة العربية: أحمد مطلوب، مقالة بمجلة مجمع اللغة العربية، بغداد، المجلد الثالث والثلاثون، الجزء الأول.

● ديوان الشاعرين الكبيرين: عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن حلزة اليشكري، مجلة المشرق، السنة

العشرون، تموز، العدد السابع.

● ديوان عمرو بن قميئة، حققه وشرحه وعلّق عليه حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد الحادي عشر، ١٩٦٥م.

● في المصطلحات الإسلامية: محمد يوسف موسى، مقالة بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الحادي عشر.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة